مجالس العلماء والأدباء والخلفاء

مرآة للحضارة العربية الإسلامية

الدكتور يحيى وهيب الجبوري

الأستاذ بجامعة إربد الأهلية



الطبعة الأولى

1427 هـ ـ 2006 م

دار الغرب الإسلامي

ص: ب. 5787 ـ 113 بيروت

مجالس العلماء والأدباء والخلفاء

مرآة للحضارة العربية الإسلامية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمدلله والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين. وبعد،

فهذا كتاب عن المجالس العلمية والأدبية والحضارية في التراث العربي الإسلامي، في عهود الحضارة الإسلامية الزاهرة، منذ مطلع الإسلام وحتى نهاية عصر المأمون، وهو رحلة ثرية في رحاب الفكر واللغة والأدب والشعر والسمر والطرب.

وقد كان الحافز لتأليف هذا الكتاب أموراً عدة: أولها أني نشأت على الميل إلى استماع أحاديث الكبار ومواعظهم ومحاوراتهم في المساجد وفي المجالس التي تعقد في النوادي أو البيوت، وكنت أحضر مستمعاً ومستفيداً، وكنت ابتهج بمن يناقش ويجادل بأدب وبحجة واضحة وأسلوب شيق فيه حصافة وأدب، وأضيق بمن يكابر ويعاند ويرفع صوته معوضاً عن ضعف حجته أو قلة علمه، وكذلك كنت وما زلت أضيق بمن يسفه رأي الآخرين دون حجة أو دليل، أو يقاطع المتحدِّث ويهوِّن من قدره وفكره.

وحين بلغت التمام وأكملت تعليمي واشتد عظمي، كنت أحضر مجالس النوادي الأدبية ومحاضرات الأساتذة ومجالس الأدب والشعر في الجامعات وبيوت الأساتذة، وكان لبعض أعيان العراق وبغداد خاصة مجالس في البيوت لها أيام مخصوصة للعلماء والأدباء، يتجاذبون فيها أطراف الحديث، ويتعرضون للقضايا

الأدبية والفكرية، ويقوم الحوار والجدل والخلاف وتتلاقح الأفكار، وتنتهي هذه المجالس بالود والمحبة وتوثيق عرى الصداقة، وكنت ممن يعنى بهذه المجالس فكان لي مع أصدقائي وأساتذتي من جامعة بغداد، يوم كانت بغداد درة العواصم، مجالس تعقد كل أسبوع في بيت أحدنا، وكان مجلسنا يضم مجموعة من العلماء والأدباء وأساتذة الجامعة نتحدث عن كتاب أو كتب، أو أديب وأدباء، وكانت العصبة الدائمة لهذه المجالس مكونة من أساتذتي وأصدقائي من أساتذة جامعة بغداد وبعض الأدباء والشعراء والمؤلفين، وكانت مجالسنا زاداً لنا في المعرفة والاطلاع على ما كُتب ويكتب في العراق والبلاد العربية.

وكنت في كل المجالس التي حضرتها سواء المجالس العامة التي تقيمها الجمعيات والاتحادات والنوادي والجامعات أو المجالس الخاصة، أضيق بالجدل والمتجادلين الذين يخرجون على آداب الحوار والمناقشة والمحاجَّة، فمنهم من يدعي ويزعم، ويقاطع المتكلم، ويسفه رأيه ـ مدعوماً بمجموعة من الهتافين والمحرضين من حزبه أو طائفته ـ دون علم ولا دليل، ومنهم من يستبق القول ويستحوذ على رأي المتكلم ويزعم أنه أولى به وأعلم من غيره، ومنهم من اعتاد أن يرفع صوته ويحرك بيديه وبقية أعضاء جسمه قياماً وقعوداً، بإشارات كإشارات شرطي المرور، تعينه وتغطي على عِيِّه وعجزه، ومنهم... ومنهم!!. وكنت أضيق كما يضيق غيري بهذه الخصال في اضطهاد المتكلمين وذوي الرأي والفكر الرصين، وحين كنت أرجع إلى كتب العلم والأدب في التراث العربي، وفي سير العلماء وما كانوا عليه من حصافة وتعقل، أجد الفرق كبيراً بين ما كانوا عليه من علم وحلم وأدب في مجالسهم، وما نحن فيه من هوس واضطراب وادعاء وتهريج، وأنا لا أعمم القول، فهناك صفوة من العلماء المعاصرين الذين اقتدوا بالسلف الصالح من العلماء الحلماء الذين يُحَكِّمونَ العقل، ويلجمون العواطف والعصبيات ويبرأون من العصبية العمياء.

وقد كثرت مع الأسف تلك الأخلاق الرديَّة التي تخرج على أصول البحث والحوار، وشاعت في دواوين الدول ومجالس الحكم، وفي مجالس السياسة

والأحزاب والطوائف المذهبية والعرقية. وامتدت هذه الخصال الهجينة والعدوى إلى طلاب المدارس والجامعات، وكذلك إلى بعض معلميهم وأساتذهم، وقد لمست هذه الظاهرة الوصمةَ في عشرات المجالس والمدارس والجامعات التي درَسْتُ فيها ودرَّسْتُ، وإن أنس فلا أنس ما صدمت في أول حياتي العلمية، واتفق أن كنت في مجلس يعقده نادٍ أدبي، بدار الغربة ـ وكنت وما زلت في بلدي وغيره في دار غربة واغتراب ـ سنة 1967، أصغي لأحد المتحدثين المتسلطين في موسم أدبي يقام مساء يوم الخميس من كل أسبوع وكان قد استشهد المتحدث ببيت أبي العلاء المعري:

وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانُهُ لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

وقد نسب هذا البيت للمتنبي، ولحن في قراءة البيت فقال: (الأخير زمانهِ) بكسر النون من زمانه، وحقها الرفع. فاستأذنته بأدب وصوت خفيض وقلت: لعلك تقصد الشاعر أبا العلاء المعري القائل. وقرأت البيت برفع (زمانه)، فهاج وماج وعربد وأزبد واستعان بيديه، ورماني بالجهل، وعتب على الجامعة التي أعمل فيها كيف تستورد أمثالي من العراكيين (يريد العراقيين) الواهمين القليلي العلم والخبرة، وحاولت أن أهديء من غلوائه وصخب مؤيديه، فقلت: هذا علمٌ، وقد يخطىء المرء ويصيب، والحَكَم بيننا ديوان أبي العلاء وترجماته في كتب الأدب والتراث ومنها وفيات الأعيان ومعجم الأدباء. فلم يعرني بالاً، وتسَحَّبت من المجلس وسط نظرات السخط أو الإشفاق من جهلي في مساءلة الفحول!!.

وعدت إلى المجلس في الأسبوع الثاني، وكان صاحبي غائباً فاستقبلني مسؤولو النادي وبعض من حضر بحفاوة وتكريم، وقالوا: قد تأكدنا من صحة كلامك بالرجوع إلى شعر أبي العلاء وتراجمه، واعتذروا لي، وطلبوا مني محاضرة للأسبوع القادم، ففعلت.

وكنت منذ ذاك أحدث نفسي وأتمنى أن تكون مجالسنا ومنتدياتنا متحلية بأدب الحوار والمناظرة والأخذ والرد، وإثراء المجالس بالعلم والأدب، وفق

أسلوب رفيع من الحوار والنقاش والجدل، وعرض الأفكار بأسلوب واضح وخلق رفيع، وتصويب رأي من يخطيء بأدب وحلم، مقتدين بأدب السلف الصالح وعلماء الأمة، بعيداً عن العصبية والخصومة والمغالبة. وكنت منذ ذاك حين أقرأ في كتب التراث، أهمُّ بالكتابة في هذا الموضوع، فتشغلني عنه مشاغل، ثم أحن إليه، حتى قَيَّض الله سبحانه لي أن أتفرغ له فكان هذا الكتاب الذي درَّست بعضاً منه لطلابي في الجامعات العربية، وخاصة فيما يتعلق بآداب الدرس والمساءلة والحوار، كما جاءت في أدب مجالس الحديث النبوي، وقد رأيت فيمن درستهم استجابة جيدة بل رائعة لآداب الدرس والحوار والمناقشة وإثراء الدرس بكل نافع ومفيد.

وعلينا أن نوضح بعد ما تقدم، المراد بالمجلس:

المجلس هو مجلس العلم والأدب، وليس مجلس الحكم والسياسة والإدارة وما إلى ذلك، بل المجلس الذي تتوافر فيه المناظرات والمحاورات العلمية والأدبية والدينية، التي تقوم على بيان الرأي والمحاجَّة والحوار والجدل والخلاف المفيد، ويكون سبيلها بيان الرأي بالحجة والإقناع بعيداً عن العصبية والمغالطة والمهاترة، أما مجالس المديح والطلب والشكوى في مجالس الخلفاء فليست من هذه المجالس لأنها ليست مجالس فكر ومعرفة. والمجالس التي تعرضنا لها هي المجالس التي كانت تعنى باللغة والنحو والشعر والأدب والفلسفة والحضارة والوعظ والتفسير، وما إلى ذلك.

وعلى هذا فليس كل كتاب حمل اسم المجلس تتوافر فيه شروط المجالس التي نريدها، فقد تكون مجالس سمر أو مجالس تعليم وتلقين أو مجالس وعظ وإرشاد أو مجالس فِرَق دينية ومذهبية باتجاه واحد.

وقد رسمنا للكتاب أن يكون على قسمين أو بابين، كل قسم في أربعة فصول يتناول القسم الأول مجالس العلماء والأدباء، والقسم الثاني يتحدث عن مجالس الخلفاء مع العلماء والأدباء، ونريد بالخلفاء؛ الخلفاء الأمويين والخلفاء العباسيين، وخاصة من كان لهم مجالس حافلة مع العلماء والأدباء وعرفوا بالعلم وحب الشعر

وكانوا على قسط من العلم والثقافة.

وقد تناول الفصل الأول الذي اتخذ اسم: (المجالس آدابها ورسومها)، الحديث عن المجالس وكيف تكون سواء أكانت مجالس الخلفاء أم مجالس العلماء والأدباء. وقد قدمنا لهذا الفصل بالحديث عن آداب المجلس والجليس، وتيمناً بما جاء عن رسول الله ﷺ في ذكر المجالس وآدابها فقد بدأنا بعرض ما جاء من أحاديث الرسول وأقوال الصحابة والجيل الأول في أصول المجالس وآدابها، من ذكر الجليس الصالح وآداب الجالسين، والسلام عند القدوم والاستئذان عند القيام، والتوسعة للقادم والجلوس في المكان المناسب، وإكرام الجليس، وما ينبغي أن يكون في المجلس من العلم والكلام الطيب، وضرورة الإصغاء للمحدث، وأدب السؤال والحوار. وكانت تعقد المجالس في قصور الخلفاء أو في بيوت العلماء، أو المساجد، ولا شك أن أكرم المجالس هي مجالس المساجد. ولم نغفل بعد ذلك ما جاء في الشعر وما قاله الشعراء في آداب المجلس والجليس.

ثم تناول الجزء الثاني من الفصل الأول المجالس ورسومها، وأوضحنا فيه: معنى المجلس وشكله ومراسيم الدخول إليه، في ظل الخلفاء، وآداب المجالسة حين يسأل الخليفة وكيف يجيب الجليس، وهل يجلس الخليفة مع جلسائه أم يحتجب، ومتى يحتجب، وحين يصرف الخليفة جلساءه ماذا يقول، وما هي علامة الصرف لكل خليفة. وللخلفاء مجالس جد وعلم، ومجالس أخرى خاصة باللهو والطرب والغناء والشراب، وقد جاء ذكر ذلك في سياق مجالس الشعر والرواية.

أما الفصل الثاني فقد تناول أكرم المجالس، وهي مجالس الحديث النبوي، ولهذه المجالس أصول وآداب، فكيف كانت مجالس المحدِّثين على مر العصور؟ وأين تكون ومن هم المحدثون وكيف يجتمع الناس وكيف يجلسون، ومتى يعقد المجلس وفي أي يوم، أفي الليل أو في النهار، تعقد في المساجد أم في المساجد وغيرها، وكم يكون عدد الحاضرين، وكيف يسمعون حين يكون الحاضرون مئات بل آلافاً، وإذا كان هناك مستملٍ فيما هي صفاته وواجباته، وللإستملاء آداب ما

هي، وهل يكتب الحاضرون أم يكتفون بالسماع، وكم يُملي المحدث من الأحاديث، وكيف يُفَضُّ المجلس وماذا يقال في ذلك من الحمد والدعاء؟، كل ذلك يجيب عليه الفصل الثاني.

وتناول الفصل أيضاً آداب المحدِّث وطالب العلم، فلطالب العلم آداب يتحلى بها، وأصول يتبعها في السؤال والاستفسار؛ من الإنصات والتواضع والخشوع واحترام المحدث وتبجيله وإجلاله.

وقد وقف الفصل الثالث عند (مجالس اللغة والأدب)، وهذه المجالس كثيرة وحافلة ومشهورة لعلماء أفذاذ وأدباء مشهورين، وقد اخترنا منها سبعة وخمسين مجلساً من المجالس التي فيها تنوع في المادة العلمية سواء أكانت في اللغة أم في النحو أم في الشعر أم في الأخبار، وقد يعقد بعض هذه المجالس في قصر الخليفة أو الأمير وبحضوره ورعايته، أو برعاية كبار رجالات الدولة وبحضورهم، وقد يشاركون فيها، ومن هؤلاء الخلفاء والأمراء: عبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، وهارون الرشيد، والمأمون، وعيسى بن جعفر، وسعيد بن سَلْم، وبلال بن أبي بردة، وغيرهم.

وقد حفلت هذه المجالس بالعلماء الأفذاذ الذين أثروا الحياة العلمية والأدبية، وبقيت آثارهم تحفظها صدور الرواة ونفائس الكتب، ومن هؤلاء العلماء والأدباء الذين دارت على علمهم المجالس: عيسى بن عمر الثقفي، وأبو عمرو بن العلاء، وسيبويه، وعلي بن حمزة الكسائي، والأصمعي، والمفضل الضبي، ويونس بن حبيب، والعتَّابي عمرو بن كلثوم، وحماد الراوية، وعلي بن المغيرة الأثرم، ويعقوب بن السكيت، وسعيد بن مسعدة الأخفش، وأبو حاتم سهل بن محمد السجستاني، وعبد الله بن محمد التوَّزي، وأحمد بن يحيى ثعلب، وعباس ابن الفرج الرياشي، وأحمد بن عبيد، ومقاتل بن سليمان، وأبو مسحل عبد الوهاب ابن حريش، وأبو عثمان بكر بن محمد المازني، ومحمد بن حبيب، وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، ومحمد بن سلام الجمحي، ومحمد بن يزيد المبرد، وسلمة بن عيَّاش، وأبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري، وأبو يعلى بن أبي زرعة،

والأخفش الأكبر عبد الحميد بن عبد المجيد، وخلف الأحمر، ويحيى بن زياد الفرّاء، والنضر بن شميل، وعامر الشعبي، ومحمد بن زياد الأعرابي، ويحيى بن المبارك اليزيدي، وأبو عمر الجرمي، وأبو يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحب أبي حنيفة، وغيرهم كثير.

ومن الشعراء: جرير، والفرزدق، والطرماح، وذو الرمة، ورؤبة بن العجاج، ونُصَيب بن رباح، والكميت بن زيد الأسدي، وبشار بن برد، والعباس بن الأحنف، ومروان بن أبي حفصة، وغيرهم.

وقد تناولت هذه المجالس القضايا اللغوية والنحوية والأدبية وما فيها من دقائق وخلافات وتفسيرات ووجهات نظر، وهي تمثل الحركة العلمية والأدبية التي نشطت منذ القرن الأول واستمرت وازدهرت في القرنين الثالث والرابع، وكان لعناية الخلفاء منذ عبد الملك بن مروان وحتى زمن المأمون وما بعده أثر في ازدهار هذه الحركة العلمية النقدية، لما كان يضفيه الخلفاء من تشجيع وإغداق الجوائز والعطايا على العلماء، وكانت هذه المجالس تعقد أحياناً في مجلس الخليفة وبدعوة منه حين يشكل عليه بيت شعر، أو تفسير آية، أو بيان حكم شرعي، أو توجيه لغوي، أو نكتة نحوية، أو تفضيل شعر على آخر، أو شاعر على شاعر، ولم تقتصر هذه المجالس على قصور الخلفاء، بل كانت كثيراً ما تعقد في دور الأمراء والوزراء والعلماء أنفسهم.

وكانت هذه المجالس مدعاة لتنافس العلماء ومباراتهم وبيان مدى سعة علمهم ومعرفتهم بدقائق اللغة والشعر، وقد أسهمت هذه المجالس في نشر الثقافة وأثْرَت حركةَ التأليف، وكذلك أظهرت طباع العلماء والرواة وما يعتري بعضهم من نشوة النصر، بحيث يخرجون على ما تعارف الناس عليه من آداب في حضرة الخلفاء، وقد يبلغ ببعضهم الأمر أن يكيد بعضهم لبعض، وكا الأصمعي من هؤلاء، وفي هذه المجالس صورة حية مشرقة للحياة العلمية، مع كثرة العلماء المعنيين باللغة والأدب. وقد حفظت هذه المجالس كتبٌ كثيرة، ولكن أهم من جمع هذه المجالس ورتبها وأحسن عرضها وتقديمها هو أبو القاسم عبد الرحمن

بن إسحاق الزجاجي المتوفىٰ سنة 340 هـ، وقد اقتطفنا من هذا الكتاب بعضاً من هذه المجالس التي تعطي صورة واضحة جلية عن طبيعة هذه المجالس العلمية والأدبية.

أما الفصل الرابع من القسم الأول، فقد تناول (مجالس الوعظ والمناظرة)، وتناول مبحثين؛ الأول مجالس الوعظ التي كانت تقام في بغداد في المساجد وغير المساجد، والأعداد الغفيرة التي تحرص على حضورها، وما يرافق هذه المجالس من آداب ورسوم وتلاحين المنشدين، وطبيعة هذه المواعظ وأثرها في نفوس الناس، وتوبة من يتوب ويعترف بالذنوب، وما يرافق ذلك من ندم وشجن وبكاء. وقد أفاض في وصف هذه المجالس ابن جبير في رحلاته. وكانت أبرز هذه المجالس وأشدها تأثيراً مجالس ابن الجوزي التي كان يحضرها الخليفة العباسي المستضيء (المتوفىٰ سنة 575 هـ)، وقد عرضنا لثلاثة من هذه المجالس، وكان ابن الجوزي قد وصف مجالسه هذه وصفاً دقيقاً شاملاً لا مزيد عليه، وعززنا ذلك بنماذج من وعظه المؤثر البليغ.

أما المبحث الثاني من هذا الفصل، فقد تحدث عن مجلس مناظرة بين أبي سعيد السيرافي ومتَّى بن يونس في المنطق اليوناني والنحو العربي، وكانت هذه المناظرة في مجلس الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات المعروف بابن حنزابة وزير المقتدر العباسي، وقد كان لأبي سعيد السيرافي ظهوراً واضحاً على مناظره ابن متى وتمكناً عجيباً في علمي النحو العربي والمنطق اليوناني.

هذا ما حوته فصول القسم الأول من مجالس العلم، فأما فصول القسم الثاني فقد تناولت: (مجالس الخلفاء مع العلماء والأدباء)، وقد تكفل الفصل الأول بمجالس الخلفاء الأمويين، فوصف هذه المجالس وسعتها وكثرة من يؤمها من الأدباء والعلماء والشعراء، وما يكون فيها من أخبار وعلوم وأشعار، وقد حرص الخلفاء على تعلُّم العربية والشعر، وحرصهم على تعليم أبنائهم وتأديبهم على أيدي كبار العلماء والأدباء، وكان أكثر الخلفاء الأمويين يحبون الشعر، ويقبلون عليه، ويكرمون الشعراء ويقربونهم، وكان من الخلفاء من هم شعراء لهم دواوين.

وكان لهذه المجالس التي تعقد في رحاب الخلفاء، أثرها في إثراء الحياة العلمية والثقافية، وقد تميزت هذه المجالس بمجالس المناظرة والعلم، ومجالس الشعر والأدب، ووقفنا عند مجالس أبرز الخلفاء الأمويين الذين كان لهم أثر في الثقافة العربية، وهما معاوية بن أبي سفيان، وعبد الملك بن مروان، وقد عرضنا لطبيعة هذه المجالس ومن كان يؤمها من الشعراء والأدباء وما يكون فيها من علم وشعر وأدب، وكانت هذه المجالس صورة صادقة للحياة الأدبية في العصر الأموي.

وقد تناول الفصل الثاني مجالسَ الخلفاء العباسيين، وكان أهم وأبرز هذه المجالس، مجالس هارون الرشيد، ثم مجالس ابنه المأمون. وتعهد هذه الفصل بالحديث عن مجالس الرشيد، مجالسه مع الشعراء، ثم مجالسه مع المغنين والمطربين. وكان الرشيد محباً للشعر مقدماً للشعراء وله علم وبصر بالشعر والشعراء، وله أحكام نقدية في جيد الشعر ورديئه، وكان الشاعر المفضل لدى الرشيد هو أبو العتاهية الذي كان لقصائده الوعظية أثر في نفس الرشيد الذي كثيراً ما بكى وأبكى الحاضرين، وكان للأصمعي حضور واضح في هذه المجالس الأدبية، يجيب عما سئل عنه من نوادر الشعر والشعراء، ويفسر غامض ما يجيء في الشعر والأخبار، وكان لهذه المجالس أثر كبير في إثراء الحياة الأدبية في عصر الرشيد.

أما الجانب الآخر من مجالس الرشيد فهو مع المغنين والمطربين، ولا شك أن في ما روي عن هذه المجالس شيئاً كثيراً من المبالغة والوضع، وقد اخترنا بعضاً من هذه المجالس التي فيها تعقل واتزان، وهي أقرب إلى القبول، وقد أوضحنا أصول هذه المجالس ورسومها، وما يكون فيها من منافسة المغنين والشعراء، وقد لمع في هذه المجالس من المغنين: إبراهيم بن المهدي، وإبراهيم الموصلي، وإسحاق الموصلي، وابن جامع، وابن أبي الكنَّات، وغيرهم.

ويتكفل الفصل الثالث بالحديث عن مجالس المأمون، وكان المأمون أبرز الخلفاء المقبلين على الأدب والعلم، وقد ازدهرت الحياة الأدبية والعلمية في عصره، وكان للمأمون أثره الواضح في هذه الحياة، لما أوتي من علم وثقافة،

وإلمام بعلوم الشريعة، وعلوم العربية، والفلسفة والمنطق، وكانت مجالسه حافلة بتلاقح الأفكار والمناظرات والجدل، وكان المأمون يؤثر شعر الحكمة والغزل والرثاء، ولا تهزه أشعار المديح، وكان يكتفي منها بأبيات ويعزف عن مطولاتها، وتتسم مجالسه بالتنوع في المعرفة، ففيها الشعر، وأخبار العرب وأيامها، وذكر الحكمة والموت والآخرة، ويستجيد المباحث اللغوية والنحوية والبلاغية. ولم تخلُ مجالسه من الأنس والطرب، من غير تطرف ولا إسراف، وهي مجالس غناء وغزل ونوادر. وكانت مجالسه تمثل طبيعته السمحة في العفو والإكرام، كما كانت تمثل حزمه في البطش والانتقام.

وكان الفصل الرابع هو مسك الختام في هذا الكتاب، وقد حوى نصاً من أهم النصوص المنتقاة في المجالس، وهو مجلس مناظرة بين عبد العزيز الكناني وبشر المريسي، بحضور المأمون وتحكيمه، وقد تناول المجلس قضية القول بخلق القرآن التي شاعت في عصر المأمون، ونشرها المعتزلة، وأعان عليها وتبناها المأمون، وأمر أن يحاكم العلماء ويعاقب من لم يقل بخلق القرآن، وهي فكرة فلسفية معتزلية لم يكن لها وجود في العصور السابقة، ولم تذكر في عصر الرسول والخلفاء الراشدين، وقد كانت هذه مصيبة كبيرة حلت بالمسلمين، وعانى منها العلماء الذين صمدوا ولم يقولوا بخلق القرآن، فعُذِّب منهم من عُذِّب وقُتِل من قُتل، وأقَرَّ بعضهم خوفاً وتقيَّة، وجاء الفقيه عبد العزيز الكناني فأعلن رفضه بالقول بخلق القرآن وإنما القرآن كلام الله غير مخلوق، وطالب أن يناظر المعتزلة ورأسهم آنذاك بشر المريسي، ووافق المأمون وكان حكماً بينهما، ومع أن المأمون كان مؤمناً بقضية خلق القرآن إلا أنه كان حكماً عدلاً في هذا المجلس، واستطاع عبد العزيز الكناني أن يفحم خصمه بالأدلة والبراهين الواضحة من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وكذلك بالمنطق الفلسفي، واقتنع المأمون برأي الكناني، وحججه وبراهينه الناصعة، وبيانه المشرق، وأسلوبه الممتع، فحكم المأمون للكناني فأثنى عليه وأكرمه. وقد حفظ هذه المناظرة كتاب الحَيْدة الذي أفدنا منه ونقلنا عنه، وهو خير ما يمثل الحجج الناصعة والمجالس الممتازة.

وبعد،

فقد تجلت في هذه المجالس صورة ناصعة ومرآة نقية للحياة العلمية والحضارة العربية الإسلامية في عصورها الزاهية الزاهرة، وليتها تكون قدوة لنا في مجالسنا العلمية والأدبية في البلاد العربية والإسلامية. لتتجدد معالم الحضارة العربية الإسلامية التي كانت خير الحضارات وأعرقها وأروعها في العالم، كل العالم.

نسأل الله سبحانه أن يهدينا للرشاد، ويسدد خطانا، ويجنبنا الخطأ والعثرات، والحمدلله أولاً وآخراً.

4 صفر 1426 هـ

15 آذار 2005م

يحيى وهيب الجبوري

العنوان: ص ب 150519 الرمز البريدي 41/211

هاتف فاكس 7251193 المفتاح 009622

إربد ـ الأردن

القسم الأول

مجالس العلماء والأدباء



الفصل الأول

المجالس آدابها ورسومها



في آداب المجلس والجليس

ما جاء عن رسول الله ﷺ والصحابة:

يحسن بنا أن نبدأ بذكر دُرَرٍ من آداب المجلس والجليس كما جاءت عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة والجيل الأول، فقد ذكروا الجليس وأشادوا بالجليس الصالح وأكرموه، وذموا جليس السوء، اقتداءً بسنة الرسول ﷺ وقد مثَّل النبي لهذين الجليسين في حديثه الذي رواه أبو موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: (مثلُ الجليس الصالح مثل الدَّاري إن لم يُحْذِكَ[1]) من طيبه عَلِقَكَ من ريحه، ومثلُ الجليس السوء مثلُ الكِير إنْ لم يحرِقْكَ بشَرارِ ناره عَلِقَكَ من نَتْنِهِ[2].

السلام عند القدوم وعند القيام:

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (إذا أتى أحدكُم المجلسَ فليسلم، وإذا قام فليسلم، فليست الأولى بأحقِّ من الأخرى)[3]. ويروى عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه: «إذا أتيتَ مجلسَ قوم فارمِهم بسهم الإسلام، ثم اجلس، فإن أفاضوا في ذكر الله فأجِلْ سهمَك مع سهامهم، وإن أفاضوا في غيره فخَلِّهمْ وانهض»، قوله: فارمهم بسهم الإسلام، يعني السلام[4].

---

(1) الداري: بائع العطور، يحذك: يعطيك.

(2) عيون الأخبار 1/353، وانظر: اتحاف السادة المتقين للزبيدي 6/351 مع خلاف في اللفظ، وشرح السنة للبغوي 13/68.

(3) بهجة المجالس 1/40، راجع كنز العمال 25435، وعمل اليوم والليلة لابن السني 444.

(4) الكامل 1/229 تحقيق محمد الدالي، ط مؤسسة الرسالة 1997.

الجالس أحق بمكانه:

ومن جلس في مكان في المجلس فهو أحق بمكانه، فإذا قام ثم رجع فهو أولى بمكانه، فعن أبي هريرة: أن رسول الله قال: (من قام من مجلسه، ثم رجع فهو أحق به)[1] وفي رواية: (الرجل أحقُّ بمجلسه إذا قام لحاجة ثم رجع)[2].

وصاحب المجلس أحق بصدر مجلسه، قال ﷺ: (الرجل أحق بصدر دابته وصدر مجلسه وصدر فراشه، ومن قام عن مجلسه ورجع إليه فهو أحق به)[3].

عدم القيام للقادم ولكن يوسع له:

وعن أبي بكر بن أبي شيبة أن النبي ﷺ قال: (لا يقم الرجل للرجل عن مجلسه، ولكن ليوسع له)[4]، وكان النبي يمنع القيام للقادم، فعن أبي أمامة قال: «خرج إلينا النبي ﷺ فقمنا إليه، فقال: لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضاً. فما قام إليه أحد بعد ذلك»[5]. ومن حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: (إنْ خرجتُ عليكم وأنتم جلوس فلا يقومنَّ أحد منكم في وجهي، وإنْ قمت فكما أنتم، وإن جلست فكما أنتم، فإنَّ ذلك من خُلُقٍ من أخلاق المشركين)[6].

وعن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يُقيمَن أحدُكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه)[7]. وكان عبد الله بن عمر إذا قام له الرجل

---

(1) بهجة المجالس 1/39، كنز العمال 2544، مشكاة المصابيح 4697، تفسير القرطبي 298/17.

(2) سنن الترمذي 2751، مسند أحمد بن حنبل 3/422، عيون الأخبار 1/352 تحقيق محمد الأسكندراني، ط دار الكتاب العربي، بيروت 1997.

(3) سنن الدارمي 2/285، مجمع الزوائد للهيثمي 8/61، العقد الفريد 2/265 تحقيق عبد المجيد الترحيني، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1997.

(4) مسند أحمد بن حنبل 5/48، 2/480، إتحاف السادة المتقين 6/281، العقد الفريد 2/265.

(5) سنن أبي داود. 523، مسند أحمد بن حنبل 5/253.

(6) العقد الفريد 2/265.

(7) صحيح مسلم 1714، المعجم الكبير للطبراني، 12/450، مع خلاف في اللفظ.

عن مجلسه لم يجلس فيه، وقال: «لا يقم أحد عن مجلسه، ولكن افسحوا يفسح الله لكم»[1] ولا يستحب القيام للقادم، قال أبو البختري: «كانوا يكرهون أن يقومَ الرجلُ للرجل من مجلسه، ولكن ليوسع له»[2].

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: (لا يوسَّعُ في المجالس إلا الثلاثة: لذي علم لعلمه، ولذي سنٍّ لسنه، أو لذي سلطان لسلطانه)[3].

آداب الجالسين:

من آداب الجالس أن لا يمد ركبتيه أو رجليه أمام من يجالسهم اقتداء برسول الله ﷺ قال أنس بن مالك: «ما أخرج رسول الله ﷺ ركبتيه ولا قدميه بين يدي جليس له قطُّ، ولا تناول أحدٌ يده فتركها حتى يكون هو الذي يدعها»[4].

وقال رسول الله ﷺ: (المجالس بالأمانة، وإنما يتجالس الرجلان بأمانة الله ـ عز وجل ـ فإذا تفرَّقا فليسْتُرْ كُلٌّ منهما حديثَ صاحبه)[5].

المساجد أكرم المجالس:

ولا شك أن أكرم المجالس هي مجالس المساجد، قال أبو إدريس الخولاني: «المساجد مجالس الكرام»[6]، وقد تكون المجالس في البيوت، وصاحب البيت أولى بمجلسه وهو أحق بصدر المجلس، فعن عبد الله بن الغسيل أن رسول الله ﷺ قال: (المرء أحق بصدر بيته، وصدر دابته، وصدر فراشه، وأحق أنْ يؤُمَّ في بيته)[7].

---

(1) العقد الفريد 2/265.
(2) بهجة المجالس 1/40.
(3) بهجة المجالس 1/41، اللآلىء المصنوعة للسيوطي 1/80.
(4) بهجة المجالس 1/42.
(5) بهجة المجالس 1/40.
(6) عيون الأخبار 1/353، الكامل للمبرد 1/228.
(7) عيون الأخبار / 352.

ومن السنة أن يكون المجلس مستقبلاً القبلة فعن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: (لكل شيء شرف، وإن شرف المجالس، ما استُقبِلَ به القِبلة)[1].

الأستئذان عند القيام:

ومن الأدب إذا أراد الجليس القيام أن يستأذن ممن يجالسه، رويَ عن النبي ﷺ أنه قال: (إذا جلس إليك رجل، فلا تقومن حتى تستأذنه)[2]. وقال ﷺ: (إذا قام الرجل من مجلسه، فهو أحقُّ به حتى ينصرفَ إليه، ما لم يودع جُلساءه بالسلام)[3]، وإذا أراد أحد الجلوس فلا يفرق بين المتجالسين إلا أن يستأذنهما، قال ﷺ: (لا يفرِّق واحدٌ منكم بين اثنين متجالسين إلا بإذنهما، ولكن تفَسَّحوا وأوسعوا)[4].

إكرام الجليس:

وعلى المجالس أن يتجنب ما يؤذي جليسه في كلامه وسلوكه، بل تبدأه بالسلام وتناديه بأحبِّ الأسماء إليه، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «فحسب المرء من العِي أن يؤذي جليسه بما لا يعنيه وأن يجد على الناس فيما يأتيه، وأن يظهر له من الناس ما يخفي عليه من نفسه»[5]. وعن عمر رضي الله عنه أنه قال: «إن مما يصفي وداد أخيك، أن تبدأه بالسلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحبِّ الأسماء إليه، وأنْ توسع له في المجلس»[6]. وقال عبدالله بن عباس رضي الله عنه: «أعزُّ الناس عليَّ جليسي الذي يتخطى الناس إليَّ، أما والله إنَّ الذبابَ يقع عليه فيشقُّ عليَّ»[7]، وسُئل رضي الله عنه: «من أكرم الناس عليك؟ قال: جليس حتى يفارقني»[8]، وكان ابن

---

(1) المعجم الكبير للطبراني 10/389.
(2) العقد الفريد 2/265.
(3) سنن أبي داود 4853، سنن الدارمي 2/282.
(4) بهجة المجالس 1/41.
(5) بهجة المجالس 1/43.
(6) بهجة المجالس 1/43.
(7) بهجة المجالس 1/45، عيون الأخبار 1/355.
(8) بهجة المجالس 1/46.

عباس يكرم جليسه بأن يستقبله ويوسع له ويصغي إليه، يقول: «لجليسي عليَّ ثلاث؛ أن أرميه بطرفي إذا أقبل، وأن أوسعَ له إذا جلس، وأصغي إليه إذا تحدَّث»[1].

وقال علي بن الحسين رضي الله عنه: «ما جلس إليَّ أحدٌ قطُّ، إلا عرفتُ له فضله حتى يقوم»، وقال أبو عُبادة الأنصاري: «ما جلس رجل بين يديَّ إلا مُثِّل لي أنِّي جالسٌ بين يديه»[2].

وعن عبد الملك بن عمير قال: قال سعيد بن العاص: «لجليسي عليَّ ثلاثُ خصال؛ إذا دنا رحَّبْتُ به، وإذا جلس وسَّعْتُ له، وإذا حدَّثَ أقبلتُ عليه». وقال: «إني لأكره أن يمر الذباب بجليسي مخافة أن يؤذيه»[3]. وذكر ابن مقسم قال: سمعت المبرد يقول: «الاستماعُ بالعين، فإذا رأيتَ عين من تحدِّثه ناظرةً إليك، فاعلم أنه يُحسن الاستماع» وقد روي هذا القول عن سهل بن عبادة. وقال عمرو بن العاص: «لا أملُّ جليسي ما فهم عني، وإنما الملالُ لدناءة الرجال»[4]، وقال الأحنف بن قيس: «لو جلس إليَّ مائةٌ لأحببتُ أنْ التمس رضي كلِّ واحد منهم»[5]. وقال المهلب بن أبي صفرة: «العيش كله في الجليس المُمْتِع»[6].

المجالس وأطيب الكلام:

وكان عمر بن الخطاب يحب أن يجالس القوم الذين يتحاورون في الكلام الطيب فمجلسهم من نِعَم الحياة، فعن يحيى بن جَعْدة أنه قال: «لولا أن أسيرَ في سبيل الله، أو أضعَ جبهتي في التراب لله، أو أجالس قوماً يلتقطون طيِّبَ القول كما كما يُلتَقَطُ طيِّبُ الثمر، لأحببتُ أن أكونَ قد لحقْتُ بالله»[7].

---

(1) عيون الأخبار 1/354، الكامل 1/230.
(2) بهجة المجالس 1/46.
(3) بهجة المجالس 1/43، العقد الفريد 2/266.
(4) بهجة المجالس 1/45.
(5) بهجة المجالس 1/45.
(6) العقد الفريد 2/267.
(7) عيون الأخبار 1/356.

ومما مُدِح به عبد الملك بن مروان أنه كان جيد الحديث حسن الاستماع إلى المحدث ذكر رجلٌ صفاته في مجلسه فقال: «إنه لآخذٌ بأربع، تاركٌ لأربع، آخِذٌ بأحسن الحديث إذا حَدَّث، بأحسن الاستماع إذا حُدِّث، وبأحسن البِشرْ إذا لقِيَ، وبأيسر المؤونة إذا خولف، وكان تاركاً لمحادثة اللئيم ومنازعة اللجوج، ومماراة السفيه»[1]، وقالوا في فوائد المجالس: «محادثة الرجال تُلقحُ ألبابَها»[2].

ويذكر عمرو بن العاص أنه لا يمل جليسه ما فهم عنه، يقول: «ثلاث لا أملُّهم؛ جليسي ما فهم عني، وثوبي ما سترني، ودابتي ما حملت رجلي»[3]. وكان يقال: «إيَّاك وكل جليس لا تصيب منه خيراً»، وعن معاذ بن جبل أنه قال: «إياك وكل جليس لا يفيدك علماً»، وقال الحسن البصري: «انتقوا الإخوان والأصحابَ والمجالس»[4].

المكرمة لا تُرد:

وقد يكرم صاحب المجلس جليسه بأن يعطيه وسادة يجلس عليها. فلا يردها لأنها مكرمة لا ترد، فعن أبي جعفر محمد بن علي قال: «أُلْقِيَ لعلي بن أبي طالب وسادة فجلس عليها، وقال: إنه لا يأبى الكرامة إلا حمار»[5]. وطرح أبو قِلابة لجليس له وسادة، فردها، فقال له: «أما سمعت الحديث: (لا تردنَّ على أخيك كرامته)»[6].

الإصغاء إلى المحدث:

ومن آداب الجليس أن يصغي إلى محدثه ويقبل عليه بوجهه، ويذمون من تشاغل عن محدثه ولم يصغِ إليه، وفي هذا يقول مُطَرِّف مكنياً عن ذلك: «لا تُطعم

(1) عيون الأخبار 1/355، العقد الفريد 2/264.
(2) عيون الأخبار 1/356.
(3) عيون الأخبار 1/354.
(4) بهجة المجالس 1/48.
(5) عيون الأخبار 1/352، العقد الفريد 2/266.
(6) بهجة المجالس 1/49، العقد الفريد 2/266، والحديث في تهذيب تاريخ دمشق 6/150.

طعامك من لا يشتهيه،» يريد: لا تُقبِل بحديثك على من لا يُقبِل عليك بوجهه[1]، وقال الحسن البصري: «حدِّثوا الناس ما أقبلوا عليكم بوجوهكم»[2]، وكان ابن مسعود يقول: «حَدِّث القومَ ما حدَّجوك بأبصارهم». ولا خير فيمن يحضر المجلس ولا يصغي وخير له أن يغادر، يقول سعيد بن سَلْم: «إذا لم تكن المحدِّث أو المحدَّث فانهض»[3].

ومدح الشعبي قوماً فقال: «ما رأيت مثلهم أشدَّ تناوباً في مجلس، ولا أحسن فهماً عن محدِّث»[4]. وقال الحكماء: «رأس الأدب كلِّه حُسْنُ الفَهْمِ والتفَهُّم، والإصغاء للمتكلم»[5].

وأوصى أحد الحكماء ابنه قائلاً: «يا بُنَيَّ، تعلم حسن الاستماع، كما تتعلم حسن الحديث؛ وليعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع منك على أن تقول، فاحذر أن تُسرعَ في القول فيما يجب عنه الرجوع بالفعل، حتى يعلم الناس أنك على فعل ما لم تقل، أقرب منك إلى قول ما لم تفعل»[6].

ومن حسن الأدب ألا تغالب أحداً على كلامه، وإذا سئل غيرُك فلا تجبْ عنه، وإذا حدَّث بحديث فلا تُنازعه إياه، ولا تقتحم عليه فيه، ولا تُرِهِ أنك تعلمه، وإذا كلمت صاحبك فأخذَتْهُ حُجَّتُك، فحَسِّن مخرجَ ذلك عليه، ولا تُظهرْ الظفَرَ به، وتعلم حسن الاستماع، كما تعلم حسن الكلام[7].

والمحدِّث يعرف جليسه إن كان فهم عنه أم ضيَّع من إصغائه له، قال أبو مُسْهر: «ما حدثتُ رجلاً قطُّ، إلا حدَّثني إصغاؤه، أفَهِمَ أم ضيَّعَ»[8].

---

(1) عيون الأخبار 1/355.
(2) العقد الفريد 2/264.
(3) عيون الأخبار 1/355.
(4) عيون الأخبار 1/355، العقد الفريد 2/264.
(5) العقد الفريد 2/264.
(6) العقد الفريد 2/264.
(7) العقد الفريد 2/264.
(8) عيون الأخبار 1/357.

ولا بأس أن يتوثق المحدث من فهم جليسه والإصغاء إليه بمسائلته، يقول أبو عبَّاد الكاتب: «إذا أنكر المتكلم عين السامع، فليسأله عن مقاطع حديثه، والسبب الذي أجرى ذلك له فإن وجده يقف على الحق أَتَمَّ له الحديث، وإلا قطعه عنه وحرمه مؤانسته، وعَرَّفَه ما في سوء الاستماع من الفُسولة[1] والحرمان للفائدة»[2].

ومن الأدب أن تُقبل على محدثك، وإذا حدَّثك بحديث تعرفه فلا تقاطعه، وانصت له كأنك تستطرفه ولم تسمع به من قبل، فإن ذلك مما يوطد الود بين المتجالسين، قال المدائني: أوصى يحيى بن خالد ابنه فقال: «يا بُنَيَّ، إذا حدَّثك جليسك حديثاً، فأقبلْ عليه وأصْغِ إليه، ولا تَقُلْ قد سمعتهُ، وإن كنتَ أحفظ له، وكأنك لم تسمعْهُ إلا منه، فإنَّ ذلكَ يكسبُكَ المحَبَّةَ والمَيْلَ إليك»[3].

ومن سوء الأدب في المجالسة أن تقطع على جليسك حديثَهُ، أو تَبْدُرَهُ إلى تمام ما ابتدأ به منه خبراً كان أوشعراً، تُتِمُّ له البيتَ الذي بدأ به، تُريه أنك أحفظُ له منه، فهذا غايةٌ في سوء المجالسة، بل يجب أن تصغي إليه كأنك لم تسمعه قط إلا منه.

الجلوس في المكان المناسب:

وتباعد كعب الأحبار يوماً في مجلس عمر بن الخطاب، فأنكر ذلك عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن في حكمة لقمان ووصيته لابنه: إذا جلست إلى ذي سلطان فليكن بينك وبينه مقعدُ رجل، فلعله يأتيه من هو آثر عنده منك فينحِّيك، فيكون نقصاً عليك[4].

وقال زياد: «إنه ليعجبني من الرجال مَنْ إذا أتى مجلساً أن يعرف أين يكون مجلسه، وإني لآتي المجلسَ، فأدَعُ ما لي مخافةَ أن أُدفعَ عمَّا ليس لي»[5]. وكان

---

(1) الفسولة: عدم المروءة.
(2) العقد الفريد 2/265.
(3) بهجة المجالس 1/43.
(4) بهجة المجالس 1/48.
(5) بهجة المجالس 1/48.

الأحنف بن قيس يعرف مكانه المناسب فيتباعد، يقول: «ما جلست مجلساً فخفتُ أنْ أُقامَ عنه لغيري»، وأوضح ذلك بقوله: «لأنْ أُدعى من بعيد فأجيبَ أحبُّ إليَّ من أنْ أُقصى من قريب»[1].

ودخل الأحنف بن قيس على معاوية، فأشار إليه إلى وسادة، فلم يجلس عليها، فقال له: ما منعك يا أحنف أن تجلس على الوسادة؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن فيما أوصى به قيس بن عاصم ولدَه أن قال: «لا تَسْعَ للسلطان حتى يَمَلَّكَ، ولا تقطعه حتى ينساك، ولا تجلس له على فراش ولا وسادة واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين»[2].

ومن الاحتراس أن يتباعد المرء عن صدر المجلس، لئلا يأتي من هو أرجح منه فيُزحزح من مكانه، ولذلك قالوا: «إياك وصدرَ المجلس، فإنه قُلَعة»[3]. وقال الشعبي: «لأنْ أُدعى من بُعْدٍ إلى قُرْبٍ، أَحَبُّ إليَّ من أنْ أُقصى من قُرْبٍ إلى بُعْد»[4]. وكان يقال: «رأس التواضع الرضا بالدون من المجالس»، وهذا يروى عن ابن مسعود أنه قال: «إن من التواضع أن ترضى بالدون من المجالس، وأن تبدأ بالسلام مَنْ لقيتَ.»[5]. وإن أشار أصحاب المجلس للقادم أن يجلس في موضع فلا يخالف، قال إبراهيم النخعي: «إذا دخل أحدكم بيتاً، فليجلس حيث أجلسه أهلُه»[6].

التوسع للقادم في المجلس:

ومن حسن الأدب أن توسع للقادم في المجلس، كان الأحنف إذا أتاه رجل أوسع له، فإن لم يكن له سَعَة أراه كأنه يوسع له[7]. وكان عمر بن عبد العزيز

---

(1) عيون الأخبار 1/345.
(2) العقد الفريد 2/266.
(3) عيون الأخبار 1/345، العقد الفريد 2/267، قلعة: أي لا يستقر الجالس فيها.
(4) العقد الفريد 2/267.
(5) بهجة المجالس 1/50.
(6) العقد الفريد 2/266.
(7) بهجة المجالس 1/48، عيون الأخبار 1/353.

يوسع لجليسه إكراماً له، قال زياد مولي عَيَّاش بن أبي ربيعة: «دخلت على عمر بن عبد العزيز، فلما رآني زَحَلَ عن مجلسه، وقال: إذا دخل عليك رجلٌ لا ترى لك عليه فضلاً، فلا تأخذ عليه شرف المجلس»[1].

وقال بعض الحكماء: «رجلان ظالمان يأخذان غير حقهما، رجلٌ وُسِّعَ له في مجلس ضيِّق فتربَّع وتفتح، ورجل أُهْدِيَتْ إليه نصيحةٌ فجعلها ذنباً»[2].

ولا تعدم بعض المجالس من اللئام الذين لا يبالون بغيرهم من الجلساء، فإذا جاء من أراد الجلوس ثبت في مكانه لا يتزحزح، وكان لا يوسع لصاحبه ويقول: متمثلاً ببيت الفرزدق: «ثهلان ذو الهضبات هل ما يتحلحل»[3].

أدب الحديث في المجلس:

وكانوا يتجنبون ما يؤذي من الكلام والخروج على آداب المجلس، وكان رسول الله ﷺ يوماً في مجلسه، فرفع رأسه إلى السماء ثم طأطأه، ثم رفعه، فسئل عن ذلك فقال: (هؤلاء قوم كانوا يذكرون الله، فنزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة كالقُبَّة، فلما دنت منهم، تكلم رجل منهم بباطل فرُفِعَتْ عنهم)، ثم تلا: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[4].

وفي حديث أبي هريرة عن النبي عليه السلام، أنه قال: (ما جلس قوم مجلساً يقرؤون فيه القرآن، ويذكرون فيه السُّنن، ويتعلمون العلم ويتدارسونه بينهم، إلا حَفَّت بهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمةُ، وذكرهم الله فيمن عنده. فقيل له: يا رسول الله، الرجل يجلس إليهم وليس منهم، ولا شأنه شأنهم، أتأخذه الرحمة معهم؟ قال: نعم، هم القومُ لا يشقى جليسهمُ)[5].

---

(1) عيون الأخبار 1/355.
(2) بهجة المجالس 1/47.
(3) عيون الأخبار 1/353. والشطر من بيت للفرزدق في ديوانه 2/157 ط صادر:
فادفع بكفك إن أردتَ بناءنا ... ثهلان ذا الهضبات هل يتحلحلُ
(4) الجاثية 27، بهجة المجالس 1/50.
(5) بهجة المجالس 1/50 ـ 51.

وقال إبراهيم النخعي: «إن الرجل ليجلسُ مع القوم فيتكلم بالكلام، يريد الله به، فتصيبه الرحمة، فتعمُّ من حولَه، وإن الرجل يجلس مع القوم فيتكلم بالكلام يُسخط الله به، فتصيبه السَّخْطةُ فتعمُّ من حوله»[1].

وقد يكون في المجلس سوءٌ ولَغَطٌ وجَلَبة وصياح، فكفارته الاستغفار والتوبة، قال رسول الله ﷺ: (كفارةُ ما يكون في المجلس من اللَّغَط أن تقول: سبحانك اللهمَّ وبحمدك، لا إله إلا أنت، استغفرك وأتوبُ إليك)[2]، وفي حديث اخر: (كفارة ما يكون في المجلس ألا تقومَ حتى تقول: سبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوبُ إليك، يا ربِّ تُبْ عليَّ واغفرْ لي، فإنْ كان مجلس لغو كان كفارته، وإن كان مجلسَ ذكر كان كالطابع عليه)[3].

وروى عن جماعة من أهل العلم بتأويل القرآن، في قوله عز وجل: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾[4] منهم مجاهد وأبو الأحوص وعطاء ويحيى بن جعدة، قالوا: حين تقوم من كل مجلس تقول فيه: سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك، قالوا: ومن قالها غُفِر له ما كان منه في المجلس. قال عطاء: «إن كنت أحسنتَ ازددتَ إحساناً، وإن كان غير ذلك، كان كفارة»[5].

وقد يحضر المجلس أحد قبيل انفضاضه بقليل فيعتذر له، من ذلك أن رجلاً جلس إلى الحسن بن علي رضي اللهعنه فقال: «جلستَ إلينا على حين قيام، أفتأذن؟ »[6].

ويرغبون في تنوع المجالس حتى لا تتكرر الأحاديث، قال أبو أيوب

---

(1) بهجة المجالس 1/50.

(2) مسند أحمد بن حنبل 2/369، كنز العمال 25469، مجمع الزوائد 10/141، بهجة المجالس 1/52.

(3) بهجة المجالس 1/53.

(4) الطور 48.

(5) بهجة المجالس 1/53.

(6) بهجة المجالس 1/47، عيون الأخبار 1/355، العقد الفريد 2/265.

الأنصاري رضي الله عنه: «من أراد أن يكثر علمُه، فليجالس غيرَ عشيرته»[1].

سعة المجلس:

وكانوا يحبون أن يكون المجلس واسعاً رحباً لا ضيق فيه، يُسِرُّ الجليسَ ويريحه، وتكثر فائدته، قيل للأحنف بن قيس: «أيُّ المجالس أطيب؟ قال: ما سافر فيه البصر واتَّدَعَ فيه البدن»[2]. وقيل للمهلب بن أبي صفرة: «ما خير المجالس؟ فقال: ما بَعُدَ فيه مدى الطَّرْف، وكَثُرَتْ فيه فائدةُ الجليس»[3].

الاحتراس في المجلس:

ولا يستحبون طول المجالسة خوف أن يسأم من تجالس، قال ابن شُبرمة لابنه: «يا بُنَيّ! إياك وطول المجالسة، فإنَّ الأُسْدَ إنما يجترىء عليها مَنْ أدام النظر إليها»[4].

وقد عزف بعضهم عن المجالس لأنه لا يجد من يكرهه ويوقره، قيل لداود الطائي: «لم تركتَ مجالسة الناس؟ قال: ما بقي إلا كبيرٌ يتحفَّظُ عليك، أو صغيرٌ لا يوقِّرُك»[5]. أو أن يكون في المجلس من يعاديك فيجادلك ويحرف كلامك ويوهنك، قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: «لا تجالس عدوَّك، فإنه يحفظ عليك سقطاتِك، ويُماريك في صوابك»[6].

ما جاء في الشعر في آداب المجالس:

ومما جاء في الشعر في الجليس وآداب المجلس ما روي عن وهب بن عبد مناف بن زهرة جد رسول الله ﷺ لأمه، يذكر اختيار المجلس وما فيه من صلاح

---

(1) بهجة المجالس 1/43.
(2) الكامل 1/228.
(3) عيون الأخبار 1/353، الكامل 1/229.
(4) بهجة المجالس 1/49.
(5) بهجة المجالس 1/49.
(6) بهجة المجالس 1/50.

ورشاد وحكمة، قال:[1].

وإذا أتيتَ جماعةً في مجلسٍ فاخترْ مجالسَهم ولمَّا تقعُدِ
ودَعِ الغُواةَ الجاهلينَ وجهلَهم وإلى الذينَ يُذَكِّرونَكَ فاعْمِدِ

ومما روي عن ثعلب النحوي، أنه قام لصديق قصده، وأنشد:[2]

لئن قمتُ ما في ذاك منها غضاضةٌ عليَّ وإني للكرامِ مُذَلَّلُ
على أنها منِّي لغيرِكَ هُجْنَةٌ ولكنها بيني وبينك تجملُ

ولغيره في هذا المعنى:[3]

إذا ما تبدَّى لنا طالعاً حلَلْنا الحُبا وابتدرنا القياما
فلا تنكرنَّ قيامي إليه فإنَّ الكريمَ يُجِلُّ الكِراما

وقالوا في صفة الجليس الصالح، قال كشاجم:[4]

وجليسٍ لي أخي ثقةٍ كأنَّ حديثَهُ خبرَهْ
يسُرُّكَ حُسْنُ ظاهرِهِ وتحمدُ منهُ مُخْتَضَرَهْ
ويسترُ عَيْبَ صاحِبِهِ ويسْتُرُ أنَّهُ سَتَرَهْ

وقال آخر[5]:

جليسٌ لي له أدبٌ رِعايةُ مِثْلِهِ تجِبُ
لو انْتُقِدَتْ خلائقُهُ لبَهْرَجَ عندها الذهبُ

وقد عزا عرابة الأوسي ما مُدِح به إلى إكرامه الجليس، فقد قال معاوية لعرابة

---

(1) الكامل 1/230.
(2) بهجة المجالس 1/44.
(3) بهجة المجالس 1/44، والمحاسن والمساوىء 1/112.
(4) بهجة المجالس 1/45، نهاية الأرب 4/106.
(5) بهجة المجالس 1/45. والقائل: هو القاضي أبو حنيفة النعمان بن حيون المغربي انظر وفيات الأعيان 5/50.

الأوسي: بأي شيء استحقَقْتَ أن يقول فيك الشمَّاخ[1]:

رأيتُ عَرَابَةَ الأوسيِّ يسمو ... إلى الخيرات مُنْقَطِعَ القرينِ

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ ... تلقَّاها عَرَابَةُ باليمينِ

فقال عرابة: سماعُ هذا من غيري أولى بك وبي يا أمير المؤمنين، فقال: عزمتُ عليك لتخبرني. فقال: بإكرامي جليسي، ومحاماتي على صديقي. فقال معاوية: لقد استحققتَ.

وكان القعقاع بن شَوْر من بني عمرو بن شيبان، إذا جالسه جليس فعَرَّفه بالقَصْد إليه، جعلَ له نصيباً في ماله، وأعانه على عدوه، وشفع له في حاجته، وغدا إليه بعد المجالسة شاكراً له، حتى شُهِرَ بذلك، وفيه يقول القائل[2]:

وكنتُ جليسَ قَعْقَاعِ بن شَوْرٍ ... ولا يشْقى بقعقاعٍ جليسُ

ضَحوكُ السِّنِّ إنْ أمروا بخيرٍ ... وعند السُّوءِ مِطْراقٌ عَبوسُ

وصار يضرب بمجلس القعقاع بن شَوْر المثل، فإن رجلاً جالس قوماً من بني مخزوم بن يقظة فأساؤوا عشرتَه، وسعَوا به إلى معاوية، فقال[3]:

شقيتُ بكم وكنتُ لكم جليساً ... فلستُ جليسَ قَعْقعاعِ بن شَوْرِ

ومن جَهْلٍ أبو جهلٍ أخوكم ... غزا بدراً بمجمرةٍ وتَوْرِ

نسبه إلى التوضيع، أي التخنث.

ويستحب في المجلس المكان الرحب الواسع، قال الأحنف بن قيس: «أطيب المجالس ما سافر فيه البصر واتَّدعَ فيه البدن»[4]، وأخذ علي بن الجهم هذا

---

(1) بهجة المجالس 1/46 وديوان الشماخ ص 96 والشعر والشعراء 278.

(2) عيون الأخبار 1/354، الكامل 1/230. والقائل هو أبو علاقة التغلبي، والبيتان في الوحشيات ص 264، وبدون نسبة في البيان والتبيين 3/339.

(3) الكامل 1/231. المجمرة: التي يوضع فيها الجمر مع الدخنة، التور: إناء من صفر أو حجارة.

(4) عيون الأخبار 1/353، اتدع: سكن واطمأن.

المعنى فقال[1]:

صحـونٌ تسـافـرُ فيهـا العيـون   وتَحْسِـرُ عـن بُعْـدِ أقطـارِهـا

وقالوا في اختيار الجلوس في المكان القصي، ما لم يُدْعَ إلى الدنو والقرب، قول البعيث بن حريث[2]:

وإنَّ مكاني في النَّدِيِّ ومجلسي   له الموضعُ الأقصى إذا لم أقَرَّبِ

ولستُ وإنْ قُرِّبْتُ يوماً ببائعٍ   خَلاقي ولا ديني ابتغاءَ التَّحَبُّبِ

ويعتَـدُّهُ قـومٌ كثيـرٌ تجـارةً   ويمنعني من ذاكَ ديني ومَنْصِبي

وإذ كانت مجالس العلم محمودة ومذكورة، فإن المجالس الأخرى ليس فيها إلا السوء والأذى، فالخنساء تحذر من جليس السوء الذي يتسقط الزلل[3]:

إنَّ الجليـسَ يقـول القـولَ تحسَبُـهُ   خيراً وهيهاتَ فانظرْ ما به التمسا

وقد يتناجى شخصان في المجلس وتطول المناجاة فيسأم الجليس، ومما ذكر في ذلك أنْ: كان أبو السمراء عند عبد الله بن طاهر، وعنده إسحاق بن إبراهيم، فاستدنى عبد الله إسحاقَ فناجاه بشيء، وطالت النجوى بينهما... قال: فاعترتني حيرة فيما بين القعود على ما هما عليه والقيام، حتى انقطع ما بينهما، وتنحى إسحاق إلى موقعه، ونظر عبد الله إليَّ فقال: يا أبَا السمراء:

إذا النَّجيَّان سَرًّا عنك أمرهما   فانزَحْ بسمعِكَ تجهَل ما يقولانِ

ولا تحمِّلْهمـا ثقـلاً لخـوفهمـا   على تناجيهما بالمجلس الداني

فما رأيت أكرم منه ولا أرفق أدباً، ترك مطالبتي في هفوتي بحق الأمراء، وأدَّبني أدب النظراء[4].

---

(1) ديوان علي بن الجهم ص 29. تحقيق خليل مردم ط، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1980.

(2) ص 47، عيون الأخبار 3/276، العقد الفريد 1/79.

(3) بهجة المجالس 1/50. ولم أجد البيت في ديوانها تحقيق أنور أبو سويلم، ط دار عمار، عمان 1988.

(4) العقد الفريد 2/267.

ويرى أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب أن في بعض المجالس ما يسوء العلماء من كِبْر الحاكمين وبَطَر التجار والموسرين وأن لزوم البيت والانصراف إلى العلم ومجالسة كتب العلماء، أجدى وأسلم:[1].

إذْ صَحِبْنا الملوكَ تاهوا وعَقُّوا ... واستخَفُّوا كِبْراً بحقِّ الجليسِ

أو صَحِبْنا التجارَ صِرْنا إلى البُؤْ ... سِ وعُدنا إلى عِدادِ الفُلوسِ

فلزِمْنا البُيُوتَ نستَخرِجُ العِلـ ... ـمَ ونملا به بطونَ الطُّروسِ

وكان يقال: ذوو المروءة والدين، إذا أحرزوا القوتَ لزموا البيوتَ، وجالسوا الكتب، أنشد أبو عبد الله بن الأعرابي، صاحب الغريب، مؤكداً السلامة من شرور بعض جلساء السوء وما يكون في المجالس من أذى[2]:

لنا جلساءُ ما نملُّ حديثَهم ... ألِبَّاءُ مأمونونَ غيباً ومشهدا

يُفيدونا من علمهم علمَ مَنْ مضى ... وعَقْلاً وتأديباً ورأياً مُسَدَّدا

بلا فتنةٍ تُخْشى ولا سوءِ عشرةٍ ... ولا نتَّقي منهم لساناً ولا يدا

فإنْ قلتَ أمواتٌ فلَسْتَ بكاذبٍ ... وإنْ قلتَ أحياءٌ فلستَ مُفَنَّدا

وفي هذا المعنى يقول محمد بن بشير، مبيناً فضل العلم وملازمة الكتب[3]:

فصرتُ في البيتِ مسروراً تُحَدِّثُني ... عن علمِ ما غابَ عني في الورى الكتبُ

فرداً تُخَبِّرُني الموتى وتنطقُ لي ... فليس لي في أناسٍ غيرَهم أرَبُ

للهِ من جلساءٍ لا جليسُهمُ ... ولا خليطُهمُ للسوءِ مرتَقِبُ

لا بادِراتُ الأذى يخشى رفيقُهمُ ... ولا يُلاقيهِ منهم منطِقٌ ذَرِبُ

أبقَوا لنا حِكَماً تبقى منافِعُها ... أخرى الليالي على الأيامِ وانشعبوا[4]

---

(1) بهجة المجالس 1/51، جامع بيان العلم وفضله ـ ابن عبد البر 2/203.
(2) بهجة المجالس 1/51، جامع بيان العلم وفضله 2/202، معجم الأدباء 18/195.
(3) بهجة المجالس 1/52، جامع بيان العلم وفضله 2/203.
(4) انشعبوا: تفرقوا وتبددوا.

إنْ شئْتَ من مُحْكَمِ الآثارِ يرفَعُها … إلـى النبـيِّ ثقـاتٌ خِيْـرَةٌ نُجُـبُ

أو شئتَ من عَرَبٍ عِلْماً بأوَّلِهم … فـي الجـاهليـة تُنْبيني بهـا العَـرَبُ

أو شئتَ من سِيَرِ الأملاكِ من عَجَمٍ … تُنْبي وتُخْبِرُ كيفَ الرأيُ والأدبُ

حتى كأنيَ قد شاهدْتُ عصْرَهُمُ … وقد مضَتْ دونَهم من عصرنا حِقَبُ

مـا مـات قـومٌ إذا أبقَـوا لنـا أدبـاً … وعلمَ دينٍ و لا بانوا ولا ذهبوا

وبعد فهذه باقة عطرة مما قيل عن المجالس والمجالسين وما يجري فيها من أحاديث، وهذه أصولها ورسومها كما جاءت في أحاديث الرسول الكريم وأقوال الصحابة والعلماء والأدباء، وقد خلفت لنا هذه المجالس تراثاً عزيزاً غزيراً من العلم والأدب والحضارة والبيان.

1 ـ اداب المجالس ورسومها

المجالس العامة

معنى المجلس

المجلس مجتمع القوم سواء أكان صغيراً يضم بضعة أشخاص أم كان كبيراً يتسع لعشرات، يجلس كبير القوم أو عالمهم أو رئيسهم ويتحلق حوله أو بين يديه بقية الحاضرين حسب مكانتهم من السن أو المنزلة الاجتماعية أو المنزلة العلمية. وكانت المجالس وما زالت تعقد في البيوت أو المضافات أو الدواوين الرسمية، يتداول الحاضرون ويتدارسون في أمورهم الخاصة والعامة، والحديث يجر حديثاً فيما يعرض لهم من قضايا، وقد يكون المجلس مجلس سمر وفكاهة وطرب، أو مجلس علم ودين، أو مجلس أدب وشعر، وفق اهتمامات الحاضرين أو الذين يتصدرون المجالس من ذوي الشأن والسلطان، وقد تكون هذه المجالس عفوية لا إعداد لها، وقد يكون لها إعداد وتنظيم وفق برامج مهيأة وأوقات محددة.

يتخذ المجلس طابع أهله ومكانتهم من حيث البساطة والفخامة، فمجالس العلماء والفقراء بسيطة متواضعة، ومجالس الموسرين والمترفين يسودها الترف والنعمة ويكون فيها طعام وشراب، ومجالس الأمراء والخلفاء لها أصولها ورسومها، وتختلف هذه المجالس شكلاً ومضموناً باختلاف العصور واختلاف البيئات واختلاف الحضارات. وقد بدأت المجالس الإسلامية بسيطة متواضعة، وتطورت وتعقدت بتطور الأزمان والحضارات، فصار لها رسوم وأصول وآداب، ويمكن أن نقسم المجالس إلى أصناف حسب الآداب والعلوم التي تعرض فيها، فمن ذلك مجالس الخلفاء والأمراء، وهي مجالس عامة تناقش فيها أمور متعددة دينية وسياسية وأدبية ولغوية وعلمية، وفق ما يعرض الخليفة أو الأمير، ووفق

المدعوين إلى ذلك المجلس من المهتمين بشأن معين، ومجالس الأدب من شعر وخطابة وأيام وتاريخ وأمثال، ومجالس الغناء والطرب، ومجالس العلم في اللغة والنحو، ومجالس فلسفية تتناول آراء الفرق والطوائف والمذاهب والنحل وما إلى ذلك.

كانت مجالس الخلفاء متأثرة بالبيئة والزمان والحالة الحضارية، فهي تختلف من زمان إلى آخر ولم يكن في عصر الراشدين شيء من الغنى والترف، بل كانوا يجلسون على الحصير أو البساط أو الجلود حسبما يتيسر لهم، وقد يجلسون على التراب والحصى ولا يبالون بالنعمة والترف، وليس هناك مراسيم للدخول والخروج، فلا حاجب ولا آذن ولا شرطي، يدخل الناس إلى مجلس الخليفة ويخاطبه أحدهم باسمه ويتحدث معه دون استئذان يحدثه حديث ند لنده، يعرض عليه حاجته ويطالبه بحقه، ويستفتيه ويجادله وقد يخالفه ويعظه وينصحه، وبهذه البساطة والشفافية كانت مجالس الخلفاء الراشدين، أما الأمراء والعمال الذين كانوا مجاورين للفرس والروم ولهم حضارة، فقد تأثروا بهم فاتخذوا بعضاً من وسائل الأبهة والترف، وزادت هذه الوسائل الحضارية بمرور الزمن، فما إن جاء العصر الأموي حتى صار للمجالس أصول، ورسوم وأبهة وترف، فرتبوا المجالس وأجلسوا الناس وفق منازلهم، واتخذوا الحجاب، ولم يأذنوا إلا لفئة يرضاها الخليفة أو الأمير، وزاد الترف والأبهة في زمن العباسيين وقلدوا بذلك ملوك الفرس والروم وتعددت مجالسهم وتنوعت، فصاروا يجلسون مجلساً للحكم وآخر للأدب والشعر، وغيره للمنادمة وغيره للمناظرة والمذاكرة. وكل من هذه المجالس لها رسومها وأصولها وتختلف هيئة وفخامة من مجلس إلى آخر[1]، وكان الخلفاء يقسمون أوقاتهم في الليل والنهار، ولكل وقت مجلس، فمجالس النهار لإدارة شؤون الدولة وقضايا الناس. ومجالس الليل للسمر والمنادمة والطرب.

---

(1) مروج الذهب 2/51، تاريخ ابن الأثير 6/11.

شكل المجلس ورسومه:

اتخذ الأمويون والعباسيون ومن تلاهم القصور والمجالس الفخمة مقلدين في ذلك ملوك الروم والفرس، فصار في المجلس أسرة وكراسي من الأبنوس والصندل، مرصعة بالعاج والذهب محفوفاً بالستور الملونة المترفة، ومفروشاً بالطنافس عليها الفرش من الديباج والخز، وعليها الوسائد المزينة ونقشت الستر وصدور المجالس بالأشعار، وقد يكون للخليفة أو الأمير مجلسان، مجلس عام لإدارة شؤون الدولة يحضره الوزراء والكتاب ورجال الدولة، ومجلس خاص للشعر والأدب والطرب يحضره الأدباء والشعراء والمغنون والندماء[1].

والمجلس في إبان الحضارة كان ينعقد في قاعة أو بهو كبير، على جدرانه صور ممثلة بالذهب والفضة لما في البحر والبر من شجر أو حيوان أو جبال، يكسو أرضه بساط واحد أو عدة أبسطة من الديباج أو نحوه وفي أطراف البهو مناور من الذهب أو الفضة، توضع عليها الشموع، ويسبل على أبواب المجلس ونوافذه ستائر من الحرير أو غيره مطرزة بشارة الدولة أو بأشعار أو حكم أو آيات أو أحاديث، أو رسوم مدن أو أنهر أو جبال، وفي وسط القاعة سدة أو سرير يجلس عليه الخليفة، يصنع من العاج أو الأبنوس أو الصندل ينزل بالذهب، وقد غالى الفاطميون في النفقة على الأسرة، حتى يدخل في الواحد منها عشرة آلاف ومئة مثقال من الذهب الإبريز الخالص[2]، وقد يجعل الخليفة بين يديه بعض التحف أو نحوها للزينة أو للتشاغل بها، فالمعتمد الأندلسي كانوا يضعون أمامه في المجلس تماثيل عنبر من جملتها جمل مرصع بالذهب واللؤلؤ، وجمل من بلور له عينان من ياقوت، وقد حلي بنفائس الدر[3]، ولما كان الخلفاء يحتجبون عن الناس، كانوا يعلقون في وسط القاعة ستراً بينهم وبين الجلساء، أو يستترون عنهم وراء شباك مخرم، وكان فرشهم يختلف في الشتاء عنه في الصيف، فيضاف إليه في الشتاء

---

(1) العقد الفريد 3/4.

(2) خطط المقريزي 1/385. العقد الفريد 3/108

(3) نفح الطيب 2/1128، خطط المقريزي 1/385.

مواقد النار يستجر فيها الند والعود، ويلبسون الفراء اللائقة بالوقت على أشكالها[1].

مراسيم دخول المجلس:

كان الدخول على الخليفة في زمن الخلفاء الراشدين أمراً مسيوراً، وحين يدخل الرجل على الخليفة يسلم عليه أو يقف الرجل بالباب ويقول: (السلام عليكم أأدخل)، يكرر ذلك ثلاثاً، فإن لم يؤذن له لم يعدها[2] فلما كان زمن الأمويين ومَن بعدهم أقيم الآذنون والحجاب يتوسطون للناس بالدخول على الخليفة بحسب طبقاتهم وفي أوقات معينة، ففي المجالس العامة يقدمون الناس حسب مراتبهم، أما في المجالس الخاصة فيؤذن لمن يطلب الخليفة من الأدباء والشعراء والعلماء ويجلسونهم في مواضع لأكثرهم أدباً، وهكذا، وصار هذا الأمر متبعاً لدى الخلفاء والأمراء في سائر العصور. ولم يكن الدخول على الخلفاء أمراً ميسوراً في العصور الأموية والعباسية، بل كان حسب مراتبهم، ويقال إن أول من رتب المراتب في الدخول على الخليفة هو زياد بن أبيه في العراق، وكان حاجبه عجلان قد أشار عليه بذلك فأخذ بمشورته، وجعل الإذن للناس حسب البيوتات، وحسب الأعمار وحسب الآداب[3]، ثم صار ذلك سُنَّة في الاستئذان على الخلفاء في عصر الأمويين. أما إذا كان المستأذنون جماعة، فيوذن أولاً لأشرفهم نسباً، وإذا تساووا في النسب فيؤذن لأكبرهم سناً، فإذا تساووا في السن فيؤذن لأكثرهم أدباً، وهكذا، وصار هذا الأمر متبعاً لدى الخلفاء والأمراء في سائر العصور، ولم يكن الدخول على الخلفاء أمراً ميسوراً في العصور الأموية والعباسية، بل كان الوافدون يقفون على الأبواب يطلبون الإذن، فإما يؤذن لهم أو يمنعون، فإذا منعوا اعادوا ثانية وثالثة، وربما أقاموا على الأبواب أياماً. ولذلك فقد جعلوا للوافدين المنتظرين داراً يقيمون فيها حتى يؤذن لهم، وكان أول من فعل ذلك المنصور العباسي فقد بنى بيوتاً للإذن حين بنى بغداد، فكان الوافد يقيم في الدار ريثما يستريح

---

(1) ترتيب الدول ص 123، الأغاني 3/99.

(2) العقد الفريد 1/21.

(3) العقد الفريد 1/12، 3/5. الأغاني 5/60.

وينتظر حتى يؤذن له بالدخول، وجرى الخلفاء بعده على نظام المنصور هذا[1]. وحين يؤذن للرجل بالدخول يتقدم ويلقي بالتحية قائلاً: (السلام عليك)، ويتجنبون قولهم (عليك السلام)، لأنها تحية الموتى[2]، وقد يضاف إلى التحية كنية الخليفة أو الأمير ولا يزيدون على ذلك، فلما اتسعت الدولة وخالطوا الأعاجم صاروا يقلدونهم في تفخيم رؤسائهم والتذلل لهم، وكان المغيرة بن شعبة قد دعا إلى تفخيم الحاكم ومخاطبة الأمراء بألقاب الإمارة، ومن قوله: (ينبغي أن يكون بين الأمير ورعيته فرق)، وأن يحيوه بتحية الأمراء بقولهم (السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته)، أو: (السلام على الأمير ورحمة الله)، واقتدى بهم سائر المسلمين، وميزوا الخلفاء بتحية الخلافة فكانوا يقولون عند الدخول على الخليفة: (السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته)، أو: (السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله)[3]، وما زالت هذه تحيتهم في العصور الأولى، فلما ضعف العنصر العربي وساد الأعاجم شاعت في المخاطبات ألفاظ الذلة والتملق فصاروا يفخمون الأمراء والخلفاء بألفاظ التعظيم والتفخيم، ثم حظروا على الناس السلام على الخليفة حتى لا يتكلف الرد واقتصروا في تحيتهم على الخدمة والدعاء له، والمراد بالخدمة أن يحني الداخل رأسه ثم بولغ في ذلك إلى حد الركوع، أما تقبيل يد الخليفة أو الأمير فقد كانوا يفعلون ذلك عند التحية أو البيعة أو العفو أو الوداع، ثم ترفع الخلفاء في العصور المتأخرة أن يلمس الناس أكفهم، فصار التقبيل للأكمام والعتبات على حسب الاقتدار، وربما كرم الخليفة أحد قواده فيمنعه من تقبيل يده أو كمه كما فعل المهدي العباسي مع مسلم بن قتيبة حين تقدم ليقبل يده فجذبها المهدي قائلاً: (نصونك عنها ولا نصونها عن غيرك)[4]، وزادت الذلة والمهانة في العصور المتأخرة، ففي زمن الفاطميين كان الناس يقبلون حافر

---

(1) لطائف المعارف ص 14.

(2) العقد الفريد 1/209.

(3) خطط المقريزي 2/288. الأغاني 12/35.

(4) ترتيب الدول ص 9 و60. وانظر تاريخ التمدن الإسلامي 5/134.

فرس الخليفة، ويروى أن جوهر الرومي القائد لما ودع مولاه المعز لدين الله الفاطمي عند قدومه لفتح مصر، أنزل المعز أولاده لوداعه، فنزلوا عن خيولهم، ونزل أهل الدولة لنزولهم، فقبل جوهر يد المعز وحافر فرسه[1]، ويبدو أن هذه الذلة المتناهية لم تقتصر على فرد أو أفراد، ولا بيئة من البيت، بل صارت ظاهرة يتبعها بعض الناس ممن هانت نفوسهم وكثرت أطماعهم، من ذلك ما يقال إن عبدالله بن مالك صاحب شرطة المهدي كان خائفاً من الهادي، لأنه سبَّه قبل خلافته، فرأى منه رعاية وحلماً فأقبل يقبل يده ورجله وحافر دابته[2]، وكذلك فعل إبراهيم الموصلي إذ قبّل حافر دابة الرشيد، لأن الرشيد أكرمه بزيارة خاصة في منزله لسماع الغناء[3]، ولم يكن هذا الأمر حال العلماء من أهل التقى والوقار.

أما جلوس الداخلين في مجلس الخليفة، فكان الحاجب أو الآذن يتولىٰ إجلاسهم حسب مراتبهم، ففي العصر الأموي كان الجالسون قرب الخليفة هم من بني أمية، يجلسون على الأسرة ويجلس بنو هاشم على الكراسي، وفي الدولة العباسية صار الجالسون قرب الخليفة هم بنو هاشم يجلسون على الكراسي، أما بنو أمية فكانوا يجلسون على الوسائد، وقل من حضر منهم بعد نكبتهم وقتل أشرافهم، ويلي هؤلاء في المرتبة سائر طبقات الجالسين من أهل الدولة ويكون جلوسهم حسب مراتبهم[4].

آداب المجالسة:

كانت المجالسة في زمن الخلفاء الراشدين لا تختلف عن مجالسة سائر الناس، فليس فيها كلفة ولا تصنع، وكانوا يخاطبون الخليفة باسمه أو كنيته، وكان الحاضرون يخاطب بعضهم بعضاً دون تكلُّف أو تهيب، فلما صار الأمر لبني أمية

---

(1) وفيات الأعيان 1/377 تحقيق إحسان عباس.
(2) الكامل لابن الأثير 6/42.
(3) الأغاني 5/231 ط دار الكتب العلمية بيروت 1992.
(4) ابن الأثير 7/51. الأغاني 4/92.

تشبهوا بالدول المجاورة، وأرادوا أن تكون للدولة هيبة في نفوس الناس وللسلطان سطوة، وقد كان للولاة في ذلك أثر في نشر الخوف في نفوس الرعية وتفخيم أمر السلطان، ولذلك منع الكلام في حضرة الخليفة، وأن لا يسلم على قادم بين يدي الخليفة، وأول من فعل ذلك زياد بن أبيه إذا أمر (أن لا يسلم على قادم بين يدي الخليفة)[1]، وكان أول من منع الكلام بحضرة الخلفاء هو عبد الملك بن مروان، ثم زاد تجبر الخلفاء وتعاظمهم حتى منعوا الناس من مخاطبتهم كما كانوا يخاطبون أسلافهم، وكان من عتاة المتجبرين الوليد بن عبد الملك، فحرم على الناس أن يكلموه كما كانوا يكلمون أسلافه، وكان مما قال في سورة غضبه: (وإني أعطي الله عهداً يأخذني بالوفاء به، ولا يكلمني أحد بمثل ذلك إلا أتلفت نفسه، فلعمري إن استخفاف الرعية براعيها سيدعوها إلى الاستخفاف بطاعته والجرأة على معصيته) وقال له رجل من بني مرة يوماً: (اتقِّ الله يا وليد فإن الكبرياء لله)، فأمر به فوطيء حتى مات، فاتعظ الناس وهابوه. وهو أول من منع الناس أن يكاتبوه بما كانوا يكاتبون أسلافه أو يكاتبون بعضهم بعضاً[2]. كما مُنع أن يُدعى لأحد في حضرة الخلفاء، ولا ينهض لداخل إلا إذا نهض الخليفة[3]، ثم أمر أصحاب الدواوين أن لا يقوموا لأحد ما داموا في دواوينهم[4]. ولا يجوز للحاضرين أن يتكلموا حتى يأذن لهم الخليفة، وكان الرسم المتبع في الإذن للقادم بالكلام أن يقال له: (ما أنعمنا بك يا أبا فلان) وهي كلمة كانت تقولها العرب، فيتكلم الرجل عندئذ ويدلي بحاجته[5]. وبقي الأمر على هذه الحال حتى زمن المأمون الذي أذن للحاضرين أن يتناظروا بين يديه، وأباح لهم الكلام وهو يشارك في هذه المناظرات ويسر بها، لأن مجلسه كان مجلس علم[6]، وكانوا لا يبدأون الخليفة بالكلام حتى يؤذن لهم،

---

(1) العقد الفريد 2/6 و218.

(2) انظر لطائف المعارف ص 14، ابن الأثير 4/251، البيان والتبيين 2/12.

(3) البيان والتبيين 2/38 طبعة مصر 1313 هـ.

(4) الفرج بعد الشدة 1/100.

(5) ترتيب الدول ص 92.

(6) مروج الذهب 2/752. الأغاني 14/36.

وأول من بدأ بالكلام في حضرة الخليفة الوزير أحمد بن أبي دواد وزير المعتصم[1].

ومن آداب المجلس أن يكون الأمر فيه للخليفة وحده، ولا يجوز لأحد أن يتكلم لأحد دون أن يسأل ولا يتشاغل بشيء، وإذا نهض الخليفة نهض سائر الحضور. وظلت هيبة الحكم طيلة هذه العصور، حتى إذا قويت شوكة القواد الأتراك في زمن المتوكل واستولوا على مقاليد الحكم وصار الخليفة أضحوكة وربيطة لا يهمه غير شهواته ومجالس طربه، وقد أودت سلطة العساكر بالخليفة فقتلته في مجلسه[2].

ومن يحضر مجلس الخليفة يكون حذراً لبقاً في كلامه، يجيد الجواب إذا سئل، ويتجنب في مخاطبته الكلمات التي توحي بمعان قد تغضب الخليفة، فلا يقال له (لا) في الإجابة، وإنما يحتال على ذلك بكلام غيره، ولذلك قيل في الاحتراس في مخاطبة السلطان: (من أراد مصاحبة الملك فليدخل كالأعمى، وليخرج كالأخرس)[3]، ومن الاحتيال والتحرس في مخاطبة الخلفاء ما يروى أن عبد الملك بن صالح أحد أمراء بني العباس أرسل إلى الرشيد فاكهة في أطباق الخيزران، وكتب إليه: (أسعد الله أمير المؤمنين، وأسعدني به، إني دخلت إلى بستان أفادنيه كرمك، وعمرته لي نعمك، قد أينعت أشجاره، وآتت ثماره، فوجهت إلى أمير المؤمنين منه شيئاً على الثقة والإمكان، في أطباق القضبان، ليصل إليَّ من بركة دعائه مثل ما وصل إليَّ من كثير عطائه) فاستحسن الرشيد تكنيته عن الخيزران بالقضبان، لأن اسم أم الرشيد الخيزران[4].

احتجاب الخلفاء:

لم يحتجب أحد من الخلفاء الراشدين، وكانوا يجالسون الناس ويخاطبونهم

---

(1) ابن خلكان 1/22.

(2) مروج الذهب 2/261، ابن الأثير حوادث سنة 247 هـ.

(3) ترتيب الدول ص 98. وانظر المنتظم لابن الجوزي 36، 60.

(4) فوات الوفيات 2/13، تاريخ التمدن الإسلامي 5/136.

من غير كلفة ولا وسيط، وبدأ الحجاب في زمن الأمويين، إذ احتجبوا عن جلسائهم وجعلوا بينهم وبين من حضر المجلس حجاباً أو ستارة، وجعلوا بينهم وبين الناس وسطاء يقضون حوائجهم، وكان بدء الحجاب حين حاول البرك بن عبد الله الخارجي قتل معاوية في المسجد وهو يصلي سنة 40 هـ، وكان قد قعد له في المسجد، فلما خرج ليصلي الغداة شد عليه بالسيف فجرحه ولم يصب منه مقتلاً، فلما شفى من جرحه ابتنى في المسجد مقصورة يصلي فيها خوفاً مما نزل به، واحتجب عن الناس إلا من اختصهم بالمجالسة، وسار على نهجه هذا خلفاء بني أمية وبني العباس[1]. ويستثنى من ذلك بعض الخلفاء من مثل عمر بن عبد العزيز والمأمون العباسي في غير مجالس اللهو، فقد كان يجمع العلماء للمناظرة ويشاركهم في مجادلاتهم ومناظراتهم، ولم يحتجب كذلك الهادي العباسي[2]، وقد يظهر الخلفاء لجلسائهم في إدارة قضايا الدولة العامة، أما في مجالس اللهو والغناء والطرب فكانوا يحتجبون خلف الستارة، ولم يحتجب بعض الخلفاء الأمويين المعروفين بالمجاهرة في اللهو والمجون، مثل الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان.

وكان العرب قد قلدوا الفرس في اصطناع الحجاب، وكان الحجاب عند الفرس معروفاً وشائعاً منذ عهد أردشير، فكانوا ينصبون في مجلس الملك ستارة بينها وبين الملك عشرة أذرع، وبينها وبين الجلساء عشرة أذرع، فقلدهم العباسيون، ثم ضاعفوا الحجاب فجعلوه عدة أستار الواحد وراء الآخر إلى ثلاثة أو أربعة، وكانوايقيمون عند الستارة حاجباً يسمى صاحب الستارة يتوسط في نقل ما يريد الخليفة إبلاغه إلى جلسائه وندمائه، وفعل ذلك وزراؤهم البرامكة أيضاً[3]، وكان هذا شأن الدول الأخرى في مصر والمغرب والأندلس.

---

(1) مروج الذهب 1/601، تاريخ التمدن الإسلامي 5/137.
(2) الأغاني 5/16.
(3) ابن الأثير 1/397، الفرج بعد الشدة 2/23، المستطرف 1/164 تاريخ التمدن الإسلامي 5/137.

علامة الصرف:

كانت إشارة فض المجلس وصرف الحاضرين علامة للخليفة يعرفونها، كأن تكون إشارة باليد أو كلمة يتفوه بها فينصرف الحاضرون ويخلون المجلس، ولكل خليفة علامة، فكان معاوية إذا أراد صرف الحاضرين يقول: (إذ شئتم)، أو: (العزة لله)، وكان يزيد بن معاوية يقول: (على بركة الله)، أما عبد الملك بن مروان فكان يحمل بيده خيزرانه، فإذا ألقاها من يده عرف الحاضرون أنه يريد انصرافهم[1] وكذلك كانت لأمرائهم إشارات، فكان يزيد بن هبيرة إذا أراد صرف جلسائه دعا بمنديل فينفض المجلس.

أما العباسيون فكانت لهم رموزهم، ولكل منهم إمارة يعرفها الجلساء، فكان السفاح إذا أراد صرف المجلس تثاءب وألقى المروحة من يده[2]، وكانت علامة المأمون أن يعقد إصبعه الوسطى بإبهامه ويقول: (برق يمان، برق يمان)، وكان الحاضرون عند الانصراف من حضرة الخليفة يمشون القهقرى ووجوههم نحو مجلس الخليفة حتى يتواروا[3] .

وكانت هذه العادات والرسوم عادات فارسية اقتبسها العرب منهم وقلدوهم، وكان أول من ابتدعها كسرى أنو شروان، وكانت إشارته لصرف جلسائه أن يمد رجله، وكانت علامة فيروز أن يدلك عينيه، أما بهرام جور فكان يرفع رأسه إلى السماء، فيفهم الحاضرون وينصرفون[4].

---

(1) البيان والتبيين 2/60، العقد الفريد 1/219.
(2) الأغاني 18/206.
(3) تاريخ التمدن الإسلامي 5/138.
(4) ابن الأثير 1/390 ـ 391، حلبة الكميت ص 26، تاريخ التمدن 5/138.

2 ـ المجالس الخاصة

مجالس اللهو

الشعر مادة الغناء، وكان العرب في الجاهلية يهتمون بالشعر فهو الفن الوحيد الرفيع لديهم، وكان لهم غناء مستمد من أوزان أو ألحان الشعر، ولما اختلط العرب بالأمم المجاورة بعد الإسلام تأثروا بغناء الأمم الأخرى، وأخذوا منهم ما يوافق أذواقهم وأشعارهم، وحين استقر العرب في الأمصار بعد الفتوح، وتوطدت أركان الدولة الأموية، بدأ الغناء العربي يزدهر في المدينة، وبسبب من سياسة الأمويين بعزل الصحابة والتابعين وإبعادهم عن المطالبة بالخلافة، أغدقوا عليهم الأموال فشاع فيهم الترف والطرب، وصار المغنون والمغنيات يتوافدون إلى هذه البيئة المترفة المتسامحة، فكثر المغنون والملحنون والشعراء الذين يمدونهم بالشعر الغزلي المنظوم لأجل أن يغنى.

وتطور الغناء وزاد ازدهاراً في العصر العباسي وكثر الامتزاج بين العرب والفرس والروم، وكثر الرقيق والجواري المغنيات، وصار للموسيقى آلات جديدة وألحان جديدة، وصار للمغنين منزلة رفيعة ونظر الناس إليهم نظرة جديدة خالية من العيب والتوجس، حتى صار بعض الخلفاء والأمراء يغنون، وكان الخليفة هارون الرشيد يفخر بأخيه إبراهيم بن المهدي لأنه من كبار المغنين ولا يجد في ذلك عيباً. وغدا مجلس الخلفاء ومجلس الرشيد خاصة، يحفل بالمغنين من مثل إبراهيم الموصلي وإسماعيل بن جامع وفليح بن العوراء، وكان للرشيد مائة صوت (لحن) من عيون الشعر العربي، وقد ألف أبو الفرج الأصفهاني كتابه الكبير الأغاني جمع فيه أخبار الغناء والمغنين ومجالسهم وتراجمهم، والأشعار التي غُني بها،

والأصوات التي غني بها الشعر، وما يتصل بذلك من أدب وتاريخ وأخبار.

وقد أقبل الخلفاء ورجال الدولة وغيرهم على الغناء والطرب، وجعلوا للمغنين نوبات يدخلون فيها مجالسهم[1] وفرضوا لهم الرواتب كما فرضوها للشعراء، وعهدوا بهم إلى بعض أهل البلاد أو الحاشية ينظرون في أمورهم[2] وكانوا يصطحبونهم في خروجهم للصيد أو نحوه ويجيزونهم[3] الجوائز الكبرى، وهم أقرب إلى ذلك من الشعراء لما يتفق في مجالسهم من طرب الخلفاء، لأنهم قلما كانوا يسمعون الغناء من غير شراب، فإذا طربوا بذلوا الأموال بلا حساب

ومن أكثر الخلفاء الأمويين رغبة في الغناء وبذلاً للمغنين يزيد بن عبد الملك الذي استخفه الطرب من غناء جاريته حبابة حتى قال: (أريد أن أطير) فقالت له حبابة: (على من تدع الأمة وتدعنا)[4]، وكذلك كان ابنه الوليد بن يزيد، ومن الخلفاء العباسيين المهدي والرشيد والأمين والمأمون والواثق والمتوكل، ومن نبغ في أيامهم من الوجهاء والعظماء[5].

على أنهم كانوا إذا أهمهم أمر الدولة، وخافوا سقوطها، أبعدوا المغنين ليتفرغوا لمهامهم كما فعل المأمون لما رجع من خراسان[6]،وكان لكبار المغنين منزلة رفيعة في الدولة كإبراهيم الموصلي وابنه إسحاق وابن جامع، وكانت جوائزهم من الخلفاء تفوق الحصر، ومما يروى عن إبراهيم الموصلي أنه غنى للأمين بشعر أبي نواس:

رشأ لولا ملاحته   خلت الدنيا من الفتن

فاستخفه الطرب حتى وثب من مجلسه وركب على إبراهيم وجعل يقبل رأسه،

(1) الأغاني 9/13.
(2) ابن الأثير 8/61.
(3) الأغاني 5/111.
(4) مروج الذهب 2/126.
(5) جرجي زيدان 5/143.
(6) الفرج بعد الشدة 1/87.

فنهض إبراهيم وأخذ يقبل أخمص قدمي الأمين وما وطئتا من البساط، فأمر له بثلاثة آلاف درهم، فقال إبراهيم: (سيدي قد أجزتني إلى هذه الغاية بعشرين ألف ألف درهم)، فقال الأمين: (وهل ذلك إلا خراج بعض الكور؟)[1]، فاعتبرْ ما دخل على الموصلي من الرشيد وغيره، فلا غرو إذا توفي عن ثروة طائلة.

هذا في بلاد المشرق، أما بلاد المغرب فقد اشتهر زرياب المغني، ولما ذهب إلى الأندلس استقبله أميرها الحكم بن هشام بنفسه وأصبح عنده من خاصته المقربين، وقد نقل زرياب صناعة الغناء المشرقية إلى الأندلس وزاد فيها، وقد ارتفعت مكانته وأثرى حتى صار يركب في مائتي غلام ويملك ثلاثين ألف دينار، غير الخيل والضياع والرقيق[2].

مجلس الشراب:

أما وصف مجلس الشراب وما يسبقه من إعداد، فقد قيل: إن الأمراء والقواد وأصحاب الشأن في الدولة، إذا أراد أحدهم أن يجلس للمنادمة والشراب، يأمر وكيله بإعداد ما يلزم، فيختبر الوكيل أطيب الأطعمة وأعذب الشراب. ويأتي بالمغنين والموسيقيين والجواري والراقصات، وقد يدعو بعض الشعراء أيضاً، حتى إذا انتهى من إعداد ما يلزم، جاء الكبير ومعه صحبه وأصدقاؤه، فيخلع الجميع أثوابهم الرسمية. . . ويلبسون أثواباً ملونة بالحمرة أو الصفرة أو الخضرة يسمونها أثواب المنادمة، وهي في الغالب أثواب رقيقة وملاءات مصقولة. ويذهب بعضهم أبعد من ذلك فيسوي شعره على عادة شبان بغداد في ذلك العصر. . . أي أنه يحدقه على جبينه، ويوصِّره دون جبهته، ويسريه مع حاجبيه، ويدوره إلى أذنيه، ويسدله إلى صدغيه.

وعندئذ يفتح لهم الوكيل أو القيِّم باباً في صدر القاعة، يخرجون منه وينزلون فيه بضع درجات إلى دهليز في جانبيه أبواب مقفلة تستطرق إلى غرف وقاعات عديدة، وفي منتهى الدهليز مصطبة فرشت على سعتها بالنمارق والطنافس، وفي

(1) العقد الفريد 3/195.
(2) الأغاني 10/132.

صدرها فرش عالية فوق سرير من الأبنوس المنزل بالذهب لا يرتقي إليه إلا بكرسي، وحوله عدة كراس ووسائد فوق الطنافس وحول الجدران. وفي وسط المصطبة سماط، وهو بساط من جلد جميل الصنعة فوق ملاءة من الحرير، وفوق البساط مائدة كبيرة الحجم مستديرة الشكل قصيرة علوها شبر. حتى إذا انتظم الجميع مجلساً، أتوهم بالأباريق البلورية والفضية، وفيها الأشربة والأنبذة، وبينها الأقداح على اختلاف أشكالها وألوانها، ويتخلل ذلك أطباق الفاكهة واللحوم الباردة، ومزاهر الأزهار ونحوها. . . وقد فاضت رائحة المكان بالأطياب العطرية[1].

المسكر:

وفي هذه المجالس الفاحشة يكثر شرب المسكر فيفقد الحاضرون عقولهم واتزانهم ووقارهم، كان المسكر شائعاً قبل الإسلام في الشام والعراق وفارس ومصر وجزيرة العرب وغيرها، وكان ملوك الفرس يقبلون على اللذات والمسكرات، ويقال إن الرومانيين لم يتعودوا المسكر إلا بعد فتحهم آسيا، على أن عقلاء الناس كانوا يحرمون شربه حتى في جاهلية العرب، فإن جماعة منهم حرموه على أنفسهم وأهلهم، وإذا عربد أحدهم بالسكر وتكرر ذلك منه خلعه قومه ونفوه[2].

ولما جاء الإسلام ورد النص بتحريمه، وأقيمت الحدود في منعه بالجلد والحبس وحلق الرأس أو اللحية والشوارب، أو قطع العطاء، وعاقبوا بائعيه وكسروا أوانيه، ولا سيما في عصر الراشدين وأوائل أيام بني أمية، حتى عنف عمر بن الخطاب خالد ابن الوليد على تدلكه في الحمام بغُسْلٍ فيه خمر، وقال له: (إن الله حرَّم ظاهر الخمر وباطنها ومسها، فلا تمسوها بأجسادكم)، ومع ذلك فاختلاط المسلمين بأهل البلاد المفتوحة عودهم إياها، حتى شربها جماعة من الصحابة وأبنائهم، فوقعوا تحت طائلة العقاب. وأول من عوقب على شربها وحشي بن حرب قاتل حمزة[3]،

---

(1) جرجي زيدان 5/126.

(2) السابق نفسه.

(3) المعارف - ابن قتيبة ص 112.

ثم عوقب غير واحد منهم ومن أبنائهم، وفيهم جماعة من الكبراء كالوليد بن عقبة ويزيد بن معاوية وعبد العزيز بن مروان وعبد الرحمن بن عبد الله الثقفي القاضي وأبي محجن الثقفي وغيرهم[1].

ومما ساعد على نشر الخمر بين المسلمين أن بعض الخلفاء الأمويين كانوا يشربونها، كيزيد بن معاوية، وعبد الملك بن مروان، ويزيد بن عبد الملك، والوليد بن يزيد[2]، والوليد هذا أول من وصف الخمر وتغزل بها، فسرق الشعراء معانيه وأدخلوها في أشعارهم، وتهتك الوليد في المسكر حتى حدثته نفسه أن يسكر فوق الكعبة، فخوفه أصحابه من الناس فأمسك، وقد أفسده وعلمه الخلاعة مؤدبه عبد الصمد بن عبد الأعلى[3].

على أن رجال الدولة كانوا يشددون في منع الخمر والحد عليها، حتى كثيراً ما كانوا يمنعون بيع العسل لئلا يصنعوها منه[4]، وأشهر من شدد في منعها من الخلفاء عمر بن عبد العزيز الأموي، والمهتدي العباسي، وهي لا تزداد إلا انتشاراً باتساع أسباب الحضارة وذهاب دهشة الدين، واشتغال الناس بالغناء والجواري، حتى صاروا يشربونها جهاراً. واشتهر بشربها غير واحد من الخلفاء وأهلهم ورجال الدولة، مع التهتك في مجالس الشرب، فعمد بعض المتملقين من الفقهاء ورجال الدين إلى انتحال المسوغات لشربها، فأخذوا يبحثون في الفرق بين أنواعها وميزوا بين المحلل والمحرم منها فأجمعوا على تحريم الخمر، واختلفوا في تحريم النبيذ، وفي أي أنواعه حلال وأيها حرام، ويقال بالإجمال إن أهل العراق كانوا يستحلون النبيذ واهل الحجاز يحرمونه[5].

والنبيذ يصنع من أكثر أنواع الفاكهة، ولا سيما العنب والتمر والتفاح

---

(1) العقد الفريد 3/314.

(2) العقد الفريد 3/314، الأغاني 19/154، 13/157.

(3) ابن الأثير 5/124، 136.

(4) خطط المقريزي 2/297.

(5) ابن الأثير 6/26، ابن خلدون 1/15.

والمشمش، ومن الذرة، ويختلف باختلاف البلاد وباختلاف طرق استحضاره، وهو عصير بعض هذه الأثمار أو منقوعها كما ينقع الزبيب اليوم (الخشاف)، وقد يضيفون إليه اليوم العسل أو الدبس أو يصنعونه من أحدهما مع الحب على النار[1]، وكانوا إذا أقبلوا على شربه صفوه وتناولوه بالأقداح الكبيرة، وربما صنعوا الخمر منه، وإذا صفي في القناني صعب تمييزه من الخمر أو منقوع الزبيب أو مذاب العسل[2]، فمن أحب الشرب استحل تناوله على أنه نبيذ، فإذا أكثر من شربه فعل فعل الخمر. وبعضهم كان يحلل قليل الخمر ويحرم كثيرها، وآخرون يحللون شرب الخمر إلا إذا أدت إلى السكر[3]، ولكن الأكثرين حكموا بتحريمها، ولهم في ذلك أقوال يطول شرحها تراها مبسوطة في كتب الشرع.

فالخلفاء العقلاء الذين بلغنا أنهم سكروا في بعض مجالسهم، كانوا يستحلون شرب النبيذ وهو حلو منعش، فيكثرون منه حتى يسكروا، ويؤيد ذلك أنهم كانوا يشربونه بالأرطال، وإذا طال مكث النبيذ قبل شربه دب فيه الاختمار وتولد الكحول ولو قليلاً، وقد يطول مجلس الشراب فيسكر الشاربون ويعربدون، وربما أتوا في سكرهم بما لا يأتيه غير المجانين، وأفظع ما يروى في هذا القبيل أن الملك الناصر بن الملك المعظم الأيوبي كان إذا سكر يقول: (أشتهي أن أرى غلامي فلاناً طائراً في الهواء)، فيرمى ذلك المسكين بالمنجنيق ويراه في الهواء فيضحك ويشرب، ويقول: (أشتهي أن أشم رائحة فلان وهو يشوى)، فيحضر ذلك الرجل ويقطع لحمه ويشوى[4]. وكتب التاريخ والأدب مشحونة بأخبار مجالس الشراب، وهي في الغالب مجالس الغناء، ويندر أن يترفع خليفة أو وزير عنها، ومن أكثر العباسيين رغبة فيها: الهادي والرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، وأكثرهم نفوراً منها: المنصور والمهتدي. واشتهر من الفاطميين

(1) كتاب البخلاء ص 51.
(2) الأغاني 5/4، 4/112، 2/35.
(3) العقد الفريد 3/309، 318، 2/270، ألف باء 1/81.
(4) فوات الوفيات 1/157.

بالتهتك بها المستنصر[1]، واشتهر بمقاومتها الحاكم بأمر الله، وكثيراً ما أمر بإراقة العسل حتى لا يصنع منه.

أما العامة فانغمسوا في المسكر وشربوه على أنواعه، شأنهم في كل زمان وإن لم يشربه حكامهم، فكيف إذا كانوا يشربون، والغالب في شاربي النبيذ أن ينبذوه في بيوتهم، وبعضهم يشربه عند إخوانه، وآخرون يتناولونه في الحانات، وكانت كثيرة، وأكثر أصحابها من اليهود، وقد يشربون الخمر في الأديار، وخمرها مشهورة بجودتها[2].

التهتك والفحشاء:

وليس غريباً أن يصاحب مجالس اللهو والطرب التهتك والفحشاء وخاصة في البيئات المتحضرة والمترفة، وإن كان ذلك لا يخلو منه قوم مهما بلغ من بعدهم عن الحضارة، ولكنه يكثر غالباً في المتحضرين لسكون خواطرهم، وتوفر أسباب الرغد والتنعم عندهم. كان في جاهلية العرب جماعة من البغايا لهن رايات يتتحيها الفتيان وكان بعض الناس يكرهون إماءهم على البغاء يبتغون عرض الدنيا[3]، ولكن ذلك شأن الحضر منهم، لأن البدو أقرب إلى صحة الآداب، ولذلك يكثر التهتك في المدن الكبرى لتوفر أسبابه، حيث يتزاحم الناس وتتوفر الثروة وتكثر الجواري، ويتفشى الغناء والمسكر، كما كان شأن بغداد والقاهرة والفسطاط وقرطبة في ذلك العصر فلا غرو إذا تفشت الفحشاء فيها ولا سيما في العصور الوسطى، حتى صار البغاء صناعة لها رئيس يحتكم إليه البغّاؤون عند الحاجة[4]، وتفننوا في ترويج تلك البضاعة بتصوير النساء على جدران الحمامات[5]، وأصبح أهل القصف من الأغنياء يصورون حظاياهم على جدران منازلهم كما فعل ابن

---

(1) المقريزي 2/154.
(2) تاريخ التمدن الإسلامي 5/128.
(3) العقد الفريد 3/2.
(4) الفرج بعد الشدة 2/143.
(5) ابن خلكان 2/127، نفخ الطيب 2/860.

طولون، وكان الحكام العقلاء يبذلون جهدهم في منع الفحشاء ويقاومون تيارها بما في إمكانهم[1]، ولما عجزوا عن كف أذاها بالقوة ضربوا عليها ضرائب يدفعها أصحابها مثل سائر التجارات[2].

وأقبح ما ظهر من التهتك في أثناء هذا التمدن مغازلة الغلمان وتسريهم، وظهر ذلك على الخصوص في أيام الأمين، وتكاثر بتكاثر غلمان الترك والروم من أيام المعتصم، وفيهم الأرقاء بالأسر أو بالشراء، وتسابق الناس إلى اقتنائهم كما تسابقوا إلى اقتناء الجواري، وغالوا في تزيينهم وتطييبهم، وكانوا يخصونهم ليأمنوا تعديهم على نسائهم وجواريهم، وفشا حب الغلمان في أهل الدولة بمصر وتغزل بهم الشعراء[3]، حتى غارت النساء من ذلك فعمدن إلى التشبه بالغلمان في اللباس والقيافة ليستملن قلوب الرجال[4].

وكثرة الجواري في بعض القصور جرهن إلى التفنن بأساليب الفحشاء، وربما اتخذت كل جارية خصياً لنفسها كالزوج، كما فعلت جواري خمارويه صاحب مصر[5]، وحتى النساء الشريفات وبسبب من قعودهن عن الزواج لعدم وجود الأكفاء، أو لأسباب أخر، كان يجرهن إلى مثل ذلك، فتكاثر الفساد فيهن لقلة التزويج[6]، ذكروا أن ابنة الإخشيد صاحب مصر اشترت جارية لتتمتع بها، وبلغ المعز لدين الله الفاطمي ذلك، وكان لا يزال في الغرب يتحفز للوثوب على مصر، ويخاف الفشل، فلما بلغه ما فعلته ابنة الإخشيد، استبشر وقال: (هذا دليل السقوط) وجنّد على مصر وفتحها، والعفاف سياج العمران[7].

---

(1) ابن الأثير 10/95، 11/215، المقريزي 1/316.
(2) المقريزي 1/89.
(3) تزيين الأسواق ص 163.
(4) المقريزي 2/104.
(5) ابن الأثير 7/188.
(6) الفرج بعد الشدة 2/61.
(7) تاريخ التمدن الإسلامي 5/130.



الفصل الثاني

مجالس الحديث النبوي



1 ـ مجالس الحديث آدابها ورسومها

لمجالس الحديث أهمية خاصة تتناسب مع مكانة حديث رسول الله ﷺ وأهميته في السنة والتشريع، وكان ولا يزال يستحب عقد المجالس لإملاء الحديث، لأن ذلك أعلى مراتب الراوين والاقتداء بسنن السلف الصالحين، وقد روى النضر بن شمل قال: سمعت المأمون أمير المؤمنين يقول: «ما أشتهي من لذات الدنيا إلا أن يجتمع أصحاب الحديث عندي، ويجيء المستملي فيقول: مَنْ ذكرتَ أصلحك الله؟»[1].

ومجالس المحدثين من حيث السعة وعدد طلبة الحديث، قد تكون قليلة العدد فيها أفراد وقد تتسع للمئات والآلاف، فعن أحمد بن حنبل قال: «جلس شعبة ببغداد، وليس في مجلسه أحدٌ يكتب إلا آدم بن أبي إياس، وهو يستملي ويكتب وهو قائم»[2]، وفي بغداد نفسها كان مجلس يزيد بن هارون فيه سبعون ألفاً[3]. وحدَّث عاصم بن علي أبو الحسن الواسطي في مسجد الرصافة، وكان مجلسه يحرز بأكثر من مائة ألف إنسان، وكان يستملي عليه هارون الديك، وهارون مكحلة، وكان عاصم بن علي يجلس على السطح، وينتشر الناس في رحبة النخل ـ التي في جامع الرصافة ـ وما يليها، فيعظم الجمع جداً، حتى إنه ذات يوم قال: حدثنا الليث بن سعد، ويستعاد، فأعاد أربع عشرة مرة والناس لا يسمعون، وكان هارون المستملي يركب نخلة معوجة، ويستملي عليها، فبلغ المعتصم كثرة

---

(1) المحدث الفاصل ف 35.

(2) الجامع 2/58.

(3) تاريخ بغداد 14/346.

الجمع، فأمر بحرزه، فكان عشرين ومائة ألف[1] .

وكانت كثرة طلبة الحديث أمراً مألوفاً وقد تكرر ذكرها في وصف المجالس، فعن عبيد الله بن محمد الرقي قال: قلت ليحيى بن معين: «أحمد الله، فقد أصبحت سيد الناس. فقال لي: اسكت، أصبح سيد الناس عاصم بن علي، في مجلسه ثلاثون ألف رجل»[2] .

وعن أحمد بن جعفر بن سالم قال: لما قدم علينا أبو مسلم الكَجِّي، أملى الحديث في رحبة غسان، وكان في مجلسه سبعة مستملين، يبلِّغ كل واحد منهم صاحبه الذي يليه، وكتب الناس عنه قياماً بأيديهم المحابر، ثم مسحت الرحبة، وحُسِبَ من حضر بمحبرة، فبلغ ذلك نيِّفاً وأربعين ألف محبرة سوى النظارة، قال ابن أسلم: «وبلغني أن أبا مسلم كان نذر أن يتصدَّقَ ـ إذا حدَّث ـ بعشرة آلاف درهم»[3] .

وكان محمد ابن أحمد بن خالد يقول: «لم يكن بالبصرة مجلسٌ أكبر من مجلس عمرو بن مرزوق، كان فيه عشرة آلاف رجل»[4]، قال ابن عدي: «وقد كنا نشهد مجلس الفريابي وفيه عشرة آلاف أو أكثر»[5]، وكلما كثر عدد الحاضرين كثر عدد المستملين، قالوا: لما ورد الفريابي إلى بغداد، واستقبل بالطنبارات والزبازب ـ أي الطبول ونحوها ـ ووُعِد له الناس إلى شارع المنار بباب الكوفة ليسمعوا منه، فاجتمع الناس فحرز من حضر مجلسه لسماع الحديث، فقيل: «كانوا نحو ثلاثين ألفاً، وكان المستملون ثلاثمائة وستة عشر»[6] .

---

(1) تاريخ بغداد 12/247، الجامع ص 59، وانظر هامش المحقق.
(2) الجامع 2/59 ـ 60، تاريخ بغداد 12/248.
(3) تاريخ بغداد 6/121 ـ 122، الجامع 2/60.
(4) تهذيب التهذيب 8/100.
(5) تاريخ بغداد 7/202، تذكرة الحفاظ 2/693.
(6) تذكرة الحفاظ 2/693، الجامع 2/ص 61، وانظر حاشية المحقق.

وكانوا يبكرون إلى المجلس ليجدوا مكاناً يسمعون منه صوت المحدث، قال القاضي علي بن محمد البصري، حدثني أبي قال: «كنا نحضر مجلس أبي إسحاق إبراهيم بن الهُجَيمي للحديث، وكان يجلس على سطح له، ويمتلىء شارع بلهجيم بالناس الذين يحضرون، ويُبَلِّغ المستملون عن الهجيمي، قال: وكنت أقوم في السَحَر، فأجد الناس قد سبقوني وأخذوا مواضعهم، وحُسِبَ الموضع الذي يجلس الناس فيه، وكُسِّرَ فوُجِدَ مقعد ثلاثين ألف رجل»(1).

وكانت هذه المجالس تجعل أياماً لقراءة الحديث وأياماً للإملاء، قال الخطيب البغدادي: «وكان كافة من أدركناه من الشيوخ يُقرأ عليهم الحديث قراءة، وبعضهم كان يجعل في كل أسبوع يوماً للإملاء خاصة وبقية الأيام للقراءة»(2)، وكان يوم الخميس من الأيام المفضلة لدى بعض الشيوخ يحدثون فيها أو يملون، فممن كان يحدث يوم الخميس عبد الله بن مسعود، فعن فضيل بن عياض عن منصور عن شقيق قال: «كان عبد الله يذكرنا كل يوم خميس»(3)، فيقول: إنَّ أحسن الحديث كتاب الله، وخير السنن سُنن محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وإنَّ أكيس الكَيْس التُقى، وإنَّ أحمق الحُمق الفجور. قال: وكان لا يخطئني عشية خميس إلا أتيته فيها، وما سمعته قط يقول: قال رسول الله ﷺ إلا مرة، فنظرت إليه وقد حلَّ إزاره، وانتفخت أوداجُه، واغرورقت عيناه، فقال: أو فوق ذلك، أو دون ذلك، أو قريباً من ذلك، أو شبه ذلك»(4)، وكذلك كان أبو هريرة يحدث يوم الخميس(5).

وكان لبعض المحدثين يومان في الأسبوع يوم الخميس ويوم آخر. ذكر أبو عمر بن مهدي أن القاضي أبا عبد الله المحاملي كان يملي عليهم في كل أسبوع

---

(1) الجامع 2/62.
(2) الجامع 2/62.
(3) مسند أحمد 6/154 ـ 155، سنن ابن ماجة 1/11 ـ 18.
(4) سنن ابن ماجة 1/10 ـ 11، مسند أحمد 6/154 ـ 155.
(5) الجامع 2/64.

مجلسين: أحدهما يوم الخميس، والآخر يوم الأحد، وأن أبا محمد عبدالله بن أحمد بن إسحاق المصري الجوهر كان يملي عليهم في كل أربعاء[1].

وكان منهم من يُملي يوم الجمعة، ذكر أبو الحسين أحمد بن محمد الواعظ: أن أبا بكر يوسف بن يعقوب بن إسحاق البهلول الأزرق، وأبا الحسن علي بن محمد بن عُبيد الحافظ، وأبا عمر حمزة بن القاسم الهاشمي، كانوا يملون أيام الجمعات، وأنه حضر مجالسهم في جامع الرصافة[2]. وممن كان يملي في الجمعات أيضاً: أبو الحسن علي بن محمد المصري، وأبو جعفر محمد بن عمرو الرزاز، وأبو محمد عبدالله بن جعفر بن درستويه، فيما ذكر أبو الحسن بن رزقويه أنه كتب عنهما جميعاً، وكتب عن إسماعيل بن محمد الصفار إملاء في يوم أربعاء[3]. وقال أبو علي بن شاذان: «إن أبا بكر الشافعي كان يملي عليهم في جامع المدينة يوم الجمعة، وفي مسجده بدرب القصَّارين يوم الثلاثاء. وإن أبا سهل بن زياد القطان أملى عليهم يوم الإثنين في دار القطن»[4]، وكان أحمد بن سلمان النجاد يملي يوم الثلاثاء، وكان أبو عمرو عثمان بن أحمد الدقاق المعروف بابن السماك يملي يوم الجمعة[5].

وكان بعض المحدثين من يعقد مجلسه ليلاً إن لم يكن متفرغاً نهاراً، ذكر سعيد ابن عبد العزيز عن مكحول قال: «تواعد الناس ليلة من الليالي قُبَّة من قباب معاوية، فاجتمعوا فيها، فقام فيهم أبو هريرة يحدثهم عن رسول الله ﷺ حتى أصبحوا»[6]. وعن مسلم العلوي قال: «رأيت أبان بن أبي عياش عند أنس يكتب بالليل في سبورجه»[7]،

---

(1) الجامع 2/64 ـ 65.
(2) الجامع 2/65.
(3) الجامع 2/66.
(4) الجامع 2/66.
(5) الجامع 2/67.
(6) سير أعلام النبلاء 2/432، البداية والنهاية 8/1016.
(7) تقييد العلم ص 109، سنن الدارمي 1/127.

وعن صالح بن محمد قال: «إن إبراهيم بن المنذر قرأ علينا بعد عشاء الآخرة إلى الصبح»[1].

تعيين يوم المجلس:

وكان المحدث يعين لطلابه يوم المجلس لئلا ينقطعوا عن أشغالهم، وليستعدوا لإثباته، ويَعِدُّ بعضهم بعضاً به، فعن يزيد بن كيسان قال، حدثني أبو حازم عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله ﷺ ـ يعني ـ: (احتشدوا، زاد غيره غداً، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن)»، قال: فحشد من حشد، ثم خرج نبي الله فقرأ بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثم دخل، فقال بعضنا لبعض: إني أرى هذا خبر جاء من السماء، فذاك الذي أدخله، ثم خرج نبي الله، فقال: (إني قلت لكم: إني أقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا وإنها تعدل ثلث القرآن)[2].

وإذا عيَّن لهم الشيخ ووعدهم بالإملاء فيه، فلا ينبغي له إخلاف موعده، إلا أن يقتطعه عن ذلك أمرٌ يقوم عذره به، فعن عكرمة عن ابن عباس قال: «قال رسول الله ﷺ (لا تعد أخاك موعداً فتُخلفه)»[3]، وحدث أبو عوانة قال: «كان رقبة يعدنا في الحديث، ثم يقول: ليس بيني وبينكم موعدٌ نأثم من تركه، فيسبقنا إليه»[4]، وخلف الموعد لا يكون لعرض يعرض، وإنما الخلف أن ينوي عدم الوفاء فيخلف، فعن زيد بن أرقم: أن رسول الله ﷺ قال: (ليس الخُلف أن يَعِدَ الرجلُ الرجلَ ومن نيته أن يفي له، ولكنَّ الخُلفَ أن يعد الرجلُ الرجلَ ومن نيته أن لا يفي له)[5].

عقد المجالس في المساجد:

يستحب المحدث أن يجعل تحديثه في المسجد، وأن لا يخلي يوم الجمعة

---

(1) الجامع 2/68 ـ 69.
(2) صحيح مسلم 1/557، فتح القدير 5/514 ـ 515.
(3) تحفة الأحوذي 6/130 ـ 131.
(4) الجامع 1/70.
(5) الجامع الصغير 2/134.

من الإملاء في المسجد الجامع وأشرف البقاع المساجد، فعن إسماعيل بن أبي خالد، عن كعب بن ماتع الحميري: قال: «إنَّ الله اختار ساعات الليل والنهار، فجعل منهن الصلوات المكتوبة، واختار الأيام فجعل منهم الجمعة، واختار الشهور فجعل منهن شهر رمضان، واختار الليالي فجعل منهن ليلة القدر، واختار البقاع فجعل منهن المساجد»[1]. وعن خيثمة بن عبد الرحمن قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «المساجد مجالس الأنبياء، وحِرْزٌ من الشيطان»[2]، وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يأمر بأن ينشر العلم في المساجد،فعن عكرمة بن عمار قال: «سمعت كتاب عمر بن عبد العزيز يقول: أما بعد فأمُرْ أهلَ العلم أن ينشروا العلم في مساجدهم، فإن السنة كانت قد أميتت»[3].

وكان المحدث يجلس تجاه القبلة، فعن محمد بن كعب القرظي، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: (إنَّ لكل شيء شرفاً، وإن أشرف المجالس ما استُقْبِلَ به القِبلة)[4]، وعن صدقة عن ابن جابر قال: «أقبل مغيث بن سُمي إلى مكحول، فأوسع له إلى جنبه، فأتى وجلس مقابل القبلة، وقال: هذا أشرف المجالس»[5].

حلقة المجلس:

نهى عن حلقة المجلس يوم الجمعة قبل الصلاة وقبل خروج الإمام، ويستحب أن تعقد الحلقة بعد صلاة الجمعة وخروج الإمام، فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: «أن رسول الله ﷺ نهى عن البيع والاشتراء في المسجد، وعن مناشدة الأشعار فيه، وحلق المجلس في المسجد يوم الجمعة قبل الصلاة»[6]،

---

(1) حلية الأولياء 6/15.
(2) حلية الأولياء 1/61 وما بعدها، الجامع 2/72.
(3) فتح الباري 1/204، تيسير الوصول 3/157.
(4) فيض القدير 2/512 حديث 2421، مجمع الزوائد 8/59.
(5) الجامع 2/74.
(6) سنن أبي داود 1/388.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: «أن النبي ﷺ نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل خروج الإمام»[1].

والمجالس الواسعة هي المستحبة والمحمودة، فعن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس قال: «قال رسول الله ﷺ (خير المجالس أوسعها)»[2]، وعن أبي سعيد الخدري، عن البني ﷺ قال: (خير المجالس أوسعها)[3]، واحترزوا من أن يكون في المجلس إذا عظمت الحلقة رفع الصوت والمناجاة، فعن سفيان عن الشعبي قال: «إذا عظمت الحلقة فإنما هي نداء أو نِجاء»[4].

اتخاذ المستملي:

وينبغي للمحدِّث أن يتخذ من يُبَلِّغَ عنه الإملاء إلى مَنْ بعُدَ في الحلقة، فعن هلال بن عامر المزني الكوفي، قال: سمعت رافع بن عمرو المزني يقول: «رأيت رسول الله ﷺ يوم النحر بمنى يخطب الناس حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء، وعليٌّ يعبِّر عنه»[5]، وكان للمستملي صفات، من حسن الصوت وجهارته، وحسن فهمه، وغير ذلك، وكانوا يختارونه اختياراً، فعن سلمة بن شبيب قال: «كنتُ عند أبي أسامة، فقال: ايتوني بمستملٍ خفيف على الفؤاد، خفيف على اللسان، وإياي والثقلاء، وإياي والثقلاء»[6].

وذُكرت بعض أسماء المستملين، فعن يحيى بن أبي طالب قال: «بلغنا أن عبد الوهاب ـ وهو ابن عطاء ـ كان مستملي سعيد ـ يعني: ابن أبي عَروبة ـ»[7]،

---

(1) سنن الترمذي 2/140.
(2) مجمع الزوائد 8/59.
(3) الأدب المفرد ص 388، سنن أبي داود 4/355.
(4) حلية الأولياء 4/323.
(5) الجامع 2/79، يعبر عنه: أي يبلغ عنه.
(6) الجامع ص 80، وفي تدريب الراوي ص 338 وما بعدها بعض صفات المستملي.
(7) تهذيب التهذيب 6/450.

وقال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: «كان محمد بن أبان يستملي لنا عند وكيع»[1]، وكان يحيى بن راشد يستملي لأبي عاصم[2]. وكان الربيع بن سليمان يقول: «كل محدِّث حدَّث بمصر بعد ابن وهب كنت مستمليه»[3]، وقد لا يسمع المستملي صوت المحدِّث واضحاً من كثرة الحضور فيطلب من المحدث أن يرفع صوته، قال داود بن رشيد: «كنا عند ابن عُلَيَّة، فقال المستملي: يا أبا بشر، الزحام كثير، فارفع صوتك حتى يسمعوا، قال: ومن أنت؟ قال: أنا المستملي، قال: الرئاسة لها مؤونة، أنا المحدث وأنت المستملي»[4].

إشراف المستملي على الناس:

يُستحب للمستملي أن يستملي وهو جالس على موضع مرتفع، أو على كرسي، فإنْ لم يجد، استملى قائماً، فعن علي بن محمد الرياحي عن أبيه عن جده، قال: «كنا عند مالك بن أنس نكتب، وإسماعيل بن عُلَيَّة قائمٌ على رجليه يستملي، وقد ذكر نحو ذلك عن آدم بن أبي إياس في استملائه على شعبة بن الحجاج»[5].

ويجب أن يكون المستملي متيقظاً، محصلاً، ولا يكون بليداً مغفلاً، كما حكي عن مستملي يزيد بن هارون، فيما روى إسحاق بن وهب قال: «كنا عند يزيد ابن هارون، وكان له مستملٍ يقال له: بَرْبَخ، فسأله رجل عن حديث؟ فقال يزيد: حدثنا به عدَّةٌ. قال: فصاح به المستملي: يا أبا خالد، عدة بن من؟ قال: عدة بن فقدك!!»[6]، وعن أبي بكر بن خلاد بن كثير بن قتيبة بن مسلم، قالك «استملى الجماز لخالد بن الحارث، قال: وكان يملي علينا كتاب حُميد، فقال: حدثنا

(1) تهذيب التهذيب 9/3.
(2) المحدث الفاصل ف 872.
(3) تهذيب التهذيب 3/245ـ246.
(4) الجامع 2/81.
(5) الجامع 2/82.
(6) تدريب الراوي ص 339، وفيه: عدة بن فقدتك.

حميد، عن أنس، قال: قال رسولٌ ـ كذا في (كتابي)، وهو رسول الله ـ أن سل الله، فقال الجماز: يا أبا عثمان، حدثكم حُميد عن أنس، قال: قال رسولٌ ـ وشك أبو عثمان في الله ـ قال: فقال له: كذبت يا عدوَّ الله، ما شككت في الله قط»[1].

وعلى المستملي أن يتبع لفظ المحدث، وأن لا يخالف لفظ الراوي في التبليغ عنه، بل يلزمه ذلك، وخاصة إذا كان الراوي من أهل الدراية والمعرفة بأحكام الرواية. فعن علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا المبرد: «أن سيبويه كان يستملي على حماد بن سلمة، فقال له حمادٌ يوماً: قال رسول الله ﷺ: (ما أحدٌ من أصحابي إلا وقد أخذت عليه ليس أبا الدرداء). فقال سيبويه: أبو الدرداء، فقال حماد: لحنتَ يا سيبويه. فقال سيبويه: لا جَرَمَ لأطلبنَّ علماً لا تلحنني فيه، فطلب النحو ولزم الخليل»[2].

وكان بعض المستملين مغفلين، فقد حكى أبو الحسن بن بشران: أن بعض المحدثين كان له مستملٍ مغفل جداً، فقال المحدث: «إن هذا المستملي يسمعُ غير ما أقول، ويكتب غيرَ ما يسمع، ويبلغ غير ما يكتب»[3]. ومن طرائف أخبار المستملين ما رواه أبو العباس بن بطانة قال: سمعت بعض شيوخنا يقول: «كان هارون الديك البصري يستملي على داود بن رشيد، فإذا قال: حدثنا حماد بن خالد، كتب في كتابه: حماد بن زيد، ويستملي للناس حماد بن سلمة، ويجيء إلى بيته يقرأ ما كتب لا يحسن يقرؤه، يقوم يضرب امرأته، تستغيث إلى داود ابن رشيد»[4].

آداب الاستملاء:

قبل أن يبدأ المستملي في الإملاء، ينبغي أن يقرأ في المجلس سورة من

---

(1) فتح المغيث للسخاوي 2/296 ـ 297.
(2) تاريخ بغداد 12/195.
(3) فتح المغيث 2/297.
(4) فتح المغيث 2/297.

القرآن الكريم قبل الأخذ في الإملاء، وهذا ما كان يتبعه الصحابة، فعن علي بن الحكم عن أبي نضرة قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا تذاكروا العلم وقرأوا سورة»[1]. ثم يستنصت المستملي الناس إن سمع منهم لغطاً، فعن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن جرير بن عبد الله البجلي، قال: قال رسول الله ﷺ: (يا جرير، استنصت الناس) يعني في حجة الوداع، قال: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)[2]، فإذا أنصت الناس، قال: بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وإنما يستحب ذلك لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «(كل أمر ذي بال لم يُبدأ فيه بـ) ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ أقطع، وروي: (لم يبدا فيه بـ) (الحمد لله) أقطع، فإذا جمع بين اللفظين استعمل الخيرين وحاز الفضلين»[3]. ثم يذكر النبي ﷺ ويصلي عليه، فإن إتباع ذكر الله بذكره واجب، والصلاة عليه في تلك الحال أمرٌ لازم[4]، وعن ابن أبي نجح عن مجاهد، في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾: لا أُذْكَرُ إلا ذُكِرْتَ، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسولَ الله»[5]، وعن ذكوان عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: (لا يجلس قومٌ مجلساً لا يصلون فيه على النبي إلا كان عليهم حسرة، وإن دخلوا الجنة؛ لما ترون من الثواب)[6].

وإذا صلى المستملي على النبي ﷺ أقبل على المحدث، فقال له: مَنْ حدَّثك، أو من ذكرت رحمك الله؟ فعن خالد بن سعيد، قيل لمحمد: «من ذكرت يا أباعبدالله؟ قال: الثقة، الصدوق، المأمون، خالد بن سعيد أخو إسحاق بن سعيد»[7]، وعن

---

(1) توضيح الأفكار 2/298.
(2) فتح الباري 1/227 ـ 228، صحيح مسلم 1/81 ـ 82.
(3) فتح المغيث 2/298، الجامع 2/87.
(4) فتح المغيث 2/298، الجامع 1/88.
(5) فتح القدير 5/462.
(6) مجمع الزوائد 10/79.
(7) الجامع 2/89.

الحارث بن أبي أسامة قال: «حُدِّثت عن يحيى بن أكثم أنه قال: نلتُ القضاء وقضاء القضاة والوزارة، وكذا وكذا، ما سررت بشيء مثل قول المستملي: من ذكرتَ رحمك الله»[1].

وإذا فعل المستملي ما تقدم ذكره، قال الراوي: حدثنا فلان، ثم نسب شيخه الذي سماه، حتى يبلغ بنسبه منتهاه. والجمع بين اسم الشيخ وكنيته أبلغ في إعظامه، وأحسن في تكرمته، فعن أبي معمر الخزاز، قال: «سمعت الحسن يقول: يجب للعالم ثلاث خصال: تخصه بالتحية، وتعمُّه بالسلام مع الجماعة، ولا تقول: حدثنا فلان، تقول: حدثنا أبو فلان، وإذا قرأ فمَلَّ لا تُضْجره»[2].

ويرى جماعة من المحدثين أن يُقتصر في الرواية على ذكر أسمائهم دون أنسابهم إذا كان أمرهم لا يشكل، ومنزلتهم من العلم لا تُجهَل، فمنهم أيوب بن أبي تميمة السختياني، ويونس بن عُبيد، وسعيد بن أبي عَروبة، وهشام بن أبي عبد الله، ومالك بن أنس، وليث بن سعد، ونحوهم من أهل طبقتهم.

وأما ممَّن كان بعدهم، فعبد الله بن المبارك، يروى عنه عامة أصحابه، فيسمونه ولا ينسبون، وعن أحمد بن عيسى الخفاف، الشيخ الصالح، يقول: «سمعت سلمة بن سليمان يقول: حدثنا عبد الله. فقال رجل: ابن من؟ فقال: سبحان الله! أما ترضون في كل حديث حتى أقول: حدثنا عبد الله بن المبارك أبو عبد الرحمن الحنظلي الذي منزله في سكة صُغد! ثم قال سلمة: إذا قيل بمكة: عبد الله، فهو ابن الزبير، وإذا قيل بالمدينة: فهو عبد الله بن عمر، وإذا قيل بالكوفة: عبد الله، فهو ابن مسعود، وإذا قيل بالبصرة: عبد الله، فهو ابن عباس، وإذا قيل بخراسان: عبد الله، فهو ابن المبارك»[3].

وإذا كان المحدث مشهوراً بنسبته إلى أبيه، أو قبيلته، فقد اكتُفي في كثير من

---

(1) تهذيب التهذيب 11/183.

(2) فتح المغيث 2/302، الجامع 2/91.

(3) الجامع 2/92 ـ 93.

الروايات عنه بذكر ما اشتهر به، وإنْ لم يُسَمَّ هو فيه، فعن أبي بكر الأثرم قال: «وسمعت أبا عبد الله ـ يعني: أحمد بن حنبل ـ يسأل عن الرجل: يُعرف بلقبه؟ فقال: إذا لم يُعرَف إلا به. ثم قال أبو عبد الله: الأعمش إنما يعرفه الناس هكذا، فسهل في مثل هذا إذا شُهِرَ به»[1].

كراهة إملال السامع بطول إملاء الحديث:

وكانوا يرون عدم إطالة مجلس الحديث لئلا يمل السامع ويضجر، ويستحب أن يجعل المجلس متوسطاً ويقتصد فيه، حذراً من سآمة السامع ومله، وأن يؤدي ذلك إلى فتوره عن الطلب وكسله، قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: «من أطال الحديث وأكثر القول فقد عرَّضَ أصحابه للملال وسوء الاسماع، ولأنْ يدع من حديثه فضلة يعاد إليها أصلح من أن يفضل عنهما يلزم الطالب استماعه من غير رغبة فيه ولا نشاط له»[2]، وحدَّث الأعمش عن شفيق، قال: «خرج إلينا عبد الله، فقال: أما إني أخبر بمكانكم، فأتركك كراهيةَ أنْ أملّكم، إن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة بين الأيام مخافة السأم علينا. أو قال: السآمة علينا»[3].

وعن أحمد بن أبي صدقة، قال: «سمعت الجاحظ يقول: قليل الموعظة مع نشاط الموعوظ، خيرٌ من كثير وافق من الأسماع نبوة، ومن القلوب ملالة»[4]، وعن الوليد بن عباس البيروني قالك سمعت أبي يقول: «المستمع أسرع ملالةً من المتكلم»[5]، وقال سفيان بن عيينة: «ما طال مجلسٌ قط، إلا كان للشيطان فيه نصيب»[6].

وقال عبد الله بن المعتز «من المحدثين من يحسن أن يُسمِع ويستمِع، ويتقي

---

(1) الجامع 2/95.
(2) فتح المغيث 2/292.
(3) فتح الباري 1/172، 173، مسند أحمد 5/202
(4) فتح المغيث 2/292، الجامع 2/181.
(5) فتح المغيث 2/293.
(6) الجامع 2/182.

الإملال ببعض الإقلال، ويزيد إذا استملى من العيون الاستزادة، ويدري كيف يفصلُ ويصلُ، يحكي ويشير، فذاك يزينُ الأدبَ كما تتزين بالأدب»[1].

ختم المجلس بمستحسن النوادر:

ويحسن أن يختم المجلس بالحكايات ومستحسن النوادر والإنشادات، لينشط السامع وتتروح القلوب، فعن النجيب بن السري، قال: قال علي بن أبي طالب: «روحوا القلوب، وابتغوا لها طُرَف الحكمة، فإنها تملُّ كما تَمَلُّ الأبدان»[2]، وعن حماد بن زيد قال: قال قسامة بن زهير: «روحوا القلوبَ تعِ الذِّكَر»، وعن يونس بن زيد عن الزهري قال: «كان رجل يجالس أصحاب رسول الله ﷺ ويذاكرهم، فإذا كَثُرَ وثَقُلَ عليه الحديث، قال: إن الأذن مجَّاجة، وإن للقلب حمضة، ألا فهاتوا من أشعاركم وأحاديثكم»[3].

وعن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: «قرىء عند النبي ﷺ قرآن، وأنشد شعر، فقيل: يا رسول الله، أقرآن وشعر في مجلسك؟! قال: نعم»، وعن أبي بكرة قال: «أتيت النبي ﷺ وعنده أعرابي ينشده الشعر، فقلت: يا رسول الله، القرآن أم الشعر؟!» فقال: (يا أبا بكرة، هذا مرة وهذا مرة)[4]، وعن عبد الرحمن بن الأسود أن أبَيَّ بن كعب أخبره أن رسول الله ﷺ قال: (إن من الشعر حكمة)[5].

وعن جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار. قال: «الحكايات تحفُ الجنة»[6]، وعن سليمان بن حرب قال: كنا عند حماد بن زيد، فحدثنا بأحاديث كثيرة، ثم قال لنا: «خذوا في أبزار الجنة، فحدثنا بالحكايات»[7].

---

(1) الجامع 2/183..
(2) فتح المغيث 2/309، جامع بيان العلم وفضله 1/105.
(3) جامع بيان العلم وفضله 1/105.
(4) الجامع 2/185.
(5) مسند أحمد 4/456.
(6) فتح المغيث 2/308.
(7) فتح المغيث 2/308.

ما سُنَّ عند انقضاء المجلس:

وقد سُنَّ عن انقضاء المجلس الاستغفار والحمد لله على آلائه، فعن شعبة عن قتادة في قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾. قال: «من كل مجلس»[1]، وعن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير، قال: «(الأواب الحفيظ): الذي لا يقوم من مجلس إلا استغفر الله عز وجل»[2]، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (من جلس في مجلس، فكثر فيه لغطه، وقال قبل أن يقوم: سبحانك ربنا وبحمدك، لا إله إلا أنت، استغفرك ثم أتوب إليك، إلا غُفِر له ما كان في مجلسه ذلك)[3]، وعن رفيع أبي العالية، عن أبي برزة الأسلمي، قال: «كان رسول الله ﷺ إذا جلس فأراد أن يقوم قال: (سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، استغفرك وأتوب إليك)، قالوا: يا رسول الله، إنك تقول كلاماً ما كنت تقوله فيما خلا. قال: (هذا كفارة ما يكون في المجلس)[4]، وعن نافع بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن النبي ﷺ، قال: (كفارة المجلس ألا تبرح حتى تقول: سبحانك وبحمدك، لا إله إلا أنت، تُبْ عليَّ واغفر لي) تقولها ثلاث مرات، فإن كان مجلس لغط كانت كفارته، وإن كان مجلس ذكر كانت طابعاً عليه»[5].

وكان مالك بن دينار إذا حدث فأراد أن ينهض دعا بهذا الدعاء: «اللهم أحينا صادقين، وأمتنا صادقين، وابعثنا صادقين، وأجزنا يوم نلقاك كما تجزي عبادك الصادقين»[6]، وعن محمد بن سلام، قال: «كنا إذا جلسنا إلى يونس، مضت في مجلسه مدائح ومثالب ومراثي وغزل، فكان إذا فرغ يقول: والله لألقينَّ على ما مضى الدامغات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»[7].

---

(1) الطور 48، وانظر فتح القدير 5/102، 103.
(2) فتح القدير 5/78.
(3) الأذكار ص 254، سنن أبي داود 4/365.
(4) سنن أبي داود 4/366، الأذكار ص 254 ـ 255.
(5) مجمع الزوائد 10/142.
(6) حلية الأولياء ص 358، 359، 360، الجامع 2/189.
(7) الجامع 2/190.

وبعد: فهذه نخبة مختارة عن مجالس الحديث أصولها ورسومها كما جاءت عند السلف الصالح من علماء الأمة في حرصها على رواية الحديث النبوي وما يجب أن يرافق هذه الرواية من جلال النبوة وسنة رسول الله ﷺ وأحاديثه الشريفة، وقد انتقينا هذه الأصول والرسوم كما سبق أن ذكرنا من كتاب: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (تحقيق محمد عجاج ط 4 مؤسسة الرسالة بيروت 1417 هـ/ 1966 م).

2ـ آداب المحدث وطالب العلم

لمجالس الحديث النبوي وتعلم الحديث وروايته آداب ذكرها العلماء وأثنوا على من التزم بها، وكانت سيرة رسول الله ﷺ وأحاديثه هي القدوة التي يتبعها أهل الحديث في آداب العلم وآداب أخذه وروايته، وكان الخطيب البغدادي أحمد بن علي بن ثابت المتوفىٰ سنة 463 هـ قد جمع في كتابه النفيس (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع)[1] هذه الآداب وضحها وعززها بالأحاديث النبوية وآثار العلماء الثقات السابقين، ونجني من بستانه الأرج هذه الخلاصة النقية النافعة في آداب أهل الحديث وطلابه في مجالسهم.

شرف علم الحديث والعمل به:

قال محمد بن عيسى الزجاج: سمعت أبا عاصم يقول: «من طلب هذا الحديث فقد طلب أعلى أمور الدنيا فيجب أن يكون خير الناس»[2]. وعن ابن شهاب قال: «إن هذا العلم أدب الله الذي أدب به نبيه ﷺ، وأدَّب النبيُّ ﷺ أمته، أمانة الله إلى رسوله، ليؤديه على ما أدِّي إليه، فمن سمع علماً فليجعله أمامه حجة فيما بينه وبين الله عز وجل»[3].

وكانوا يقتدون بأخلاق العلماء وهديهم، فعن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد، قال: قال لي أبي: «يا بني! إيتِ الفقهاء والعلماء وتعلم منهم، وخذ من أدبهم وأخلاقهم وهديهم، فإن ذاك أحب إليَّ لك من كثير من الحديث»[4]. وقال مخلد

(1) تحقيق محمد عجاج الخطيب ط مؤسسة الرسالة، بيروت 1417 هـ/ 1996 م.

(2) الجامع = الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص 119.

(3) الجامع ص 120، معرفة علوم الحديث ص 63، الإلماع ص 213.

(4) الجامع ص 121.

ابن الحسين: «نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من الحديث»[1].

وطلب الحديث لوجه الله تعالى لا يراد به عرض الحياة الدنيا، فعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: (من طلب الحديث أو العلم يريد به الدنيا لم يجد حَرْثَ الآخرة)[2]، وعن حماد بن سلمة قال: «من طلب الحديث لغير الله مُكِر به»[3] وخير العلم ما عُمل به، قال الحسن: «تعلَّموا ما شئتم أن تعلَّموا، فلن يجازيكم الله على العلم حتى تعملوا، فإنَّ السفهاء هِمَّتُهم الرواية، وإنَّ العلماء هِمَّتُهم الرعاية»[4].

آداب طالب العلم:

لطالب العلم آداب ينبغي أن يتحلى بها لتوافق جلال العلم وفضله، فعن الحسين بن علي عليهما السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ الله يحب معالي الأخلاق وأشرافَها، ويكره سَفْسافَها)[5]. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تعلموا العلم تعلموا العلمَ، وتعلموا للعلم السكينة والحلمَ، وتواضعوا لمن تعلِّمون، وتواضعوا لمن تعلَّمون منه، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقوم علمكم بجهلكم»[6]. وعن العتبي عن أبيه قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «يا طالب العلم! إنَّ العلم ذو فضائل كثيرة، فرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النية، وعقله معرفة الأشياء والأمور الواجبة، ويده الرحمة، ورجله زيارة العلماء، وهمته السلام، وحكمته الورع، ومستقرُّه النجاة، وقائده العافية، ومركبه الوفاء، وسلاحه لين الكلمة، وسيف الرضى، وقوسه المداراة، وجيشه محاورة العلماء، وماله الأدب،

---

(1) الجامع ص 122، المحدث الفاصل ف. 760.

(2) الجامع 126، ميزان الاعتدال 4/243.

(3) الجامع ص 126، جامع بيان العلم 1 / 191.

(4) جامع بيان العلم وفضله 2/6، الجامع ص 135.

(5) الجامع الصغير 1/ 74ـ 75، مجمع الزوائد 8/188، الجامع ص 137.

(6) جامع بيان العلم 1/125، الجامع ص 138.

وذخيرته اجتناب الذنوب، وزاده المعروف، وماؤه الموادعة، ودليله الهدى، ورفيقه صحبة الأخيار»[1].

آداب الطلب:

ينبغي لطالب الحديث أن يتميز في عامة أموره عن طرائق العوام باستعمال آثار رسول الله ﷺ ما أمكنه، وتوظيف السنن على نفسه، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2].

وعن الحسن البصري قال: «كان الرجل يطلب العلم، فلا يلبث أن يُرى ذلك في تخشُّعه، وهديه، ولسانه، وبصره، ويده»[3].

ومن آداب طالب العلم البكور إلى مجالس الحديث، فعن مالك بن أنس عن نافع قال: «سألت ابن عمر عن قول النبي ﷺ: (اللهم بارك لأمتي في بكورها)، فقال: في طلب العلم والصف الأول»[4].

وعن سلمة بن عقَّار قال: «إذا جاء الرجل يطلب الحديث ولم يجيء في المجلس الآخر ومعلفُه معلَّقة في يده فليُيَسْ من خيره»[5].

ومن آداب طالب العلم أن يلتزم حسن السَّمْت والوقار والسكينة، فعن ابن وهب قال: سمعت مالكاً يقول: «إنَّ حقاً على من طلب العلم أن يكون له وقارٌ وسكينة وخشية، وأن يكون متَّبعاً لأثر من مضى قبله»[6]، وعن علي رضي الله عنه قال: «إذا تعلمتم العلم فاكظموا عليه، ولا تخلطوه بضحك وباطل، فتمجه القلوب»[7]،

(1) جامع بيان العلم 1/129، الجامع ص 142.
(2) الأحزاب 21.
(3) فتح المغيث 2/319، الجامع ص 216.
(4) الجامع ص 223.
(5) الجامع ص 224، المعلفة: ما يوضع فيها الطعام.
(6) الموطأ 2/1002، جامع بيان العلم 1/106، الجامع ص 232.
(7) جامع بيان العلم 1/149.

ولام هشام الدستوائي رجلاً ضحك، فقال: تضحك وأنت تطلب الحديث؟[1].

آداب الاستئذان على المحدث:

ومن آداب طالب العلم الاستئذان على المحدث، فعن أحمد بن عيسى المؤدب قال: سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام يقول: «ما استأذنتُ قطُّ على محدث، كنت أنتظره حتى يخرج إليَّ، وتأولتُ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[2] ». وعن ابن عباس، قال: «وجدت عامة علم رسول الله ﷺ عند هذا الحي من الأنصار، إنْ كنت لأقيلُ بباب أحدهم، ولو شئت أن يؤذن لي عليه لأذن لي عليه، ولكن أبتغي بذاك طيب نفسه»[3]، وكان ابن عباس يأتي الرجل من أصحاب النبي ﷺ يريد أن يسأله عن الحديث، فيقال له: إنه نائم، فيضطجع على الباب، فيقال له: ألا توقظه؟ فيقول: لا[4]، وعن معمر قال: «سمعت الزهري يقول: إن كنت لآتي باب عروة، فأجلسن ثم أنصرف فلا أدخل، ولو شئت أن أدخل لدخلت، إعظاماً له»[5].

وهناك آداب للاستئذان على باب دار المحدث، فإذا كان باب داره مفتوحاً فَينبغي للطالب أن يقف قريباً منه وليستأذن، فعن عبد الله بن بُسر قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، ويقول: السلام عليكم، السلام عليكم»[6]، وذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ ستور، وإن كان الباب مردوداً فله أن يقف حيث شاء منه ويستأذن، أما إذا نظر من في الداخل قبل أن يستأذن فقد أثم، فعن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال:

---

(1) الجامع ص 233.
(2) الحجرات 5: الجامع ص 234 ـ 235.
(3) سير أعلام النبلاء 3/231.
(4) الجامع ص 226.
(5) الجامع ص 237.
(6) سنن أبي داود 4/471، الجامع الصغير 99.

(إذا دخل البصر فلا إذن)، وفي رواية: (فلا إذن له وقد عصى ربه)[1].

وعلى المستأذن أن يبدأ بالسلام ويعرف نفسه، فعن جابر أن نبي الله ﷺ قال: (من لم يبدأ بالسلام فلا تأذنوا له)[2]، وإذا قال الرجل أأدخل ولم يسلم يقال له: لا، فعن عطاء قال: سمعت أبا هريرة يقول: «إذا قال: أأدخل؟ ولم يسلم فقل: لا، حتى يأتي بالمفتاح، قلت: السلام؟ قال: نعم»[3].

وعن أبي تميمة الهُجيمي قال: سلَّم أبو جريّ على النبي ﷺ فقال: عليكم السلام، فقال: (عليكم السلام تحية الموتى، ولكن قل: سلام عليكم)[4]، وعن ابن عباس عن عمر بن الخطاب، أنه أتى النبي ﷺ وهو في مشْرُبة له، فقال: «السلام عليك يا رسول الله السلام عليكم»، وعن يحيى بن إسماعيل مرة أخرى: فقال: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام عليكم، أيدخل عمر؟»[5].

أما رفع الصوت في السلام فيكون بالقدر الذي يسمع، فعن المقداد، قال: «وجاء النبي ﷺ فسلم تسليماً يُسمع اليقظان، ولا يوقظ النائم»[6].

وإذا استأذن الطالب فأمر بالانتظار فليقعد قريباً من الباب، فعن معاوية بن خُديج عن أبيه قال: «قدمت على عمر بن الخطاب فاستأذنت عليه، فقالوا لي: مكانك حتى يخرج إليك، فقعدت قريباً من بابه، فخرج إليَّ»[7].

وإذا لم يؤذن للطالب بعد ثلاث فلينصرف، فعن أبي سعيد قال: «استأذن أبو موسى على عمر بن الخطاب ثلاثاً فلم يؤذن له، فانصرف، فأرسل إليه عمر، فدعاه

---

(1) سنن أبي داود 4/466.
(2) مجمع الزوائد 8/32، تحفة الأحوذي 7/478 ـ 479.
(3) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص 372، الجامع ص 241.
(4) سنن أبي داود 4/478، مجمع الزوائد 2/339 ـ 340.
(5) البخاري في الأدب المفرد ص 373 باب: كيف الاستئذان، صحيح مسلم 2/1106.
(6) البخاري في الأدب المفرد ص 355، صحيح مسلم 3/1625.
(7) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص 370.

فقال: ما شأنك رجعت؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من استأذن ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع، فقال عمر: لتأتيني على هذا -يعني ببينة- أو لأفعلنَّ، فأتى مجلس قومه، فناشدهم بالله، فقلت: أنا معك، قال: فشهد له بذلك، فخلى عنه»[1].

وعن أبي العلانية قال: «استأذنت على أبي سعيد الخُدري ثلاثاً، ثم جلست على الباب، فخرجت الجارية، فأذنت، فقلت: إني استأذنت ثلاثاً، فلم يؤذن، فقال: لو زدتَ لم نأذن لك»[2]، ومن الأدب في الدخول على المحدِّث أن يستأذن، ومن دخل دون استئذان أُمِر بالخروج، وإذا حضر جماعة من الطلبة باب المحدِّث، وأذن لهم في الدخول، فينبغي أن يقدِّموا أسنَّهم، ويُدخلوه أمامهم، فإنَّ ذلك هو السنة، فعن ابن عباس قال: إن النبي قال: (البركة مع أكابركم)[3]، وعن مالك بن مغول قال: «كنت أمشي مع طلحة بن مُصَرِّف، فصرنا إلى مضيق، فتقدمني، ثم قال لي: لو كنت أعلم أنك أكبر مني بيوم ما تقدَّمتك»[4].

وعن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه قال: «رأيت الحسن بن عمارة وأبي انتهيا إلى قنطرة، فقال له أبي: تقدم، فقال: أتقدم؟ تقدم أنت، فإنك أفقهنا، وأعلمنا، وأفضلنا»[5].

ومن آداب طالب العلم إذا دخل على الراوي فوجد عنده جماعة، فيجب أن يعمهم بالسلام، ويكره التسليم للخاصة دون العامة، فعن عبد الله بن عمرو «أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير، قال: (تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف)»[6].

---

(1) صحيح مسلم 3/1694، الموطأ 2/964.
(2) البخاري في الأدب المنفرد ص 370.
(3) مجمع الزوائد 8/15.
(4) كشف الخفا 2/137، الجامع ص 253.
(5) الجامع ص 254.
(6) البخاري في الأدب المنفرد ص 350، مسلم في كتاب الإيمان 1/65.

وعن سيار أبي الحكم عن طارق، قال: «كنا عند عبد الله جلوساً، فجاء آذنه قال: قد قامت الصلاة، فقام وقمنا معه، فدخلنا المسجد، فرأى الناس ركوعاً في مقدم المسجد، فكبر وركع ومشى، وفعلنا مثل ما فعل، فمر رجل، فقال: عليكم السلام يا أبا عبد الرحمن. فقال: صدق الله وبلَّغ رسوله، فلما صلينا رجع، فولج على أهله وجلسنا في مكاننا ننتظره حتى يخرج، فقال بعضنا لبعض: أيكم يسأله؟ قال طارق: أنا أسأله، فسأله، فقال: عن النبي ﷺ، قال: (بين يدي الساعة تسليم الخاصة)[1] . وعن ميمون بن مهران: أن رجلاً سلَّم على أبي بكر، فقال: السلام عليك يا خليفة رسول الله. قال من بين هؤلاء أجمعين؟»[2].

ويستحب لطالب العلم ألا يمشي على بساط المحدِّث إلا بعد نزع نعليه من قدميه، لما لا يؤمن أن يكون في النعلين من الأقذار، وذلك أيضاً من التواضع وحسن الأدب، فعن عقبة بن أبي حسناء اليمامي، قال: «رأيت أبا هريرة إذا دخل البيت وفيه بساط، لا يمشي على البساط وعليه نعل، يخلع نعليه، ثم يمشي على البساط»[3].

وعن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: (إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين، وإذا نزع فليبدأ بالشمال، ولتكن اليمنى أولها تُنعَلُ، وآخرها تنزع)[4].

وعلى طالب العلم أن يجلس حيث ينتهي به المجلس، ولا يتخطى الرقاب، فعن سماك عن جابر بن سمرة قال: «كنا إذا انتهينا إلى النبي ﷺ جلس أحدنا حيث ينتهي»[5]، وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: (من تخطى حلقة قوم بغير إذنهم فهو عاص)[6]. ويكره أن يقيم رجلاً ويجلس مكانه، فعن نافع عن عبد الله

(1) البخاري في الأدب المفرد ص 360 ـ 361.
(2) الجامع ص 257.
(3) الجامع ص 258.
(4) الموطأ لمالك 2/916، فتح الباري 12/429.
(5) البخاري في الأدب المفرد ص 390، سنن أبي داود 4/356.
(6) مجمع الزوائد 8/63.

عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لا يُقيمَنَّ أحدُكم الرجلَ من مجلسه ثم يجلس فيه)[1].

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يُقيمنَّ أحدكم أخاه من مجلسه يجلس في مكانه)[2]. وعن ابن عمر قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقام له رجل عن مجلسه، فذهب ليجلس فيه، فنهاه رسول الله ﷺ»[3].

ويكره الجلوس وسط الحلقة وفي صدرها، فعن قتادة قال: سمعت أبا مجلز لاحق بن حميد يقول: «إن رجلاً قعد وسط الحلقة، قال: فقال حذيفة: ملعون على لسان النبي ﷺ ـ أو قال: رسول الله لعن ـ الذي يجلس وسط الحلقة»[4].

وقال عبدالله بن المعتز: «لا تسرع إلى أرفع موضع في المجلس، فالموضع الذي تُرفع إليه خير من الموضع الذي تُحَطُّ عنه»، ونحوه قول الإمام الشعبي: «لأن أدعى من بُعدٍ إلى قربٍ، أحبُ إليَّ من أنْ أقصى من قُربٍ إلى بُعد»[5].

وعن سفيان بن عُيينة قال: «كان كعب عند عمر بن الخطاب، فتباعد في مجلسه، فأنكر عمر ذلك عليه، فقال كعبٌ: يا أمير المؤمنين، إنَّ في حكمة لقمان ووصيته لابنه: يا بُني، إذا جلست إلى ذي سلطان، فليكن بينك وبينه مقعد رجل، فلعله يأتيه من هو آثرُ منك، فتُنَحَّى عنه، فيكون ذلك نقصاً عليك»[6]، وعن عبد العزيز بن أبي روَّاد، قال: «كان يقال: من رأس التواضع الرِّضى بالدون من شرف المجلس»[7].

ويكره لطالب العلم أن يجلس بين اثنين بغير إذنهما، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: (لا يحلُّ لرجل أن يُفَرِّقَ بين اثنين إلا

---

(1) فتح الباري 13/302، تحفة الأحوذي 8/25.
(2) صحيح مسلم 4/1714.
(3) سنن أبي داود 4/357.
(4) سنن أبي داود 357، تحفة الأحوذي 8/28.
(5) العقد الفريد 2/238، الجامع ص 263.
(6) الجامع ص 263 ـ 264.
(7) الجامع ص 264.

بإذنهما) يعني: في المجلس.[1]، وقال أبو بكر: ومتى فسح له اثنان ليجلس بينهما، فعل ذلك، لأنها كرامة أكرماه بها، فلا ينبغي أن يردها». وعن مصعب بن شيبة قال: «قال رسول الله ﷺ: (إذا أخذ القوم مجالسهم، فإنْ دعا رجلٌ أخاه فأوسع في مجلسه فليأتِهِ، فإنما هي كرامةٌ أكرمه، فليجلس فيه)»[2]. وعن أبي محمد اليزيدي قال: «أتيت الخليل بن أحمد في حاجة فقال لي: ها هنا يا أبا محمد، فقلتُ أضيِّق عليك، قال: فقال لي: إن الدنيا بحذافيرها تضيق عن متباغضين، وإنَّ شبراً في شبر لا يضيق عن متحابين»[3]، وعن يحيى بن خالد البرمكي أنه قال: «لا يضيق شبر عن متحابَّين، ولا تتسع الدنيا لمتباغضين». وأنشد محمد بن معقل الأزدي الحمصي لنفسه[4]:

لم يضِقْ مجلسٌ بأهلِ وِدا ... دٍ قطُّ لكنَّه فسيحٌ رحيبُ
بَسَطَ الفضلُ بينهم من بساطِ الـ ... ـوُدِّ ما استجمعتْ عليه القلوبُ

ويجب على من فسح له اثنان، فجلس بينهما أن يجمع نفسه ولا يجلس متربعاً، فعن ابن الأعرابي قال: قال بعض الحكماء: «اثنان ظالمان: رجلٌ أهديت إليه النصيحة فاتخذها ذنباً، ورجلٌ وُسِّعَ له في مكان ضيِّق فقعد متربعاً»[5].

وكرهوا القعود في موضع من قام، وهو يريد العودة إلى المجلس، فعن نافع عن ابن عمر قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يتناجى اثنان دون الثالث إذا لم يكن معهم غيرهم، أو أن يخلف الرجلُ الرجلَ في مجلسه، وإذا رجع فهو أحقُّ به»[6]، وعن أبي هريرة قال: «قال رسول الله ﷺ: (إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع إليه

---

(1) البخاري في الأدب المفرد ص 390، سنن أبي داود 4/362.
(2) مجمع الزوائد 8/59، الجامع ص 265.
(3) الجامع ص 266.
(4) الجامع ص 267.
(5) الجامع ص 267.
(6) صحيح مسلم 4/1717 ـ 1718، سنن أبي داود 4/364. =

فهو أحق به))»[1].

ويستحب للطالب أن يسلم على أهل المجلس إذا أراد الانصراف قبلهم فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أتى أحدكم المجلس فليسلم، فإنْ قام والقومُ جلوس فليسلم، فإنَّ الأولى ليست بأحقَّ من الآخرة)[2]، وعن معاوية بن قرة قال: قال أبي: «إذا كنت في قوم، فذكروا الله، فبدت لك حاجة، فسلم عليهم إذا قمت، فإنك لا تزال لهم شريكاً ما داموا جلوساً»[3].

تعظيم المحدث وتبجيله:

وعلى طالب العلم أن يعظم المحدث ويبجله، فعن الزهري عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: (بجلوا المشايخ، فإنَّ تبجيل المشايخ من إجلال الله عزّ وجلّ)[4]، وعن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ من إجلالي توقير الشيخ من أمتي)[5]، وعن كعب الأحبار قال: «ثلاثة نجد في الكتاب يحقُّ علينا أن نكرمهم وأن نشرفهم، وأن نوسع عليهم في المجالس: ذو السن، وذو السلطان لسلطانه، وحامل الكتاب»[6].

وعن يحيى بن عبد الملك الموصلي قال: «رأيت مالك بن أنس غير مرة، وكان بأصحابه من الإعظام له، والتوقير له، وإذا رفع أحد صوته، صاحوا به، وكان إلى الآدمة ما هو»[7]، وعن محمد بن سليمان بن فارس قال: سمعت محمد ابن إسماعيل البخاري يقول: «ما رأيت أحداً أوقر للمحدثين من يحيى بن معين»[8].

---

(1) صحيح مسلم 4/1715، سنن أبي داود 4/364.
(2) البخاري في الأدب المفرد ص 349، مسند أحمد 2/230.
(3) البخاري في الأدب المفرد ص 349، مجمع الزوائد 8/35.
(4) ميزان الاعتدال 2/308 ـ 309، الجامع 1/270.
(5) ميزان الاعتدال 4/448..
(6) فيض القدير 2/529.
(7) الجامع 1/272.
(8) فتح المغيث 2/320.

ومن إجلالهم لرواة الحديث أنهم كانوا يسمون راوي الحديث عالماً تفريقاً لهم عن رواة الشعر، قال يوسف بن الماجشون: أخبرني محمد بن المنكدر قال: «ما كنا ندعو الراوية إلا راوية الشعر، وكنا نقول للذي يروي الحديث والحكمة: عالم»(1).

وكان طالب الحديث يضمر هيبة للمحدث، فعن سفيان عن مغيرة بن مقسم الضبي، قال: «كنا نهاب إبراهيم كما نهاب الأمير»(2)، وعن حماد بن زيد، عن أيوب قال: «كان الرجل يجلس إلى الحسن ثلاث سنين فلا يسأله عن شيء هيبة له»(3)، وعن عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي قال: «ما كان إنسان يجترىء على سعيد بن المسيب يسأله عن شيء حتى يستأذنه كما يستأذن الأمير»(4).

وقال ابن الخياط يمدح مالك بن أنس ويذكر علمه وهيبته ووقاره:(5)

يدعُ الجوابَ فلا يُراجَعُ هيبةً   والسائلون نواكِسُ الأذقانِ

نورُ الوقارِ وعزُّ سلطان التُّقى   فهو المهيبُ وليس ذا سلطانِ

وعن محمد بن يونس عن أبي عاصم قال: «كنا عند ابن عون وهو يُحَدِّث، فمر بنا إبراهيم بن عبد الله بن حسن في موكبه ـ وهو إذ ذاك يُدعى إماماً بعد قتل أخيه محمد ـ فما جسرَ أحدٌ أن يلتفت فينظر إليه فضلاً عن أن يقوم، هيبةً لابن عون»(6)، وحدث إسحاق الشهيدي قال: «كنت أرى يحيى القطان يصلي العصر، ثم يستند إلى أصل منارة مسجده فيقف بين يديه علي بن المديني، والشاذكوني، وعمرو بن علي، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وغيرهم، يسألونه عن الحديث وهم قيام على أرجلهم إلى أن تحين صلاة المغرب، لا يقول لواحد

---

(1) الرامهرمزي في المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ف 34، فتح المغيث 2/321.
(2) فتح المغيث 2/325.
(3) فتح المغيث 2/320.
(4) الجامع 1/275.
(5) روي البيتان مع خلاف يسير لسعيد بن وهب في الإمام مالك، المحدث الفاصل ف 155.
(6) فتح المغيث 2/320.

منهم: اجلس، ولا يجلسون هيبةً وإعظاماً»[1].

ويجوز القيام للمحدث إعظاماً له وتبجيلاً، مقتدين بسنة رسول الله ﷺ حين دعا أصحابه للقيام إلى سعد بن معاذ، فعن سعد بن إبراهيم قال، سمعت أبا أمامة ابن منهل بن حنيف يحدث عن أبي سعيد الخدري: «أن بني قريظة لما نزلوا على حكم سعد بن معاذ، أرسل إليه رسول الله، فجاء على حمار، فلما دنا من المسجد، قال رسول الله ﷺ: (قوموا إلىٰ سيدكم ـ أو إلى خيركم ـ)[2]، وعن محمد بن أبي الأزهر الأنصاري قال: سمعت أبا هاشم الرفاعي يقول: قام وكيع لسفيان فأنكر عليه قيامه إليه، فقال: «أتنكر عليَّ قيامي إليك وأنت حدثتني: عن عمرو بن دينار عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ (إنَّ من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم)، قال: فأخذ سفيان بيده، فأقعده إلى جانبه»[3]، وكان رسول الله ﷺ لا يحب أن يقوم له أحد حتى لا يتشبهوا بالأعاجم، ولذلك كان القيام جائزاً وليس ملزماً، فعن حماد بن سلمة عن يونس عن الحسن عن أنس قال: «ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، فكانوا لا يقومون إليه، لما يعلمونه من كرهه لذلك»[4]، وفي رواية أبي أمامة قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئاً على عصا، فقمنا إليه فقال: (لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضاً)»[5]، قال أحمد: وقال أبو نصر بشر بن الحارث ـ وقد ذكرت هذا الحديث بين يديه ـ فقال: إنما كُره القيام على طريق الكبر، فأما على طريق المودة فلا، فقد قام النبي ﷺ إلى عكرمة بن أبي جهل، وألقى ثوبه لظئرة، وقال: (قوموا إلى سيدكم)، وقال رسول الله ﷺ: (من أحب أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار) فكل من (أحب أن تقوم له فلا تقم، وكل من قمت إليه لك فيه تفَرُّج)[6].

---

(1) فتح المغيث 2/320.
(2) فتح الباري 8/415، 13/288، صحيح مسلم 3/1389.
(3) أبو داود 4/361.
(4) تحفة الأحوذي 8/29.
(5) سنن أبي داود 4/484 ـ 485.
(6) فتح الباري 8/415، صحيح مسلم 3/1389، الجامع 1/280 ـ 281.

وحدث عمر بن داود العُماني قال: حضرت باب أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب في يوم من أيامه، وقد حضر بابه وجوهُ البلد وقضاتُه، ونحن ننتظر خروجه، فلما بصرنا به قمنا، فأنكر أبو العباس قيامَنا، فلما جلس أنشدنا:

فلمـــا بصـــرنـــا بـــه مقبـــلاً حللنا الحُبَى وابتدرنا القياما

فـــلا تُنْكِـــرَنَّ قيـــامـــي لـــهُ فـإنَّ الكـريـم يُجِـلُ الكِـرامـا

ومن إجلال العلماء الأخذ بركاب المحدث، فعن الشعبي قال: «أمسك ابن عباس بركاب زيد بن ثابت، فقال: أتمسك لي وأنت ابن عم رسول الله؟ قال: إنَّا هكذا نصنع بالعلماء»[1].

ولمجلس الحديث مكانة رفيعة فيه هيبة ووقار، لا يأتي أحد بحركة أو يتشاغل بشيء غير السماع للمحدث، وكان مجلس رسول الله ﷺ قدوة لطلاب العلم، فعن أبي سعيد الخدري، قال: «كنا جلوساً في المسجد إذ خرج رسول الله ﷺ، فجلس إلينا، فكأن على رؤوسنا الطير، لا يتكلم أحد منا»[2]، وعن أسامة بن شريك، قال: «أتيت النبي ﷺ وأصحابهُ كأنما على رؤوسهم الطير»[3]، وكان المحدث إن أنكر من جلسائه شيئاً تركهم، فعن أحمد بن سنان القطان قال: «كان عبد الرحمن بن مهدي لا يُتَحَدَّث في مجلسه، ولا يُبرى فيه قلم، ولا يتبسَّمُ أحدٌ، فإن تحدث أو برى قلماً صاح ولبس نعليه ودخل. وكذا كان يفعل ابن نمير، وكان من أشد الناس في هذا. وكان وكيع أيضاً في مجلسه كأنهم في صلاة، فإنْ أنكر من أمرهم شيئاً انتعل ودخل، وكان ابن نُمير يغضب ويصيح، وكان إذا رأى مَنْ يبري قلماً تغيَّرَ وجهُهُ»[4] ، وعن عبد الرحمن بن عمر قال: «ضحك رجل في مجلس عبد الرحمن بن مهدي، فقال: مَنْ ضحك؟ فأشاروا إلى الرجل. فقال: تطلب

---

(1) جامع العلم وفضله 1/128، الإصابة 1/43.
(2) فتح الباري 6/389، سنن ابن ماجة 1/494.
(3) سنن أبي داود 4/6، مجمع الزوائد 8/24.
(4) الجامع 1/291 ـ 292.

العلم وأنت تضحك؟! لا حدثتكم شهراً»[1].

آداب السماع

لقد أفاض العلماء في بيان آداب السماع وما ينبغي لطالب العلم من اتباعه في سماع المحدث في المجلس، وأول ما يلزم لطالب عند السماع أن يصمت ويصغي إلى استماع ما يرويه المحدث، فعن عبيدة بن حسان، عن الضحاك بن مزاحم، قال: «أول باب من العلم: الصمت، والثاني: استماعه، والثالث: العمل به، والرابع: نشره وتعليمه»[2]، وعن محمد بن النصر الحارثي، قال: كان يقال: (أول العلم الإنصات له، ثم الاستماع له، ثم حفظه، ثم العمل به، ثم بثه)[3].

وعن أنس قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من أخلاق المؤمن: حسن الحديث إذا حدَّث، وحسن الاستماع إذا حُدِّث، وحسن البشر إذا لقي، ووفاء الوعد إذا وعد)»[4]. وعن خراش بن عبد الله قال: حدثني مولاي أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: (من المروءة أن يُنصتَ الأخ لأخيه إذا حدَّثه)[5]، وقال الأصمعي: «سمعت أعرابياً يقول: لا ينتفع الرجل بالقول ـ وإن كان بليغاً ـ مع سوء الاستماع»[6].

وإذا حُدِّث المرء بحديث رسول الله ﷺ فلا يجوز أن يرفع صوته، فعن سليمان بن حرب قال: سمعت حماد بن زيد يقول في قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾[7]، قال: «أرى رفع الصوت عليه بعد موته

(1) الجامع 1/292.
(2) جامع بيان العلم وفضله 1/138.
(3) جامع بيان العلم وفضله 1/122.
(4) تقريب التهذيب 2/203، الجامع ص 294.
(5) الجامع 1/294.
(6) الجامع 1/294.
(7) الحجرات 2.

كرفع الصوت عليه في حياته، إذا قُرِىء حديث وجب عليك أن تنصت له كما تنصت للقرآن»[1].

وإن لم يبلغه صوت الراوي لبعده عنه سأله أن يرفع صوته سؤالاً لطيفاً لا سمجاً ولا عنيفاً، وليتَّقِ إعادة الاستفهام لما قد فهمه، وسؤال التكرار لما قد سمعه وعلمه، فإنَّ ذلك يؤدي إلى إضجار الشيوخ، قال أبو عمر الحوضي: «رأيت شعبة بن الحجاج أقام عفان من مجلسه مراراً من كثرة ما يكرر»[2]. وكان المحدثون يضيقون من كثرة السؤال وطلب الإعادة ورفع الصوت، وخاصة لمن يكرر ذلك، ولذلك يقول وكيع: «من فهم ثم استفهم، فإنما يقول: اعرفوني، إني أجيد أخذ الحديث»، وعن أبي عبد الرحمن قال: «سمعت وكيعاً يقول: من استفهم وهو يفهم فهو طرف من الرياء»[3].

وإعادة الحديث تثقل على المحدث، قيل للزهري: أعد الحديث، قال: «نقل الصخر أهون من تكرير الحديث»[4].

وينبغي أن يكون مقعد الطالب من المحدث بمنزلة الصبي من المعلم، روى المبرد عن حمدان الأصفهاني قال: «كنت عند شريك، فأتاه بعض ولد المهدي، فاستند إلى الحائط وسأله عن حديث، فلم يلتفت إليه، فأعاد عليه، فلم يلتفت إليه. فقال: كأنك تستخف بأولاد الخلافة؟ قال: لا، ولكن العلم أزين عند أهله من أن يضيعوه. قال: فجثا على ركبتيه، ثم سأله، فقال شريك: هكذا يطلب العلم»[5].

والتواضع للشيخ أمر مطلوب ومحمود، حتى لو كان المتعلم بمنزلة الشيخ علماً وفضلاً، فعن إدريس بن عبد الكريم قال، قال لي سلمة بن عاصم: «أريد أن أسمع كتاب العدد من خلف، قال: فليجىء، فلما دخل رفَّعه لأن يجلس في

---

(1) تفسير ابن كثير 4/207، المحدث الفاصل ف 817 و818.
(2) الجامع 1/296، وأخرج الرامهرمزي نحوه في المحدث الفاصل ف. 82.
(3) الجامع 1/297.
(4) جامع بيان العلم وفضله 1/140.
(5) الجامع 1/298 ـ 299.

الصدر، فأبى، وقال: لا أجلس إلا بين يديك، وقال: هذا حقُّ التعليم فقال له خلف: جاءني أحمد بن حنبل يسمع حديث أبي عوانة، فاجتهدتُ أن أرفعه، فأبى، وقال: لا أجلس إلا بين يديك، أمِرْنا أن نتواضع لمن نتعلم منه»، ويشير في هذا إلى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (تعلموا العلم، وتعلموا له السكينة والوقار، وتوضعوا لمن تتعلمون منه، ولا تكونوا جبابرة العلماء)[1]. وقال عبدالله بن المعتز: «المتواضع في طلاب العلم أكثرهم علماً، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء»[2].

ومما يستطرف من أخبار الثقلاء المتعلمين ما رواه أبو العباس المروزي، قال: «كنا يوماً عند أبي خيثمة زهير بن حرب، فجاءه فتى أحولُ مجدورٌ، فجلس ومدَّ رجليه بحضرة أبي خيثمة، وجعل يتأوه، فقال له أبو خيثمة: يا بُني! أنت ثقيل، فما شأنك؟ قال: فغضب وقام، فركب ومضى إلى أبيه، وبلغني أنه شكاه، فقال له أبوه: «يا بُني! أنت ثقيل كما قال، وقد علمتُ ذلك، ولكن أحببتُ أن يكون بغضك بإسناد»[3].

ويجب على الطالب أن يُقبِل على المحدِّث بوجهه، ولا يلتفت عنه، ولا يُسارُّ أحداً في مجلسه، ولا يحكي عن غيره خلاف روايته، فعن الزبير بن بكار عن محمد بن سلام الجمحي قال، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «من حق العالم عليك أن تسلم على القوم عامة، وتخصه دونهم بالتحية، وأن تجلس أمامه، ولا تشيرنَّ عنده بيدك، ولا تغمزنّ بعينيك، ولا تقولن: قال فلان: خلافاً لقوله، ولا تغتابنَّ عنده أحداً، ولا تسارَّ في مجلسه، ولا تأخذ ثوبه، ولا تلحَّ عليه إذا كسل، ولا تعرض من طول صحبته؛ فإنما هو بمنزلة النخلة، تنتظر متى يسقط عليك منها شيء، وإنَّ المؤمن العالم لأعظمُ أجراً من الصائم القائم، الغازي في سبيل الله، وإذا مات العالم انثلمت في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء إلى يوم

---

(1) جامع بيان العلم وفضله 1/125، الجامع 1/299.

(2) الجامع 1/300.

(3) الجامع 1/300.

القيامة»[1].

ويُكره للطالب إذا كان في حلقة أن يلتفت إلى حلقة أخرى، فعن سفيان بن عيينة قال، قال مسعر: «كنت في حلقة، فجعلت ألتفت إلى حلقة أخرى، فقال لي رجل منهم: ما فاتك من العلم أكثر»[2].

وليحذر الطالب أن يعترض على حديث رسول الله ﷺ عند سماعه من المحدث برأيه، فإن ذلك محظورٌ عليه، فعن أبي السوَّار العدوي، عن عمران بن حُصَين، قال: قال رسول الله ﷺ: (الحياء خيرٌ كلُّه)، فقال رجل عند عمران: إن من الحياء ضعفاً، أو قال: عجزاً. فقال: أحدثك عن الله ﷺ وتقول كذا؟! لقد هممتُ أن أحلف بالله أن لا أكلمك أبداً[3].

وكذلك يجب أن لا يعترض عليه بعموم القرآن، لجواز أن يكون ذلك الحديث مما خُصَّ به كتاب الله عز وجل، فعن يعلى بن حكيم: أن سعيد بن جبير حدَّث حديثاً عن رسول الله ﷺ، فقال رجل من أهل مكة: إن الله يقول في كتابه كذا وكذا فغضب غضباً شديداً، وقال: ألا أراك تعارض كتاب الله بحديث رسول الله ﷺ، ورسول الله أعلم بكتاب الله منك»[4].

قال: وإذا روى المحدث خبراً قد تقدمت معرفته، فينبغي له أن لا يُداخله في روايته، ليريه أنه يعرف ذلك الحديث، فإن من فعل مثل هذا كان منسوباً إلى سوء الأدب، قال معاذ بن سعيد: «كنا عند عطاء بن أبي رباح، فتحدث رجل بحديث، فاعترض له آخر في حديثه، فقال عطاء: سبحان الله! ما هذه الأخلاق؟! ما هذه الأحلام؟! إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم منه، فأريهم من نفسي إني لا

(1) الجامع 1/300ـ301، وأخرجه ابن عبد البر مختصراً في: جامع بيان العلم وفضله 1/129.
(2) الجامع 1/301.
(3) الحديث في صحيح مسلم ١/٦٤، سنن أبي داود ٤/٣٤٩ كتاب الأدب، باب الحياء، والخبر في الجامع ص 302.
(4) الجامع 1/302، وجامع بيان العلم وفضله 2/191.

أحسن منه شيئاً»[1]، وعن بعض أصحاب عطاء، عن عطاء قال: «إن الشاب ليتحدث بالحديث، فأستمع له كأني لم أسمع، ولقد سمعته قبل أن يولد»[2]، وعن العلاء بن جرير قال، قال خالد بن صفوان: «إذا رأيت محدِّثاً يحدِّث حديثاً قد سمعتَهُ، أو يُخبِرُ خبراً قد علمتَهُ، فلا تشاركه فيه حرصاً على أن تُعْلِمَ من حضرك أنك قد علمته، فإنَّ ذلك حطَّةٌ وسوء أدب»[3].

وكان بعض الحكماء يقول: إن من الأدب أن لا يشارك الرجل غيره في حديثه، وإن كان أعلم به منه، وأنشد:

ولا تشاركْ في الحديث أهلَهُ وإنْ عَرَفْتَ فرعَهُ وأصلَهُ

وروى مهدي بن إبراهيم القرشي قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: «كنا إذا رأينا الشابَ يتكلم مع المشايخ في المسجد أيسنا من كل خير عنده»[4].

أدب السؤال:

مذاهب المحدثين في الرواية تختلف، فمنهم من يتبدىء بها احتساباً من غير أن يُسأل، ومنهم من لا يحدث حتى يُسأل، وإذا كان المحدث ممن يمتنع بالرواية فينبغي على الطالب أن يلاطفه في المسألة، ويرفق به، ويديم الدعاء له، فعن الزهري عن أبي سلمة قال: «لو رفقت بابن عباس لاستخرجتُ منه علماً كثيراً، وقال سفيان مرة: علماً جماً»[5]، ونقل عن الأصمعي أنه كان ينشد في الرفق في السؤال:[6].

لم أرَ مثلَ الرفق في أمرِهِ أخرجَ للعذراءِ من خِدرها
من يستعِنْ بالرفقِ في أمرِهِ قد يُخْرِجُ الحيَّةَ من جُحرِها

(1) الجامع 1/303.
(2) ميزان الاعتدال 3/70.
(3) جامع بيان العلم وفضله 1/130.
(4) الجامع 1/305.
(5) جامع بيان العلم 1/129.
(6) الجامع 1/318.

وكان عمرو بن قيس الملائي إذا بلغه الحديث عن الرجل، فأراد أن يسمعه، أتاه حتى جلس بين يديه، ويخفض جناحه، ويقول: «علِّمني رحمك الله مما علَّمك الله»(1)، وليس التملق في طلب العلم عيباً، ولا المنافسة فيه، فعن جعفر بن محمد الصادق عن آبائه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «ليس من أخلاق المؤمن التملق ولا الحسد إلا في طلب العلم»(2).

وعلى الطالب أن يتجنب سؤال المحدث إذا كان مشغولاً أو مهموماً أو تعباً، فعن ابن عباس قال: «إنْ كنت لآتي الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فإذا رأيته نائماً لم أوقظه، وإذا رأيته مغموماً لم أسأله، وإذا رأيته مشغولاً لم أسأله»(3)، ولا ينبغي للطالب أن يسأل شيخه وهو يمشي فإن في ذلك استهانة بالعلم، سأل رجل ابن المبارك وهو يمشي، فقال: «ليس هذا من توقير العلم، قال بسر: فاستحسنته جداً»(4).

وعلى الطالب أن يتلطف في السؤال ويتودد، فعن ميمون بن مهران قال: «التودد إلى الناس نصف العقل، وحسن المسألة نصف الفقه»(5)، وعلى الطالب أن يكون واضحاً بسؤاله، لا يخلط ولا يجمجم، فعن أنس بن مالك قال: جاء ابن عجلان إلى زيد بن أسلم، فسأله عن شيء، فخلط عليه، فقال له زيد: «اذهب فتعلم كيف تسأل، ثم تعالَ فسلْ»(6)، ويكره للطالب أنْ يضجر شيخه بكثرة الأسئلة وأن يأخذ منه العفو، فعن روَّاد قال: «سألت مالكاً عن أربعة أحاديث، فلما سألته عن الخامس قال: يا هذا! ما هذا بإنصاف»(7).

---

(1) المحدث الفاصل ف 88.
(2) جامع بيان العلم وفضله 1/16، الجامع الصغير 2/137، والمراد بالحسد هنا الغبطة.
(3) تذكرة الحفاظ 1/38، جامع بيان العلم وفضله 1/111، 128 ـ 129.
(4) الجامع 1/324.
(5) مجمع الزوائد 1/160
(6) الجامع 1/325.
(7) الجامع 1/327.

ومن آداب الطلب أن لا يلح الطالب في السؤال حين يرى المحدث يهم بالقيام أو كان قد تعب، فعن قرة بن خالد قال: سأل رجل محمد بن سيرين عن حديث، وقد أراد أن يقوم، فقال[1]:

إنّـك إنْ كلَّفتنـي مـا لـم أطِـقْ ساءكَ ما سرَّكَ مني من خُلُقْ

المذاكرة:

وعلى طلبة العلم أن يذاكروا الأحاديث بعد حفظها لتثبت في أذهانهم، حدث يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك، قال: «كنا نكون عند النبي ﷺ فنسمع منه الحديث، فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه»[2]، فالعلم إذا ترك دون مذاكرة واستعادة ينسى ويدرس، ولذلك يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «تزاوروا، وتدارسوا الحديث، ولا تتركوه يدرس»[3]، ومثله عن ابن عباس قال: «إذا سمعتم مني حديثاً فتذاكروه بينكم»[4].

وعن أبي سعيد الخدري قال: «تحدثوا وتذاكروا، فإن الحديث يذكِّرُ بعضه بعضاً»[5]، وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه قال: «إحياء الحديث مذاكرته، فتذاكروا، فقال له عبد الله بن الهاد: رحمك الله، كم من حديث أحييته في صدري قد كان مات»[6].

إفادة الطلبة بعضهم بعضاً:

ويحسن بالطالب أن يفيد من رفاقه فيتثبت مما عرف صاحبه ويتوثق مما لديه، وقد يكون فاته شيْ أو اعتاص عليه فهم فكرة فيفيد من صاحبه ويفيده، روى عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (يا معشر إخواني، تناصحوا

(1) فتح المغيث 2/321..
(2) مجمع الزوائد 1/166.
(3) جامع بيان العلم وفضله 1/101، المحدث الفاصل ف 721.
(4) المحدث الفاصل ف 728.
(5) المحدث الفاصل ف ٧٢٢، جامع بيان العلم وفضله 1/101، 111.
(6) المحدث الفاصل ف 727، جامع بيان العلم وفضله 1/101، 102.

في العلم، ولا يكتم بعضكم بعضاً، فإن خيانة الرجل في علمه أشدُّ من خيانته في ماله) زاد إسحاق: (والله سائلكم عنه)[1]، وعن زيد بن أبي الزرقاء قال: حدثنا سفيان الثوري ونحن شباب على بابه، فقال: «يا معشر الشباب، تعجلوا تركة هذا العلم، فإنكم لا تدرون لعلكم لا تبلغون ما تؤملون منه، فليُفِدْ بعضُكم بعضاً»[2]، وقال عبد الله بن المبارك: «إن أول منفعة الحديث أن يُفيدَ بعضُكم بعضاً»[3].

من فاته الدرس:

ومن فاته الدرس لعلة ما أن يستدرك ذلك ويأخذ عن أصحابه وينقل من خير ما يكتبون، وقد يكون الطالب حاضراً ولكنه لا يفيد مما يسمع ولا يكتب ما يسمع، ومما جاء في ذلك قول سليمان بن موسى، قال: «يجلس إلى العالم ثلاثة: رجلٌ يكتب كل ما يسمع، ورجل لا يكتب ويسمع، فذلك يقال له جليس العالم، ورجل ينتقي، وهو خيرهم»[4]، وعن سليمان بن موسى قال: «يجالس العلماء ثلاثة: رجل يسمع ولا يكتب ولا يحفظ، فذاك لا شيء، ورجل يكتب كل شيء سمعه، فذاك الحاطب، ورجل يسمع العلم فيتخيره ويكتبه، فذاك العالم»[5].

الاجتهاد في طلب العلم:

وعلى الطالب أن يجتهد ويواظب ويجد في طلب العلم، ولا ييأس إذا ما أصابته عقبة أو فاته شيء من العلم، فالدأب والاجتهاد والعزيمة تيسر الصعب وتقرب البعيد، قال أبو الفرج بن هندو:[6].

لا يُؤْيِسَنَّكَ من مَجْدٍ تباعدهُ ... فإنَّ للمجد تدريجاً وترتيبا

---

(1) مجمع الزوائد 1/141، فتح المغيث 2/323.
(2) حلية الأولياء 6/370.
(3) حلية الأولياء 8/166، فتح المغيث 2/323.
(4) جامع بيان العلم وفضله 1/75.
(5) جامع بيان العلم وفضله 1/75، الجامع 2/219.
(6) يتيمة الدهر 3/397.

إنَّ القناةَ التي شاهدتَ رِفْعَتَها تسمـو فتَنْبُتُ أنْبـوباً فـأنبـوبـا

وقال جعفر الخلدي، سمعت الجنيد يقول: «ما طلب أحد شيئاً بجد وصدق إلا ناله، فإنْ لم ينلْهُ كلَّهُ نال بعضهُ»[1]، قال الحافظ البغدادي: فينبغي للطالب أن يخلص في الطلب نيته، ويجدد للصبر عليه عزيمته، فإذا فعل ذلك كان جديراً أن ينال منه بغيته. وعن الفضل بن سعيد بن سالم قال: «كان رجل يطلب العلم، فلا يقدر عليه، فعزم على تركه، فمرَّ بماء ينحدر من رأس جبل على صخرة قد أثَّرَ الماءُ فيها، فيقال: الماء على لطافته قد أثر في صخرة على كثافتها، والله لأطلبَنَّ العلمَ، فطلب فأدرك»[2].

وطلب العلم يدرك بالرفق والدوام كما يبذل بالمجهود، يقول عبد الله بن المعتز: «إنْ لم تُدْرَكِ الحاجةُ بالرفق والدوام، فبأي شيء تُدْرَكُ؟»[3]. وقال الجنيد بن محمد: «بابَ كل علم نفيس جليل مفتاحه بذل المجهود»[4].

وقال أبو يعلى الموصلي[5]:

اصبر على مضض الإدلاجِ بالسَّحَرِ وبالرواحِ على الحاجاتِ والبُكُرِ
لا تعجِـزَنَّ ولا يُضْجِـرْكَ مَطْلَبُهـا فالنُّجْحُ يتْلَفُ بين العَجْزِ والضَّجَرِ
إنـي رأيـتُ وفـي الأيـام تجـربـةٌ للصبـر عـاقبـةً محمـودةَ الأثَـرِ
وقَـلَّ مَـنْ جَـد فـي أمـرٍ يُطـالِبُـهُ واستصحَبَ الصَّبْرَ إلا فاز بالظَّفَرِ

وبعد، فهذه جملة نافعة ونفيسة من الآداب التي يحسن التخلق بها والتزامها لطالب العلم، وقد اقتطفنا بعض أزاهيرها من كتاب الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، وهو كتاب نفيس يحسن بطلاب العلم والعلماء أن

---

(1) حلية الأولياء 10/269، الجامع 2/62.
(2) الجامع 2/262.
(3) زهر الآداب 2/295.
(4) حلية الأولياء 10/263.
(5) الجامع 2/263 ـ 264.

يلتزموا بآدابه وأصول أخذ العلم. ومعرفة صلة المتعلم بالعالم، والوقوف على كرامة العلم والعلماء. وهذه هي التربية الإسلامية التي أخطأها علماء التربية المحدثون الذين راحوا يتمسكون ويتمسحون بما تلقوه من مبادىء التربية عند الأعاجم من الأوربين والأمريكان الذين فصلوا تربيتهم على شعوبهم وبيئاتهم التي لا تلتقي مع أصول التربية الإسلامية التي عمادها كتاب الله سبحانه وسنة رسول الله ﷺ. وقد وضحها وشرحها ومهدها العلماء المسلمون الثقات.

الفصل الثالث

مجالس اللغة والأدب



مجالس اللغة والأدب

لقد عنى أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي المتوفى سنة 340 هـ بهذا الضرب من المجالس في كتابه: مجالس العلماء[1] ونقتطف منه بعضاً من هذه المجالس التي تصور آراء العلماء في قضايا اللغة والنحو والأدب.

1 ـ مجلس عيسى بن عمر الثقفي مع أبي عمرو بن العلاء:

حدثني أبو عبد الله الحسن بن علي قال: حدثني أبو عبد الله اليزيدي عن عمه عن جده أبي محمد. وقال أبو جعفر محمد بن حَبيب: ذكر أبو محمد اليزيدي قال: «جاء عيسى بن عمر إلى أبي عمرو بن العلاء ونحن عنده، فقال: أيا أبا عمرو، ما شيءٌ بلغني أنك تجيزه»؟ قال: وما هو؟ قال: بلغني أن تجيز: «ليس الطِّيب إلا المسكُ» بالرفع. قال: فقال له أبو عمرو: نمتَ يا أبا عُمَرَ وأدلجَ الناسُ، ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب، ولا في الأرض تميمي إلا وهو يرفع.

قال اليزيدي: ثم قال لي أبو عمرو: تعال أنت يا يحيى، وتعال أنت يا خلفُ ـ لخلف الأحمر ـ اذهبا إلى أبي المهدي[2]، فلقناه الرفع فإنه لا يرفع، واذهبا إلى المنتجع التميمي ولقناه النصب فإنه لا ينصب.

قال: فذهبت أنا وخلفٌ وأتينا أبا المهدي، فإذا هو يصلي وكان به عارض، وإذا هو يقول في الصلاة: إخسأْنانٍّ عني! قال: ثم قضى صلاته وانفتل إلينا فقال: ما خطبكما؟ قلنا: جئنا نسألك عن شيء من كلام العرب. فقال: هاتيا، فقلت له:

---

(1) تحقيق عبد السلام هارون ط الكويت 1984.

(2) هو أحد الأعراب الذين روى عنهم البصريون، ذكره ابن النديم في الفهرست، وأخباره في العقد الفريد 3/488 ـ 489.

كيف تقول: ليس الطيبُ إلا المسكُ؟ فقال: أتأمراني بالكذب على كَبْرة سنِّي فأين الجادي[1]. قال ابن حبيب: وحكى ابن الأعرابي: فأينَ بنَّة الإبل[2] الصادرة، وأين كذا وأين كذا، قال اليزيدي: فقال له خلف: ليس الشرابُ إلا العسلُ. قال: فما يصنع سودان هَجَر، ما لهم شرابٌ إلا هذا التمر.

قال اليزيدي: فلما رأيت ذلك منه قلت له: ليس مِلاكُ الأمر إلا طاعةُ الله والعملُ بها. قال: فقال: هذا كلام لا دَخَل فيه[3]. ليس مِلاك الأمر إلا طاعةَ الله والعملَ به. فنصب.

قال اليزيدي: فقلت له: ليس مِلاكُ الأمر إلا طاعةُ الله والعملُ بها. ورفعتُ. فقال: لا ليس هذا من لحني ولا من لحن قومي. قال: فكتبنا ما سمعنا منه. قال: فقال: ألا أنشدكما أبياتاً قلتها حين سمعتُ تراطُنَ هذه الأعاجم حولي؟ قلنا: بلى، فأنشدنا:

يقولون لي شَنْبِذْ ولستُ مُشنبِذاً ... طَوالَ الليالي أو يزولَ ثَبِيرُ[4]
ولا قائلاً زوذا لأعجلَ صاحبي ... وبِستان في صدري عليَّ كبيرُ[5]
ولا تاركاً لحني لأحسن لحنكم ... ولو دار صَرفُ الدهر حيث يدورُ

قال: فكتبنا هذه الأبياتَ ثم أتينا المنتجع، فأتينا رجلاً يعقل، فقال له خلف: ليس الطيبُ إلا المسكَ، فرفع، ولقَّنّاه وجهدنا به في ذلك، فلم ينصب وأبى إلا الرفع.

قال محمد بن سَلاَّم الجُمَحيّ: كان أبو مهدي هذا، وهو من باهلة، يضرب حنكَيه يميناً وشمالاً ويقول: إخسأنانٍّ عني، فسألناه عن ذلك فقال: جِنَّانٌ تذْأمني،

---

(1) الجادي: الزعفران.
(2) بنة الإبل: رائحتها.
(3) الدخل: العيب والريبة.
(4) في المعرب: شنبذ: يريدون شون بوذي.
(5) في المعرب: وزوذ: أعجل. وبِستان: خذ.

أي تركبني[1].

2 ـ مجلس أبي عمرو مع أبي خَيْرة:

حدثني أبو الحسن علي بن سليمان قال: حدثني أبو العباس أحمد بن يحيى قال: حدثني الرياشي قال: حدثني الأصمعي قال: قال أبو عمرو بن العلاء لأبي خيرة[2]: كيف تقول: حفرتُ إرَاتِك؟ فقال: حفرتُ إراتَكَ، قال: كيف تقول: استأصل الله عِرقاتِهم أو عِرقاتَهم؟ فقال: استأصل الله عرقاتَهم. فلم يعرفها أبو عمرو، وقال: لانَ جلدُكَ يا أبا خيرة. يقول: أخطأتَ. قال أبو العباس. وهي لغة لم تبلغ أبا عمرو.

يقال: وأرتُ إرةً أئرها وأراً، إذا حفرتَ حفيرةً تطبخُ فيها. وإراتٌ: جمع إرَة. وقال أبو عثمان: كان أبو عمرو يرده ويراهُ لحناً.

قال المازني: واختلفوا فيها فقال بعضهم: عِرقاتِهم، وقال بعضهم: عِرقاتَهم فأما من قال عِرقاتِهم فإنه يجعله جمع عِرق، ومن نصبه جعله بمنزلة سِعلاة وعَلْقاة[3]. وأما لغاتُهم وما أشبهه فلا يجوز فيه إلا الكسر، لأنه تاء جمع، وأنشدنا الأصمعي للهذلي[4]:

كـــأنَّ ظبـــاتهـــا عُفُـــرٌ بعيـــجُ

فهذه جمع ظُبَةٍ، وكذلك ثُباتٌ.

والأصل في لغة لُغَوَة، فلما تحركت الواو وانفتح ما قبلها قُلِبت ألفاً. وهو اسمٌ حُذفت لامه[5].

---

(1) في اللسان: الذأم: الطرد والعيب. مجالس العلماء 1 ـ 4.

(2) ذكره ابن النديم في الفهرست ص 68 وقال: اسمه نهشل بن زيد، أعرابي بدوي من بني عدي، دخل الحيرة، وله من الكتب كتاب الحشرات.

(3) العلقاة: واحدة العلقى، وهو شجر تدوم خضرته في القيظ، وله أفنان طوال دقاق.

(4) هو عمرو بن الداخل، ديوان الهذليين 3/ 103، وصدر البيت: وبيض كالسلاجم مرهفات.

(5) مجالس العلماء ص 5 ـ 6

3 ـ مجلس سيبويه مع الكسائي وأصحابه بحضرة الرشيد:

حدثني أبو الحسن قال: حدثني أبو العباس أحمد بن يحيى وأبو العباس محمد بن يزيد وغيرهما قال أحمد: حدثني سلمة قال: قال الفراء: قدم سيبويه على البرامكة، فعزم يحيى على الجمع بينه وبين الكسائي، فجعل لذلك يوماً، فلما حضر تقدمتُ والأحمر فدخلنا، فإذا تمثال في صدر المجلس، فقعد عليه يحيى، وقعد إلى جانب التمثال جعفرٌ والفضل ومن حضر بحضورهم، وحضر سيبويه فأقبل عليه الأحمر فسأله عن مسألة أجاب فيها سيبويه، فقال له: أخطأت. ثم سأله ثانية فأجابه فيها، فقال له: أخطأت. ثم سأله عن ثالثة فأجابه فيها فقال له: أخطأت. فقال له سيبويه: هذا سوء أدب!.

قال: فأقبلت عليه فقلت: إن في هذا الرجل حَدّاً وعجلة، ولكن ما تقول فيمن قال: هؤلاء أبون، ومررت بأبين، كيف تقول مثال ذلك من وأيت أو أويت. قال: فقدَّر فأخطأ. فقلت: أعِد النظرَ، ثلاث مرات، يجيب ولا يصيب، قال: فلما كثر ذلك قال: لست أكلمكما أو يحضر صاحبكما حتى أناظِرَهُ. قال فحضر الكسائي فأقبل على سيبويه فقال: تسألني أو أسألك؟ فقال: لا بل سلني أنت. فأقبل عليه الكسائي فقال له: ما تقول أو كيف تقول: قد كنت أظن أنَّ العقرب أشدُّ لسعةً من الزُّنبور، فإذا هو هي، أو فإذا هو إياها؟ فقال سيبويه: فإذا هو هي. ولا يجوز النصب. فقال له الكسائي: لحنت. ثم سأله عن مسائل من هذا النوع: خرجت فإذا عبد الله القائمُ أو القائمَ؟ فقال سيبويه: في كل ذلك بالرفع دون النصب. فقال الكسائي: ليس هذا كلام العرب، العرب ترفع في ذلك كله وتنصب. فدفع سيبويه قولَه، فقال يحيى بن خالد: قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما فمن ذا يحكم بينكم؟ فقال الكسائي: هذه العرب ببابك قد جمعتَهم من كل أوب، ووفدت عليك من كل صُقْع، وهم فصحاء الناس، وقد قَنِع بهم أهلُ المِصرين، وسمع أهل الكوفة وأهل البصرة منهم، فيحضرون ويُسألون. فقال يحيى وجعفر: لقد أنصفتَ، وأمر بإحضارهم، فدخلوا وفيهم أبو فَقْعَس، وأبو زياد، وأبو الجراح، وأبو ثَرْوان، فسئلوا عن المسائل التي جرت بين الكسائي وسيبويه،

فتابعوا الكسائي وقالوا بقوله. قال: فأقبل يحيى على سيبويه فقال له: قد تسمع أيها الرجل. قال فاستكان سيبويه، وأقبل الكسائي على يحيى فقال: أصلح الله الوزير، إنه قد وفد عليك من بلده مؤملاً، فإنْ رأيت ألا ترده خائباً. فأمر له بعشرة آلاف درهم، فخرج وصيَّرَ وجهه إلى فارس، فأقام هناك حتى مات ولم يعدُ إلى البصرة.

قال أبو العباس: إنما أدخل العماد في قوله فإذا هو إياها، لأن (فإذا) مفاجأة، أي فوجدته ورأيته، ووجدت ورأيت تنصب شيئين، ويكون معه خبر، فلذلك نصبت العرب[1].

4 ـ مجلس الأصمعي مع المفضل عند عيسى بن جعفر:

حدثني أبو الحسن علي بن سليمان قال: حدثني أحمد بن يحيى ومحمد بن يزيد قالا: حدث الرياشي عن الأصمعي قال: ناظرني المفضَّل عند عيسى بن جعفر، فأنشد بيت أوس بن حجر[2]:

وذاتُ هِـدْمٍ عـار نـواشـرُهـا تُصْمِـتُ بـالمـاءِ تـولبـاً جَـذَعـا

فقلت له: هذا تصحيف، ولا يوصف التولب بالإجذاع، وإنما هو (جَدِعا) الجدع: السيء الغذاء، قال: فجعل المفضل يشغب، فقلت له: تكلَّم كلامَ النمل وأصِبْ، لو نفختَ في شَبُّور يهودي[3] ما نفعك شيئاً.

وحدثني أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم قال: حدثني أبي عبدُ الله قال: بلغني عن الجاحظ أن المفضل أنشد جعفر بن سليمان بيت أوس بن حجر، فأنشده (جذَعا) بالذال مفتوحة، والأصمعي حاضر، فقال الأصمعي: إنما هو: (تولَباً جدِعاً) بالدال مكسورة غير معجمة. وأنشد لأبي زبيد[4]:

---

(1) مجالس العلماء ص 8 ـ 10.

(2) ديوان أوس بن حجر ص 13.

(3) الشبور: البوق الذي ينفخ فيه.

(4) البيت بتمامه في التصحيف والتحريف للعسكري ص 104:

ثـم استفـاهـا فلـم يقطـع فطـامهمـا عـن التصبـب لا غيـل ولا جـدع

لا غَيْـــــلٌ ولا جَـــــدِعُ

وأنشد لآخر[1]:

بلا جَدِعِ النباتِ ولا جديبِ

فضجَّ المفضل ورفع صوته وهو يصيح، فقال له الأصمعي: لو نفخت!

وفسر أبو محمد البيت فقال: النواشر: عصب الذراع، واحدها ناشرة، وبها سمي الرجل، والتولب: يريد طفلها، وأصله ولد الحمار الصغير فاستعاره، والجَدِع: السيِّء الغذاء المقطوع عنه الري. تُصْمِته بالماء، يقول: ليس لها لبن من الضرِّ وشدة الزمان، فهي تعلله بالماء.

وحدثني به أحمد بن ما بَنْداذ، حدثني أحمد بن يحيى ثعلب[2].

5 ـ مجلس الأصمعي مع ابن الأعرابي عند سعيد بن سلم:

حدثني أبو جعفر أحمد بن عبد الله، قال: حدثني أبي قال: أخبرني بعض أصحابنا أن السبب في طعن ابن الاعرابي على الأصمعي وقَدْحِه فيه، أن الأصمعي دخل يوماً على سعيد بن سَلْم، وابن الأعرابي يؤدب حينئذ ولده، فقال لبعضهم: أنشِدْ أبا سعيد، فأنشد الغلامُ لرجل من بني كلاب شعراً روَّاه إياه ابن الأعرابي، وهو[3]:

رأت نِضوَ أسفارٍ أميمةُ قاعداً على نِضوِ أسفارٍ فجُنَّ جنونُها

فقالت من أي الناس أنتَ ومن تكن فإنكَ راعي صِرمةٍ لا تزينها

فقلت لها: ليس الشحوبُ من الفتى بعارٍ ولا خيرُ الرجال سمينُها

عليك براعي ثَلّةٍ مسلحبّةٍ يروحُ عليها مَحْضُها وحقينُها

سمينُ الضواحي لم تُؤرِّقْه ليلةٌ وأنعَمَ أبكارُ الهموم وعُونُها

---

(1) البيت لجبيهاء الأشجعي كما في التصحيف والتحريف ص 104 وصدره:
وأرسل مهملاً جذعاً وحقاً

(2) مجالس العلماء ص 14 ـ 15.

(3) الأبيات في الحيوان 3/35.

ورفع (ليلة)، فقال له الأصمعي: من روَّاكَ هذا؟ فقال: مؤدِّبي، فأحضره واستنشده البيت، فأنشده ورفع ليلة فأخذ ذلك عليه، وفسَّر البيت، فقال: إنما أراد لم تؤرقه ليلةً أبكارُ الهموم. وعونها: جمع عَوان. وأنعمَ، أي زاد على هذه الصفة. وقوله: (سمين الضواحي)، يريد ما ظهر فيه وبدا سمينٌ. ثم قال لابن سَلم: من لم يُحسن هذا فليس موضعاً لتأديب ولدك. فنحَّاه.

وأنشدني هذه الأبيات أبو الحسن[1] قال: أنشدني ثعلب عن ابن الأعرابي[2].

6 ـ مجلس الكسائي مع يونس بن حبيب:

حدثني أبو الحسن علي بن سليمان قال: حدثني أبو العباس محمد بن يزيد قال: قال محمد بن سلام الجمحي: قدم الكسائي البصرة مع الرشيد، فجلس إلى يونس في حلقته، فألقى عليه بعض من حضر في المجلس بيت الفرزدق[3]:

غـداةَ أحلَّـتْ لابـن أصـرمَ طعنـةٌ   حُصَينٍ عبيطاتِ السدائفِ والخمرُ

فأنشده هكذا، فقيل للكسائي: على أي شيء رفعت؟ فقال: أضمرت فعلاً، كأنه وحلت لي الخمر. فقال يونس: ما أحسنَ والله ما وجَّهتَهُ، غير أني سمعت الفرزدق ينشده:

غداةَ أحلَّتْ لابن أصرمَ ضربةً   حصينٍ عبيطاتُ السدائفِ والخمرُ

جعل الفاعل مفعولاً، كما قال الحطيئة[4]:

فلما خَشِيت الهُونَ والعَير ممسكٌ   على رغمه ما أمسك الحبلَ حافِرُهْ

والقصيدة على الرفع، جعل الفاعلَ مفعولاً. فقال الكسائي: هذا على هذا وجه[5].

---

(1) هو ابو الحسن علي بن سليمان الأخفش الأصغر، قرأ على ثعلب والمبرد واليزيدي، وتوفي سنة 315 هـ بغية الوعاة ص 338.

(2) مجالس العلماء ص 16 ـ 17

(3) ديوان الفرزدق ص 217.

(4) ديوان الحطيئة ص 10، وفيه: ما أثبت الحبل.

(5) مجالس العلماء ص 21 ـ 22.

7 ـ مجلس العتَّابي كلثوم بن عمرو مع منصور النمري:

قال أحمد بن الحارث الخزَّاز: أنشد العتَّابيُّ كلثومُ بن عمرو:

يـا ليلـةً لـي بحُـوَّاريـنَ سـاهـرةً   حتى تكلَّم في الصبحِ العصافيرُ

فقال له منصور النمري: العصافير تتكلَّم؟ فقال العتابي: نعم تتكلم وتنطق، ويقال ذلك لما أعرب عن نفسه بحال تُرى فيه فيقال: أخبرت الدار بكذا، وتكلمت بكذا فكيف ما له نُطقٌ. أما سمعتَ قولَ كثيِّر:

سوى ذكرةٍ منها إذا الركبُ عرَّسوا   وهبَّتْ عصافيرُ الصريمِ النواطقُ

وقول الكميت:

كـالنـاطقـات الصـادقـا   ت الـواسقـات مـن الـذخـائـرْ

وقال: فسكت منصور منقطعاً[1].

8 ـ مجلس الأصمعي مع عباس بن الأحنف:

قال الأصمعي: بعث إليَّ محمد بن هارون، فدخلت عليه وفي يده كتاب يديم النظر فيه ويتعجب منه، فقال لي: يا عبد الملك، أما تعجب من هذا الشاب وما يجيء به؟ فقلت: من هو؟ فقال: عباس بن الأحنف. ثم رمى إليَّ الكتاب، فإذا فيه شعرٌ قاله عباس، وهو:

إذا مـا شئـتَ أن تصنـ   ـعَ شيئاً يعجبُ النـاسـا

فصـوِّر هـاهنـا فـوزاً   وصـوِّرْ ثَـمَّ عبـاسـا

ودع بينهمـا شبـراً   وإنْ زدتَ فـلا بـاسـا

فـإنْ لـم يـدنـوَا حتـى   تـرى رأسيهمـا راسـا

فكـذِّبْهـا بمـا قـاسـتْ   وكـذِّبْـه بمـا قـاسـى

قال الأصمعي: وكان بيني وبين عباس شيء، فقلت: مُسْتَرَقٌ يا أمير المؤمنين.

---

(1) مجالس العلماء ص 23.

قال: ممن؟ قلت: من العرب والعجم. قال لي: ما كان من العرب؟ قلت: رجل يقال له (عُمَر) هَويَ جاريةً يقال لها (قمر) فقال:

إذا مـــا شئـــتَ أن تصنـــعَ شيئـاً يُعجِـبُ البشَــرا
فصـــوِّر هـــا هنـــا عُمَـــرًا وصـــوِّر هـــا هنـــا قَمَـــرا
فـــإنْ لـــم يـــدنـــوَا حتَّـــى تـــرى بشَـــريهمـــا بَشَـــرا
فكَـــذِّبهـــا بمـــا ذكـــرت وكـــذِّبـــه بمـــا ذكـــرا

قال: فما كان من العجم؟ قلت: رجل يقال له (فَلْقا) هويَ جاريةً يقال لها (رَوق) فقال:

إذا شئـــــتَ أن تصـــعَ شيئـاً يعجـبُ الخَلْقـا
فصَـــوِّر هـــا هنـــا رَوقـــاً وصـــوِّر هـــا هنـــا فَلْقـــا
فـــإنْ لـــم يـــدنـــوَا حتـــى تـــرى خلقيهمـــا خَلْقـــا
فكـــذِّبْهـــا بمـــا لاقـــتْ وكـــذِّبـــهُ بمـــا يلقـــى

فبينا نحن كذلك إذ جاء الحاجب فقال: عباس بالباب، فقال: ائذن له فدخل فقال: يا عباس، تسرق معاني الشعر وتدعيه! فقال: ما سبقني أحد. فقال محمد: هذا الأصمعي يحكيه عن العرب والعجم. ثم قال: يا غلام، و ادفع الجائزة إلى الأصمعي. فلما خرجنا قال لي العباس: كذَّبتني وأبطلتَ جائزتي، فقلت: أتذكر يوم كذا، ثم أنشأتُ أقول:

إذا وترتَ أمرأً فاحذرْ عدواتَه من يزرع الشوكَ لا يحصدْ به عنباً[1]

9 ـ مجلس حمَّاد الراوية مع مروان بن أبي حفصة:

حدثني أبو بكر قال: حدثني أبو العباس أحمد بن يحيى قال حدثنا علي بن المغيرة الأثرم قال: حدثني مروان بن أبي حفصة، قال: دخلت أنا وعِدادٌ من الشعراء على الوليد، وإذا رجل غائبٌ في الفراش، وكنا عدَّةً من الشعراء: طُريح،

(1) مجالس العلماء ص 24 ـ 26

وأشجع، وغيرهما، قال: فكلٌّ من أنشد التفت إلى الخليفة فقال: سرق ذا من كذا وذا من كذا، حتى يأتي على شعره، فقلت لبعض من أقول: من هذا؟ قال: حماد الراوية. فلما وقفت على أمير المؤمنين قلت: يا أمير المؤمنين، ما لهذا والكلام، وهو لحّانة! قال: فتهانف[1] الشيخ وقال: يا ابن أخي إني أجالس السُّوَق فلساني على لسانهم، وأنا أعلمُ الناس بالشعر، فهل تروي من أشعار العرب شيئاً؟ فذهب عليَّ الشعر إلا شعر ابن مقبل، فقال: أنشدني، فلما أنشدته:

سـلِ الدارَ من جنبَيْ حِبِرٍّ فواهبٍ إلى ما رأى هضب القليب المضيَّحُ[2]

فذهبتُ أمُرُّ، فقال لي: مكانك، أين تذهب، ما يقول؟ قال: فلم أدرِ. قال: فقال لي: يقال رأى الموضعُ الموضعَ، إذا قابله. أنشدْ فلا بأسْ عليك. ثم لم أَلقَهُ إلى زمان المسَوِّدة[3]، فبينا أنا في بعض الطرق، فإذا إنسان من خلفي يغمزني بسوطه، فالتفتُ فإذا حمادٌ، فقلت: لا إله إلا الله، أبعد تلك الحال. قال: نعم ذهب ويحَكَ ما كنتَ تعهد، ذاك زمانٌ وهذا زمان.

قال: وكانت قد جاءت الدولة العباسية[4].

10 ـ مجلس الأصمعي مع أبي توبة ميمون بن حفص:

قال أبو العباس أحمد بن يحيى: كان أبو توبة ميمون بن حفص مؤدِّباً لعمرو بن سعيد بن سَلْم، فقدم الأصمعي البصرة، فنزل على سعيد بن سَلْم، فحضر يوماً وأخذ يسأله، فدعا سعيدٌ بأبي توبة، فجعل أبو توبة إذا مرَّ شيء من الغريب بادر إليه، فيأتي بكل ما في الباب أو أكثره، فشقَّ ذلك على الأصمعي، فَعَدل إلى المعاني فسأل أبا توبة عنها، فقال له سعيد: لا تتبَعْه يا أبا توبة في هذا الفن، فإن هذه صناعته. فقال: وما عليَّ، إذا سألني عما أحسنه أجبته، وما لم أحسن

(1) التهانف: الضحك في سخرية.
(2) حبر، وواهب، والمضيح: أمكنة متقاربة في ديار بني سليم.
(3) يعني العباسيين الذين جعلوا شعارهم السواد.
(4) مجالس العلماء ص 27 ـ 28.

تعلّمْته. فلم يزل الأصمعي يسأله وأبو توبة يجيبه، حتى سأله عن هذا البيت:

واحــدةٌ أعضلكــم أمــرُهــا فكيــف لــو درت علــى أربــعِ

قال: ونهض الأصمعي فدار على أربع لِيُلْبِسَ على أبي توبة، فأجابه أبو توبة بجواب يشاكل ما وهَّمهُ، فضحك الأصمعي من جوابه فقال له سعيد: ألم أقل لك يا أبا توبة؟

قال: ومعنى البيت أنه تزوج امرأة واحدة، فقال: قد شقَّ عليك أن تزوجتَ واحدة، فكيف لو تزوجتَ أربعاً[1].

11 ـ مجلس علي بن حمزة الكسائي مع المفضل بحضرة الرشيد:

قال أبو العباس أحمد بن يحيى: رُوى عن أبي عمرو الشيباني أنه قال: أخبرنا المفضل قال: جاءني رسول الرشيد يوم خميس بَكَراً فقال لي: أجبْ. فدخلت عليه ومحمد عن يمينه، والمأمون عن يساره، والكسائي بين يديه باركاً، وهو يطارح محمداً والمأمون معاني القرآن، فسلّمتُ فردَّ وقال: اجلسْ، فجلست فقال لي: كم اسمٍ في سيكفيكهم الله؟ قلت: ثلاثة أسماء يا أمير المؤمنين، أولها اسم الله تبارك وتعالى لا إله إلا هو، والثاني اسم النبي ﷺ، والثالث اسم الكَفَرة، فالياء والكاف المتصلتان بالسين لله عز وجل، والياء والكاف المتصلتان بالهاء للنبي ﷺ، والهاء والميم للكفرة، فقال: كذا أخبرنا الشيخ. وأشار بيده إلى الكسائي، والتفت إلى محمد، فقال له: أفهمت؟ فقال: قد فهمت يا أمير المؤمنين. قال: فاردد ذلك عليَّ، فرده فقال: أحسنت، ثم رمى ببصره إليَّ فقال: من يقول:

نُفَلِّـقُ هـامـاً لـم تنلـه سيـوفُنـا بأسيافنا هامَ الملوكِ القَماقِمِ

فقلت: الفرزدق يا أمير المؤمنين. قال: فما أراد بذلك؟ ثم قال: لا، ولكن نفلق هاماً لم تنله سيوفنا فيما زعم. قلت: هذا لفظ مدغم يستتر فيه صواب معناه على التقديم والتأخير، وذلك أنه قال: نفلِّق بأسيافنا هام الملوك القماقم، ثم رجع

(1) مجالس العلماء ص 33 ـ 34.

فقال: هاماً لم تنله سيوفنا، على التنبيه والتعجب. قال: صدقت، عندك مسألة. قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: قال الفرزدق:

أخـذنـا بـآفـاق السمـاء عليكـم   لنـا قمـراهـا والنجـومُ الطـوالـعُ

قال: قد أفدنا هذا متقدماً من هذا الشيخ علي بن حمزة. القمران: الشمس والقمر، كما قالوا في العمرين يريدون أبا بكر وعمر. قلت: أزيدُ يا أمير المؤمنين في السؤال؟ قال: زدْ، قلت: فلمَ استحقوا هذا بعد؟ ولم قالوا ذلك. قال: لأن من شأن العرب إذا اجتمع شيئان من جنس واحد فكان أحدهما أشهر، سُمَّيَ الآخر باسمه، ولما كان القمر أشهر عند العرب وأكثر في أوقات المشاهد، وتدركه ليلاً ونهاراً سمّوا الشمس باسمه، وهي القصة في تسميتها أبا بكر عمر، إذا كانت خلافة عمر أكثر وأشهر في الإسلام للفتوح وطول المدة. قلت: بقي مع هذا زيادة يا أمير المؤمنين، قال: لا أعرفها، ثم التفت إلى الكسائي فقال: أتعرف في هذا أكثر من الذي سمعت؟ قال: لا يا أمير المؤمنين هذا الذي هو معروف المعنى عند العرب. قال المفضل: فأمسك عني قليلاً كالمستعمل فيه الفكرة، ثم نظر إليَّ وقال: أعندك فيه زيادة؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، وهي فضيلة المعنى والغاية التي جرى إليها، ولولا ذلك ما كان بأولى بالشمس والقمر والنجوم من غيره، ولا يفتخر فيه بما حظُّ غيره كحظِّه، الشمس ها هنا إبراهيم الخليل عليه السلام، والقمر النبي ﷺ والنجوم أنت يا أمير المؤمنين، آباؤك من الخلفاء المهديين، فتهلَّل سروراً ثم قال: أغربتَ على الرجل محسناً، ثم رفع رأسه فقال: يا فضلُ. قال: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: تحمل إلى منزله الساعة عشرة آلاف درهم، وائذن لمن حضر الباب من الشعراء. ثم وُضع لي كرسيٌ وللكسائي كرسي، وأشار إلينا فجلس كل واحد منا على كرسيه. فدخل الفضلُ وخلفه العُماني ومنصورٌ النَّمري، فسلما فرد، ثم قال للفضل: أدنِ الشيخَ مني، فأخذ بيد العماني فقدَّمه إلى الموضع الذي كنت فيه جالساً، ثم قال له: تكلم بشرف أمير المؤمنين. فأنشده:

قـل لـلإمـام المقتـدى بـأمِّـهِ   مـا قـاسـمٌ دونَ مـدى ابـنِ أمِّـهِ
فقـــد رضينـــاه فقـــم فسمِّـــه

فضحك الرشيد وقال: وما ترضى أن أسميَهُ وأيَّ عهد وأنا جالسٌ حتى تنهضني قائماً؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنه قيام عزم، ولو قام بذلك أمير المؤمنين متخطياً قام بشرفٍ يكون من شرفٍ يسود به هذان ـ وأشار إلى محمد وعبد الله ـ بمكان الأنف من الحاجبين. قال: صدقت، أفعل ما ذكرتَ، يا غلامُ القاسمَ. وهدر العُماني حتى أتى على آخر الأرجوزة. ودخل القاسم فسلم، فأشار إليه فجلس إلى جانب عبد الله، ثم التفت إليه فقال: جائزة هذا الشيخ اليوم عليك. قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فأنجزها له إذن فقد وعى[1] إليَّ العهد. قال: حُكمُ أمير المؤمنين. قال: بل حكمك، ما أنا والدخول في هذا؟ وأشار إلى النمري، فدنا فأسمعه حتى إذا بلغ:

ما كدتُ أوفي شبابي كُنْهَ غِرَّته   حتى انقضى فإذا الدنيا له تبعُ

قال: صدقتَ والله وأصبت، لا خير في دنيا لا يُخطرَ فيها برداء الشباب. ثم أمسك حتى أتى على باقي الشعر.

واستؤذِنَ لسعيد بن سلم فقال: يدخل. فسلَّم فردَّ عليه وأشار إليه بالجلوس، فقال: يا أمير المؤمنين، غلام أعرابي من باهلة وفد على أمير المؤمنين سيدي بمديح ما سمعت لشاعر مثله. فقال: إنك قد استنبحت هذين الشيخين فهيىء لهما أحجارك. فقال: هما يهباني لك يا أمير المؤمنين، والتفت إلى الفضل فقال: يدخل الشاعر. فدخل أعرابي في جبة خَزٍّ ورداء يمانٍ أسود قد شدَّه في وسطه، ثم ردّ طرفه إلى منكبيه، وعليه عمامة خَزٍّ، فلما نظر إليه الرشيد تبسم، ثم أدنيَ فسلَّم فردَّ عليه، فقال له سعيد: تكلم بشرف أمير المؤمنين، فأسمعه شعراً حسناً، واستوى الرشيد جالساً، ثم قال له: أسمعك مستحسناً، وأنكرِك متَّهِماً، فإن كنت صاحب هذا الشعر فقل في هذين بيتين، وأشار إلى عبد الله ومحمد وهما حِفافاه. فقال: يا أمير المؤمنين، حملتني على غير الجَدَد، روعةُ الخلافة وبُهر البديهة، ونفور القول في الروية إلا بفكر يتألف لي نفرانَها، فليمهلني أمير المؤمنين قليلاً.

---

(1) وعى: الحفظ، والجمع، والولاية.

فقال: أمهلك وأجعل لك حسن اعتذارك بدلاً في امتحانك. قال: يا أمير المؤمنين، نفَّست الخِناقَ، وسهلتَ ميدان السباق، ثم قال:

بنيـــتَ بعبــد الله بعــد محمــد ذُرى قُبَّة الإسلام فاخضرَّ عودُها

همــا طُنُبـاهـا بـارك الله فيهمـا وأنت أمير المؤمنين عمودُها

فقال: أحسنتَ بارك الله فيك، فلا تكن مسألتك دون إحسانك. فقال: الهُنَيدة[1] يا أمير المؤمنين. فأمر لها بها، وخلع عليه ثلاث خلع[2].

12 ـ مجلس الكسائي مع الأصمعي عند الرشيد:

حدثني أبو طاهر: قال: حدثني أحمد بن يحيى قال: اجتمع الكسائي والأصمعي عند الرشيد، وكانا معه يقيمان بمُقامه ويظعنان بظعنه. قال: فأنشد الكسائى يوماً لأفنون التغلبي:

لو أنني كنت من عاد ومن إرمٍ غذيَّ سَخْلٍ ولقماناً وذا جَدَنِ

لمـا وقَـوْا بـأخيهـم مـن يُهَـوِّلـه أخا السَّكونِ ولا جاروا عن السَّنَنِ

أنَّى جَزَوْا عامراً سُوأى بفعلهمُ أم كيف يجزونني السُّوأى من الحسن

أم كيف ينفعُ ما تُعطي العَلوقُ به رئمانَ أنفٍ إذا ما ضُنَّ باللبنِ

فقال الأصمعي: ريمانُ أنف. فأقبل عليه الكسائي فقال له: اسكتْ ما أنتَ وهذا، يجوز ريمانَ وريمانُ وريمانِ، ولم يكن الأصمعي صاحب عربية.

قال أبو العباس: إذا رفع رفع بينفع أم كيف ينفع رئمانُ أنفٍ. وإذا نصب نصب بتُعطى. وإذا خفض ردَّه على الهاء التي في به. والهاء مكنيٌّ ولا يرد الظاهر على المكني، وجاز ردّه هنا لتقدم ذكره اللَّبن، لأن العلوق قد تقدمت، وقد عُلِم أنَّ لها لبناً، فصار المكني كالظاهر، وبه كناية عن اللبن. قال: والمعنى وما ينفعني إذا وعدتني بلسانك ثم لم تصدقه بفعلك. يقال ذلك للذي يبرُّ ولا يكون معه نفع،

(1) الهنيدة: مائة من الإبل.

(2) مجالس العلماء ص 35 ـ 41.

كهذه الناقة التي تشم بأنفها ثم تمنع درَّتها. والعلوق: التي تَعَلَّق قلبُها بولدها، وذلك أنه نُحِر عنها ثم حُشي جلده تبناً أو حشيشاً، وجُعِل بين يديها حتى تشمه وتدرَّ عليه، فهي تسكن إليه مرة ثم تنفر عنه ثانية، تشمه بأنفها ثم تأباه بقلبها. فيقول: فما ينفع من هذا البوِّ إذا ما تشمَّمَتْه ثم منعت درَّتها[1].

13 ـ مجلس الأثرم علي بن المغيرة مع يعقوب:

قال أبو العباس أحمد بن يحيى: كنا عند الأثرم صاحب الأصمعي وهو يملُّ شعر الراعي، فلما وضع الشيخ الكتابَ من يده واستتمَّ المجلسُ، قال يعقوب: لا بد من أن أسأله عن أبيات الراعي، قلت له: لا تفعل، فلعله لا يحضره جوابٌ فتكون قد هجَّنته على رؤوس الملأ، فقال: لا بد من ذلك، ثم وثب فقال: ما تقول في بيت الراعي[2]:

وأَفَضْـنَ بعـد كظـومهـنَّ بجِـرةٍ   من ذي الأبارقِ إذْ رعَيْنَ حَقيلا

قال: فتلجلجَ الشيخ وتنحنح ولم يُجِبْ بشيء. فقال له: فما تقول في بيته:

كـدخـان مُـرتجِـلٍ بـأعلـى تلعـةٍ   غَـرْثـانَ ضـرَّم عـرفجـاً مبلـولا

قال: فعاد الشيخ إلى تلك الصورة، ورأينا في وجهه الكراهة والإنكار.

ومرَّ شيء من الأمثال فقال الأثرم: (مثقل استعان بدفَّيه)، فقال يعقوب: هذا تصحيف، إنما هو (بذَقَنه). فقال الأثرم: إنه يريد الرياسة بسرعة. ودخل بيته.

ومعنى المثل أن البعير إذا حُمِل عليه فأثقله الحمل مدَّ عنقه واعتمد على ذقنه، فلا يكون له في ذلك راحة، فيقال للرجل إذا تكلف أمراً أو ينزل به أمر يغلظ عليه فيضعف فيه، فيستعين عليه بمن هو أضعف منه وأعجز[3].

---

(1) مجالس العلماء ص 32 ـ 43.
(2) ديوان الراعي ص 224 من قصيدة.
(3) مجالس العلماء ص 48 ـ 49.

14 ـ مجلس أبي حاتم مع التوَّزي عند الأخفش:

حدثني أبو جعفر أحمد بن عبد الله[1] قال: حدثني أبي، عبدُ الله بن مسلم قال: حدثنا أبو حاتم سهل بن محمد قال:

كنت عند أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، وعنده التَّوَّزي، فقال لي: يا أبا حاتم، ما صنعت في كتاب المذكر والمؤنث؟ قلت: قد عملت في ذلك شيئاً قال: فما تقول في الفردوس؟ قلت: مذكر. قال: فإن الله يقول: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. قال: قلت: ذهب إلى الجنة فأنث، فقال لي التوَّزي: يا غافل، أما تسمع الناس يقولون: أسألك الفردوس الأعلى. فقلت له: يا نائم، الأعلى ها هنا أفعل وليس بفَعْلى[2].

15 ـ مجلس ثعلب مع الرياشي:

قال أبو عمر محمد بن أحمد بن إسحاق القُطربُّليّ: قال أبو العباس أحمد بن يحيى:

كنت أصير إلى الرياشي لأسمع ما كان يرويه، وكانت قطعته شُهداً، فقال يوماً كيف تروي هذا البيت، بازلُ عامين، أو بازلَ عامين. يعني في قول الشاعر[3]:

ما تنقمُ الحربُ العَوانُ منِّي   بازلُ عامين حديثٌ سني

لمثل هذا ولدتني أمي

فقلت له: تقول لي هذا في العربية، إنما أصير إليك لهذه المقطعات والخرافات. يروى (بازلُ عامين) و(بازلَ عامين) و(بازلِ عامين). فأمسك.

الرفع على الاستئناف، والخفض على الإتباع، والنصب على الحال[4].

---

(1) هو أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة.

(2) مجالس العلماء ص 50.

(3) الشاعر هو أبو جهل بن هشام كما في اللسان: نقم، عون، بزل.

(4) مجالس العلماء ص 58.

16 ـ مجلس أحمد بن عبيد مع جماعة من أهل العلم:

حدثني أبو علي قال: حدثني أبو محمد القاسم بن محمد الأنباري، قال: لما أراد المتوكل أن يأمر باتخاذ المؤدبين للمنتصر والمعتز، جعل ذلك إلى إيتاخَ، فأمر إيتاخُ كاتبه أن يتولى ذلك، فبعث إلى الطُّوال والأحمر وابن قادم وأحمد بن عبيد بن ناصح وغيرهم من الأدباء، فأحضرهم مجلسه، فجاء أحمد بن عبيد فقعد في آخر الناس، فقال له من قرُب منه: لو ارتفعت؟ فقال: حيث انتهى بي المجلس. فلما اجتمعوا قال لهم الكاتب: لو تذاكرتم وقفنا على موضعكم من العلم فاخترنا، فألقوا بيتاً لابن غلفاء[1]:

ذريني إنما خطئي وصَوبي ... عليَّ إنَّ ما أنفقتُ مالُ

فقالوا: ارتفع (مالُ) بما، إذ كانت في موضع الذي، ثم سكتوا فقال لهم أحمد بن عبيد ـ من آخر الناس ـ: هذا الإعراب، فما المعنى؟ فأحجم القوم، فقيل له: فما المعنى عندك؟ قال: أراد ما لومكِ إياي، وإنما أنفقت مالاً ولم أنفق عِرضاً، فالمال لا يلامُ على إنفاقه.

فجاء خادم من صدر المجلس فأخذ بيده حتى تخطَّى به إلى أعلى موضع وقال له: ليس هذا موضعك. فقال: لأنْ أكون في مجلس أرفَع منه إلى فوقه أحبُّ إليَّ من أن أكون في مجلس أحَطُّ عنه. ثم اختير وآخرُ معه.

ومثل هذا قصة الفراء: قال أبو العباس: قال الفراء: ذُكِرتُ للقعود مع المعتصم حيث نشأ، ولزمتُ نحواً من شهرين، فلما عُزم على ذلك، جاء رجلٌ يقال له أبو إياد، فطلب القعود معه، فسئل لينظر ما مقداره في العربية، فقيل له: كيف تقول يا زيد أقبل؟ فقال: يا زيدُ أقبل. قيل: فما هذه الضمة؟ فقال: الواو التي في قوله وأقبلْ. فارتُضي وأقعد مع المعتصم فاستغنى، وأزِلتُ أنا.

---

(1) هو أوس بن غلفاء.

وكان يعجب بهذا ويتعجب منه ويقول: الدنيا لا تأتي على استحقاق[1].

17 ـ مجلس أبي عمرو مع مقاتل بن سليمان:

حدثني بعض أصحابنا قال: حدثني أبو جعفر بن رستم قال: حدثنا أبو حاتم قال: حدثنا أبو عبيدة مَعْمر بن المثنى، عن يونس قال:

كنت مع أبي عمرو بن العلاء عند بيت الله الحرام، فجاءنا مقاتل بن سليمان فجعل يسأل أبا عمرو عن تفسير القرآن، فأكثر ثم قال له: ما معنى قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾؟[2] فقال أبو عمرو: لا أدري. قال يونس: فقلت له: أضجرتَ الشيخَ من كثرة ما تسأل، أراد صفة الجنة التي وُعِد المتقون.

فقال مقاتل لأبي عمرو: هو كما قال. فقال: إن كان سمِع فخذْ عنه. فقال مقاتل: ما أفتيتني سمعتَ؟ فقال: لو لم أسمع من الثقات ما أفتيتك. أو كلام مثل نحوه[3].

18 ـ مجلس الأصمعي مع الكسائي:

قال أبو يعلى بن أبي زُرعة: حدثنا أبو عثمان المازني قال: حدثنا الأصمعي قال: قلت للكسائي: ﴿طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[4] ما هو من الفعل؟ قال: فيعل، ولكنه حذف كما قيل مَيْت وميِّت، وهَيْن وهَيِّن. قال أبو عثمان: وكان عند الكسائي أنه طيِّف، فحذف فقال طَيْف. قال أبو عثمان: وهذا اعتلالٌ نحوي، ولكن الاشتقاق يردُّه. قال الأصمعي: فقلت له: أخطأت، فقال: ما يدريك؟ فقلت: طاف يَطيف طيفاً، إذا ألمَّ، مثل باع يبيع بيعاً، ثم أنشدته فقلت: أنشدني ابن أبي طرفة الهذلي[5]:

---

(1) مجالس العلماء ص 61 ـ 62.

(2) الرعد 35 وسورة محمد 15.

(3) مجالس العلماء ص 65.

(4) الأعراف 201.

(5) البيت لأبي خراش الهذلي مطلع قصيدة في ديوان الهذليين 2/155، ودبية هذا كان سادناً لعزى غطفان ببطن نخلة. =

مــا لــدُبيَّــة منــذ اليــوم لــم أرهُ   وسط النديّ فلم يُلمم ولم يطِفِ

قال أبو عثمان: ففي هذا القول هو فَعْل مثل بَيْع[1].

19 ـ مجلس أبي مسحل عبد الوهاب بن حريش مع الأصمعي:

قال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب: حدثني أبو مِسْحَل قال:

كنت بعسكر الحسن بن سهل وأنا مع الحسن، فمر بنا الأصمعي ونحن نتذاكر التصريفَ، فقال: مَنْ هذا الذي يدخل في صناعتنا؟ فقلت له: ليس هذا من صناعتك. فقال لي: سحبان الله! فقلت له: كيف تقول في قوله[2]:

وصــــاليــــات ككمـــــا يُــــؤثْفَيْــــنْ

من أويت؟ قال: فمَرَّ، فنعيت عليه ما فعل عطاءُ المِلطُ بأبيه، وذلك أنه جمع جماعةً في نصف النهار ومضى بهم إلى بستان من بساتين البصرة فيه قُريب[3]، ويقولون إنه كان أهبان[4]: يحفظ النخل، فلما وقفوا عليه ضربه عطاءُ الملطُ برجله فانتبه وكان نائماً، فشتمه، وكان إلى جنبه معزىً ترعى، فقلت:

أثــار المِلـطُ أمــرَ أبيــك حتــى   أضــاء لكــل ذي بصــرٍ أضَــايــه

بــإشهــاد القســامــة إذ تــوافَــتْ   عليه القملُ تُقْصَعُ في الفِلايه

فقــال لــه عطــاءُ المِلـطُ هــذا   أبــو ذيَّــاكــم القَمِــل العبــايــه

فإنْ هو عنه حدَّثكم فقولوا   كذَبتَ وفُضَّ فوك على وشايه

ـ وشاية: فِعالة من وشى يشى، أي وَشَيْت ففُضَّ فوك ـ

أعــن راعٍ تُحَــدِّثُ أهــلَ علــم   على المِعزى يطوف بكلِّ ثايه

=

(1) مجالس العلماء ص 68.

(2) من أرجوزة لخطام المجاشعي في الخزانة 1/367.

(3) هو والد الأصمعي عبد الملك بن قريب.

(4) كلمة فارسية أي حافظ النخل.

ـ الثاية والزَّرْب الموضع الذي تكون فيه الغنم ـ

فـإنـك والـروايـة عـن قُـرَيـبٍ كخـارئـة تحـدِّث عـن خِـرايـه

قال أبو بكر: قال الفراء: إذ بنيتَ مثل أبوك من هوِيتُ قلت هايُك، وأصله هَوُيُك تعرب الكلمة من موضعين، من الواو ومن الياء، فالواو إذا كانت حرف الإعراب وما قبلها متحرك لا تلحقها الحركة، فأسكنتها وأبدلت منها ألفاً فقلت: هايُك وأعربت الياء لأن ما قبلها ساكن.

ومن أويت مثل أخوك آيُك.

وإن بنيت مثل أخوك من صُوَر، قلت: هذا صيرُك، تبدل من الواو ياء، كما أبدلتها من أدْلٍ وأحْقٍ، وتسكِّنها لأن ما قبلها متحرك.

وإنْ بنيتها من قُوىً قلت: هذا قِيُّك، ومررت بقيِّك، ورأيت قِيَّك[1].

20 ـ مجلس أبي عثمان المازني بكر بن محمد بن حبيب مع أبي سَرَّار الغنوي:

قال أبو يعلى: أخبرنا أبو عثمان المازني قال:

قرأتُ على أبي وأنا غلام: ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾[2] قال: فقال أبو سَرَّار وكان فصيحاً أخذ عنه أبو عبيدة فمن دونه ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَلِه﴾[3]، فقال أبي: [من خلاله] قراءةٌ. فقال: أما سمعتَ قول الشاعر:

بَنيــنَ بغمــرةٍ فخــرجــنَ منهــا خُروجَ الوَدْقِ من خَلَلِ السَّحابِ

قال أبو عثمان: خلل وخِلال واحدة، وهما مصدران[4].

21 ـ مجلس أبي عمرو بن العلاء مع عمرو بن عبيد:

حدثني القاضي قال: حدثني أبو أحمد البربري قال: حدثنا سوَّار بن عبد الله

(1) مجالس العلماء ص 72 ـ 74.
(2) النور 43، والروم 48.
(3) هذه قراءة الأعمش. اتحاف فضلاء البشر ص 325.
(4) مجالس العلماء ص 75.

قال: حدثنا عبد الملك بن قُريب قال:

جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء فقال: يا أبا عمرو، أيُخلِفُ اللهُ وعده؟ قال: لا، قال: أفرأيت مَنْ وعده الله على عمل عقاباً أيُخلِفُ وعده فيه؟ فقال أبو عمرو: من العُجمة أتِيتَ أبا عثمان، إنَّ الوعدَ غير الوعيدَ، إنَّ العرب لا تَعِدُ عاراً ولا خُلْفاً، والله جل وعز إذا وعد وفى، وإذا أوعد ثُمّ لم يفعل كان ذلك كرماً وتفضلاً، وإنما الخُلْف أن تعد خيراً ثم لا تفعله. قال: فأوجِدْني هذا في كلام العرب. قال: نعم، أما سمعت قولَ الأول[1]:

ولا يرهبُ ابنُ العم ما عشتُ صولتي ... ولا أختتي من صولة المتهددِ

وإني وإنْ أوعدتُه أو وعدتُه ... لمخلفُ إيعادي ومُنْجِزُ موعدي

وتُكُلِّمَ في هذه الآية ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ﴾[2]، فقيل: كيف خرج القول من الفريقين بلفظ واحد، وهو وعد ووعيد؟ فقال: لأنَّ العرب تقول وعدته خيراً ووعدته شراً، فإذا أسقطوا ذكر الخير والشر، قيل في الخير وعدت، وفي الشر أوعدت.

وحدثني قال: قال أبو العباس الوراق، حدثنا رَوح بن عبد المؤمن قال: حدثنا العُريان بن أبي سفيان. ابن أخي أبي عمرو بن العلاء، أن أبا عمرو، اسمه زبَّان بن عمَّار بن عبد الله بن الحصين بن الحارث بن جُلُهم بن خُزاعي بن مازن.

وقال محمد بن الفرج المقرىء، حدثني محمد بن الفرج الدقيقي، قال: حدثنا الأصمعي قال: سألت أبا عمرو بن العلاء: ما اسمك؟ فقال: زبَّان.

وقال أبو أحمد البربري: حدثنا طابع عن الأصمعي قال: قلت لأبي عمرو بن العلاء: ما اسمك؟ فقال: أبو عمرو.

قال أبو أحمد: توفي أبو عمرو وله ستٌّ وثمانون سنة، ومات سنة أربع وخمسين ومائة.

---

(1) هو عامر بن الطفيل كما في اللسان والتاج: وعد، ختأ، ختا.

(2) الأعراف 44.

وقال شباب: توفي سنة سبع وخمسين ومائة، توفي بالكوفة. قال وكيع: قرأت على قبره: «هذا قبر أبي عمرو بن العلاء مولى بني حنيفة»[1].

22 ـ مجلس الفرزدق مع ابن أبي إسحاق الحضرمي:

حدثنا بعض أصحابنا قال: حدثني أبو جعفر أحمد بن محمد قال، حدثنا الزيادي عن الأصمعي:

أن الفرزدق حضر مجلس ابن أبي إسحاق، فقال: كيف تنشد هذا البيت[2]:

وعينان قال اللهُ كونا فكانتا   فَعولان بالألباب ما تفعل الخمرُ

فقال الفرزدق: كذا أنشده. فقال ابن أبي إسحاق الحضرمي: ما كان عليك لو قلت فعولين؟ فقال الفرزدق: «لو شئت أسبِّح لسبَّحت». ونهض فلم يعرف أحدٌ في المجلس قوله: «لو شئت أن أسبَّح لسبِّحت». فقال ابن أبي إسحاق: لو قال فعولين لأخبر أن الله خلقهما وأمرهما، ولكنه أراد: هما يفعلان بالألباب ما تفعل الخمر.

وقال ابن الأعرابي: فعولين، فمنن قال فعولان جعله نعتاً للعينين، وجعل كانتا مكتفياً لا يحتاج إلى فعل، فيكون مثل قولك للشيء تمدحه: قال الله كن فكان، هذا قول الأصمعي وغيره ممن قال فعولين نصبه من مكانين، ينصب فعولين على فعل كانتا، أي فكانتا فعولين.

هذا قول ابن الأعرابي، وغيره يقول: يجوز أن ينصب فعولين على القطع من طريق التمام، كونا فكانتا، تَمَّ الكلام فأخرجتَ هذا قطعاً[3].

23 ـ مجلس أبي العباس ثعلب مع محمد بن سلام:

قال أبو العباس: أتيت محمد بن سلام الجمحي لما قدم من البصرة لأقرأ

---

(1) مجالس العلماء ص 78 ـ 80.

(2) البيت لذي الرمة في ديوانه ص 213.

(3) مجالس العلماء 85 ـ 86.

عليه الأشعار والأخبار التي يرويها، فلما عرفني برَّني وأكرمني، فقال لي: أسألك عن أبيات، فقلت له: سَلْ. فقال: ما معنى قول الفرزدق: [1]

تكاد آذانُها في الماء تقصعها　　　بيض الملاغيم أمثالُ الخواتيم

فقلت: يصف حميراً تشرب، وأراد الحلقوم والمريء، ويروى: «تقصفها» أراد من شدة جرعها تضرب فتكاد تنقصف.

قال أبو العباس ثعلب: سألت الأثرمَ عن هذا البيت فقال لي: سألت أبا عبيدة عنه فأجابني بهذا وقال: الهاء والألف للآذان، وقال يروى: «أمثال الخواتيم» أي تجرع جرعاً كالخواتيم، وأراد الدارات التي فيه كأنها حَلَق. قال ثعلب: شبَّه جرعها بالخواتيم، وأر اد أنها من شدَّة العطش لما وردت الماء انغمست جحافلها في الماء حتى يكاد الماء يبلغ آذانها.

قال: فما تقول في قول علقمة[2]:

سلأّءة كعصا النهديِّ غُلَّ لها　　　ذو فَيئةٍ من نوى قُرَّان معجومُ

قلت: يعني فرساً شبَّهها بشوك النخلة لإرهاف صدرها وتمام عجزها، وكذلك خلقة الشوكة، يقول: خلقتها خِلقة الشوكة، وهذا يستحبُّ في الإناث. وهذا مثل قوله[3]:

إذا أقبلـــت قلـــتَ دُبَّـــاءةٌ　　　من الخُضْر مغموسةٌ في الغُدُرْ

ويستحبُّ في الإناث أن تتمَّ صدورها وتخفَّ أعجازها. ويحمد من الإناث أن يدقَّ أوَّلُها ويغلُظَ آخرُها. وعصا النهدي، أي كأنها عصا نَبْع، لاندماجها وملاستها. وإنما خصَّ نهداً لأن النبع ينبت في بلادها، فهم أصحاب عصيٍّ لا تفارقهم، فعصيُّهم مُلس، فأراد أنها فرسٌ ملساء، وغُلَّ لها، أي أدخل لها في باطن حافر أو

---

(1) ذكر محقق المجالس الأستاذ هارون أن البيت لم يرد في ديوان الفرزدق، وهو موجود في ديوان الفرزدق 2/185 ط صادر، بيروت وفيه: في الماء يقصفها.

(2) ديوان علقمة ص 131، والمفضليات ص 404.

(3) هو امرؤ القيس في ديوانه ص 166.

في موضع النُّسور، وإنما شبَّه النسور بالنوى لأنها صِلاب، وأنها لا تمس الأرض، لأن الحافر مقَعَّب. وذو فيئة: ذو رجعة، وهو أن يؤكل النوى ثم يفتَّ البعر فيستخرج النوى فتعلفه الإبل مرة أخرى، ولا يكون ذلك إلا من صلابته. ويقال: ذو فيئة، إذا أكلته الإبل فاء عليها رجعت لحومها. ومعجوم، أي أنه نوى الفم وهو أصلب ما يكون. معجوم: معضوض. وقران، قال: موضع كثير النخل.

قال فما تقول في قول جرير[1]:

فلا يَضْغَمَنَّ الليثُ عُكلاً بغرَّةٍ وعُكلٌ يشمُّون الفريسَ المنيبا

قلت: يقول؛: إن عُكلاً تخافني أن أهجوهم، كما تخاف الغنمُ الأسد، وذلك أن الأسدَ إذا أثَّر في شاةٍ من الغنم فرَّت الغنمُ إذا شمَّت فريسته. والضغم: الأخذ بشدة. حذَّرهم شعره وهجاءه. فيقول: هي تجزع من هجائي إذا هجوتُ غيرَهم، فكيف إذا أوقعته بهم. فقال لي: أقرأ ما شئت. وجعل يتعجب[2].

24 ـ مجلس ثعلب مع محمد بن حبيب:

قال أبو العباس أحمد بن يحيى: أتيت محمد بن حبيب، وقد كان بلغني أنه يُملُّ شعر حسان بن ثابت، فلما عرف موضعي قطع الإملاء، فترفقت به فأملَّ، وكان لا يقعد في المسجد الجامع فعذلتُه على ذلك فأبى، فلم أزل به حتى قعد في جمعةٍ من الجُمَع واجتمع الناس، فسأله سائلٌ عن هذه الأبيات[3]:

أزُحْنةَ عنِّي تطردينَ تبدَّدت بلحمكِ طيرٌ طِرنَ كلَّ مطير
قفي لا تزلِّي زلَّةً ليس بعدها جبورٌ وزلاَّتُ النساء كثيرُ
فإني وإيَّاه كرجلَيْ نعامةٍ على كلِّ حالٍ من غنًى وفقيرِ

(1) ديوان جرير ص 14.

(2) مجالس العلماء ص 94 ـ 96.

(3) الأبيات في الحيوان 5/218، العقد الفريد 6/237 وثمار القلوب ص 352، وفي البيت الثاني إقواء.

ففسر ما فيه من اللغة، فقيل له: كيف قال: «من غنًى وفقير»، وإنما كان يجب أن يقول: من غني وفقير، فاضطرب، فقلت للسائل: هذا عربية، وأنا أنوب عنه، وبينت العلة، فانصرف ثم لم يعد بعد ذلك للقعود وانقطعت عنه.

قال أبو العباس: ورجلا نعامة لا تنوب واحدة عن الأخرى، لأنه لا مخ فيهما، وسائر الحيوان إذا عَيِيت إحدى رجليه استعان بالأخرى. ويقال: هما رجلا نعامة. والمصادر تُرَدُّ على الأسماء، والأسماء تُرَدُّ على المصادر لأن المصادر ظهرت ظهور الأسماء، وتمكّن الإعراب منها[1].

25 ـ مجلس أبي العباس أحمد بن يحيى مع ابن الأعرابي محمد بن زياد:

قال أبو العباس أحمد بن يحيى: كنا عند أحمد بن سعيد بن سَلْم، وعنده جماعة من أهل الأدب، منهم عافية بن شبيب، والسِّدري، وأبو العالية، فأتاه ابن الأعرابي، وكنا قبل موافاته في شعر الشماخ نتناشده ونتساءل عن معانيه، فلما جلس أقبلت عليه أسائله عن معانيه، فكان فيما سألته عنه هذا البيت[2]:

فنعِمَ المرتَجى ركدت إليه رحًى حيزومِها كرحَى الطحينِ

فسبق إلى ظنّه أني أريد أن استزلّه بحضرة من حضر من أهل البصرة، فنظرت إليه وقد تمعَّر فأنكرتُه، وكانت أخلاقه شديدة، وكنت أعرفه فقلت له: لا والله ما الأمر كما توهمت! وعرَّفتُه القصة، فسكن وقال: إنما أراد الصلابة، لأنها إنما تُمدَح بصغِرَ الكركِرة[3].

26 ـ مجلس أبي العباس ثعلب مع محمد بن عبد الله بن طاهر:

قال أبو العباس: سألني محمد بن عبد الله بن طاهر يومَ دخلتُ عليه، وكان لما قدِم من خراسان طلبني، فلما وصلت إليه بادر إلى بيت الراعي[4]:

(1) مجالس العلماء ص 97 ـ 98.
(2) ديوان الشماخ ص 92.
(3) مجالس العلماء ص 100
(4) ديوان الراعي ص 240.

كـدخـانِ مـرتجِـلٍ بـأعلـى تلعَـةٍ　　　غـرثـانَ ضـرَّمَ عـرفجـاً مبلـولا

قلت يصف ذئباً، فسألني عن بيته[1]:

كُلي الحْمضَ بعد المُقْحَمِين ورازمي　　　إلى قابلٍ ثم اعذري بعد قابلِ

فقلت له: ليصبرَ الإنسانُ عن قليله، ويعفَّ عن كثير غيرَه، ليكون أعزَّ له.

وسألني عن بيته[2]:

وخادعَ المجدَ أقوامٌ لهم ورقٌ　　　راح العِضاهُ به والعرق مدخولُ

فقلت: رأى ظاهرَهم فقدَّرَ أنَّ الباطن مثله فأخلف.

فسألني عن بيته[3]:

فِنلنـا غِـراراً مـن حـديـثٍ نقـوده　　　كما اغترَّ بالنَّصِّ القضيبُ المسمَّحُ

فقلت: يعني أنه لم يزل يترفق بمن يهواه حتى أطاع وسامح.

فسألني عن بيته[4]:

وأَفَضْـنَ بعـد كظـومهـنَّ بجِـرَّةٍ　　　من ذي الأبارقِ إذ رعَيْنَ حقيلا

فقلت: ذو الأبارق وحقيل: موضع واحد، فأراد من ذي الأبارق إذ رعَيْنَهُ.

فأقبل يسألني عن كتاب النُدبة للفراء، وأنا أجيبه، فسألني عن خمس مسائل منه فتوخيت أن أتيت بلفظ الكتاب، فرفع يده عن الكتابين، وكان على فخذه اليُمنى شعر الراعي، وعلى فخذه اليسرى كتاب النُّدبة، وهو يسألني عن بيت من هذا، ومسألة من هذا. ثم قال لي: قد وُصِفْتَ لي وأنا بالمعسكر، وشاهدتُك، فما رأيت رجلاً إلا كانت مشاهدته دون صفته خَلاَكَ[5].

---

(1) ديوان الراعي ص 206.

(2) ديوان الراعي ص 194.

(3) ديوان الراعي ص 39.

(4) ديوان الراعي ص 224.

(5) مجالس العلماء ص 101 ـ 102.

27 ـ مجلس أبي العباس ثعلب مع ابن الأعرابي:

قال أحمد بن يحيى: كتب إليَّ يعقوب بن السكيت من سُرَّ من رأى، يسألني عن أشياء أسأل ابن الأعرابي عنها، فصرت إليه في يوم الجمعة بعد الصلاة إلى حلقة في المسجد في الجانب الغربي، وكان يصلي عند المشبَّك مما يلي المنارة، فكان أول شيء سألته عنه أنْ قلت بيت المُسَيَّب بن عَلَس:

نظـرَتْ إليـك بعيـن جـازيـة　　　فـي ظـلِّ فـاردةٍ مـن السِّـدرِ

قال: يقول: قد جزأت بالرُّطْب عن الماء، فقد سمنت وحسنت. وفي ظل فاردة، أي ليست في سدر كثير فيسترها فلا يُتأمَّل حسنها، ولا بارزة فتخلو من الكِنِّ.

قال: فاستحسنَّا قوله. ثم جعلت أسأله حتى سألته عن جميع ما كان معي.

قال: وقال غير ابن الأعرابي، الجازية: العطشانة، والظبية أحسن ما تكون إذا كانت كذلك(1).

28 ـ مجلس أبي العباس ثعلب مع أبي العباس المبرد:

قال أبو العباس أحمد بن يحيى: حضرت أنا ومحمد بن يزيد عند محمد بن عبد الله بن طاهر، وكان أول مجلس حضرته معه، فقال لي محمد بن عبد الله: قول الله جل وعز ﴿ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾(2)، فقلت له: إذا كان لاوذت وقاولت فمصدره لواذاً وقوالاً، وإذا كان لُذت فهو لياذاً. فقال المبرد: هذا صوابٌ وأنا أفْهم. قال أبو العباس: فغاظني، ثم جرى كلام فذكرنا الأزد، فقلت لمحمد: قرأنا شعر الأزد على أبي المنهال، وكان عالماً به، قد قرأه على مؤرِّج وعلى خالد(3)، فقال المبرد: قد قرأناه ولم يقرأه قط. فقال له الأمير: على من؟ فقال: إنه كانت

---

(1) مجالس العلماء ص 102.

(2) النور 63.

(3) أبو المنهال: هو عيينة بن المنهال. ومؤرج: هو مؤرج بن عمرو السدوسي. وخالد: هو خالد بن كلثوم الكلبي، ينظر الفهرست ص 72، 71، 66.

تأتينا الأعراب فيُمجدوننا ـ أي يُكثرون، كما يقولون: أمجد الدابة عَلَفاً ـ فسكت عنه وكان محمد يفهم.

ثم ذكرنا الفراء فقلت: هو كانَ الشيءَ بين الشيئين، لا يكون على هذه الجَنْبة ولا على هذه الجنبة. فقال لي: مثل أي شيء؟ فقلت له: مثل قولك: زيدٌ طعامَك آكلٌ، فآكلٌ لفظه لفظ الأسماء، ومعناه معنى الأفعال. فقال المبرد: آكل اسمُ عمل عمَلَ فعل ويفعل. قلت: فيجوز طعامَك رأيت آكلاً؟ فقال: نعم. فقلت: خطأ. فقال له محمد بن عبد الله: أليس زعمت الآن آكلاً اسم تأويله إذا نصب أكل ويأكل؟ قال: نعم. قال له: فهذا خطأ، لأنه لا يكون طعامَك رأيتُ أكل ويأكل. فقال: ليس بيننا اختلاف في قوله زيد هل يقوم وهو قام، ولا يجيزون زيد هل قائم، فقلت له: هذا لا يجوز، لا يقولون زيد هل يقوم وزيد هل قام. ثم قال: هذا يشك فيه.

قال أبو العباس: فبلغني أنه يحكي ما دار بيننا على غير ما كان، فقلت لطاهر: قد جرى بيننا عند الأمير شيء، فابعثْ فاسألْهُ. فبعث فسأله فقال: والله ما قلت كذا ولا تكلمت به، فوقَّع محمد إلى ابنه طاهر: «الناس يخطئون فاسمع منهما و لا تؤرِّثنَّ بينهما، ولا تخرج توقيعي إلى أحد»[1].

29 ـ مجلس سلمة بن عيَّاش مع أبي عمرو بن العلاء:

وجدت بخط إسحاق بن إبراهيم الموصلي: أخبرني الأصمعي عن سَلَمة بن عيَّاش قال: سألت أبا عمرو بن العلاء عن هذا البيت[2]:

يا صاحِ يا ذا الضَّامر العَنْسِ والرحلِ ذي الأجلاب والحِلْسِ

فقال: يا صاح يا ذا الضامر العنس. ثم قام فصعد درجةً فأحضرَ فيها. فقلت له: إنَّ فيها:

(1) مجالس العلماء ص 107 ـ 108.

(2) نُسب البيت إلى خزر بن لوذان السدوسي في الخزانة 1/329، ونسب إلى خالد بن المهاجر في الأغاني 15/13.

والـرحـل ذي الأجـلاب والحلـس

فقال: ويحك منها فررت. أي علم أنه أخطأ فقام.

قال الأصمعي: إنما أراد يا صاح يا ذا العنس الضامر والرحل ذي الأجلاب، فلا يكون في الضامر الرفع. وأجلاب الرحل: عيدانه وجَدَياته. تقول لصاحبك: ائتني بأجلاب رحلي، فيأتيك بعَظْم الرحل. وتقول أيضاً: ائتني بعظم الرحل. وفلان عالم بعظم النحو، أي أصله لا بأطرافه. وفلان شحيح على عَظْم دينه، أي معظمه[1].

30 ـ مجلس محمد بن يزيد مع أبي عثمان المازني:

وجدت بخط محمد بن يزيد: سألت أبا عثمان بكر بن محمد المازني فقلت: ما ترى في قوله[2]:

وقدرٍ ككفِ القرد لا مستعيرها يُعـارُ ولا مـن يـأتِهـا يتـدسَّـمِ

أتحتاج (لا) إلى أن يكون بعدها ضمير؟ فقال: لا، ولكن لو كانت ما مكانها احتاجت إلى ضمير. فقلت له: أما ما الحجازية فتحتاج إلى ضمير لأنها بمنزلة ليس، فما تقول في ما التميمية أيضاً لأنها تبقى آخر الكلام، فلا بد من أن يكون ضميره فيها، ألا ترى أنه يُختارُ بعدها إضمار الفعل في قولك: ما زيداً ضربته، فتجريها مجرى ألف الاستفهام. قلت: أفرأيت ما التي تكون لغواً يمتنع منها موضع؟ فقال: لا يمتنع منها موضعٌ، بين كلامين كانت أو آخر كلام، ولكنها لا تلغى إذا كانت أول كلام، فليس تمتنع إلا في هذا الموضع.

قال أبو عثمان: زعم سيبويه في بيت الفرزدق[3]:

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتَهم إذ هم قريشٌ وإذ ما مثلَهم بشرُ

(1) مجالس العلماء ص 111.

(2) البيت لابن مقبل في ديوانه ص 277.

(3) ديوان الفرزدق ص 223.

إن بعض العرب قد قدَّم خبر ما نَصبَ بها. وهذا وهمٌ منه، لأنه قال: بعض العرب يشبِّه ما بليس، فكما يقدم خبر ليس كذلك يقدم خبر ما. وهذا لا يجوز، لأن ليس فعل، وما حرف جاء لمعنًى، وكان القياسُ أن يكون ما بما بعده مبتدأً وخبراً، وهي لغة بني تميم.

قال سيبويه: ولغة بني تميم أقيس. وقد قال جرير[1]:

أتيمـــاً تجعلـــون إلـــيَّ نِـــدّاً ... ومـا تيـمٌ لـذي حسـبٍ نـديـدُ

فرفع بها، وإنما مشبَّهة بليس في لغة أهل الحجاز ما دام ينفي بها، وإذا أوجبت رجعتْ إلى أصلها وفارقت ليس. وقد نطق القرآن بلغة أهل الحجاز، قال الله جل وعز ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾[2]، قال في أخرى ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾[3]. وتدخل الباء على خبر ما كما تدخل على خبر ليس، تقول: ما زيد بقائم، وليس زيد بقائم، وليس زيد إلا بقائم، فتخالف ليس، لأنك تقول في ليس: ليس زيد إلا قائماً.

قال أبو عثمان: كأنه صفة فقدَّم الصفة على الموصوف فنصبه على الحال، وذلك أن بعض العرب يجعل النكرة حالاً، فإذا قدم الصفة على الموصوف نصبه لأنه يجعل الحال للنكرة[4].

31 ـ مجلس أبي جعفر أحمد بن محمد بن رستم الطبري مع أبي عثمان:

قال أبو جعفر: تسألت أبا عثمان عن تأنيث السكين فقال: السكين مذكر ولا يؤنثه فصيح، فأنشدته قول الفراء[5]:

فعيَّـث فـي السنـام غـداةَ قُـرٍّ ... بسكيـنٍ مـوثَّقـة النصـابِ

(1) ديوان جرير ص 164 وفيه: وهل تيم لذي حسب نديد.
(2) يوسف 31
(3) المجادلة 2.
(4) مجالس العلماء ص 112 ـ 114.
(5) أي ما أنشده الفراء.

فقال: لمن هذا ومن صاحبُه؟ ما أراه إلا أخرج من الكُمِّ، وأين صاحب هذا عن أبي ذؤيب حيث يقول:[1]

فـذلـك سكِّيـنٌ علـى الحلـق حـاذقُ

وسألته عن تأنيث الإزار فقال: كان الأصمعي وأبو الحسن يقولان: الإزار مذكر، ويردان قول الأعشى[2]:

كتمَيُّـــــلِ النشـــــوانِ يَـــــرْ فُـلُ فـي البقيـر وفـي الإزاره

ويقولان: القصيدة مصنوعة.

قال: وحضر ابن السجستاني فقال له: أوجِدكَ التأنيث في شعر من لا يُنكَر صاحبه؟ فقال: هات. فأنشده[3]:

تبَــرَّأُ مــن دمِّ القتيـــلِ وبَـــزِّه وقـد علقَـتْ دَمَّ القتيـل إزارُهـا

فانقطع وسكت الأصمعي ولم يُجب ساعةً، ثم قال: سلوا هذا الرجل عن هذا ـ يعني الأخفش ـ فإنَّ فيه شيئاً لم أقف عليه، أو لا أقف عليه. وكان بينه وبين الأخفش رديء، فسألنا الأخفش عن ذلك فقال: هذا قال لكم؟ يعني الأصمعي. فقلنا: نعم. فقال: له في علقَتْ ضمير المرأة، فأبدل الإزار من ذلك الضمير، فلذلك قال: علقت. فأخبرنا الأصمعي بذلك فقال: قد وقع لي ما قال قبل أن تقولوا لي.

وكان أبو زيد يذكر ويؤنث[4].

32 ـ مجلس أبي زيد سعيد بن أوس مع عبد الملك بن قريب:

أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان قال: قال الأصمعي: يقال في الوعيد

---

(1) ديوان الهذليين 1/151 وصدر البيت: يرى ناصحاً فيما بدا وإذا خلا.

(2) ديوان الأعشى ص 111 وفيه: في البقيرة والإزاره.

(3) لأبي ذؤيب في ديوان الهذليين 1/26.

(4) مجالس العلماء ص 129 ـ 131.

والتهدد: قد رعد فلانٌ لنا وبرق، ورَعَدْنا وبرَقْنا. ولا يقال أرعَدَ فلانٌ ولا أبرق. قال أبو زيد: بل يقال ذلك. قلت للأصمعي: الكميت يقول[1]:

أبـــرقْ وأرعـــدْ يـــا يـــزيـــ ـــد فما وعيدك لـي بضـائـرْ

فقال: الكميت ليس بحجة، كأنه يقول: هو مولَّد. قلت: فأخبَرَنا به أبو زيد عن العرب، أنه سمعه من الفصحاء. فأبى.

قال أبو حاتم: فجاءنا أعرابي من بني أبي بكر بن كلاب من أفصح الناس كأنه مسوحشٌ من الناس، بدوي، وهو يقول:

قُضِـيَ القضـاءُ وجفَّـتْ الأقـلامُ

فسألته: كيف تقول أرعدت وأبرقت؟ قال أبو زيد من قبلِ أن يجيب: دعوني أسأله وأتولَّى السؤال فأنا أرفقُ به. فقال له: كيف تقول في التهدد إنك لتَبرقُ وترعُد؟ فقال لي الأصمعي: انظر إلى الشعر القديم كيف هو:

ثم أنشد لرجل من بني كنانة شعراً علوياً[2]:

إذا جاوزتْ من ذات عِرق ثنيَّةً فقُلْ لأبي قابوسَ ما شئتَ فارعُدِ[3]

33 ـ مجلس أبي عثمان المازني مع أبي يعلى بن أبي زرعة:

قال أبو يعلى: قرأ أبو عثمان ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾[4]. وأنشد قال: أنشدني الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء[5]:

كـأنَّ رمـاحَنـا أشطـانُ بئـرٍ بعيـدٍ بَيْـنُ جـالَيْهـا جـرورِ

بالرفع، وهو ظرف في الأصل، فصيَّره اسماً ورفعه. قال: وأنشدني:

---

(1) ديوان الكميت 1/190.

(2) الاشتقاق ص 447.

(3) مجالس العلماء ص 141 ـ 142.

(4) الأنعام: 94.

(5) البيت في اللسان: بين.

ويُشْرِقُ بَيْنَ اللِّيْت منها إلى الصُّقْلِ

قلت: فمن قرأ بينَكم، قال: يريد ما بينكم. قلت: فتحذف الموصول وتترك الصلة؟ قال: نعم، أقول الذي قام وقعد زيد، ومعناه الذي قام والذي قعد زيد. وقد حُذِف الموصول في كتاب الله جلَّ وعزَّ. قال الله جلَّ وعزَّ ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[1]، معناه: والذين أقرضوا الله. هذا مثله[2].

34 ـ مجلس أبي عُمَر مع الأصمعي:

حدثني أبو الحسن[3]، قال: حدثني أبو العباس محمد بن يزيد قال: حدثني إسماعيل بن إسحاق القاضي، قال: حدثنا نصر بن علي الجهضميّ قال:

قال أبو عُمَر الجرمي يوماً في مجلس الأصمعي: أنا أعلم الناس بالنحو. فسكت عنه الأصمعي ساعةً، قال: ثم قال له: يا أبا عمر، كيف تُنشد[4]:

قـد كُـنَّ يُكْنِـنَّ الـوجـوهَ تستُّراً   فـالآنَ حيـن بَـدَيْـنَ للنُّظّـارِ

كيف تقول: بدين أو بدأن؟ قال أبو عمر: بدأن، فقال له الأصمعي: يا أبا عمر، أنت أعلم الناس بالنحو ـ يمازحه ـ وإنما هو بَدَوْنَ، لأنه من بدا يبدو، أي ظهرنَ[5].

35 ـ مجلس سيبويه مع حماد بن سلمة:

حدثنا أبو جعفر[6] قال: حدثنا ابن عائشة عبيد الله قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: جاء سيبويه مع قوم يكتبون شيئاً من الحديث، فكان فيما أمليت ذكر الصفا عن رسول الله ﷺ فقلت: «صعد رسول الله ﷺ الصفا» وهو الذي كان يستملّ فقال: «صعد النبي ﷺ الصفاء» فقلت: يا فارسيُّ لا تقل الصفاء، لأن الصفا

---

(1) الحديد: 18.
(2) مجالس العلماء 143.
(3) هو أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش تلميذ المبرد.
(4) للربيع بن زياد العبسي في الأغاني 16/27.
(5) مجالس العلماء ص 144.
(6) هو أحمد بن محمد بن رستم الطبري.

مقصور. فلما فرغ من مجلسه كسر القلم وقال: لا أكتب شيئاً حتى أحكم العربية.

وأما محمد بن يزيد فقال: حدثني غير واحد من أصحابنا قال: كان سيبويه مستملياً لحماد بن سلمة، وكان حماد فصيحاً، فاستملاه يوماً قول رسول الله ﷺ: (ليس من أصحابي أحدٌ إلا ولو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء)، فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء. فصاح به حماد: لحنت يا سيبويه، ليس هذا حيث ذهبت، إنما هو استثناء. فقال سيبويه: لا جرمَ والله لأطلبنَّ علماً لا تلحِّنني معه. فمضى ولزم الأخفش مع يعقوب الحضرمي والخليل وسائر النحويين[1].

36 ـ مجلس الطرماح مع رجل من بني عَبْس:

قال أبو حاتم: حدثني الأصمعي قال:

جاء رجل من بني عبس إلى حلقة فيها الطرماح، فقال: ما عَنَى كُثَيِّر بقوله لعبد الملك بن مروان:

فأنت المعلَّى يوم عُدِّت قداحُهم وجاء المنيحُ وسْطَها يتَقَلْقَلُ

فقال: أراد بالمعلى أنه أعلاهم حظَّاً، كالمعلَّى من القداح. فقال الطرماح: لا، ولكنه أراد أنك السابع من ملوكهم ولك أوفر الحظ، لأنَّ أهلَ الجاهلية كانوا يسمُّون القداح إلى سبعة: أولها الفَذُّ، والتوْم، والرقيب، والمُسْبَل، والحِلْس، والنَّافس، والمُعَلَّى. وفي عددها يقول أعشى بني ربيعة:

ومروان سادس من قد مضى وكان ابنه بعده سابعا

وقال أبو نواس[2]:

ملكَ الخلافةَ خمسةٌ وبخير سادِسهم سَدَسْ

(1) مجالس العلماء ص 154 ـ 155.
(2) ديوان أبي نواس ص 417.

37 ـ مجلس ذي الرمة مع رؤبة بن العجاج بحضرة بلال:

حدثني علي بن سليمان قال: حدثني ابن الحَرُون محمد بن الحسن قال:

جمع بلال بين أبي بردة بين ذي الرمة وبين رؤبة بن العجاج، وكان ذو الرمة معتزلياً، وكان رؤبة مُثْبِتاً، فقال له رؤبة: والله ما افتحص قطاةٌ أفحوصاً، ولا تقرمص أسدٌ قرموصاً، إلا كان ذلك بقضاءٍ وقدرٍ من الله. فقال له ذو الرمة: آللهِ ألأنْ وثبَ الذئبُ على حَلوبةٍ لصبية عالةٍ عيايلَ ضرائكَ نسبتَ ذلك إلى الله! فقال له رؤبة: أفبقدرةٍ من الذئب أكل الحلوبة! هذا كذب على الذئب ثان! فقال ذو الرمة: والله للكذبُ على الذئب أهون من الكذب على خالق الذئب[1].

38 ـ مجلس أبي عمرو بن العلاء مع أبي الخطاب الأخفش:

قال أبو العباس: قال أبو عبيدة: كنا عند أبي عمرو بن العلاء، فسأله سائل عن جمع يدٍ من الإنسان، فقال: أيدٍ، وأنكر أن تكون الأيادي إلا في النِّعم، فلما قمنا قال لي أبو الخطاب الأخفش: أمَا إنها في عِلمه، غير أنَّها لم تحضره. ثم أنشد أبو الخطاب الأخفش بيتَ عدي بن زيد العبادي:

أنكَـرَتْ مـا تَبَيَّنَـتْ فـي أيـاديـ ـنـا وإشنـاقُهـا إلـى الأعنـاقِ

ويروي: «ساءها ما بنا تَبَيَّنَ في الأيدي». قال أبو عمرو: يعني بنته هنداً، باتت عنده مع أمها في السجن وهي جويرية صغيرة، فقالت: يا أباه: أي شيء هذا في يدك ـ تعني الغُلَّ ـ وبكت منه. ففي ذلك يقول: «ساءها ما بنا تبين».

وهذا الأخفش هو أبو الخطاب البصري، وقد حكى عنه أبو عبيدة وسيبويه أشياء كثيرة.

وللبصريين أبو الحسن الأخفش صاحب سيبويه، وكُتبه في العروض والنحو ومعاني القرآن مشهورة.

---

(1) مجالس العلماء ص 161.

وللبغداذيين عبد الله بن محمد البغداذي الأخفش، أحد من روى الشعر، وقد أخذ عنه ابن السكيت والطُّوسي هذه الحكاية عن المبرد[1].

39 ـ مجلس أبي محمد مع الأحمر:

قال أبومحمد اليزيدي: وكنت جالساً مع الفضل بن الربيع، فدخل علينا عليٌّ الأحمر، فجلس إلى الفضل، فقال لي الفضل: من كان أعلمَ بالنحو: الكسائي أو أبو عمرو بن العلاء؟وكان أبو عمرو أستاذ أبي محمد. قال: قلت له أصلحك الله، لم يكن أحدٌ بالنحو أعلم من أبي عمرو. فقال الأحمر: لم يكن يعرف التصريف. فقلت له: ليس التصريف من النحو في شيء، إنما هو شيء ولَّدناه نحن واصطلحنا عليه. وكان أبو عمرو أنبلَ من أن ينظُرَ فيما ولَّد الناس.

قال: ولِمَ؟ قلت: لأنه جاور البدوَ أربعين سنة، ولم يُقم الكسائي بالبدو أربعين يوماً ثم قلت له: أنت أيضاً تزعم أن الكسائي لم يكن يُبصر التصريف وأنت تزعم أنك علَّمتَه. فسكت.

فلما أراد أن يقوم أخذت دواةً وقرطاساً وكتبت:

زعـم الأحمـرُ المقيـتُ علـيٌّ ... والـذي أمُّـه تـديـن بمَقْتِـهْ

أنـه علَّـم الكسـائـيَّ تصـريـ ... ـفـاً فـإن كـان ذا فبـاسِتـهْ

ثم دفعت الرقعةَ إلى الفضل. فما زال يضحك منها، والأحمر لا يدري من أي شيء يضحك[2].

40 ـ مجلس الأصمعي مع الفراء:

عمر بن شبَّة قال: حدثني الخليل بن عمرو قال: لقي الأصمعي الفرَّاء على الجسر ببغداد، فقال له: أسألك. فقال: سَلْ يا أبا سعيد. فقال: ما معنى قول الشاعر[3]:

---

(1) مجالس العلماء 162 ـ 163.

(2) مجالس العلماء ص 171 ـ 172.

(3) الشاعر هو ابن أحمر كما في اللسان: صمم، حجا.

أصـــمَّ دُعــاءُ جــارتنــا تحجَّــى لآخـــرنـــا وتنســـى أوَّلينـــا

فقال الفراء: صادفَتْ قوماً صُمَّاً، كما قال الشاعر:

فــأصمَمْـــتُ عَمــراً وأعميتُــه عن الجود والمجد يومَ الفخارِ

أي صادفْتُه أعمى. قال: وحكى الكسائي: دخلت بلدةً فأعمرتُها، ودخلتُ بلدةً فأخربتُها: وجدتُها خراباً. فقال الأصمعي للفراء: أنت أعلم الناس. ومضى ولم يكلِّمه بعدُ[1].

41 ـ مجلس نُصَيب مع الكميت:

حدثنا الرياشي قال: قال ابن كُناسة: اجتمعَ نُصيبٌ والكميت، فاستنشده نصيبٌ من شعره، فأنشده الكميت:

هل أنت من طرب الأيفاع منقلبُ

حتى بلغ قوله:

أم هل ظعائنُ بالعلياء نافعة وإنْ تكامل فيها الأنسُ والشَّنبُ

فعقد نُصيبٌ في يده واحدةً، فقال الكميت: ما هذا؟ قال: أحصي خَطأَكَ، تباعدتَ في قولك: (الأنس والشنب)، ألا قلتَ كما قال ذو الرمة[2]:

لميـاء فـي شَفَتيهـا حُـوَّةٌ لعَـسٌ وفي اللِّثات وفي أنيابها شنبُ

ثم أنشد:

أبـــت هـــذه النفـــس إلا ادِّكـــاراً

فلما بلغ إلى قوله:

إذا مـــا الهجـــارسُ غنَّيْنَهـــا تجـاوبْـنَ فـي الفلـواتِ الـوِبـارا

---

(1) مجالس العلماء ص 178.

(2) ديوان ذي الرمة ص 5.

قال نصيب: الفلواتُ لا تسكُنها الوِبار. فلما بلغ إلى قوله:

كـأنَّ الغطـامـطَ مـن غَلْيِهـا   أراجيـزُ أسلـمَ تهجـوا غِفـارا

قال له نُصيب: ما هَجَتْ أسلمُ غِفاراً قطُّ. فانكسر الكميت وأمسك[1].

42 ـ مجلس أبي تَوبة بن درَّاج مع الفرَّاء:

أبو توبة بن دراج: سألت الفراء عن الطَّلَّة فقال: مَرأةُ الرجل طَلَّته، وحَنَّتُه، وربَضُه، وبيتُه، وطلْبُه، وخِلْبُه. قال: ويقال للرجل هو طِلْبُ نساء، وشِيعُ نساء، وزيرُ نساء. وأنشد[2]:

وجُمَّـة تسـألنـي أعطيـتُ   ولـم تَصُـرنـي حَنَّـةٌ وبيـتُ

قال: الحَنَّةُ: المرأة والبيت. لم تَصُرني: أي لم تُملني لم تعطِفني، ومنه: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾[3] يقول: أَمِلْهنَّ إليك. ومن قرأ: ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ يقول: اقطعْهنَّ. والجُمَّة: الجماعة التي تسال الدية، يقال لهم جُمَّة.

قلت: زدني من هذا. قال: كلُّ ما عطفك على شيء فهو إصرٌ من عهد أو رحم، فقد أصرك. ويقال: ما يأصرني عليه حقٌّ، أي ما يعطفني عليه. وقال النابغة:

أيا ابن الحواصِن والحاصنات   أتنقُضُ إصـرَكَ حـالاً فحـالا

يقول: أتنقض عهدك. يقال: قطع الله إصرةَ ما بيننا. والصَّوَر أيضاً: الميل، يُميل الرجلُ عنقَه إلى الشيء، والنعت أصور، قال:

فقلت لها غُضِّي فإني إلى التي   تُريدين أن أحبو بها غيرُ أَصْوَرا[4]

---

(1) مجالس العلماء ص 181 ـ 182.

(2) الرجز لأبي محمد الفقعسي، كما في اللسان: جمم، حنن.

(3) البقرة: 260.

(4) مجالس العلماء ص 184 ـ 185.

43 ـ مجلس أبي عمرو بن العلاء مع رحل من أهل المدينة:

حدثنا أبو هفَّان قال: قال مصعب الزُّبيريّ: أنشد رجلٌ من أهل المدينة أبا عمرو بن العلاء قولَ ابن قيس[1]:

إنَّ الحوادث بالمدينة قد أوجَعْنَني وقَرَعْن مَروَتَيه

فانتهره أبو عمرو وقال: ما لنا ولهذا الشعر الرِّخو، إن هذه الهاء لم تدخل في شيء من الكلام إلا أرْخَتْه. فقال المدني: قاتلك اللهُ، ما أجهلك بكلام العرب! قال الله جلَّ وعزَّ في كتابه: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾[2]، و: ﴿يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾[3]، وتعيبُه! فانكسر أبو عمرو انكساراً شديداً.

قال أبو هفَّان: وأنشد هذا الشعر عبد الملك بن مروان فقال: أحسنتَ يا ابن قيس لولا أنك خنَّثتَ قوافيه! فقال: يا أمير المؤمنين، ما عدوتُ قولَ الله تعالى في كتابه: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾، فقال له عبد الملك: أنت في هذا أشعر منك في شعرك[4].

44 ـ مجلس أبي حاتم مع الأصمعي:

أخبرنا أبو بكر قال: حدثني أبو حاتم، قلت للأصمعي: يقال للرجل زوج وللمرأة زوج، ومن أهل الحجاز من يقول زوجةٌ وفلانةُ زوجةُ فلان، ورأيت الأصمعي كأنه أنكره، فأنشده قول ذي الرمة، وقد كان قُرِيء عليه شعر ذي الرمة فلم ينكره[5]:

أذو زوجةٍ في المصر أم لخصومةٍ أراك لها بالبصرة العامَ ثاويا

(1) ديوان ابن قيس الرقيات ص 98.
(2) الحاقة: 28، 29.
(3) الحاقة: 25، 26.
(4) مجالس العلماء ص 188 ـ 189.
(5) ديوان ذي الرمة ص 653.

فقال: ذو الرمة طالما أكل المالح والبقل في حوانيت البقَّالين، وقد قرأنا عليه قبل هذا لأفصح الناس فلم ينكره[1]:

فبكى بناتي شَجوَهنَّ وزوجتي والطـامعـونَ إلـيَّ ثـم تصـدَّعـوا

وقال آخر:

من منزلي قد أخرجتني زوجتي تَهِـرُّ فـي وجهـي هـريـرَ الكلبـةِ

وإنما لجَّ الأصمعي لأنه كان مولعاً بأجود اللغات، ويردُّ ما ليس بالقوي. وذلك الوجه أجود الوجهين.

قلت: ومما حذفوا الهاء بغير قياس قولهم: ملحفةٌ جديد وملحفة خَلَق، وشاة سَديس وسَدَس من السنِّ، وكتيبة خصيف[2]، وريحٌ خريق، ولا يقال في شيء جديدة بثَبتٍ ولا خلقةٌ، وإنما هي جديد وخَلَق بغير هاء للمذكر والمؤنث، إلا أني سمعت في شعر لمزاحم العُقَيلي جديدة، ومزاحم فصيح، قال:

تراها على طول القَواء جديدةً وعهدُ المغاني بالحُلُولِ قديمُ

فقال الأصمعي: لا تكون جديدة، وإنما هو جديد، أو هو بيتٌ مزاحَف، كما قال الآخر:

لقد ساءني سعدٌ وصاحبُ سعدٍ ومـا طلَبـانـي بعـدهـا بغَـرامَـهْ

نصفه فعولن[3].

45 ـ مجلس النضر بن شميل مع المأمون:

حدثني أبو الحسن علي بن سليمان قال: حدثنا أحمد بن يحيى قال: حدثني إبراهيم بن المنذر الحِزامي والزبير بن بكار، قال النضر بن شميل:

---

(1) لعبدة بن الطبيب في المفضليات ص 148.
(2) سميت بذلك لما فيها من صدأ الحديد.
(3) مجالس العلماء ص 195 ـ 196.

دخلت على المأمون وعليَّ إزارٌ مرقوع، فقال لي: يا نضر، ما هذا التقشف؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، حَرُّ مَرْوَ كما قد علمتَ، وأنا شيخ وأحبُّ التروُّحَ بهذه الخُلقان. قال: فأخذ بنا في الحديث في ذكر النساء، فقال المأمون: حدثني هُشَيم بن بشير عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: (أيُّما رجلٍ تزوج امرأة لدينها وجمالها كان ذلك سَداداً من عَوز). قلت: يا أمير المؤمنين، صدق هشيم، حدثنا عوف بن أبي جميلة قال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أيُّما رجل تزوج امرأةً لدينها وجمالها كان ذلك سِداداً من عوز). قال: فاستوى جالساً ثم قال: يا نضر، كيف قلت سِداداً بالكسر ولم تقل سَداداً، ما الفرق بينهما؟ قلت: يا أمير المؤمنين، السَّداد: القصد في الدين والسبيل والطريق. والسِّداد للثُّلمة. وكل ما سددتَ فهو سِداد بالكسر. قال: وفي العرب من يقول ذلك؟ قلت: نعم، هذا العَرْجيُّ يقول[1]:

أضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا ليوم كريهةٍ وسِدادِ ثغرِ

فقال: قبح الله اللحنَ، قلتُ: يا أمير المؤمنين، إنما لحَنَ هُشَيم، وكان هُشَيم لحّاناً، فاتَّبعَ أمير المؤمنين لفظَه، وقد تُتبَع ألفاظُ العلماء.

ثم قال لي: يا نضر، هل تروي من الشعر شيئاً؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فأنشدني أخلبَ بيتٍ قالته العرب. قلت: قول حمزة بن بِيض في الحكم بن أبي العاص:

تقول لي والعيون هاجعةٌ أقِمْ علينا يوماً فلم أقِمِ
أيَّ الوجوه انتجعتَ قلتُ لها وأيُّ وجهٍ إلا إلى الحكمِ
متى يقُل صاحبا سُرادقِهِ هذا ابن بِيضٍ بالبابِ يبتسمِ
قد كنتُ أقسمتُ فيك مقتبِلاً فهات وادخلْ وأعطني سَلَمى

---

(1) ديوان العرجي ص 246 ط صادر.

فقال: أحسنَ والله ما شاءَ! فأنشدني أقنعَ بيتٍ قالته العرب. قال، قلت: قول عروة حيث يقول[1]:

أطلبُ ما يطلبُ الكريم من الرز — قِ بنفسي وأجمِلُ الطلبا

وأحلُبُ الدِّرَّةَ الصَّفيَّ ولا — أجهِدُ أخلافَ غيرها حَلَبا

إني رأيتُ الفتى الكريمَ إذا — رغَّبتَه في صنيعةٍ رَغِبا

والنَّذلُ لا يطلبُ العَلاءَ ولا — يُعطيكَ شيئاً إلا إذا رَهِبَا

مثل الحمار الموقَّع السَّوء لا — يُحسِنُ مَشْياً إلا إذا ضُربا

قد يُرزَق الخافضُ المقيمُ وما — شدَّ لعَنْسٍ رحلاً ولا قَتَبا

ويُحرمُ الرزقَ ذو المطية والـ — ـرَّحلِ ومن لا يزالُ مغترباً

فقال: أحسنَ والله ما شاء! فأنشدني أنصفَ بيتٍ قالته العرب. قال، قلت: قول الراعي حيث يقول[2]:

إني وإنْ كان ابن عمي غائباً — لمزاحمٌ من خلفه وورائهِ

ومعدُّهُ نصري وإنْ كان أمرأً — مُتباعداً في أرضه وسمائهِ

وأكونُ واليَ سرِّهِ فأصونُهُ — حتَّى يكونَ عليَّ وقتَ أدائهِ

وإذا الحودثُ أجحفَتْ بسَوامه — قرَّبت مجحَفها إلى جربائه

وإذا دعا باسمي ليركب مركباً — صَعباً ركبتُ له على سيسائه

وإذا رأيتُ عليه بُرْداً ناضراً — لم تُلفِني متوسِّماً لردائه

فقال: أحسنَ والله ما شاء! ثم قال: ما لُك يا نضر؟ قلت: ضَيعةٌ بمرو الرُّوذ أتعيش منها وأتمزَّزُها. قال: أفلا نُفيدك مالاً إلى مالك؟ قلت إني إلى ذلك محتاج. فتناول الدواةَ والقرطاسَ ثم كتب شيئاً لم أدرِ ما هو، وقال: يا نضر كيف تقول من

---

(1) ينسب الشعر للحكم بن عبدل في الحماسة بشرح المرزوقي 1204.

(2) ديوان الراعي ص 298 الملحق.

التراب إذا أمرت أن تترب كتاباً؟ قلت: أتربْه، قال: هو ماذا؟ قلت: مُتْرَب. قال: فمن الطين؟ قلت: طِنْه. قال: هو ماذا؟ قلت: مَطِين. قال: فمن السَّحاة؟ قلت: اسحِهِ. قال: هو ماذا؟ قلت: مسحيٌّ ومسحو. قال: يا غلام، أترِبْ واسحِ وطِنْ. ثم قام فصلَّى العِشاءَ الآخرة ثم قال لغلامٍ فوق رأسه: تبلغ معه إلى الفضل بن سهل بهذا الكتاب. فلمَّا دخلنا عليه قال: يا نَضْر، إنَّ أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم، فما قصتك؟ فحدثته الحديثَ ولم أكتمْه شيئاً، فقال: لحَّنت أمير المؤمنين؟ قلت: كلا، إنما لحن هُشيمٌ، فأدَّى أمير المؤمنين لفظه وقد تُتْبَعُ ألفاظُ العلماء.

فأمر لي من عنده ثلاثين ألف درهم، فخرجت بثمانين ألف درهم بكلمات استفادها[1].

46 ـ مجلس الأصمعي مع أبي عمرو الشيباني:

قال أبو عبد الله اليزيدي: حدثني أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال: حدثني سلمة قال:

حضر الأصمعي وأبو عمرو الشيباني عند أبي السَّمراء، فأنشد الأصمعي لمالك بن زُغْبة:

بضرب كآذان الفراء فضوله   وطعن كإيزاغِ المَخَاضِ تَبورُها

ثم ضرب بيده إلى فروٍ كان بقُربه، يوهمُ أنَّ الشاعر أراد فرواً، فقال أبو عمرو: أراد الفرو. فقال الأصمعي: «هذه روايتكم».

ومعنى البيت أن الضرب يصيِّر لحومهم معلَّقة، أي يقطعه قِطَعاً، فشبَّه اللحم بآذان الحمير.

ومثله ما أنشد الفرا عن المفضل[2]:

---

(1) مجالس العلماء ص 197 ـ 202.

(2) لأبي الطمحان القيني كما في اللسان: شهق.

بضربٍ يدير الهام عن سكناته وطعنٍ كتَشْهاقِ العَفا همَّ بالنَّهْقِ

والعفا في لغة طَيِّء: ولد الحمار. وأنشد ابن الأعرابي عن المفضل (العِفا) بالكسر.

ضـــربــاً خـــراديــلَ وطعنــاً وَخْــزا

ومثله كثير[1].

47ـ مجلس بشار بن برد مع خلاَّد بن المبارك:

حدثنا أبو عبد الله[2]، حدثني أحمد بن يحيى قال: حُدِّثتُ عن أحمد بن خلاَّد بن المبارك الباهلي قال:

حدثني أبي قال: قلت لبشَّار: إني أراك في شعرك تُهجِر[3] فتأتي مرةً بفن ومرة بفن. قال: مثل ماذا؟ قلت: مثل قولك:

إذا مـا غضبنـا غضبـةً مُضَـريَّـةً هتكنا حجابَ الشمسِ أو قطرتْ دما

ثم يقول:

رَبَـــابَـــةُ ربَّـــة البيـــتِ تصُـبُّ الخـلَّ فـي الـزَّيـتِ

لهـــا عشْـــرُ دَجـــاجـــاتٍ وديـــكٌ حسَـــنُ الصـــوتِ

فقال: يا أبا مخلد، الحال بيني وبينك قديمة، وأراك ليس تعرف مذهبي في هذا، هذه امرأة كانت لها عشر دجاجات وديك؟، وكنت لا آكل بيض السوق، وإنما آكل البيض المحصَّن، فأردت أن أمدحَها بما تفهم، ولو أني مدحتُها بمثل:

قفـــا نبـــكِ مـــن ذكـــر حبيـــبٍ ومنـــزلِ

وأخواتها لم تفهم ما أقول، ولم يقع منها موقعه، وإنما أنا كالبحر الزاخر يقذف

---

(1) مجالس العلماء ص 203 ـ 204

(2) هو محمد بن العباس اليزيدي.

(3) تهجر: الفحش والتخليط.

بالعنبرة وبالدرة النفيسة، وربما قذف بالمسك الطافي، ولكنْ لا أضع كل شيء إلا في موضعه. قلت: مثل ماذا؟ قال: مثل قولي:

أنفَسُ الشَّوقَ ولا ينفَسُني ... وإذا قارَعني الهم رجَعْ
أصرعُ القِرنَ إذا نازلتُه ... وإذا صارعني الحبُّ صَرَعْ
أنا كالسيفِ إذا روَّعْتَهُ ... لم يُروِّعْكَ وإذا هُزَّ قَطَعْ
سيفيَ الحلمُ وفي مِنطقتي ... أسَدُ الموتِ إذا الموتُ نقَعْ

قال أحمد: فسمعت الأصمعي يقول: العجب له أنه لا عشيرة له، ولا له مال بارع، وأعمى ويقول هذا[1].

48 ـ مجلس الشعبي مع عبد الملك بن مروان:

حدثني أبو عبد الله بن عيسى بن شيخ رحمه الله قال: حدثني علي بن يحيى بإسناد قال: قال الشعبي:

دخلتُ على عبد الملك بن مروان فصادفته في سِرار مع بعض من يقرُب منه، فوقفتُ ساعةً لا يرفع إليَّ طرفَه، فقلت: يا أمير المؤمنين، عامرُ الشعبي. فقال: لم نأذن لك حتى عرفنا اسمك. فقلت: نقدةٌ والله من أمير المؤمنين. فلما فرغ مما كان فيه وأقبلَ على الناس، رأيت في المجلس رجلاً ذا رواء وهيئة لم أعرفه، فقلت: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: الخلفاء تَسْأل، هذا الأخطل الشاعر. قلت في نفسي: هذه أخرى.

قال: وخُضنا في الحديث فمرَّ له شيءٌ لم أعرفْه فقلت: أكتِبْنيه يا أمير المؤمنين. فقال: الخلفاء تَستكتِب ولا تُستكتَب. فقلت: هذه ثالثة. وذهبت لأقوم، فأشار إليَّ بالقعود، فقعدتُ حتى خفَّ من كان عنده، ثم دعا بالطعام فقُدِّمت إليه المائدة، فرأيت عليها صحفةٌ فيها مُخٌّ، وكذا كانت عادته أن يُقَدَّم إليه المخُّ قبل كل شيء. فقلت: هذا يا أمير المؤمنين كما قال الله جلَّ وعزَّ ﴿وَجِفَانٍ

(1) مجالس العلماء ص 205 ـ 207.

﴿كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾[1]، فقال: يا شعبي مازحتَ من لم يمازحْك. فقلت: هذه والله رابعة.

فلما فرغ من الطعام وقعَد في مجلسه واندفعنا في الحديث وذهبت لأتكلم، فما ابتدأت بشيء من الحديث إلا استلبه مني فحدَّث الناسَ به، وربما زاد فيه على ما عندي، ولا أنشدتُه شعراً إلا فعل مثل ذلك. فغمَّني ذلك وانكسر بالي له، فما زلنا على ذلك بقيةَ نهارنا، فلما كان آخر وقتنا التفتَ إليَّ فقال: يا شعبيّ، قد والله تبيَّنتُ الكراهةَ في وجهكَ لما فعلتُ، وتدري أيُّ شيء حملَني على ذلك؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين. قال: لئلا تقول: لئن فازوا بالمُلْك أوَّلاً لقد فُزنا نحن بالعلم، فأردتُ أن أعَرِّفك أنَّا فزنا بالملك وشاركناك فيما أنت فيه. ثم أمر لي بمال فقُمت من عنده وقد زَلَلت أربع زَلاّت[2].

49 ـ مجلس الفرّاء مع الكسائي:

حـدَّث أبو توبة بن درَّاج قـال: سمعت الفراء يقول: كنـا بالرَّقَّة، وكان الناس قد كثُروا على الكسائي فشغلوه عنَّا، فعمِلت مسائلَ فيها مُحالٌ وفيها صواب، فأقبل يقول فيصيب ويَغلَط، لِما شَغَله من الناس، فلما صار إلى منزله كتب إليَّ رقعة فأعاد إليَّ فيها ما سألته عنه، فقال فيها بالصواب كلها. وقال: كنت مشغولاً بمن كان عندي، وقد ظننت أنك أردت ببعض مسائلك أن تتغفَّلني، وقد قيل:

ولا تبـغِ التغَفُّـلَ إنَّ فيـه تفـرُّقَ ذاتِ بيـنِ الأصفيـاءِ

ولا ينبغي لمثلك أن يفعل معي ذلك. وفي الكتاب:

وسـوف تلـوم نفسـك إنْ بَقِينـا وتبلـو النـاسَ والإخـوانَ بعـدي

قال الفراء فبلغ مني هذا القول كلَّ مبلغ، وكأني فجَّرتُ به منه بحراً.

---

(1) سبأ: 13.

(2) مجالس العلماء ص 208 ـ 209.

قال: قال الفراء: لم نرَ مثلَ الكسائي ولا نرى مثله أبداً، كنا نظن إذا سألناه عن التفسير أنه لا يجيب فيه الجوابَ الثاقب، فإذا سألناه عنه أقبل يرمينا بالشهبان.

وقال أبو تَوبة: وأخبرني سعدون قال: قلت للسكاكي: أيُّ الرجلين أعلم بالنحو: الفراء أو الأحمر[1]؟ فقال: الأحمر أحفظ، وهذا أعلمُ بما يخرج من رأسه[2].

50 ـ مجلس الكميت مع حمَّاد والطِّرِمَّاح وغيرهما:

قال ابن أنس: أخبرني شيخ من الحيِّ من بني نصر بن قُعَيْن قال:

شهد الكميتُ الجمعةَ بمسجد الجامع، فأحاط به علماء أهل الكوفة ورواتهم، فيهم حمَّادٌ والطرمّاح، فجعلوا يسألون، فكان لا يُسأل عن حرف إلا كان كأنه ممثَّل بين عينيه، فقال: ألا ألقي عليكم بيتاً؟ فقالوا: افعلْ يا أبا المستهلِّ، فألقى عليهم هذا البيت[3]:

قَذفوا صاحبهم في ورطةٍ ... قَذفكَ المَقْلةَ وسطَ المعتَركْ

فجعلوا ينظرون فيه، ونودي بالعَصْر ولم يصنعوا شيئاً، فسألوه عنه فقال: إن المَقْلة الحصاة التي يَقْسم بها القوم ماءَهم. قال: والمعنى: قذفوا صاحبهم في ورطة شطر المعترك، قَذْفَك المقلة.

قال ابن أنس: وقد ذكر هذه الحصاةَ الفرزدقُ في قوله[4]:

وجاء بجُلمودٍ له مثلَ رأسه ... ليشربَ ماءَ القومِ بين الصرائمِ

---

(1) هو علي بن المبارك، المعروف بالأحمر صاحب الكسائي وخليفته على تعليم أولاد الرشيد، توفي سنة 194 هـ. بغية الوعاة ص 334.

(2) مجالس العلماء ص 211 ـ 212.

(3) البيت ليزيد بن طعمة الخطمي في اللسان: مقل، والمعاني الكبير ص 309.

(4) ديوان الفرزدق ص 841.

على ساعةٍ لو أنَّ في القومِ حاتمٌ　　على جودهِ ضنَّتْ به نفسُ حاتِمِ[1]

51 ـ مجلس أبي يوسف يعقوب بن الدقَّاق مع أبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي:

حدثني عن أبي يوسف يعقوب بن الدقاق قال: أرسلني أبو نصر أحمد بن حاتم صاحبُ الأصمعي إلى أبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي عن هذين البيتين:

عجبتُ لهذه بعثتْ بَعيري　　وأقبلَ كلبُنا فرِحاً يجولُ

يحاذرُ شرَّها جَمَلي وكلبي　　يرَجِّي نفعها ماذا تقولُ

فسألته فقال: هذه أمَةٌ صوَّتتْ بالكلب على تصويت السنانير، فجاء الكلب فرحاً يظن أنها ستطعمه شيئاً، وثار البعير يظن أن الصوت به ليُحمل عليه.

ثم قال لي: قل له ما تقول في هذا البيت[2]:

لقد أهدتْ حَبابةُ بنتُ جَلٍّ　　لأهلِ جُلاجلٍ حبلاً طويلا

فقلت له: فسَّره لي يا أبا عبد الله، فقال لي: سَلْه قبلاً ثم ارجعْ إليَّ. قال: فرجعتُ إليه فأعلمته ما كان منه من الجواب، فقال: صدق أبو عبد الله، وسألته عن البيت فلم يعرفه، فرجعت إلى أبي عبد الله فأعلمته ذلك وفسَّره لي فقال: هذه امرأة كانت عظيمة العجيزة، فكانت تقف في نساء الحي وتأخذ حبلاً فتديره على عجيزتها، فإذا التقى طرفاه رمتْ به إليهن وقالت: أيَتُكُنَّ تفعل مثل هذا؟[3].

52 ـ مجلس الكسائي مع أبي محمد اليزيدي بحضرة الرشيد:

حدثنا أبو إسحاق الطّلحي قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل

---

(1) رفع حاتم على تقدير ضمير الشأن في (أن)، كما خرج عليه حديث: (إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون)، أي إنه. وفي الديوان: لو كان في القوم جاتم. مجالس العلماء ص 216 ـ 217.

(2) البيت في أمالي القالي 2/19، مجالس ثعلب ص 622.

(3) مجالس العلماء ص 227 ـ 228.

الكاتب عن أبيه قال:

مـــا رأينـــا خَـــرَبـــاً نـــ ـــقَّـــرَ عنـه البيـضَ صَقْـرُ[1]
لا يكـــون العَيـــرُ مُهـــراً لا يكـــون المُهْـــرُ مُهْـــرُ

فقال الكسائي: قد أقوى الشاعر. فقال اليزيدي: انظر جيداً. فقال: أقوى، لا بد أن ينصب الخبر الثاني على أنه خبر كان.

قال: فضرب اليزيدي بقلنسوته الأرض وقال: أنا أبو محمد، الشعر صواب، إنما ابتدأ فقال: المُهرُ مُهرُ. فقال له يحيى بن خالد: أتتكنَّى بحضرة أمير المؤمنين وتكشف رأسَك! والله لَخطأُ الكسائي مع أدبه أحبُّ إلينا من صوابك مع فعلك. فقال: لذَّةُ الغَلَب أنسَتْني من هذا ما أُحسِن[2].

53 ـ مجلس الوليد بن عبد الملك وسليمان أخيه:

حدثني محمد بن يزيد قال: حدثني أحد العلماء بالشعر والمتقدمين فيه أن ابنَيْ عبد الملك: الوليد وسليمان اختلفا في امرىء القيس والنابغة، فقدم الوليدُ النابغة وقدم سليمانُ امرأ القيس، فذُكِر ذلك لعبد الملك، فبعث لأعرابيٍّ فصيح فذكر ذلك له فقال: إني لا أقَدِّمُ الرجال على أسمائها، ولكن أنشدوني لهما وقاربوا بين المعنيين، فقال الوليد: صاحبي الذي يقول[3]:

وصدر أراح الليلُ عازبَ همِّه تضاعفَ فيه الحزنُ من كلِّ جانبِ
تطاولَ حتى قلتُ ليس بمنْقضٍ وليس الذي يرعى النجومَ بآيبِ

فقال: ما ينبغي أن يكون في الدنيا أشعر من صاحبكَ! فقال سليمان: لا تعجل حتى تسمع صاحبي الذي يقول:

وليلٍ كموج البحر مُرخٍ سُدولَه علـيَّ بـأنـواع الهمـوم ليتبلـي

---

(1) الخرب: ذكر الحبارى، وقيل: الحبارى كلها.
(2) مجالس العلماء ص 255 ـ 256.
(3) ديوان النابغة ص 3.

قال: حسبك، صاحبُك أشعر منك، قال: فاسمع ما بعده. قال: لا أحتاج[1].

54 ـ مجلس أبي عثمان المازني مع أبي عُمر الجَرمي:

حدثني بعض إخواني قال: حدثنا أبو إسحاق الزجاج قال: أخبرنا محمد بن يزيد قال: حدثني المازني قال:

قال أبو عُمَر الجرمي يوماً في مجلسه: من سألني عن بيت لا أعرفه من جميع ما قالته العرب فله عليَّ سَبَق. قال: فسأله بعض من حضر ـ قال أبو العباس: السائل المازني ولكنه كنى عن نفسه ـ فقال له: كيف ترى هذا البيت:

من كان مسروراً بمقتل مالكٍ   فليأتِ نسوتَنا بوجهِ نهارِ
يجدِ النساء حواسراً ينْدُبْنَهُ   قد قُمْنَ قبلَ تَبَلُّجِ الأسحارِ
قد كُنَّ يخبأنَ الوجوهَ تستُّراً   فالآنَ حين بدأنَ للنُّظَّارِ

فقال له: كيف تروي: بدأن، أو بدين؟ فقال: بدأن. فقال: خطأ إنما هو (بَدَونَ). فقال له: أخطأت. ففكر ثم قال: إنَّا لله، هذا عاقبة البغي.

قال المبرد: مثل هذا لا يخفى على الجرمي، إنما غُولِط.

وقع في هذه الحكاية سهوٌ من الحاكي لها أو من الناقل، وذلك أنه حكى أن المازني حضر مجلس الجرمي، وهذا غلط. والذي حدثني به علي بن سليمان وغيره أنَّ الجرمي تكلم بهذا بحضرة الأصمعي، والسائل له الأصمعي. وإنما كان ذلك على الأغلوطة والتجربة.

ومعنى الأبيات أن العرب كانت لا تندب قتلاها ولا تبكي عليها حتى يُثأر بها، فإذا قُتل قاتلُ القتيل بكت عليه وناحت. يقول من كان مسروراً بمصرع مالك فقد قتلنا قاتله، وهؤلاء النساء يندبنه. والدليل على ذلك قوله (حواسراً) لأن النساء لا تكشف رؤوسها إلا بعد أن أدركت بثأر قتلاها. وقوله: (بوجه نهار)، حكى

---

(1) مجالس العلماء 272 ـ 273.

ثعلب عن ابن الأعرابي أنه موضع، وقال هو وغيره: وجه النهار: أول النهار. وقال الله جلَّ وعَزَّ: ﴿ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ ﴾[1] .

55ـ مجلس أبي العباس مع رجل من النحويين:

حدثني علي بن سليمان قال: سأل رجل أبا العباس في مجلسه عن قول الشاعر:

مرحباً بالذي إذا جاء الـــ ـــخير أو غابَ غابَ عن كل خيرِ

فقال: أيهجوه أم يمدحه؟ فقال: بل يهجوه.

وفيه تقديران: أحدهما تفسير محمد بن يزيد، قال: يصفه بالغفلة والبلادة، وتقديره مرحباً بالذي إذا جاء جاء الخيرُ، أي حضوره غِيبة، فهذا المصراع في ذكر بلادته وغفلته. ثم قال: أو غاب غاب عن كل كلِّ خير، معناه أن الخير عندنا، فإذا غابَ عن كل خير، لأنه لا يرجع إلى خير عنده.

قال أبو العباس أحمد: إنما وصفه بالحرمان فقط، وتقدير الكلام عنده، مرحباً بالذي إذا جاء غاب عن كل خير، جاء الخير أو غاب، يصفه بالحرمان والشُّؤم على كل حال.

وقد رواه غيرهما بالنصب، معناه مرحباً بالذي إذا جاء أتى بالخير، أي صادف الخيرَ عندنا، أو غاب عن كل خير، أي أنه لا يرى الخير إلا عندنا، فإذا غاب عنا حُرِم ولم يصادف خيراً.

ومثل هذا مما يسأل عنه:

سألنا مَنْ أباك سَراةُ تيمٍ فقال أبي تسوِّده نزارا

تقديره: سألنا اباك نزاراً مَنْ سراةُ تيمٍ تسوِّده فقال: أبي. ينتصب أباك بوقوع السؤال عليه، ونزاراً بدل منه، ومَنْ رفعٌ بالابتداء، و سراة مبتدأ ثان، وتسوِّده الخبر،

(1) آل عمران 72. مجالس العلماء ص 305ـ306.

والمبتدأ الثاني والخبر خبر الأول. وقوله: (قال أبي) تقديره هو أبي، فيكون خبر ابتداءٍ مضمر، وإنْ شئت رفعته بالابتداء والخبرُ بعد مقدَّر، كأنك قلت: أبي تسودِّه سراة تميم[1].

56 ـ مجلس الأصمعي مع الكسائي:

حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

كنا عند الرشيد فحضر الأصمعي والكسائي، فسأل الرشيد عن بيت الراعي وقوله[2]:

قتلوا ابن عفَّان الخليفةَ مُحرِماً ... ودعا فلم أرَ مثلَهُ مخذولا

فقال الكسائي: كان قد أحرم بالحج. فضحك الأصمعي وتهاتَف[3]، فقال له الرشيد: ما عندك؟ فقال: والله ما أحرم بالحج ولا أراد أيضاً أنه دخل في شهر حرام، كما يقال أشهرَ وأعامَ، إذا دخل في شهر وفي عام. فقال له الكسائي: ما هو إلا هذا، وإلا فما معنى الإحرام؟ قال الأصمعي: فخبِّرني عن قول عدي بن زيد:

قتلوا كسرى بليل محرماً ... فتولَّى لم يُمَتَّعْ بكفَنْ

وأيُّ إحرامٍ لكسرى؟ فقال الرشيد: فما المعنى؟ فقال: يريد أنَّ عثمان لم يأتِ شيئاً يوجب تحليل دمه، وكلُّ من لم يحدث مثلَ ذلك فهو في ذمَّةٍ. فقال الرشيد: يا أصمعي، ما تطاق في الشعر.

ومثل هذا ما حدثني به العباس بن محمد بن أحمد بن حمدون، قال: حدثني علي بن يحيى قال: حدثني علي بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن أبي عمرو بن العلاء، قال: كانت يدي في يد الفرزدق، فأنشدته قول ذي الرمة[4]:

---

(1) مجالس العلماء ص 331 ـ 332.

(2) ديوان الراعي ص 231.

(3) التهاتف: الضحك في سخرية.

(4) ديوان ذي الرمة ص 207.

أقامت به حتى ذوىٰ العودُ في الثَّرى وسـاقَ الثُّريـا فـي مُـلاءَتـه الفجـرُ

فقال لي: أرشدك أم أدعُك؟ قلت: أرْشدْني. فقال: إنَّ العودَ لا يذوي أو يجف في الثرى، وإنما الشعر:

أقامت به حتى ذوى العودُ والثَّرى[1]

57 ـ مجلس أبي يوسف صاحب أبي حنيفة مع علي بن حمزة بحضرة الرشيد:

حدَّث أبو العباس أحمد بن يحيى قال: حدثني سلمة عن الفرّاء قال: كتب الرشيد في ليلة من الليالي إلى أبي يوسف صاحب أبي حنيفة: أفتِنا حاطكَ الله في هذه الأبيات:

فإنْ ترفقي يا هند فالرفقُ أيمنُ وإنْ تخرُقي يا هندُ فالخرقُ أشأمُ

فـأنـتِ طَـلاقٌ والطـلاقُ عـزيمـةٌ ثـلاثـاً ومـن يَخـرُقْ أعـقُّ وأظلـمُ

فبينـي بهـا إنْ كنـتِ غيـرَ رفيقـةٍ ومـا لامـرئٍ بعـد الثـلاث مقـدَّمُ

فقد أنشد البيت (عزيمةٌ ثلاثٌ) و(عزيمةٌ ثلاثاً) بالنصب، فبكم تطلُق بالرفع؟ وبكم تطلُق بالنصب؟

قال: قال أبو يوسف: هذه مسألة فقهية نحوية، إنْ قلت فيها بظنِّي لم آمن الخطأ، وإنْ قلت لا أعلم قيل لي كيف تكون قاضيَ القضاة وأنت لا تعرف مثل هذا. ثم ذكرت أنَّ أبا الحسن علي بن حمزة الكسائي معي في الشارع[2] فقلت: ليكنْ رسول أمير المؤمنين بحيث يكرم، وقلت للجارية: خُذي الشمعةَ من يديّ، فدخلت إلى الكسائي وهو في فراشه، فأقرأته الرُّقعة، فقال لي: خذ الدواةَ واكتب: «أما من أنشد البيت فالرفع فقال عزيمةٌ ثلاثٌ، فإنما طلقها واحدة وأنبأها أن الطلاق لا يكون إلا بثلاثة، ولا شيْ عليه، وأمَّا من أنشد عزيمةٌ ثلاثاً فقد طلقها

(1) مجالس العلماء ص 336 ـ 337.

(2) أي يقطن معي في شارع واحد.

وأبانَها لأنه قال: أنت طالقٌ ثلاثاً». وأنفذت الجوابَ، فحُمِلت إليَّ آخر الليل جوائز وصلاتٌ، فوجهت بالجميع إلى الكسائي.

شرح هذه الأبيات على الحقيقة

في قوله (فأنتِ طلاقٌ) وجهان: أحدهما أن يكون مصدراً في موضع اسم الفاعل، كما قيل زيدٌ عَدْلٌ أيَ عادل، وصومٌ أي صائم، وجَورٌ أي جائر، وماءٌ غَور أي غائر. قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾[1] فيكونُ التقدير: أنت طالق.

والوجه الآخر: إن يكون حذفَ المضافَ وأقامَ المضافَ إليه مقامه، كما يقال: صلَّى المسجدُ، أراد أهلُ المسجد، وبنو فلان يطؤهم الطريق، وكقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾[2]، فيكون التقدير على هذا: أنت ذاتُ طلاق. كما قالت الخنساء[3]:

ترتعُ ما غَفَلَتْ حتى إذا ادَّكرتْ   فــإنَّمــا هــي إقبــالٌ وإدبــارُ

تريد: فإنها ذاتُ إقبالٍ وذاتُ إدبارِ. وقوله: (ثلاثاً) تروي بالنصب والرفع، فمن نصب أراد فأنت طالقٌ ثلاثاً، هذه تطلق لا محالة، ويكون قوله والطلاق عزيمةٌ من أمري لا بهزلٍ ولا لَعبٍ.

ويدلُّ على هذا التأويل قوله في البيت الآخر:

تبِيني بها إنْ كنتِ غيرَ رفيقةٍ

ومن رفع فقال: (والطلاق عزيمةٌ ثلاثٌ) الطلاق رفع بالابتداء وعزيمةٌ خبره، وثلاث خبر ثانٍ. وإنْ شئتَ جعلت الثلاث موضحاً عن العزيمة ومترجماً عنها، فيكون المعنى: والطلاق الذي يكون عزيمة من المطلِّق هو ثلاث، فيحتمل أن يكون قال أنت طالق ولم يقصد الثلاث فتكون واحدة، ويكون قوله والطلاق عزيمة

---

(1) الملك 30.

(2) يوسف 82.

(3) ديوان الخنساء ص 78.

ثلاث منقطعاً عن الأول. وجائز أن يكون أراد بقوله أنت طالق الثلاثَ، لأنَّ له أن ينويَ ما أراد من ذلك، ثم فسَّره بقوله (والطلاق ثلاث)، فكأنه قال: والطلاق الذي جرى ذكره ثلاث. ويجوز نصب عزيمةً إذا رفع الثلاث فيقول: والطلاقُ عزيمةً ثلاث، كأنه قال: والطلاق ثلاثٌ عزيمةً، أي عزماً، فينصب على المصدر أو على إضمار أعزم ذلك عزماً وعزمة.

وأما قوله: (ومن يَخْرُقْ أعقُّ وأظلمُ) فمن كلام الشعر خاصَّةً، ولا يجوز في منثور الكلام، لأنه حذف الفاء التي هي جواب الجزاء، وحذف المبتدأ أيضاً، وذلك أنه جزم يخرق على الشرط بمَنْ، فأراد أن يأتي بالفاء في الجواب أو بفعل مجزوم، وكان سبيله أن يقول: ومن يخرُقْ فهو أعقُّ وأظلمُ، ولكنه حَذفَ، فهذا الحذف جائز في الشعر. وأنشد سيبويه في مثل ذلك[1]:

من يفعلِ الحسناتِ اللهُ يشكرُها والشرُّ بالشرِّ عند الله مثلانِ

أراد: فالله يشكرها، فأضمر الفاء كما ترى، فهو جائز[2].

(1) البيت لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت. العيني 4/433.

(2) مجالس العلماء ص 338 ـ 342.



الفصل الرابع

مجالس الوعظ والمناظرة



1 ـ مجالس الوعظ

إن مجالس الوعظ كثيرة لا يخلو منها مسجد في بلاد المسلمين في كل آن وزمان، ولكن وصف هذه المجالس وكيف تكون، لم يرد فيها إلا القليل، ومن ذلك القليل ما ذكره ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي المتوفىٰ سنة 614 هـ، في رحلته، فقد وصف مجلسين من هذه المجالس في بغداد مدينة السلام وصفاً دقيقاً ممتعاً، بيَّن مواضع هذه المجالس وأوقاتها وأصولها ورسومها، قال ابن جبير[1] يذكر الفقهاء والمحدثين ومجالس وعظهم: «لا جَرَمَ أن لهم في طريقة الوعظ والتذكير، ومداومة التنبيه والتبصير، والمثابرة على الإنذار المخوِّف والتحذير، مقامات تستنزل لهم من رحمة الله تعالى ما يحط كثيراً من أوزارهم، ويسحب ذيلَ العفو على سوء آثارهم، ويمنع القارعة الصمَّاء أن تحل بديارهم. . . فلا يكاد يخلو يوم من أيام جُمُعاتهم من واعظ يتكلم فيه، فالموفَّق فيهم لا يزال في مجلس ذِكرٍ أيامَه كلَّها، لهم في ذلك طريقة مباركة ملتزمة فأول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الإمام رضي الدين القزويني»[2]، رئيس الشافعية، وفقيه المدرسة النظامية[3]، والمشار إليه بالتقديم في العلوم الأصولية.

---

(1) رحلة ابن جبير ص 195 ـ 196 ط دار صادر، بيروت 1988.

(2) أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقاني رضيُّ الدين القزويني، واعظ عالم بالحديث، من أهل قزوين مولداً ووفاة، أقام زمناً في بغداد ودرَّس بالنظامية، وكان إماماً في فقه الشافعية، له كتاب (التبيان في مسائل القرآن) و(تعريف الأصحاب سواء السبيل)، توفي سنة 590 هـ.

(3) المدرسة النظامية: أسسها نظام الملك الحسن بن علي الطوسي المتوفىٰ سنة 485 هـ، وزير حازم استوزره إلب أرسلان، ثم ولده ملك شاه، فبقي في الحكم ثلاثين سنة، وافتتحها الخليفة العباسي القائم بأمر الله، ومارس نظام الملك التسليم بالمدرسة، وأشهر من درس=

حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة إثر صلاة العصر من يوم الجمعة الخامس لصفر المذكور، فصعد المنبر، وأخذ القرّاء أمامه في القراءة على كراسي موضوعة، فتَوَّقوا وشَوَّقوا، وأتوا بتلاحين معجبة، ونغمات محرجة[1] مطربة، ثم اندفع الشيخ الإمام المذكور، فخطب خطبة سكون ووقار، وتصرف في أفانين من العلوم، من تفسير كتاب الله عزَّ وجلَّ، وإيراد حديث رسوله ﷺ، والتكلم على معانيه، ثم رشقته شآبيبُ المسائل من كل جانب، فأجاب وما قصَّر، وتقدم وما تأخَّر، ودُفِعَتْ إليه عدة رقاع منها، فجمعها جملة في يده، وجعل يجاوب على كل واحدة منها وينبذ بها إلى أن فرغ منها.

وحان المساء فنزل وافترق الجمع، فكان مجلسه مجلس علم ووعظ، وَقوراً هَيِّناً لَيِّنا، ظهرت فيه البركة والسكينة، ولم تقصر عن إرسال عبرتها فيه النفسُ المستكينة، ولا سيما آخر مجلسه، فإنه سَرَتْ حُمَيًّا وعظه إلى النفوس حتى أطارتْها خشوعاً، وفجَّرتْها دموعاً، وبادر التائبون إليه سقوطاً على يده ووقوعاً، فكم ناصية جزَّ، وكم مَفْصِلٍ من مفاصل التائبين طَبَّقَ بالموعظة وحَزَّ، فبمثل مقام هذا الشيخ المبارك تُرحَمُ العُصاة، وتُتَغَمَّدُ الجُناة، وتُسْتَدامُ العصمة والنجاة، والله تعالى يجازي كلَّ مقامٍ عن مقامه، ويتَغَمَّدُ ببركة العلماء الأولياء عبادَه العاصين من سَخطه وانتقامه برحمته وكرمه، إنه المنعم الكريم، لا ربَّ سواه، ولا معبودَ إلا إياه.

وشهدنا له فيها مجلساً ثانياً إثر صلاة العصر من يوم الجمعة الثاني عشر من الشهر المذكور، وحضر ذلك اليوم مجلسَهُ سَيِّد العلماء الخراسانية، ورئيسُ الأئمة الشافعية، ودخل المدرسة النظامية بِهَزٍّ عظيم وتطريفِ آماق[2]، تشوَّقتْ له

= فيها من العلماء الغزالي وأبو إسحاق الشيرازي، واتبع في النظامية الوضع المألو ف في الجامعات المعاصرة من حيث تعيين المعيدين وزي الأساتذة وتوفير الحياة الكريمة للطلاب من المأكل والملبس والإقامة وغيرها.

(1) أي مشجية.

(2) الهز: النشاط والسرعة. تطريف الآماق: أصابتها بشيء فدمعت، لعله يشير إلى أن موكبه كان شديد الحركة وأن الآماق طرفت به إعباباً.

النفوس، فأخذ الإمام المتقدِّم الذكر في وعظه مسروراً بحضوره، ومتجملاً به، فأتى بأفانين من العلوم، على حسب مجلسه المتقدم الذكر، ورئيس العلماء المذكور هو صدر الدين الخُجَنْدي المتقدم الذكر في هذا التقييد، المشتهر المآثر والمكارم، المقدَّم بين الأكابر والأعاظم».

مجلس ابن الجوزي:

جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي المتوفي سنة 597 هـ، ينتسب ابن الجوزي إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فهو عربي قرشي تيمي، برز ابن الجوزي في علوم كثيرة تفرد بها عن غيره، جمع من المصنفات الكبار والصغار نحواً من ثلاث مئة مصنف، ذكرها بأسمائها سبطه في تاريخه مرآة الزمان[1].

عُرف ابن الجوزي بمجالسه الوعظية، وقد ازدهرت مجالس الوعظ وتطورت في عصره، وكانت مجالسه من أشهر تلك المجالس وأكثرها ناساً، وكان له تأثير شديد في الحاضرين، يساعده على ذلك حسن تصرفه في فنون القول وقوة العارضة، وكان صوته حلواً رخيماً، وحركاته موزونة، ولذلك كان الناس يهرعون إلى مجلسه ويتزاحمون لسماعه، وقيل: بلغ عدد من حضر مجلسه مئة ألف، وإن كان في هذا العدد مبالغة، لعدم القدرة على سماع صوته، ولكنه يدل على مدى تعلق الناس بمجالس وعظه وجودة تلك المجالس، وفي خلافة المستضيء (المتوفي سنة 575 هـ)، حسنت علاقة ابن الجوزي بالخليفة، وصنف له كتباً، وأذن الخليفة لابن الجوزي أن يجلس للوعظ في (باب بدر) في ساحة قصر الخليفة، وأعطاه مالاً.

وقد سجل ابن جبير الأندلسي الذي قدم بغداد سنة 580 هـ وحضر مجالس

---

(1) مرآة الزمان 8/312 ـ 316، وانظر في ترجمته: تذكرة الحفاظ للذهبي 4/1342، سير أعلام النبلاء 21/365 ـ 366، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي 4/329، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي 6/157، وفيات الأعيان 3/141.

ابن الجوزي قبل وفاته بسبع عشرة سنة، وكان عمره يومئذ سبعاً وسبعين سنة[1]، وقد بدأ وصف المجلس بذكر صفات ابن الجوزي ومكانته العلمية وسعة علمه وتفوقه في الوعظ والخطابة وذلاقة اللسان وما إلى ذلك، فقال ابن جبير: «ثم شاهدنا صبيحة السبت بعده[2] مجلسَ الشيخ الفقيه، الإمام الأوحد جمال الدين أبي الفضائل بن علي الجوزي، بإزاء داره على الشط بالجانب الشرقي، وفي آخره على اتصال من قصور الخليفة، وبمقربة من باب البَصليَّة آخر أبواب الجانب الشرقي، وهو يجلس به كل يوم سبت، فشاهدنا مجلس رجل ليس من عَمْرو ولا زَيْد، وفي جوف الفَرا كلُّ الصيد[3]، آية الزمان وقرة عين الإيمان، رئيس الحنبلية، والمخصوص في العلوم بالرتب العليَّة، إمام الجماعة، وفارس حلبة هذه الصناعة، والمشهود له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة، مالك أزمَّة الكلام في النظم والنثر، والغائص في بحر فكره على نفائس الدرِّ، فأما نظمه فرضيُّ الطباع، مهياري الانطباع[4]، وأما نثره فيصدع بسحر البيان، ويعطل المثل بقس وسحبان[5].

ومن أبهر أياته، وأكبر معجزاته، أنه يصعد المنبر ويبتديء القرَّاء بالقرآن، وعددهم نَيِّفَ على العشرين قارئاً، فينتزع الاثنان منهم أو الثلاثة اية من القراءة يتلونها على نَسَق بتطريب وتشويق، فإذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية، ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات إلى أن يتكاملوا قراءة، وقد أتوا بآيات مشتبهات، ولا يكاد المتقد الخاطر يحصِّلها عدداً أو يسمِّيها نسَقاً، فإذا فرغوا أخذ هذا الإمام الغريب الشأن في إيراد خطبته، عجلاً مبتدراً، وأفرغ في أصداف الأسماع من ألفاظه درراً، وانتظم أوائل الآيات المقروءات في أثناء خطبته

(1) صيد الخاطر، المقدمة ص 11.

(2) أي بعد مجلس رضي الدين القزويني.

(3) يشير للمثل: كل الصيد في جوف الفرا، والفرا الحمار الوحشي، أي أن الخطيب وحيد في علمه.

(4) رضي الطبع: شبيه في طبعه بالشريف الرضي الشاعر المشهور، مهياري: شبيه بمهيار الديلمي الشاعر.

(5) يريد قس بن ساعدة الإيادي، وسحبان وائل من خطباء العرب وبلغائهم.

فِقَراً، وأتى بها على نسق القراءة لها، لا مقدماً ولا مؤخراً، ثم أكمل الخطبة على قافية آخر آية منها. فلو أن أبدع مَنْ في مجلسه تكلَّف تسمية ما قرأ القرَّاء آيةً آيةً على الترتيب لعجز عن ذلك، فكيف بمن ينتظمها مرتجلاً، ويورد الخطبة الغرَّاء بها عَجِلاً أفسحرٌ هذا أم أنتم لا ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾[1]، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾[2]، فحدِّث ولا حرج عن البحر، وهيهات، ليس الخَبَر كالخُبْر.[3]

ثم إنه أتى بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بيِّنات من الذكر، طارت لها القلوب اشتياقاً، وذهبت بها الأنفس احتراقاً، إلى أن علا الضجيجُ، وتردَّد بشَهَقاتهِ النَّشيج، وأعلن التائبون بالصياح، وتساقطوا عليه تساقط الفَراش على المصباح، كلٌّ يلقي ناصيتَهُ بيده فيجزّها، ويمسح على رأسه داعياً له، ومنهم من يُغْشى عليه فيُرفَعُ في الأذرع إليه، فشاهدنا هولاً يملأ النفوس إنابة وندامة، ويُذَكِّرُها هَولَ يوم القيامة، فلو لم نركب ثَبَجَ البحر، ونعتسف مفازات القفر إلا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل لكانت الصفقةَ الرابحة، والوجهة المُفلِحة الناجحة، والحمد لله على أنْ منَّ بلقاء مَنْ تشهد الجمادات بفضله ويضيق الوجود عن مثله.

وفي أثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل، وتطير إليه الرقاع، فيجاوبُ أسرعَ من طَرْفة عين، وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتاج تلك المسائل، الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، لا إله سواه.

المجلس الثاني:

ثم شاهدنا مجلساً ثانياً له بُكرة يوم الخميس الحادي عشر لصفر، بباب بَدْر في ساحة قصور الخليفة، ومناظره مشرفة عليه، وهذا الموضع المذكور هو من

---

(1) الطور 15.
(2) النمل 16.
(3) الخَبَر: النبأ، الخُبْر، (بالضم فسكون): الطعام وغيره.

حرم الخليفة، وخُصَّ بالوصول إليه والتكلُّم فيه ليسمعه من تلك المناظر الخليفةُ ووالدته ومن حضر من الحُرَم. ويُفتَحُ الباب للعامة فيدخلون إلى ذلك الموضع، وقد بُسِط بالحُصُر. وجلوسه بهذا الموضع كل يوم خميس. فبكرنا لمشاهدته بهذا المجلس المذكور، وقعدنا إلى أن وصل هذا الحَبْر المتكلم، فصعد المنبر، وأرخى طيلسانه عن رأسه تواضعاً لحرمة المكان، وقد تسطَّر القُرَّاءُ أمامه على كراسي موضوعة، فابتدروا القراءة على الترتيب، وشوَّقوا ما شاءوا، وأطربوا ما أرادوا. وبدرت العيون بإرسال الدموع. فلما فرغوا من القراءة، وقد أحصينا لهم تسع آيات من سور مختلفات، صدع بخطبته الزهراء الغرَّاء، وأتى بأوائل الآيات في أثنائها منتظمات، ومشى الخطبة على فِقْرَةِ آخر آية منها في الترتيب إلى أن أكملها، وكانت الاية: ﴿ اَللَّهُ اَلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اَلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَاَلنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ اَللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى اَلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ ﴾[1]، فتمادى على هذا السين[2]، وحسَّنَ أيَّ تحسين، فكان يومه في ذلك أعجب من أمسه، ثم أخذ في الثناء على الخليفة والدعاء له ولوالدته، وكنى عنها يالستر الأشرف، والجناب الأرأف، ثم سلك سبيله في الوعظ، كل ذلك بديهةٌ لا رَوِيَّة؛ ويصل كلامه في ذلك بالآيات المقروءات على النسق مرة أخرى، فأرسلت وابلَها العيونُ، وأبدت النفوس سرَّ شوقها المكنون، وتطارح الناسُ عليه بذنوبهم معترفين، وبالتوبة معلنين، وطاشت الألبابُ والعقول، وكثر الولَهُ والذهول، وصارت النفوس لا تملك تحصيلاً، ولا تميِّزُ معقولاً، ولا تجد للصبر سبيلاً. ثم في أثناء مجلسه ينشد بأشعار من النسيب مبرَّحة التشويق، بديعة الترقيق, تشعل القلوب وجداً، ويعود موضعها النَّسيبيُّ زُهداً.

وكان آخر ما أنشده من ذلك، وقد أخذ المجلس مأخذه من الاحترام، وأصابت المقاتلَ سهامُ ذلك الكلام:

أيـنَ فـؤادي أذابـهُ الـوجـدُ وأيـن قلبـي فمـا صحـا بعـدُ
يا سعدُ زدني جوىً بذكرهمُ باللهِ قُلْ لي فُديتَ يا سعدُ

---

(1) سورة غافر61.

(2) أي في الكلام المسجوع بحرف السين.

ولم يزل يُرَدِّدُها والانفعال قد أثّر فيه، والمدامعُ تكاد تمنعُ خروجَ الكلام من فيه، إلى أن خاف الإفحام، فابتدر القيام، ونزل عن المنبر دَهِشاً عَجِلاً، وقد أطارَ القلوبَ وَجَلاً، وترك الناس على أحرّ من الجمر، يُشَيِّعونهُ بالمدامع الحُمْر. فمن معلْنٍ بالانتحاب، ومن متعفر في التراب. فيا له من مشهد ما أهولَ مرآه، وما أسعد من رآه! نفعنا الله ببركته وجعلنا ممن فاز به بنصيب من رحمته، بِمَنِّه وفضله.

وفي أول مجلسه أنشد قصيداً نَيِّرَ القَبَس، عراقيَّ النَّفَس، في الخليفة، أوله:

فـي شُغُـلٍ مـن الغـرامِ شـاغـلِ مَنْ هاجَهُ البرقُ بسفحِ عاقلِ

يقول فيه عند ذكر الخليفة:

يـا كلمـاتِ الله كـونـي عُـوذَةً مـن العيـونِ لـلإمـامِ الكـامـلِ

ففرغ من إنشاده وقد هزَّ المجلسَ طَرباً، ثم أخذ في شأنه وتمادى في إيراد سحر بيانه، وما كُنَّا نحسب أنَّ متكلماً في الدنيا يُعطَى من ملكة النفوس والتلاعُب بها ما أعطي هذا الرجل، فسبحان من يخصُّ بالكمال من يشاء من عباده، لا إله غيره»[1].

المجلس الثالث:

قال ابن جبير: «وحضرنا مجلساً ثالثاً، يوم السبت الثالث عشر لصفر، بالموضع المذكور بإزاء داره على الشط الشرقي فأخذت معجزاتُه البيانية مأخذه، فشاهدنا من أمره عجباً، صَعَّدَ بوعظه أنفاسَ الحاضرين سُحُباً، وأسأل من أدمعهم وابلاً سَكْباً، ثم جعل يردِّدُ في آخر مجلسه أبياتاً من النسيب شوقاً زهدياً وطربا إلى أن غلبتْهُ الرِّقةُ فوثب من أعلى منبره والهاً مكتئباً، وغادر الكلَّ متندماً على نفسه منتحباً، لهفان ينادي، ياحسرتا واحربا، والنادبون يدورون بنحيبهم دورَ الرحى، وكل منهم بعدُ من سكرته ما صحا، فسبحان من خلقه عبرةً لأولي الألباب، وجعله لتوبة عباده أقوى الأسباب، لا إله سواه[2].

(1) رحلة ابن جبير ص 198 ـ 199.
(2) رحلة ابن جبير ص 200.

ابن الجوزي يتحدث عن مجالسه الوعظية:

كان لمواعظ ابن الجوزي أثر في نفوس معاصريه ومن سمعوه أو قرأوا له، وما زالت مواعظه لها أثر في نفوس قارئيها، وقد كان لعلم ابن الجوزي وذكائه وفطنته وطريقته في الوعظ الأثر الكبير في النفوس، فقد تاب على يديه من سامعي وعظه مئات الألوف، وكثيراً ما كان سامعوه يذرفون الدموع وينشجون في بكائهم، ويلطمون وجوههم ويلدمون صدورهم، ذكر ابن الجوزي مجالس وعظه وأثرها في نفوس الناس، وتحدث عن كتبه الوعظية وما لها من سبق وأثر، فقال: « وإني ما زلت أعظ الناس وأحرضهم على التوبة، فقد تاب على يدي إلى أن جمعت هذا الكتاب[1] أكثر من مئة ألف رجل... وقد جمعت في آلات الوعظ كتباً لم أسبق إلى مثلها، ولي في كتبي الوعظية ـ بحمد الله ـ أعمال عجز عنها من تقدَّم ، وإنما أحدث بهذه النعمة شكراً لا عجباً، لأنه إنما يُعجب من يرى عمله، وأنا إنما أرى فضل المنعم وقلة شكري. ولقد أقدرني على أن ارتجل المجلس كله من غير ذكر محفوظ، وربما قرئت عندي في المجلس خمس عشرة آية، فآتي على كل آية بخطبة تناسبها في الحال»[2].

ويتحدث ابن الجوزي عن بعض مجالسه الوعظية وما كان لها من احتفال الناس بها وكثرتهم وابتهاجهم بهذه المجالس، ووصف ابن الجوزي لمجالسه يعززه ما تقدم من وصف ابن جبير لهذه المجالس، يقول ابن الجوزي: «وسألني أهل الحربية أن أعقد عندهم مجلساً للوعظ ليلة، فوعدتهم ليلة الجمعة سادس عشر من ربيع الأول فانقلبت بغداد، وعبر أهلها عبوراً زاد على نصف شعبان زيادة كثيرة، فعبرت إلى باب البصرة، فدخلت بعد المغرب فتلقاني أهلها بالشموع الكثيرة، وصحبني منها خلق عظيم، فلما خرجت من باب البصرة رأيت أهل الحربية قد أقبلوا بشموع لا يمكن إحصاؤها ، فأضيفت إلى شموع أهل باب

---

(1) يريد كتابه القصاص والمذكرين.

(2) كتاب القصاص والمذكرين ص 177 ـ 118، ط دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

البصرة، فحرزت بألف شمعة، فما رأيت البريَّة إلا مملوءة ضوءاً، وخرج أهل المحال الرجال والنساء والصبيان ينظرون، وكان الزحام في البرية كالزحام في سوق الثلاثاء، فدخلت الحربية وقد امتلأ الشارع واكتريت الرواشن[1] من وقت الضحى، فلو قيل: إن الذين خرجوا يطلبون المجلس وسعوا في الصحراء بين باب البصرة والحربية مع المجتمعين في المجلس كانوا ثلاث مئة ألف ما أبعد القائل»[2].

ويصف ابن الجوزي مجلساً آخر من مجالسه بدعوة من الوزير، وكيف كان يحتفى به ويحضره الخليفة وعلماء بغداد والفقهاء والوعاظ ويخلع عليه الخليفة خلعاً سنية، يقول: «وفي يوم الأربعاء سادس ذي الحجة، صنع الوزير ابن سينا رئيس الرؤساء دعوة، وجمع فيها أرباب المناصب، وحضر الخليفة، فاستُدعيت، فخُلِعَت عليَّ خلعة، ونُصِبَ لي منبر في الدار، فتكلمت بعد أن أكلوا، والخليفة حاضر والوزير وجميع أرباب المناصب، وجميع علماء بغداد والفقهاء والوعاظ إلا النادر، وخُلِعَ عليَّ خلعة ثم تكلمت يوم عرفة، وكان مجلساً عظيماً تاب فيه خَلْقٌ كثير»[3].

نماذج من وعظه:

إن مواعظ ابن الجوزي كثيرة وكلها مواعظ بليغة مؤثرة تهز المشاعر وتستجيب إليها النفوس والقلوب، لما لها من قوة وروعة في البيان وسلاسة في الأداء وحلاوة في النطق، يختار من الموضوعات التي يجد فيها الناس ملجأ وملاذاً وخلاصاً من الذنوب وعودة إلى الدين وصلاحاً لدين الناس ودنياهم، يقول مذكراً من غرَّتْه الدنيا وألهته عن دينه مذكراً بالعواقب وداعياً إلى الاعتبار بمن سبق من الأمم الخالية: «اسمع يا عظيم الاغتباط، يا كثير الانبساط، أما تخاف عواقب هذا

---

(1) الرواشن: جمع روشن وهو الرف أوالكوة أو الشرفة. (المعجم الوسيط: رشن).
(2) المنتظم 18/ 203. ط دار الكتب العلمية بيروت، د. ت.
(3) المنتظم 18/ 223.

الانبساط، أما تخاف عواقب هذا الإفراط، يا مؤثراً الفاني على الباقي، غلطت لا كالأغلاط، أيعجبك ثوب الصحة؟! كلا ثوب البِلا يُخاط، أين من سَلَفَ من الأولين والآخرين؟ أين أبوك آدم صفوة رب العالمين؟ أين محمد سيد العالمين؟ أين الأمم الماضية؟ أين القرون الخالية؟ أين الذين ملؤوا ما بين الخافقين فخراً وعزاً؟ أين الذين فرشوا القصور خَزّاً وقَزّاً؟ أين الذين ارتجت بهم الأرض رجفاً وهَزّاً ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾[1] أهلكهم الله مهلك الأمم ومبيدها، وأفناهم مفني الأمم ومعيدها، فسكنوا بعد سعة القصور ضيق القبور، وتبدلوا بعد الفُرش الوثيرة خشونة المدر[2] وبُلِيَتْ منهم محاسن تلك الصور، وخلى منهم بما قدَّم وأخرَّ»[3].

وفي موعظة أخرى يحذر من دنو الأجل، والموت وما يكون بعد ذلك من حساب وعقاب: «لو صِيْحَ بك الليلة أجب الداعي، أما كنتَ نادماً على ما قدَّمتَ؟ وباكياً على ما فرَّطْتَ؟ فالله الله عبادَ الله استعدوا للموت، فكأنه نزل بكم فأرملَ النسوان، وأيتم الولدان، وفرّق الأخوان، فوالله يا أيها الإنسان. . . . لو لم يكن ماء ولا ظلال، ولا جواب ولا سؤال، ولا نعيم ولا ثواب، ولا جحيم ولا عقاب، لكان في الموت وسكرته، والقبر وظلمته، واللحد وضغطته، ما يمنع العاقل اللبيب عن كسب الخطايا والذنوب، فكيف ومن وراء ذلك هول مهول، وشرح يطول: من الصّوْر ونفخته، والنشور وروعته، والسراط ودِقَّته، ومسألة الله تعالى للعبيد وتوبيخه، فما يكون جوابك أيها المغرور إذا وقفت بين يدي العالم الغفور، الذي يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور؟ فأظهر لك قبائحك، واستشهد عليك جوارحك، فإن عفا عنك فأنت من الفائزين ، وإن طالبت بما قدمت يداك فأنت من الخاسرين، عفا الله عنا أجمعين، وغفر لنا ذنوبنا فهو خير الغافرين»[4].

---

(1) مريم 98.

(2) المدر: الطين اللزج المتماسك.

(3) المواعظ والمجالس ص 107 ـ 108. تحقيق محمد إبراهيم سنبل، ط دار الصحابة للتراث، طنطا 1990.

(4) بستان الواعظين ورياض السامعين ص 176. تحقيق مجدي محمد الشهاوي، مكتبه =

وأكثر الوعظ تذكير بالآخرة ويوم الحساب وما اقترف الإنسان من المعاصي، وهو في موعظة أخرىٰ يحذر من مغريات الدنيا الفانية ويذكر بيوم الحساب في الآخرة، ويُضَمِّن خطبته الشعر، فيقول: «إخواني، الدنيا سموم قاتلة، والنفس عن مكائدها غافلة، كم من نظرة تحلو في العاجلة، ومرارتها لا تطاق في العاقبة الآجلة، يابن آدم قلبك قلب ضعيف، ورأيك في إطلاق الطرف رأي مخيف، عينك مطلوقة، ولسانك يجني الآثام، وجسدك يتعب في كسب الحطام كم من نظرة محتقرة زلَّت بها الأقدام.

عـــاتبـــتُ قلبـــيَ لمَّـــا رأيـــتُ جسمـــي نحيـــلا
فـــلامَ قلبـــي طـــرفـــي وقـــال كنـــتَ الـــرســـولا
فقـــال طـــرفـــي لقلبـــي بـــل كنـــتَ أنـــت الـــدليـــلا
فقلـــتُ كُفُّـــوا جميعـــاً تـــركتمـــانـــي قتيـــلا»[1]

ويذكر شعراً في آخر موعظة أخرى عن حساب الإنسان في يوم الحساب:[2]

ولـــو أنَّـــا إذا مِتْنـــا تُـــرِكْنـــا لكـان المـوتُ راحـةَ كـلِّ حـيٍّ
ولكـــنْ إذا مِتْنـــا بُعِثْنـــا ونُسْـألُ بعـدَهُ عـن كـلِّ شَـيٍّ

ويقول ابن الجوزي في إحدى خطبه البليغة المؤثرة التي تبين قدرة الخالق وضعف الإنسان وغروره، وقد آثر فيها السجع: «الحمد لله فالق النوى والحبوب، وخالق الصبا والجنوب، المنزَّه عن الآفات والعيوب، المطَّلِع على خفيات العيوب، أحيا بعد البَلَى إلا في التراب جسم أيوب، وردَّ بعد البُعد يوسف على يعقوب، يبصر دبيب النمل في العروق، فاء عن المطعوم والمشروب، ويسمع أخفى أصوات الأوراق طفقن يصطفقن عن هبوب، أرسل الرياح تحمل السحاب الغائب على أن يؤوب، فإذا زمجر الرعد ضحك البرق لتلك الخطوب، فانفجرت

= الإيمان، المنصورة 1994.

(1) بحر الدموع ص 63.

(2) بحر الدموع ص 42.

عيون المُزن فُجِّرت كدمع الحزن المسكوب، فبرزت الثمار من الأكمام تنادي بلسان الإعلام ما يقدر شيء من الأصنام على إنشاء أنبوب ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾[1].

ونكتفي بنماذج الوعظ ومجالس الوعظ، بما نقلناه عن مجالس ابن الجوزي التي كانت قمة المجالس، لأن ابن الجوزي كان من أبرز الواعظين ولم يتهيأ لواعظ آخر أن يزدهر مجلسه بالجموع الغفيرة، وتتزين مواعظه بالأساليب الرائعة البليغة المقنعة، وكان يحضر مجالسه أعداد غفيرة من عامة الناس ومن عليتهم، حتى إن الخليفة ووزراءه كانوا يحضرون، وكان أهل بغداد وأهل البصرة يحتفلون بهذه المجالس ويسعون إليها بجموعهم الغفيرة وهم يوقدون الشموع احتفالاً بها، وقد بلغت أعدادهم مئات الألوف.

---

(1) الحج 73، والخطبة في رؤوس القوارير ص 17، تحقيق محمد نبيل سنبل، ط دار الصحابة للتراث، طنطا 1990.

2 ـ مجلس مناظرة في المنطق اليوناني والنحو العربي بين أبي سعيد السيرافي ومتَّى بن يونس[1]

قال أبو حيان: ذكرت للوزير[2] مناظرة جرت في مجلس الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات[3]، بين أبي سعيد السيرافي[4] وأبي بشر متَّى[5] واختصرتها، فقال لي: اكتب هذه المناظرة على التمام، فإن شيئاً يجري في ذلك المجلس النبيه، وبين هذين الشيخين بحضرة أولئك الأعلام ينبغي أن يغتنم سماعه وتوعَى فوائده، ولا يتهاون بشيء منه. فكتب: «حدثني أبو سعيد بلمع من هذه القصة، فأما علي بن عيسى النحوي (أي الرماني) الشيخ الصالح فإنه رواها مشروحة، قال: لما انعقد المجلس سنة عشرين وثلاثمائة[6]، قال الوزير: ابن

---

(1) معجم الأدباء 2/ 894 ـ 908 تحقيق إحسان عباس، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت 1993، وأبو حيان التوحيدي في كتابه الامتناع والمؤانسة ص 99 ـ 115 تحقيق محمد حسن محمد ط دار الكتب العلمية، بيروت 2003.

(2) لم يذكر ياقوت من هو الوزير، ولعله الوزير الدلجي الذي وضع له أبو حيان كتاب المحاضرات الذي ذكرت فيه هذه المناظرة.

(3) هو ابن حنزابة وزير المقتدر العباسي توفي سنة 327هـ.

(4) الحسن بن عبد الله بن المرزبان، نحوي عالم بالأدب أصله من سيراف (من بلاد فارس) توفي في بغداد سنة 368هـ. وفيات الأعيان، نزهة الألِبا ص 397، إنباه الرواة 1/ 313.

(5) هـو متَّى بن يونان (يونس) القناني، نسبة إلى دير قنى، نشأ في أسكول مرماري، نزل بغـداد وقرأ المنطق عل قويري وغيره من المناطقة، وكان قيماً بالنقل من السرياني إلى العربي، وإليه انتهت رآسة أهل النمطق في عصره، توفي ببغداد سنة 328هـ. وفيات الأعيان 153/5 ط إحسان عباس .

(6) في الإمتناع والمؤانسة سنة ستة وعشرين وثلاثمائة.

الفرات للجماعة ـ وفيهم الخالدي وابن الاخشيد والكندي وابن أبي بشر وابن رباح وابن كعب وأبو عمرو قدامة بن جعفر الزهري وعلي بن عيسى بن الجراح وأبو فراس وابن رشيد وابن عبد العزيز الهاشمي وابن يحيى العلوي ورسول ابن طغج من مصر والمرزباني صاحب بني سامان ـ: أريد أن يُنتدبَ منكم إنسانٌ لمناظرة متَّى في حديث المنطق، فإنه يقول: لا سبيلَ إلى معرفة الحقِّ من الباطل، والصدق من الكذب، والخير من الشر، والحجة من الشبهة، والشك من اليقين، إلا بما حويناه وملكناه من القيام به، واستفدنا من واضعه على مراتبه وحدوده، واطلعنا عليه من جهة اسمه على حقائقه.

فأحجم القوم وأطرقوا! فقال ابن الفرات: والله إنَّ فيكم لمن يفي بكلامه ومناظرته وكسرِ ما يذهب إليه، وإني لأعدُّكم في العلم بحاراً، وللدين وأهله أنصاراً، وللحق وطلابه مناراً، فما هذا التغامز والتلامز اللذان تَجِلُّون عنهما؟!

فرفع أبو سعيد السيرافي رأسه وقال: اعذر أيها الوزير، فإن العلم المصون في الصدور غير العلم المعروض في هذا المجلس على الأسماع المصيخة، والعيون المحدقة، والعقول الجامَّة، والألباب الناقدة، لأن هذا يستصحبُ الهيبة، والهيبة مَكْسَرَة، ويجتلب الحياءَ، والحياءُ مَغْلَبة، وليس البراز في معركة غاصَّة، كالصراع في بقعة خاصَّة[1]. فقال ابن الفرات: أنت لها يا أبا سعيد، فاعتذارك عن غيرك يوجب عليك الانتصار لنفسك، والانتصار لنفسك راجعٌ على الجماعة بفضلك. فقال أبو سعيد: مخالفة الوزير فيما يأمره[2] هُجنة، والاحتجان عن رأيه إخلاد إلى التقصير، ونعوذ بالله من زلَّة القدم، وإياه نسأل حسن التوفيق في الحرب والسلم.

ثم واجه متَّى فقال: حدثني عن المنطق، ما تعني به؟ فإنَّا إذا فهمنا مرادك

---

(1) في الإمتاع: في معركة خاصة، كالمصاع في بقعة عامة. والمصاع: من صاع الشجاع أقرانه إذا حمل عليهم.

(2) في الإمتاع: فيما رسمه.

فيه، كان كلامنا معك في قبول صوابه وردِّ خطئه على سَنَنٍ مَرْضِيٍّ، وعلى طريقة معروفة.

قال متَّى: أعني به أنه آلة من الآلات يعرف به صحيح الكلام من سقيمه، وفاسدُ المعنى من صالحه، كالميزان فإني أعرف به الرجحان من النقصان، والشائل من الجانح.

فقال أبو سعيد: أخطأت لأن صحيح الكلام من سقيمه يُعرف بالنظم المألوف والإعراب المعروف، إذا كنا نتكلم العربية؛ وفاسد المعنى من صالحه يعرف بالعقل إن كنا نبحث بالعقل. وهبك عرفت الراجحَ من الناقص من طريق الوزن؛ من لك بمعرفة الموزون أهو حديد أو ذهب أو شبه[1] أو رصاص؟ وأراك بعد معرفة الوزن فقيراً إلى معرفة جوهر الموزون، وإلى معرفة قيمته وسائر صفاته التي يطول عدُّها، فعلى هذا لم ينفعك الوزنُ الذي كان عليه اعتمادك، وفي تحقيقه كان اجتهادك، إلا نفعاً يسيراً من وجه واحد، وبقيت عليك وجوهٌ، فأنت كما قال الأول[2]:

حفظت شيئاً وضاعت عنك أشياء

وبعد، فقد ذهب عليك شيء ها هنا: ليس كل ما في الدنيا يوزن، بل فيها ما يوزن، وفيها ما يكال، وفيها ما يذرع، وفيها ما يمسح، وفيها ما يحزر، وهذا وإن كان هكذا في الأجسام المرئية، فإنه أيضاً على ذلك في المعقولات المقررة[3]، والإحساسات ظلال العقول، وهي تحكيها بالتبعيد والتقريب، مع الشبه المحفوظ، والمماثلة الظاهرة. ودع هذا: إذا كان المنطق وضعه رجل من يونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها، وما يتعارفون بها من رسومها وصفاتها، من أين يلزم التركَ والهندَ والفرسَ والعربَ أن ينظروا فيه ويتخذوه حَكَماً لهم وعليهم، وقاضياً بينهم،

---

(1) الشبه النحاس الأصفر.

(2) عجز بيت لأبي نواس في ديوانه ص 7، وصدره:

فقل لمن يدعي في العلم معرفة

(3) ويروي المقروءة.

ما شهد لهم به قبلوه، وما أنكره رفضوه؟

قال متَّى: إنما لزم ذلك لأن المنطق بحثٌ عن الأغراض المعقولة، والمعاني المُدْرَكة، وتصفح للخواطر السانحة، والسوانح الهاجسة، والناس في المعقولات سواء، ألا ترى أن أربعة وأربعة ثمانية عند جميع الأمم؟ وكذلك ما أشبهه؟

قال أبو سعيد لو كانت المطلوبات بالعقل، والمذكورات باللفظ، ترجع مع شُعَبها المختلفة، وطرائقها المتباينة، إلى هذه المرتبة البينة في أربعة وأربعة أنهما ثمانية، زال الاختلاف، وحضر الاتفاق. ولكن ليس الأمر هكذا، ولقد مَوَّهْتَ بهذا المثال، ولكم عادةٌ في هذا التمويه، ولن ندع هذا أيضاً: إذا كانت الأغراض المعقولة، والمعاني المدركة، لا يوصل إليها إلا باللغة الجامعة للأسماء والأفعال والحروف، أفليس قد لزمت الحاجة إلى معرفة اللغة؟

قال: نعم. قال: أخطأت، قل ني هذا الموضع بلى، قال متَّى: بلى، أنا أقلدك في مثل هذا. قال أبو سعيد: فأنت إذن لستَ تدعونا إلى علم المنطق، بل إلى تعلم اللغة اليونانية! وأنت لا تعرف لغة يونان، فكيف صرتَ تدعونا إلى لغة لا تفي بها، وقد عَفَتْ منذ زمان طويل، وباد أهلها وانقرض القومُ الذين كانوا يتفاوضون بها ويتفاهمون أغراضهم بتصرفها؟ على إنك تنقل من السريانية، فما تقول في معانٍ متحوّلة بالنقل من لغة يونان إلى لغة أخرى سريانبة، ثم من هذه إلى لغة أخرى عربية؟

قال متَّى: يونان وإن بادت مع لغتها، فإن الترجمة قد حفظت الأغراضَ، وأدَّت المعاني، وأخلصت الحقائق.

قال أبو سعيد إذا سلمنا لك أن الترجمة صدَقَتْ وما كذبت، وقوَّمتْ وما حرَّفتْ، ووزنت وما جزَّفت، رأنها ما التاثت ولا حافت، ولا نقصتْ ولا زادت، ولا قدَّمتْ ولا أخرَّتْ، ولا أخلَّتْ بمعنى الخاص والعام، ولا بأخَصِّ الخاصِّ، ولا بأعمِّ العامِّ، وإن كان هذا لا يكون، وليس في طبائع اللغات ولا في مقادير المعاني، فكأنك تقول بعد هذا: لا حجة إلا عقول يونان، ولا برهان إلا ما

وصفوه[1]، ولا حقيقة إلا ما أبرزوه.

قال متّى: لا ولكنهم من بين الأمم أصحاب عناية بالحكمة، والبحث عن ظاهر هذا العلم وباطنه، وعن كل ما يتّصل به وينفصل عنه، وبفضل عنايتهم ظهر ما ظهر، وانتشر ما انتشر، وفشا ما فشا، ونشأ ما نشأ من أنواع العلم وأصناف الصناعة، ولم نجد هذا لغيرهم.

قال أبو سعيد: أخطأت وتعصبت، وملت مع الهوى، فإن العلم مبثوث في العالم، ولهذا قال القائل:

العلــمُ فــي العــالَــم ميثــوثُ ونحــوَهُ العــاقــلُ محثــوثُ

وكذلك الصناعة مفضوضة على جميع من على جديد الأرض، ولهذا غلب علمٌ في مكان دون مكان، وكثرت صناعة في بقعة دون صناعة، وهذا واضح، والزيادة علية مشغلة ومع هذا فإنما كان يصح قولك وتسلم دعواك، لو كانت يونان معروفة بين جميع الأمم بالعصمة الغالبة، والفطرة[2] الظاهرة، والبِنْيَةِ المخالفة، وأنهم لو أرادوا أن يخطئوا ما قدروا، لو قصدوا أن يكذبوا ما استطاعوا، وأن السكينة نزلت عليهم، والحقّ تكفَّل بهم، والخطأ تبرَّأ منهم، والفضائل لصقتْ بأصولهم وفروعهم والرذائل بعدت عن جواهرهم وعقولهم؟! وهذا جهلٌ ممن يظنه بهم، وعنادٌ ممَّن يدعيه عليهم؛ بل كانو كغيرهم من الأمم يصيبون في أشياء، ويخطئون في أشياء، ويصدقون في أمور، ويكذبون في أمور، ويحسنون في أحوال، ويسيئون في أحوال، وليس واضعَ المنطق يونانُ بأسرها، إنما هو رجل منهم، وقد أخذ عمَّن قبلَه، كما أخذ عنه من بعده، وليس هو حجةً على هذا الخلق الكثير، والجَمِّ الغفير، وله مخالفون منهم ومن غيرهم. ومع هذا فالاختلافُ في الرأي والنظر والبحث والمسألة والجواب سِنْخٌ[3] وطبيعة، فكيف

(1) في الإمتاع: وضعوه.
(2) في الإمتاع: والفطنة.
(3) النسخ: الأصل.

يجوز أن يأتيَ رجلُ بشيء يرفعْ به هذا الخلاف أو يُحَلْحِلهُ، أو يؤثر فيه، هيهات! هذا محالٌ، ولقد بقي العالمُ بعد منطقه على ما كان قبل منطقه، وامسح وجهكَ، بالسلوةِ عن شيء لا يستطاع، لأنه مفتَقَدٌ بالفطرة والطباع. وأنت فلو فرَّغْتَ بالكَ، وصرفتَ عنايتك إلى معرفة هذه اللغة التي تحاورنا بها، وتجارينا فيها، وتُدارسُ أصحابَك بمفهوم أهلها، وتشرح كتبَ يونان بعبارة[1] أصحابها، لعلمت أنك غنيٌّ عن معاني يونان، كما أنك غني عن لغة يونان. وهاهنا مسألة: أتقول إن الناس عقولهم مختلفة، وأنصباؤهم منها متفاوتة؟

قال متَّى: نعم. قال: وهذا التفاوت والاختلاف بالطبيعة أو الاكتساب؟ قال: بالطبيعة. قال: فكيف يجوز أن يكون هاهنا شيء يرتفع به الاختلاف الطبيعيُّ، والتفاوت الأصلي؟ قال متَّى: هذا قد مرَّ في جملة كلامك آنفاً!

قال أبو سعيد: فهل وصلته بجواب قاطع، وجواب ناصع؟ ودع هذا: أسألك عن حرف واحد هو دائر في كلام العرب، ومعانيه متميِّزة عند أهل العقل، فاستخرج أنت معانيه من ناحية منطق أرسطاطاليس الذي تُدِلُّ به وتباهي بتفخيمه؟ وهو «الواو» وما أحكامه، وكيف مواقعُه؟ وهل هو على وجهٍ واحد أو وجوه؟

فبهت متَّى وقال: هذا نحو، والنحو لم أنظر فيه لأن لا حاجة بالمنطقي إلى النحو، وبالنحوي حاجة إلى المنطق، لأن المنطق يبحثُ عن المعنى، والنحو يبحث عن اللفظ، فإن مرَّ المنطقي باللفظ فبالعرض، وإن عبر النحوي بالمعنى فبالعرض، والمعنى أشرف من اللفظ، واللفظ أوضعُ من المعنى.

قال أبو سعيد: أخطأت، لأن المنطق والنحو واللفظ والإفصاح والإعراب والإنباء والحديث والإخبار والاستخبار والعرض والتمني والحضّ والدعاء والنداء والطلب، كلها من واد واحد بالمشاكلة والمماثلة، ألا ترى أن رجلاً لو قال: نطق زيد بالحق ولكن ما تكلم بالحق، وتكلَّم بالفحش، ولكن ما قال الفحش، وأعرب عن نفسه، ولكن ما أفصح، وأبان المراد، ولكن ما أوضح وفاه بحاجته، ولكن ما

(1) في نسخة: بعادة.

لفظ، أو أخبر ولكن ما أنبأ، لكان في جميع هذا مخرِّفاً ومناقضاً، وواضعاً للكلام في غير حقه، ومستعملاً للفظ على غير شهادة من عقله وعقل غيره. والنحو منطق، ولكنه مسلوخ من العربية، والمنطق نحو، ولكنه مفهوم باللغة، وإنما الخلاف بين اللفظ والمعنى أن اللفظ طبيعي، والمعنى عقلي، ولهذا كان اللفظ بائداً على الزمان يقفو أثر الطبيعة بأثر آخر من الطبيعة، ولهذا كان المعنى ثابتاً على الزمان، لأن مستملي المعنى عقل، والعقل إلهيّ، ومادة اللفظ طينيّة، وكل طيني متهافت. وقد بقيت أنت بلا اسم لصناعتك التي تنتحلها، وآلتك التي تُزهى بها، إلا أن تستعير من العربية لها اسماً فتعار، ويسلم لك ذلك بمقدار، وإن لم يكن لك بدٌّ من قليل هذه اللغة من أجل الترجمة، فلا بدَّ لك أيضاً من كثيرها، من أجل تحقيق الترجمة واجتلاب الثقة والتوقي من الخلة اللاحقة لك.

قال متَّى: يكفيني من لغتكم هذا الاسم والفعل والحرف، فإني أتبلَّغ بهذا القدر إلى أغراض قد هذَّبَتْها لي يونان.

قال أبو سعيد: أخطأت، لأنك في هذا الاسم والفعل والحرف، فقير إلى وصفها وبنائها على الترتيب الواقع في غرائز أهلها، وكذلك أنت محتاج بعدها إلى حركات هذه الأسماء والأفعال والحروف، فإن الخطأ والتحريف في الحركات، كالخطأ والفساد في المتحركات، وهذا باب أنت وأصحابك ورهطك عنه في غفلة. على أن هاهنا سراً ما عَلِقَ بك ولا أسفر لعقلك وهو: أن تعلم أن لغةً من اللغات لا تطابقُ لغة أخرى من جميع جهاتها، بحدود صفاتها في أسمائها وأفعالها وحروفها، وتأليفها وتقديمها وتأخيرها، واستعارتها وتحقيقها، وتشديدها وتخفيفها، وسعتها وضيقها، ونظمها ونثرها، وسجعها ووزنها وميلها، وغير ذلك مما يطول ذكره. وما أظن أحداً يدفع هذا الحكم أو يسأل في صوابه ممن يرجع إلى مُسْكةٍ من عقل، أو نصيب من إنصاف! فمن أين يجب أن نثق بشيء تُرجِمَ لك على هذا الوصف؟ بل أنت إلى أن تعرف اللغة العربية أحوجُ منك إلى أن تعرف المعاني اليونانية. على أن المعاني لا تكون يونانية ولا هندية، كما أن اللغات لا تكون فارسية ولا عربية ولا تركية. ومع هذا فإنك تزعم أن المعاني حاصلة بالعقل

والفحص والفكر، فلم يبق إلا إحكام اللغة، فَلِمَ تُزْري على العربية وأنت تشرح كتبَ أرسطاطاليس بها مع جهلك بحقيقتها؟! وحدثني عن قائل قال لك: حالي في معرفة الحقائق والتصفح لها والبحث عنها، حالُ قوم كانوا قبل واضع المنطق، أنظرُ كما نظروا، وأتدبرُ كما تدبروا، لأن اللغة قد عرفتها بالمنشأ والوراثة، والمعاني نقَّرتُ عنها بالنظر والرأي والاعتقاب والاجتهاد، ما تقولُ له؟ أتقول: لا يصح له هذا الحكم، ولا يستتب هذا الأمر، لأنه لم يعرف هذه الموجودات من الطريقة التي عرفتها أنت؟ ولعلك تفرح بتقليده لك وإن كان على باطل، أكثر مما تفرح باستبداده وإن كان على حقٍّ، وهذا هو الجهل المبين، والحكم غير المستبين.

ومع هذا: فحدثني عن «الواو» ما حكمه، فإني أريد أن أبيِّن أنَّ تفخيمك للمنطق لا يغني عنك شيئاً، وأنت تجهل حرفاً واحداً من اللغة التي تدعو بها إلى الحكمة اليونانية، ومن جهل حرفاً واحداً أمكن أن يجهل اللغة بكاملها، فإن كان لا يجهلها كلَّها ولكن يجهل بعضها، فلعله يجهلُ ما يحتاج إليه ولا ينفعه فيه علم ما لا يحتاج إليه. وهذه رتبة العامة، أو هي رتبةُ مَنْ هو فوق العامة بقدر يسير، فلِمَ يتأبَّى على هذا ويتكبَّر[1]، ويتوهم أنه من الخاصة وخاصة الخاصة، وأنه يعرف سرَّ الكلام وغامض الحكمة، وخفيَّ القياس، وصحيح البرهان؟ وإنما سألتك عن معاني حرف واحد، فكيف لو نثرتُ عليك الحروفَ كلها، وطالبتك بمعانيها ومواضعها، التي لها بالحق، والتي لها بالتجَوُّز؟ وسمعتكم تقولون «في» لا يعلم النحويون مواقعها، وإنما يقولون هي للوعاء، كما يقولون: إن الباء للإلصاق، وإن «في» تقال على وجوه: يقال الشيء في الوعاء، والإناء في المكان، والسائس في السياسة، والسياسة في السائس. أترى أن هذا التشقيق هو من عقول يونان ومن ناحية لغتها؟ ولا يجوز أن يعقل هذا بعقول الهند والترك والعرب؟ فهذا جهل من كل من يدَّعيه، وخَطَل من القول الذي أفاض فيه. النحوي إذا قال: «في» للوعاء

(1) في رواية: وينكر.

فقد أفصح في الجملة عن المعنى الصحيح، وكنى مع ذلك عن الوجوه التي تظهر بالتفصيل، ومثل هذا كثير، وهو كافٍ في موضع التكنية.[1].

فقال ابن الفرات: أيها الشيخ الموفق، أجبه بالبيان عن مواقع الواو حتى تكونَ أشد في إفحامه، وحقِّقْ عند الجماعة ما هو عاجزٌ عنه، ومع ذلك فهو متشبِّع به[2].

فقال أبو سعيد: للواو وجوه ومواقع، منها: معنى العطف في قولك: أكرمت زيداً وعمراً، ومنها القسم في قولك: والله لقد كان كذا وكذا، ومنها الائتناف كقولك: خرجتُ وزيدٌ قائمٌ، لأن الكلام بعده ابتداء وخبر، ومنها معنى رُبَّ التي هي للتقليل نحو قوله[3]:

وقـاتـم الأعمـاقِ خـاوي المُخْتَـرَقْ

ومنا أن تكون أصلية في الاسم، كقولك: واقد، واصل، وافد، وفي الفعل كقولك: وَجِلَ يَوْجَلُ، ومنها أن تكون مقحمة، نحو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ * وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾[4] أي ناديناه، ومثله قول الشاعر[5]:

فلما أجزنا ساحةَ الحيِّ وانتحى بنا بطنُ خَبْتٍ ذي قِفافٍ عَقَنْقَلِ

المعنى: انتحى بنا، ومنها معنى الحال في قوله عز وجل: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾[6]، أي يكلم الناسَ حالَ صغره بكلام الكهل في حال كهولته، ومنها أن تكون بمعنى حرف الجرِّ، كقولك: استوى الماء والخشبةَ، أي مع الخشبة.

---

(1) في رواية: موضع السكت.

(2) المتشبع: الذي يدعي ما لا يعرفه.

(3) الشطر لرؤبة بن العجاج في ديوانه ص 104.

(4) الصافات 103.

(5) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص 15.

(6) آل عمران 46.

فقال ابن الفرات لمتَّى: يا أبا بشر أكان هذا في نحوك؟

ثم قال أبو سعيد: دع هذا، هاهنا مسألة علاقتها المعنى العقلي أكثر من علاقتها بالشكل اللفظي، ما تقول في قول القائل: زيدٌ أفضلُ الأخوة؟ قال: صحيح، قال: فما تقول إن قال: زيدٌ أفضلُ أخوته؟ قال: صحيح، قال: فما الفرق بينهما من الصحة؟ فبَلَّح وجَنَحَ وعصَب ريقُه[1].

فقال أبو سعيد: أفتيتَ على غير بصيرة ولا استبانة. المسألة الأولى جوابك عنها صحيح، وإن كنتَ غافلاً عن وجه صحتها، والمسألة الثانية جوابك عنها غير صحيح، وإن كنت أيضاً ذاهباً عن وجه بطلانها.

قال متَّى: بيِّنْ ما هذا التهجين؟

قال أبو سعيد: إذا حضرت الحلقة[2] استفدتَ، ليس هذا مكان التدريس، هو مجلس إزالة التلبيس مع مَنْ عادتُهُ التمويهُ والتشبيه، والجماعةُ تعلمُ أنك أخطأت، فلِمَ تدعي أن النحويَّ إنما ينظر في اللفظ لا في المعنى، والمنطقي ينظر في المعنى لا في اللفظ؟ هذا كان يصح لو أن المنطقي يسكتُ ويجيلُ فكره في المعاني، ويرتب ما يريد في الوهم السيَّاح[3]، والخاطر العارض، والحدس الطارىء، وأما وهو يُريغُ أن يبرزَ ما صحَّ له بالاعتبار والتصفح إلى المتعلم والمناظر، فلا بد له من اللفظ الذي يشتمل على مراده، ويكون طباقاً لغرضه، وموافقاً لقصده.

قال ابن الفرات: يا أبا سعيد، تمم لنا كلامك في شرح المسألة حتى تكون الفائدة ظاهرةً لأهل المجلس، والتبكيتُ عاملاً في نفس أبي بشر. فقال: ما أكرهُ من إيضاح الجواب عن المسألة إلا ملَلَ الوزير، فإن الكلام إذا طال مُلَّ.

قال ابن الفرات: ما رغبتُ في سماع كلامك وبيني وبين الملل علاقة، فأما

---

(1) بلح: اعيا، وجنح: مال، وعصب ريقه: جفَّ.

(2) في معجم الأدباء: المختلفة، والصواب ما في الإمتاع: الحلقة.

(3) في الإمتاع: السانح.

الجماعةُ فحرصها على ذلك ظاهر.

فقال أبو سعيد: إذا قلتَ زيدٌ أفضل إخوته لم يَجُزْ، وإذا قلتَ زيدٌ أفضلُ الأخوة جاز، والفصلُ بينهما أنَّ أخوةَ زيد هم غيرُ زيد، وزيدٌ خارج من جملتهم، ودليل ذلك أنه لو سأل سائلٌ فقال: من أخوة زيد، لم يجز أن تقول: زيد وعمرو وبكر وخالد، وإنما تقول: بكر وعمرو وخالد، ولا يدخل زيد في جملتهم، فإذا كان زيد خارجاً عن أخوزته صار غيرَهم، فلم يجز أن يكونَ أفضلَ إخوته، كما لم يجزْ أن يكون حمارك أفضل البغال، لأن الحمار غير البغال، كما أن زيداً غير أخوته. فإذ قلتَ: زيد أفضلُ الأخوة جاز، لأنه أحد الأخوة، والاسم يقع عليه وعلى غيره، فهو بعض الإخوة، ألا ترى أنه لوقيل: مَنْ الإخوة؟ عددته فيهم فقلت: زيد وعمرو وبكر وخالد، فيكون بمنزلة قولك: حمارُك أفرَهُ الحمير، فلما كان على ما وصفنا، جاز أن يُضاف إلى واحد منكور يدل على الجنس، فتقول: زيد أفضل رجل وحمارك أفره حمار، فيدل على الجنس، كما دل الرجال، وكما في عشرين درهماً ومائة درهم.

فقال ابن الفرات: ما بعد هذا البيان مزيد، ولقد جَلَّ علم النحو عندي بهذا الاعتبار وهذا الإسفار.

فقال أبو سعيد: معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير، وتوخي الصواب في ذلك، وتجنب الخطأ من ذلك، وإن زاغ شيء عن هذا النعت، فإنه لا يخلو من أن يكون سائغاً بالاستعمال النادر، والتأويل البعيد، أو مردوداً لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم. فأما ما يتعلق باختلاف لغات القبائل فذلك شيء مسلَّم لهم، ومأخوذ عنهم، وكل ذلك محصور بالتتبع والرواية والسماع والقيام المطرد على الأصل المعروف من غير تحريف، وإنما دخل العُجْب على المنطقيين لظنهم أنَّ المعاني لا تُعْرَفُ ولا تستوضَحُ إلا بطريقهم ونظرهم وتكلفهم، فترجموا لغةً هم فيها ضعفاء ناقصون بترجمةٍ أخرى هم فيها ضعفاء ناقصون، وجعلوا تلك الترجمة صناعةً، وادَّعوا على النحويين أنهم مع اللفظ لا مع المعنى.

ثم أقبل أبو سعيد على متَّى فقال: ألا تعلم يا أبا بِشْر أن الكلام اسمٌ واقع على أشياء قد ائتلفتْ بمراتب؟ مثال ذلك أنك تقول: هذا ثوب، والثوب يقع على أشياء بها صار ثوباً، لأنه نسج بعد أن غزل، فَسَداتُهُ لا تكفي دون لُحْمته، ولُحمته لا تكفي دون سَداته، ثم تأيفه كنسجه، وبلاغته كقصارته، ورقة سلكه كرقة لفظه، وغلظ غزله ككثافة حروفه، ومجموع هذا كله ثوب، ولكن بعد تقدمه كلَّ ما يحتاج إليه فيه.

قال ابن الفرات: سَلْهُ يا أبا سعيد عن مسألة أخرى، فإن هذا كلما توالى عليه بأن انقطاعه، وانخفض ارتفاعه في المنطق الذي ينصره، والحق الذي لا يبصره.

قال أبو سعيد: ما تقول في رجل قال: لهذا عليَّ درهم غير قيراط، ولهذا الآخر عليَّ درهم غير قيراط؟ قال متَّى: ما لي علم بهذا النمط. قال: لستُ نازعاً عنك حتى يصحَّ عند الحاضرين أنك صاحبُ مَخْرَقةٍ وزَرْقٍ، هاهنا ما هو أخفُّ من هذا: قال رجلٌ لصاحبه: بكم الثوبان المصبوغان؟ وقال آخر: بكم ثوبان مصبوغان؟ وقال آخر: بكم ثوبان مصبوغين؟ بيِّن هذه المعاني التي تضمنها لفظ لفظ؟

قال متَّى: لو نثرت أنا أيضاً عليك من مسائل المنطق شيئاً لكان حالك كحالي.

قال أبو سعيد: أخطأتَ، لأنك إذا سألتني عن شيء أنظر فيه، فإن كان له علاقة بالمعنى، وصحَّ لفظه على العادة الجارية أجبت، ثم لا أبالي أن يكون موافقاً أو مخالفاً، وإن كان غيرَ متعلق بالمعنى رددتُه عليك، وإن كان متصلاً باللفظ، ولكن على موضع[1] لكم في الفساد ـ على ما حشوتم به كتبكم ـ رددته أيضاً، لأنه لا سبيلَ إلى إحداث لغة مقررة بين أهلها. ما وجدنا لكم إلا ما استعرتم من لغة العرب كالسلب والإيجاب، والموضوع والمحمول، والكون والفساد، والمهمل والمحصور، وأمثله لا تنفع ولا تجدي، وهي إلى العيِّ أقربُ، وفي الفهاهة

(1) في الإمتاع: على وضع.

أذهب، ثم أنتم هؤلاء في منطقكم على نقض ظاهر، لأنكم لا تفون بالكتب ولا هي مشروحة، وتدعون الشعر ولا تعرفونه، وتدعون الخطابة وأنتم عنها في منقطع التراب، وقد سمعت قائلكم يقول: الحاجة ماسَّة إلى كتاب البرهان، فإن كان كما قال، فلِمَ قُطعَ الزمانُ با قبله من الكتب؟ وإن كانت الحاجة قد مسَّتْ إلى ما قبلَ البرهان، فهي أيضاً ماسة إلى ما بعد البرهان، وإلا فلمَ صنَّفَ مالا يحتاج إليه ويستغنى عنه؟ هذا كله تخليطٌ وزَرْقٌ وتهويلٌ ورعدٌ وبرقٌ، وإنما بودكم أن تشغلوا جاهلاً، وتستذلوا عزيزا، وغايتكم أن تهولوا بالجنس والنوع، والخاصة والفصل، والعرض والشخص، وتقولوا: الهَلِّية والأينية، والماهية والكيفية، والكمية والذاتية، والعرضية والجوهرية، والهيولية والصورية، والأيسية والليسية ، والنفسية، ثم تنمطون[1] وتقولون: جئنا بالسحر في قولنا: لا (أ) في شيء من (ب) و(ج) في بعض (ب) فلا (أ) في بعض (ج) و(أ) لا في كل (ب)، و(ج) في بعض (ب) فإذن: لا (أ) في كل (ج). هذا في طريق الخُلْفِ، وهذا بطريق الاختصاص، وهذه كلها جزافات وتُرَّهات، ومغالق وشبكات، ومن جاد عقله، وحسن تمييزه، ولطف نظره، وثقب رأيه، وأنارت نفسه، استغى عن هذا كله، بعون الله وفضله، وجودة العقل والتمييز، ولطف النظر وثقوب الرأي، وإنارة النفس، من منائح الله الهنية، ومواهبه السنية، يختص بها من يشاء من عباده، وما أعرف لاستطالتكم بالمنطق وجهاً، وهذا الناشيء أبو العباس[2] قد نقض عليكم وتتبع طريقكم، وبيِّن خطأكم، وأبرز ضعفكم، ولم تقدروا إلى اليوم أن تردوا عليه كلمة واحدة مما قال، وما زدتم على قولكم: لم يعرف أغراضنا، ولا وقف على مرادنا، وإنما تكلم على وهم. وهذا منكم لجاجة ونكول، ورضى بالعجز والكلول، وكل ما ذكرتم في الموجودات، فعليكم فيه اعتراض: هذا قولكم في فَعَل وينفعل لم تستوضحوا فيها مراتبهما ومواقعهما، ولم تقفوا على مقاسمهما،

---

(1) في الإمتاع: تتطاولون.

(2) الناشيء الأكبر: أبو العباس عبدالله بن محمد شاعر مجيد في طبقة البحتري وابن الرومي، وهو من العلماء بالأدب والدين والمنطق، توفي سنة 293هـ. وفيات الأعيان 1/263، تاريخ بغداد 10/92.

لأنكم قنعتم فيهما بوقوع الفعل من يَفْعَلُ وقبولِ الفعل من ينفعل، ومن وراء ذلك غاياتٌ خَفِيَتْ عليكم، ومعارفُ ذهبتْ عنكم، وهذا حالكم في الإضافة، فأما البدل ووجوهه، والمعرفة وأقسامها، والنكرة ومراتبها، وغير ذلك مما يطول ذكره، فليس لكم فيه مقال ولا مجال. وأنت إذا قلت لإنسان كن منطقياً فإنما تريد: كن عقلياً أو عاقلاً، أو اعقِلْ ما تقول، لأنَّ أصحابك يزعمون أن المنطق هو العقل، وهذا قولٌ مدخول، لأن المنطق على وجوه، نتم منها في سهو. وإذا قال لك آخر: كن نحوياً لغوياً فصيحاً، فإنما يريد: افهم عن نفسك ما تقول ثم رُمْ أن يفهمَ عنك غيرك، وقدِّرْ اللفظ على المعنى فلا ينقص منه، هذا إذا كنت في تحقيق شيء على ما هو به، فأما إذا حاولتَ فَرْشَ المعنى، وبَسْطَ المرادِ فاجلُ اللفظ بالروادف الموضحة، والأشباه المقربة، والاستعارات الممتعة، وشدَّ[1] المعاني بالبلاغة، أعني لوِّحْ منها شيئاً حتى لا تُصابَ إلا بالبحث عنها، والشوق إليها، لأن المطلوب إذا ظُفِرَ به على هذا الوجه، عزَّ وجَلَّ، وكرم وعلا، واشرح منها شيئاً حتى لا يمكن أن يمترَى فيه، أو يُتْعَبَ في فهمه، أو يُعَرَّجَ عنه لاغتماضه، فبهذا المعنى يكون جامعاً لحقائق الأشياء، ولأشباه الحقائق، وهذا باب إن استقصيتُه خرج عن نَمَطِ ما نحن عليه في هذا المجلس. على أني لا أدري أيؤثر فيك ما أقول أم لا.

ثم قال: حدثنا، هل فصلتم قط بالمنطق بين مختلفين، أو رفعتم بالخلاف بين اثنين، أتراك بقوة المنطق وبرهانه اعتقدت أن الله ثالث ثلاثة، وأن الواحد أكثر من واحد، وأن الذي هو أكثر من واحد هو واحد، وأن الشرع ما تذهب إليه، والحق ما تقوله؟! هيهات، هاهنا أمور ترتفع عن دعوى أصحابك وهذيانهم، وتدقُّ عن عقولهم وأذهانهم. ودع هذا: هاهنا مسألة قد أوقعت خلافاً، فارفع ذلك الخلاف بمنطقك، قال قائل: لفلان من الحائط إلى الحائط، ما الحكم فيه؟ وما قدر المشهود به لفلان؟ فقد قال ناس: له الحائطان معاً وما بينهما، وقال آخرون: له ما بينهما، وقال آخرون: له النصف من كل واحد منهما، وقال آخرون: له أحدهما، هاتِ الآن آيتك الباهرة، ومعجزتك القاهرة، وأنَّى لك بهما، وهذا قد

---

(1) في الإمتاع: وبيِّن.

بأن بغير نظرك ونظر أصحابك. ودع هذا أيضاً، قال قائل: من الكلام ما هو مستقيم حسن، ومنه ما هو مستقيم كذب، ومنه ما هو خطأ، فسِّرْ هذه الجملة؟ واعترض عليه عالم آخر فاحكم أنت بين هذا القائل والمعترض، وأرِنا قوةَ صناعتك التي تميز بها بين الخطأ والصواب، وبين الحق والباطل، فإن قلت: كيف أحكم بين اثنين أحدهما قد سمعت مقالته، والآخر لم أحصل على اعتراضه! قيل لك: استخرج بنظرك الاعتراضَ إن كان ما قاله محتملاً له، ثم أوضح الحق منهما، لأن الأصلَ مسموعٌ لك حاصلٌ عندك، وما يصح به أو يطَّرِد عليه يجب أن يظهر منك، فلا تتعاسر علينا، فإن هذا لا يخفى على أحد من الجماعة. فقد بانَ الآن أن مركَّبَ اللفظ لا يجوزُ مبسوطَ العقل، والمعاني معقولة، ولها اتصال شديد وبساطة تامة، وليس في قوة اللفظ من أي لغة كان أن يملك ذلك المبسوط ويحيطَ به، وينصبَ عليه سوراً ولا يدع شيئاً من داخله أن يخرج، ولا شيئاً من خارجه أن يدخل، خوفاً من الاختلاط الجالب للفساد، أعني أن ذلك يخلط الحق بالباطل، ويشبِّه الباطلَ بالحق، وهذا الذي وقع الصحيح منه في الأول قبل وضع المنطق، وقد عاد ذلك الصحيح في الثاني بهذا المنطق. وأنت لو عرفتَ العلماءَ والفقهاءَ ومسائلهم، ووقفتَ على غَوْرهم في نظرهم، وغَوْصهم في استنباطهم، وحسن تأويلهم لما يَرِدُ عليهم، وسعة تشقيقهم للوجوه المحتملة، والكنايات المفيدة، والجهات القريبة والبعيدة، لحقرتَ نفسَك، وازدريتَ أصحابَك، ولكان ما ذهبوا إليه، وتابعوا عليه، أقلَّ في عينيك من السها عند القمر، ومن الحصى عند الجبل.

أليس الكندي[1] ـ وهو علم في أصحابك ـ يقول في جواب مسألة: «هذا جواب عدَّة»، فعدَّ الوجوه بحسب الاستطاعة على طريق الإمكان، من ناحية الوهم بلا ترتيب، حتى وضعوا له مسائل من هذا الشكل، وغالطوه بها، وأروه أنها من

(1) الكندي: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح، فيلسوف العرب والإسلام في عصره وأحد أبناء الملوك من كندة، اشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك، له مؤلفات كثيرة، توفي نحو سنة 260هـ. طبقات الأطباء 1/ 206 ـ 214، الفهرست 255 ـ 261، تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ص 41.

الفلسفة الداخلة، فذهب عليه ذلك الوضع، فاعتقد أنه مريضُ العقل، فاسدُ المزاج، حائل الغريزة، مشوش اللب، قالوا له: أخبرنا عن الأسْطُقُسَّات الأجرام، واصطكاك تضاغط الأركان، هل يدخل في باب وجوب الإمكان؟ أو يخرج من باب الفقدان إلى ما يخفى عن الأذهان؟ وقالوا له أيضاً: ما نسبة الحركات الطبيعية إلى الصور الهيولانية؟وهل هي ملابسةٌ للكيان في حدود النظر والبيان؟ أو مزيلة له على غاية الإحكام؟ وقالوا له: ما تأثير فقدان الوجدان في عدم الإمكان عند امتناع الواجب من وجوبه في ظاهر ما لا وجوب له لاستحالته في إمكان أصله؟ وعلى هذا فقد حفظ جوابه عن جميع هذا، على غاية الركاكة والضعف والفساد والفسالة والسخف، ولولا التوقي من التطويل لسردتُ ذلك كله. ولقد مرَّ بي في خطه: التفاوت في تلاشي الأشياء غيرُ محاطٍ به لأنه يلاقي الاختلاف في الأصول، والاتفاق في الفروع، وكل ما يكون على هذا النهج، فالنكرة تزاحمُ عليه المعرفة، والمعرفة تناقض النكرة، على أن النكرة والمعرفة من باب الألسنة العارية من ملابس الأسرار الإلهية، لا من باب الإلهية العارضة في أحوال البشرية.

ولقد حدثني أصحابنا الصابئون عنه بما يُضْحِكُ الثكلى، ويُشْمِتُ العدوَّ، ويغمُّ الصديقَ، وما ورِثَ هذا كله إلا من بركات يونان، وفوائد الفلسفة والمنطق، ونسأل الله عصمةً وتوفيقاً نهتدي بهما إلى القول الراجع إلى التحصيل، والفعل الجاري على التعديل، إنه سميع مجيب».

قال علي بن عيسى: وتقوَّض المجلس، وأهله يتعجبون من جأش أبي سعيد، ولسانه المتصرف، ووجهه المتهلل، وفوائده المتتابعة. وقال له الوزير ابن الفرات: عينُ الله عليك أيها الشيخ، فقد ندَّيتَ أكباداً، وأقررتَ عيوناً، وبيَّضتَ وجوهاً، وحُكْتَ طِرازاً لا تبليه الأيام، ولا يتطرقه الحدثان.

القسم الثاني

مجالس الخلفاء مع العلماء والأدباء



الفصل الأول

مجالس الخلفاء الأمويين



مجالس الخلفاء الأمويين

كان للخلفاء مجالس غير مجالس الحكم التي تعقد في النهار، فكانوا إذا قضوا أمور الحكم وقضايا الناس يروحون أنفسهم بالأحاديث وسماع الشعر وتعرف أخبار الماضين، فيدعون الأدباء والرواة وأهل الأخبار يحضرون مجلس الخليفة، فيسأل الخليفة عما يروقه من الشعر وأحوال الناس وصفات الملوك السابقين، يلتمسون في ذلك الخبرة في أصول الحكم ومهام الملك واتخاذ العبر من أحوال السابقين، بالإضافة إلى الترفيه عن أنفسهم بسماع طرائف الأشعار والأخبار، وكان معاوية أول من اهتم بهذه المجالس، وسار على نهجه هشام بن عبد الملك وابن هبيرة والمنصور[1]، فكانوا يقيمون أناساً يقصون عليهم أخبار الملوك والقواد من الروم والفرس، وأخبار الدول وكيف كانوا يسوسون ويحكمون، يلتمسون بذلك التوسع بأسباب الدهاء وأفانين السياسة.

وقد تكون هذه المجالس واسعة يحضرها عدد كبير من الشعراء والأدباء وأصحاب الأخبار، وقد تكون خاصة إذ يستدعي الخليفة راوية أو إخبارياً ممن يرتاح لسماع أخباره وأحاديثه في ساعة قلقله أو أرقه من الليل أو النهار، وكثيراً ما تكون هذه المجالس الفردية في أواسط الليل والناس نيام، فيحدثه جليسه بما يود سماعة فيتنقل المحدث من رواية خبر إلى رواية شعر إلى رواية حكمة أو طرفة فتنشرح نفس الخليفة وترتاح نفسه بما تزود من علم وأفاد خبرة وزاد دهاء وسرّى عن نفسه الهموم والأرق[2] وهؤلاء الخلفاء عرب نشأوا على حب الشعر وحفظه

---

(1) ابن الأثير 6/ 11.

(2) مروج الذهب ـ المسعودي 2/ 163.

والتمثل به، فكانوا لذلك يجلون أهل الأدب والعلم ويقربونهم ويبذلون لهم الأموال ولا سيما هارون الرشيد والمأمون، ومما يروى عن الرشيد وحسن معاملته للعلماء أنه كلان يلاطف الأصمعي ويجله ويجزل له الهبات السنية، ومما يروى من تكريمه للعلماء أنه أكل أبو معاوية الضرير مع الرشيد طعاماً، فلما قام أبو معاوية ليغسل يديه، تناول الرشيد الإبريق وصب على يديه الماء وأبو معاوي لا يعلم، فقال له: أتدري من صب على يديك الماء؟ قال: لا، قال: أنا، قال: أنت يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، إجلالاً للعلم[1]. وكذلك كان الخلفاء يقفون مع العلماء في الانتصار لرأيهم، من ذلك ما جرى بين سيبويه والكسائي فيما يعرف بالمسألة الزنبورية حيث انتصر الأمين للكسائي، وانتصر المأمون لسيبويه، وقد جرى جدال طويل بحضر الرشيد الذي أيد الكسائي[2].

وقد حرص الخلفاء على تعليم أبنائهم وتحفيظهم الأشعار التي تهذب نفوسهم وعقولهم فأوكلوا لهم نخبة من العلماء والأدباء يعلمونهم ويؤدبونهم، فقد أوكل المنصور ابنه إلى الشرقي بن القطامي، وأوصاه أن يعلمه أخبار العرب ومكارم الأخلاق وقراءة الأشعار[3]، وكذلك عهد إلى المفضل الضبي ليعلمه العربية والأخبار والأشعار، وعهد الرشيد بتعليم ابنه الأمين إلى علي بن الحسن المبارك المعروف بالأحمر النحوي، ثم إلى الكسائي، وعهد لتأديب المأمون إلى اليزيدي وسيبويه وغيرهما، وقد أوصى الرشيد الأحمر النحوي الذي أوكل إليه تأديب الأمين بقوله: (يا أحمر، إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصَيِّر يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين. أقرئه القرآن، وعرِّفه الأخبار، وروِّه الأشعار، وعلمه السنن، وبصِّره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه، ولا تمرنَّ بك

(1) سير الملوك ص 79.

(2) طبقات النحويين ص 138، تاريخ التمدن الإسلمي 3/ 79.

(3) مروج الذهب 2/ 180، طبقات الأدباء ص 42.

ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقوِّمه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإنْ أباهما فعليك بالشدة والغلظة)[1].

وعهد المأمون إلى الفراء بتعليم ولديه النحو، واتفق أن الفرّاء أراد أن ينهض ذات يوم إلى حوائجه، فابتدرا إلى نعله ليقدماها له، فتنازعا أيهما يقدمها، ثم اصطلحا على أن يقدم كل منهما واحدة، وبلغ ذلك المأمون، فاستدعاه، فلما دخل عليه قال المأمون: (من أعز الناس؟) قال: (لا أعرف أحداً أعز من أمير المؤمنين) فقال: (بل من إذا نهض تقاتل على تقديم نعله وليا عهد المسلمين حتى يرضى كل واحد منهما أن يقدم له فرداً)، فقال: (يا أمير المؤمنين، لقد أردت منعهما عن ذلك ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقاً إليها، أو كسر نفسيهما عن شريفة حرصا عليها)[2]. وعهد المتوكل بتعليم أبنائه إلى ابن السكيت[3]، أما عبد الله ابن المعتز فقد تعلم الأدب والعربية على المبرد وثعلب وأحمد بن سعيد الدمشقي[4].

وكان للخلفاء عناية فائقة بالشعراء وتقديمهم، فهم اللسان الناطق بمآثرهم والمشيد بمفاخرهم، وكانوا يأنسون ويبتهجون بسماع الشعر ويهتزون له فيجزلون العطاء للمنشدين، ولذلك فقد عين الخلفاء أوقاتاً للشعراء يدخلون فيها عليهم، وكانوا يفرضون لهم مالاً يدفعونه إليهم كل سنة على الوفدة أو القصيدة، أو يعطونهم على البيت من الشعر مبلغاً معيناً، وكان مقامهم يعلو ويهبط تبعاً لأمزجة الخلفاء وأغراضهم وأحوالهم السياسية، ولم يكن كل الخلفاء يغدقون الأموال، بل كان منهم البخيل الدوانيقي الشحيح مثل المنصور وبسبب من بخله كان الشعراء في عهده يخرجون من بغداد ويجتمعون يتذاكرون أيامهم في الشام على عهد بني أمية[5]،

---

(1) ابن خلدون 1/ 475.
(2) طبقات الأدباء للأنباري 130، ابن خلكان 2/ 228.
(3) طبقات الأدباء ص 238.
(4) فوات الوفيات ص 1/ 241.
(5) الأغاني 12/ 91، 102.

وكان بعض الخلفاء يمنعون الشعراء زهداً وتحرجاً أو أنْ يجيزوهم من بيت المال مثل عمر بن عبدالعزيز وعبدالله بن الزبير.

وكان أكثر الخلفاء يحبون الشعر ويجزلون عليه العطاء، وكان بعضهم شاعراً مثل يزيد بن معاوية والوليد بن يزيد بن عبد الملك، وعبدالله بن المعتز، وقد رويت لكثير من الخلفاء أبيات وقطع معدودة، فهناك أشعار حفظتها كتب الأخبار والأدب للخلفاء الراشدين، ولمعاوية بن أبي سفيان، ومروان بن الحكم، وعبد الملك ابن مروان، وسليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك، ويزيد بن الوليد، ومروان بن محمد، وغيرهم[1]، وكذلك يقال في الخلفاء العباسيين.

وكان الشعراء يتقربون إلى الخلفاء والأمراء بالشعر، وكان أكثرهم يبالغون في إضفاء صفات القوة والمهابة والعدل والكرم ويجاوزون حد الاعتدال فيرتكبون أقبح الأكاذيب، ولذلك كانت لهؤلاء الشعراء منزلة رفيعة عند الخلفاء، أما الذين كانوا يلتزمون القصد والاعتدال فما كان لهم نصيب من الحظوة والمكانة، ولذلك شاع في العصرين الأموي والعباسي شعر المديح الكاذب والتكسب بالشعر وإراقة ماء الوجه.

وكان لدخول الشعراء على الخلفاء وإنشادهم الشعر أصول ومراسيم، منها أن ينشد الشاعر قصيدته بصوت عال وهو قائم، وإذا تعدد المنشدون قدموهم حسب أسنانهم، وكان الخلفاء يتفهمون الشعر وقد يباحثون الشاعر في معنى البيت أو الكلمة، وإذا أرادوا سماع قصيدة لم يعرفها الحاضرون أو فهم بيت أو أبيات أرسلوا إلى العراق أو الحجاز لاستقدام شاعر أو راوية فينشدهم ويعرفهم ما طلبوا. وقد لا يكون الغرض من ذلك إلا سماع بيت أو قصيدة، كما فعل الوليد بن يزيد حين استقدم حماداً الراوية من العراق لينشده قصيدة تغنيها مغنيته[2]، أو لينظم له

---

(1) راجع في شعرهم: شعر الخلفاء في العصرين الراشدي والأموي لنبال الخماش د. ط. 1984.
(2) الأغاني 2/ 65.

شعراً في حادثة جرت معه، كما فعل الواثق لما غضبت عليه حظيته، فاستقدم ابن الضحاك ليقول في ذلك شعراً[1]، وقد يجيزون من يأتيهم بشاعر أو مغن يعجبهم كما أجاز المهدي الفضل بن الربيع بعشرة آلاف دينار، وولاه حجابته لأنه أتاه بابن جامع المغني[2].

وكانوا لا يكتفون بمن يفد عليهم من الشعراء لإنشاد الشعر وطلب الهبات والعطايا بل كانوا يرسلون على بعض الشعراء الذين يأنسون بشعرهم، وكان الرشيد أكثر الخلفاء طلباً للشعراء[3] فتكاثر الشعراء ببابه حتى ضاقت بهم بغداد، واضطروا إلى امتحانهم وترتيبهم في الجوائز، فعهد يحيى بن خالد البرمكي بذلك إلى شاعره أبان اللاحقي[4]، وأصبح الخليفة إذا أحب مجالسة الشعراء بعث رجلاً يثق به ليختار له أحسنهم[5]، أو إذا عنَّ له بيت أو قصيدة، خرج وصيف أو حاجب أو نحوهما فيقول للشعراء: (من منكم يقدر يقول قول فلان، أو يحفظ القصيدة الفلانية فليدخل وله كذا وكذا)[6]، وكان الخلفاء يهتمون بحفظ الأشعار وروايتها ويتمثلون بالأشعار في مناسبتها، ومما يروى عن المنصور[7] أنه (لما توفي ابنه جعفر بن المنصور الأكبر، مشى المنصور في جنازته من مدينة بغداد إلى مقابر قريش، ومشى الناس أجمعون معه حتى دفنه، ثم انصرف إلى قصره، ثم أقبل على مولاه الربيع بن يونس، فقال: يا ربيع انظر من في أهلي من ينشدني:

أمــن المنــون وريبهــا تتــوجــه[8]

---

(1) الأغاني 6/ 178.
(2) الأغاني 6/ 73. وانظر تاريخ التمدن الإسلامي 5/ 141.
(3) الأغاني 17/ 74.
(4) الأغاني 20/ 73.
(5) الأغاني 2/ 12.
(6) الأغاني 11/ 135، 17/ 141.
(7) الأغاني 6/ 287 ط بيروت.
(8) الشعر لأبي ذؤيب الهذلي من قصيد في المفضليات 421 ـ 429 يرثي بها أبناءه الخمسة الذين ماتوا بالطاعون في عام واحد، وتمام البيت: والدهر ليس بمعتب من يجزع.

حتى اتسلى بها عن مصيبتي، قال الربيع: فخرجت إلى بني هاشم وهم بأجمعهم حضور، فسألتهم عنها، فلم يكن فيهم أحد يحفظها، فرجعت فأخبرته، فقال: والله لمصيبتي بأهل بيتي ألا يكون فيهم أحد يحفظ هذا لقلة رغبتهم في الأدب، أعظم وأشد عليَّ من مصيبتي بابني، ثم قال: انظرهل في القواد والعوام من الجند من يعرفها، فإني أحب أن أسمعها من إنسان ينشدها فخرجت فاستعرضت الناس فلم أجد أحداً ينشدها، إلا شيخاً كبيراً مؤدِّباً قد انصرف من موضع تأديبه، فسألته: هل تحفظ شيئاً من الشعر؟ فقال: نعم، شعر أبي ذؤيب، فقلت: انشدني، فابتدأ هذه القصيدة العينية، فقلت له: أنت بُغيتي، ثم أوصلته إلى المنصور فاستنشده إياها، فلما قال:

والدهر ليس بمعتب من يجزع

قال: صدق والله، فأنشدني هذا البيت مائة مرة ليتردد هذا المصراع عليَّ، فأنشده، ثم أمر الشيخ بالانصراف وأتبعه بمائة درهم»[1].

وكان أكثر الخلفاء يطربون للشعر ويستلذونه، وربما تزاحفوا عن مجالسهم إعجاباً وطرباً[2].

---

(1) الأغاني السابق.

(2) سير الملوك ص 93.

مجالس العلم والمناظرة

كانت مجالس الأدب في أيام بني أمية وأوائل بني اعباس، يقتصر البحث فيها على المسائل الأدبية والعلوم اللسانية، فلما ترجمت علوم القدماء في العصر العباسي ونشأ علم الكلام، شاعت المناظرة بين العلماء والفقهاء، وقد كان البرامكة من السباقين إلى العناية بهذا الأمر، فكان ليحيى بن خالد البرمكي مجلس يجتمع فيه المتكلمون وغيرهم من أهل النحل، يتباحثون في الكون والظهور، والقدم والحدوث، والإثبات والنفي، وغيرها من الأبحاث الفلسفية المبنية على علم الكلام[1].

ثم اهتم الخلفاء أنفسهم في ذلك، ولا سيما بعد أن ظهر القول بخلق القرآن، وقام به المأمون، فأخذ يعقد المجالس للمناظرة فيه وفي سواه، وعين لذلك يوم الثلاثاء من كل أسبوع، فإذا حضر الفقهاء ومن يناظره من سائر أهل المقالات، أدخلوا حجرة مفروشة وقيل لهم: (انزعوا اخفافكم) ثم أحضرت الموائد وقيل لهم: (أصيبوا من الطعام والشراب وجددوا الوضوء، ومن كان خفه ضيقاً فلينزعه، ومن ثقلت عليه قلنسوته فليضعها)، فإذا فرغوا، أتوا بالمجامر فتبخروا وتطيّبوا ثم خرجوا، فاستدناهم حتىٰ يدنوا منه، ويناظرهم أحسن مناظرة وألطفها وأبعدها من مناظرة المتجبرين، فلا يزالون كذلك إلى أن تزول الشمس، ثم تنصب الموائد ثانية، فيطعمون وينصرفون[2]. وسار الواثق على خطواته في هذا السبيل. وكانوا يعقدون هذه المجالس كلما دعت الحاجة إلى إثبات رأي أو مذهب جديد.

---

(1) مروج الذهب 2/ 202، وفيا الأعيان 1/ 480، تاريخ التمدن الإسلامي 5/ 142.

(2) مروج الذهب 2/ 231 مختصر الدول ـ لأبي الفرج المالطي ص 236.

ولما استقرت الدولة الفاطمية بمصر فعل وزيرها يعقوب بن كلس مثل فعل يحيى بن خالد وزير العباسيين، فأنشأ مجالس للمناظرة في الفقه والأدب والشعر وعلم الكلام وغيره، وغرض هذه الدولة إثبات مذهب الشيعة لأن عليه قامت دولتهم، فأخذ الحاكم بأمر الله يفاوض العلماء ويجيزهم ويسهل عليهم البحث والمناظرة في دار الحكمة التي أنشأها في القاهرة[1]، وربما عقدوا حلق المناظرة في الجوامع أو غيرها.

وصارت تلك المجالس عامة في الدول التي خلفت الدولة العباسية، أو تفرعت منها، وأكثر العقلاء، والأقوياء من الملوك والسلاطين كانوا يعقدونها للمناظرة، وكذلك فعل صلاح الدين وسيف الدولة ونظام الملك والحكم الأندلسي، واقتدى بهم أهل العلم والوجهاء والأطباء، وأطلقت حرية البحث في كل شيء، ومن أشهر مجالس المناظرة مجلس كان يعقده يوحنا بن ماسويه في بغداد، فيحضره العلماء على اختلاف طبقاتهم، من الفلاسفة والأطباء والأدباء والمتكلمين وغيرهم[2]، وهناك مجالس أُخَر من مثل مجلس أبي حامد الأسفراييني الذي كان يحضره ثلثمائة فقيه، وكذلك يقال في مجلس ابن المنجم الذي كان يعقده بحضرة المكتفي[3].

---

(1) ينظر في دار الحكمة في القاهرة: تاريخ التمدن الإسلامي 3/ 209.

(2) طبقات الأطباء 1/ 175، مختصر الدول ص 227.

(3) وفيات الأعيان 2/ 235.

المجالس الأدبية ومنابع الثقافة العربية

كان القرآن الكريم محور الدراسات العربية الإسلامية، فقد قامت الدراسات اللغوية والنحوية وجمع الشعر لأجل تفسير القرآن ومعرفة معانيه ومبانيه وألفاظه، وكذلك يقال في الحديث النبوي، وقد ازدهرت الدراسات حول القرآن الكريم والحديث النبوي في العصر الأموي وزادت وترسخت في العصر العباسي، وقد تعددت الدراسات وتنوعت دون أن يكون بينها انفصال بل تكامل واتصال، وهذه الدراسات تناولت أولاً: الجانب الديني من قراءة القرآن وتفسيره ورواية الحديث ومعرفة الأحكام، وثانياً: الجانب التاريخي، وانصب على دراسة السير والفتوح والمغازي والأيام والأخبار والأنساب، ثم الجانب الأدبي الذي تناول اللغة والنحو والبلاغة والنقد والشعر والخطب والأمثال، وكذلك الجانب الفكري الذي تناول موضوع الخلافة وشروطها ومن يتولاها، وما انبثق عنها من فرق ونحل تعددت أقوالها ومراميها من شيعة، وخوارج، ومعتزلة، وقدرية، ومرجئة، وما إلى ذلك، وبحثوا في صفات الله وكلامه والإيمان والكفر والإجبار والاختيار وغير ذلك[1].

وهذه الدراسات على ما فيها من شمول وتنوع فإنها متداخلة في موضوعاتها ومتكاملة، فقد يبحث في المجلس موضوعات فيها تفسير وحديث ومغاز وأخبار وفقه وما يتصل بذلك من شعر وخطب ولغة،[2] وكان عبد الله بن عباس يعد النموذج للعالم الفقيه المحدث في صدر الإسلام، كانت مجالسه نموجاً يحتذى من

(1) فجر الإسلام ص 141، 170، 194، ضحى الإسلام 2/ 73.
(2) ضحى الإسلام 2/ 10.

قبل العلماء المعاصرين والتالين له، ومما وصف به ابن عباس قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة الهذلي، قال: «كان ابن عباس قد فات الناس بخصال: بعلم ما سبقه، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه، وحلم وسيب ونائل، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله ﷺ منه، ولا أعلمَ بقضاءِ أبي بكر وعمر وعثمان منه، ولا أفقه في رأي منه ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه، ولا أعلم بما مضى ولا أثقف رأياً فيما احتيج إليه منه، ولقد كان يجلس يوماً، وما يذكر فيه إلا الفقه، ويوماً التأويل، ويوماً المغازي، ، ويوماً الشعر، ويوماً أيام العرب، وما رأيت عالماً قطُّ جلس إليه إلا خضع له، وما رأيت سائلاً قطُّ سأله إلا وجد عنده علماً»[1]، وإذا كان ابن عباس حبر الأمة أكثر معاصريه علماً فقد كان هناك من العلماء البارعين الحافظين كثر، من مثل محمد بن مسلم بن شهاب الزهري الذي وصفه الليث بن سعد الفهمي منوهاً بجمعه للعلوم وبراعته وفهمه بقوله: «ما رأيت عالماً قطُّ أجمعَ من ابن شهاب ولا أكثرَ علماً منه، ولو سمعتَ ابن شهاب يتحدث في الترغيب لقلتَ: لا يُحسنُ إلا هذا، وإنْ حدَّثَ عن الأنبياء وأهل الكتاب لقلتَ: لا يحسنُ إلا هذا، وإنْ حدَّث عن العرب والأنساب قلتَ: لا يحسن إلا هـذا، وإنْ حدَّث عن القرآن والسُنَّة كان حديثه بِدْعاً جامعاً»[2].

وكان أكثر الخلفاء مقبلين على العلم، يحرصون علي تعلمه وتعليمه لأبنائهم لذلك تراهم يوصون المؤدبين أن يحرصوا على تعليم أبنائهم وأخذهم بالشدة، ويحرصون على تعليمهم الشعر وأيام العرب والأنسان وما إلى ذلك، وفي وصاياهم للمؤدبين خير دليل على اتجاهاتهم تلك، ونقتطف بعض هذه الوصايا لبيان ما فيها من اتجاهات واهتمامات في طلب العلم، من ذلك وصية عبد الملك بن مروان لاسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم، مؤدب ابنائه، يقول فيها: «إني اخترتك لتأديب ولدي، وجعلتك عيني عليهم واميني، فاجتهد في

(1) البداية والنهاية 8/ 301، طبقات ابن سعد 2/ 368.
(2) (البداية والنهاية 9/ 342، تذكرة الحفاظ 1/ 109، حلية الأولياء 3/ 361).

تأديبهم، ونصيحتي فيما استنصحتك فيه من أمرهم، علِّمهم كتاب الله حتى يحفظوه، وفقِّههم على ما بيَّن الله فيه من حلال وحرام حتى يعقلوه، وخذهم من الأخلاق بأحسنها، ومن الآداب بأجمعها، وروِّهم من الشعر أعَفَّه، ومن الحديث أصدقه، وجنِّبْهم محادثةَ النساء ومجالسة الأظِنَّاء ومخالطة السفهاء، وخوفهم بي، وأدبهم دوني، ولا تخرجهم من علمٍ إلى علم حتى يفهموه، فإنَّ ازدحام الكلام في السمع مضيعةٌ للفهم. وأنا أسأل الله توفيقك وتسديدك»[1].

ومن الوصايا الجيدة النافعة وصية هشام بن عبد الملك لمؤدب ابنه محمد سليمان بن سليم بن كيسان يقول فيها: «إنَّ أول ما آمرك به أن تأخذه بكتاب الله، وتقرئه في كل يوم عُشْراً، ليحفظ القرآن حفظَ رجل يريد الكسب به، وروِّهِ من الشعر أحسنه، وتخلَّلْ به في أحياء العرب، فخذ من صالح شعرهم من هجاء ومدح، فإنه ليس من قوم إلا وقد هُجوا ومُدِحوا، وروِّهِ جماهيرَ أحياء العرب، ثم تخلَّلْ به في مغازي النبي ﷺ، وحفظ من كان معه وحسنِ بلائهم، وبصرِّه طرفاً من الحلال والحرام والخطب، وما يحتاج إليه في قدره وموضعه»[2]، والوصايا في هذا السبيل كثيرة منها وصية سليمان بن عبد الملك لمؤدب ابنه محمد، ووصية عمر بن عبد العزيز لسهل مؤدب ولده، وكل هذه الوصايا تدل على حرص الخلفاء على تعليم أبنائهم القرآن الكريم والشعر وما يتصل به من أخبار، وفي ذلك دلالة عما كان من حركة أدبية تعج بها مجالس العلم والمعلمين، وكان الخلفاء والأمراء يجلون من له علم ومعرفة ويسائلون الناس عما حفظوا وعلموا، فإذا كان لهم علم أجَلُّوهم، وإن كانوا من الجهلة العوام أهملوهم وأبعدوهم، من ذلك ما روي عن هشام بن عبد الملك حين سأل أحد أخواله عما يحسن من علم، فلما لم يجد لديه ما يحسنه لم يحتشمه، وذلك أن هشاماً كان يلعب الشطرنج مع الأبرش الأكلبي، فاستأذن الحاجب لرجل من بني مخزوم من أخواله، فأمر بإدخاله، فقال هشام: «يا خال،

(1) أنساب الأشراف 1/ 1165، 1175 مخطوط عيون الأخبار 2/ 167، البداية والنهاية 9/ 66 مع خلاف في الرواية.

(2) تهذيب ابن عساكر 6/ 279، وانظر: المعمرون والوصايا ص 137 مع خلاف يسير.

أتقرأ كتاب الله؟ قال: ما أقرأ منه إلا ما أقيم به صلاتي، قال: أفتروي من الآثار شيئاً؟ قال: لا، قال: افتعرف من أحاديث العرب وأشعارها وأيامها ما يعرف مثلهم؟ قال: لا، قال: أفتنسِبُ قريشاً وسائر بني نِزار؟ قال: لا، ما أحسن من النسب شيئاً، قال: يا غلام، ارفع المنديل، فليس من خالنا حشمة، وأخذ في لعبه»[1]، وتروى الحادثة للوليد بن يزيد مع خال له من ثقيف، في عيون الأخبار[2]، وعلى خلاف هذه الرواية ما. روي عن الحجاج وسبرة بن الجعد رجل من بني شيبان، سأله الحجاج قائلاً: «هل قرأت القرآن؟ قال: جمعته في صدري، فإن عملتُ به فقد حفظتُه، وإنْ لم أعمل به ضيعتهُ، قال: فهل تفرض؟ قال: إني لأفرضُ الصُّلْبَ، وأعرف الاختلاف في الجَدِّ، قال: فهل تبصر في الفقه؟ قال: إني لأبصرُ ما أَقَوِّمُ به أهلي، وأرشدُ ذا العمى من قومي، قال: فهل تعرف النجوم؟ قال: إني لأعرفُ منازلَ القمر، وما أهتدي به في السفر، قال: فهل تروي الشعرَ؟ قال: إني لأروي المثَلَ والشاهدَ، قال: المثلَ قد عرفناه، فما الشاهد؟ قال: اليومُ يكون للعرب من أيامها عليه شاهد من الشعر، فإني أروى ذلك الشاهد فاتخذه الحجاج سميراً، فلم يكُ يطلبُ شيئاً من الحديث إلا وجد عنده منه علماً»[3].

وهكذا نجد أن الحياة الثقافية والأدبية خاصة كانت مزدهرة منذ عصر مبكر، وتوسعت معارفهم وعلومهم في العصور التالية، وظهر التعمق بالعلوم والآداب والتخصص، بالإضافة إلى المعارف الثقافية الشاملة، وكانت مجالس الخلفاء والأدباء والعلماء قد ازدهرت منذ وقت مبكر، وتعد هذه المجالس منتديات عامة يجتمع فيها الشعراء والرواة والخطباء والأخباريون والنسابون، وكانوا ينشدون في هذه المجالس الأشعار ويتداولون ويتناظرون فيما يعرض لهم من آداب وعلوم وأخبار، وقد يانسون بما يعرض أمامهم وقد يختلفون ويحتدم بينهم الجدل والخلاف، وهذه من طبيعة المجالس التي تضم مختلف الأذواق والمشارب والطباع.

(1) العيون والحدائق 3/ 102، أنساب الأشراف 2/ 240 مخطوط.

(2) 2/120.

(3) مروج الذهب 3/ 143.

معاوية بن أبي سفيان:

كانت ثقافة معاوية في جلها جاهلية تعتمد على الأشعار والخطب والأمثال والأخبار والأيام والأنساب، وأضيفت إلى ثقافته الثقافة الإسلامية المتعلقة بالقرآن الكريم والحديث النبوي والأحكام، «ولم يكن يهتم بالمغازي والسيرة النبوية، بل كان يهملها، ويكره تعلمها، ويحاول طمسها، لأنه كان يريد أن يخفي ماضي قومه في أول الإسلام، ويكتمه عن أهل الشام، لأن قومه صدوا عن سبيل الله، وناصبوا الرسول العداء، وصبوا عليه وعلى من آمن برسالته أصناف العذاب، وقُتِل كثير منهم وهم يدافعون عن أوثانهم وسلطانهم، ولأنه كان يعتقد أن الإطلاع على المغازي والسيرة النبوية فيه إظهار لمساوى بني أمية، ونيل منهم، وإزراءٌ بهم، وفيه نشر لمحاسن الأنصار، وثناء عليهم، وإعلاء لهم»[1]، وكان معاوية يرى في الشعر أعلى مراتب الأدب ولذلك كان يحرص على تأديب ولده به، روى ابن رشيق القيرواني قول معاوية: «يجب على الرجل تأديب ولده، والشعر أعلى مراتب الأدب»[2]، ومن اهتمامه بالشعر وتفضيله إياه على ما يروى عنه أنه كان يقول: «اجعلوا الشعر أكثر همِّكم، وأكثر آدابكم، فإن فيه مآثر أسلافكم، ومواضع إرشادكم، فلقد رأيتُني يوم الهرير، وقد عزمت على الفرار، فما يردني إلا قول ابن الإطنابة الأنصاري:

أبــت لــي عفَّتــي وأبــى بــلائــي ... وأخــذي الحمــدَ بــالثمــن الــربيــحِ

وإجشامي على المكروهِ نفسي ... وضــربــي هــامــةَ البطــلِ المشيــحِ

---

(1) مروج الذهب 3/ 26، 50، شرح نهج البلاغة 6/ 17، الأخبار الموفقيات ص 334 وانظر الرواية الأدبية في بلاد الشام لحسين عطوان ص 114 ـ 115 وقد أفدنا من هذا الكتاب فيما يخص خلفاء بني أمية ومجالسهم.

(2) العمدة 1/ 29.

وقولي كلما جشأتْ وجاشتْ مكانكِ تُحمدي أو تستريحي»[1]

والأخبار عن حب معاوية للشعر والحض على تعلمه وحفظه كثيرة، منها ما نقله أبو أحمد العسكري قال: «دخل الحارث بن نوفل بابنه عبد الله إلى معاوية فقال: ما علَّمتَ ابنك؟ قال: القرآن والفرائض، فقال: روِّهِ من فصيح الشعر، فإنه يفتِّحُ العقل، ويفَصِّحُ المنطق، ويطلق اللسان، ويدل على المروءة والشجاعة»[2] وكان معاوية يريد من بني أمية أن يبتعدوا عن الموضوعات التي لا تناسب مروأتهم كالغزل والهجاء والمدح، وكان يحضهم على النظم في الموضوعات الشريفة كالفخر والحكمة، رُوي عن معاوية أنه قال لعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص: «إنك قد لهجت بالشعر، فإياك والتشبيب بالنساء، فتَعُرَّ الشريفة، وإياك والهجاء، فإنك تُهَجِّنُ به كريماً، وتستثير لئيماً، وإياك والمدح فإنه طعمة الدنيء الوَقاح، ولكن افخر بمفاخر قومك، وقل من الأمثال السائرة ما تُزَيِّن به نفسك، وتدل على صحة عقلك، وتؤَدِّبُ به غيرَك»[3]، ومن اهتمام معاوية بالشعر وكلفه به أنه أمر الرواة أن ينتخبوا قصائد ليرويها ابنه، فانتخبوا له إحدى عشرة قصيدة من الشعر الجاهلي وأكثرها من المعلقات، والقصائد هي: لامرى القيسن وطرفة بن العبد، وزهير بن أبي سلمى، والحارث بن حلزة، ولبيد بن ربيعة، وعمرو بن كلثوم، وعبيد بن الأبرص، وسويد بن أبي كاهل، وعنترة بن شداد، والأعشى، وحسان بن ثابت[4]، وكان معاوية مولعاً بحفظ الشعر والتمثل به في مناسبات كثيرة، وحفظت كتب الأدب روايات عن مجالس معاوية وتمثله بالشعر من ذلك ما رواه العتبي قال: «كان معاوية يتمثل كثيراً إذا اجتمع

---

(1) الكامل 4/ 68، وانظر معجم الشعراء ص 9، عيون الأخبار 1/ 126، وقعة صفين ص 395، 404.
(2) المصون في الأدب ص 136، ديوان المعاني 1/ 114.
(3) أنساب الأشراف 4/ 1/ 18، العقد الفريد 5/ 281، المحاسن والمساوىء ص 432، الطبري 5/ 336.
(4) المنثور والمنظوم لابن أبي طيفور ص 40 ـ 41.

الناس في مجلسه بهذا الشعر:

إنَّا إذا مالت دواعي الهوى ... وأنصتَ السامعُ للقائلِ
لا نجعلُ الباطلَ حقّاً ولا ... نُلِظُّ دونَ الحقِّ بالباطلِ
نخافُ أنْ تَسْفَهَ أحلامُنا ... فَنخْمُلَ الدهرَ مع الخامل»[1]

وروى الشعبي عن وقعة صفين، قال: «كان عبد الله بن بُدَيل الخُزاعي مع علي بصفين، فحمل على أهل الشام حتى انتهى إلى معاوية، فقتله أهل الشام، فقال معاوية: هذا كبش القوم، والله ما مثل هذا إلا كما قال الشاعر:

أخو الحرب إنْ عَضَّتْ به الحربُ عضّها ... وإنْ شمَّرتْ عن ساقها الحربُ شمَّراً
ويحمي إذا ما الموتُ كان لقاؤهُ ... قدى الشِّبرِ يحمي الأنفَ أنْ يتأخَّراً
كليثِ هِزَبْرٍ كان يحمي ذِمارَهُ ... رمَتْهُ المنايا قصدَها فتقطَّراً»[2]

وقال أبو مخنف: «قدم عمرو بن العاص من مصر على معاوية في بعض الأيام، فلما رآه معاوية قال:

يموتُ الصالحون وأنتَ حيٌّ ... تخطَّاكَ المنايا لا تموتُ»[3]

وقال بعض أشياخ ثقيف: «دخل المغيرة بن شعبة على معاوية، فقال معاوية حين رآه:

إنَّما موضعُ سرِّ المرءِ إنْ ... باحَ بالسرِّ أخوهُ المنتصحْ
فإذا بُحْتَ بسرٍّ فإلى ... ناصحٍ يستره أو لا تَبُحْ»[4]

والشعر الذي تمثل به معاوية كثير، ومنه ما قاله في شيخوخته ومرضه ودنو أجله،

---

(1) الأغاني 22/ 129 ط دار الكتب، نلظ: نستر ونكتم.
(2) وقعة صفين ص 246، البيان والتبيين 3/ 257 شرح نهج البلاغة 5/ 197، والشعر لحاتم الطائي في ديوانه ص 49، قدى الشبر: قدره، تقطر: سقط صريعاً.
(3) مروج الذهب3/ 30، البداية والنهاية 8/ 138.
(4) الطبري 5/ 177، انساب الأشراف 4/ 1/ 166.

مـن ذلك ما روى عوانـة بن الحكم، قـال: «بلغ معاوية وهـو مريض أنَّ قريشاً ببابه تتباشر بموته، فلما دخلوا عليه دعوا له، فقال: أتتباشرون بموتـي إذا خلوتم، وتدعون لي إذا حضرتم، فانتَفَوا من ذلك واعتَذَروا منه، فقبِل منهم، وقال:

وهــل مــن خــالــدٍ إمَّــا هلكنــا　　　وهل في الموت يا للناسِ عارُ»[1]

وقال أبو عبيدة» لما ثقل معاوية وحدَّثَ الناسُ أنه الموت، قال لأهله: إحشوا عينيَّ إثْمِداً، وأوسعوا رأسي دهنا، ففعلوا وبرَّقوا وجهه بالدهن، ثم مُهِّدَ له فجلس وقال: اسندوني، ثم قال: ائذنوا للناس فليسلموا قياماً، ولا يجلس أحد، فجعل الرجل يدخلُ فيسلمُ قائماً، فيراه مكتحلاً مُدَّهِناً، فيقول: يقول الناس: هو لمآبِهِ، وهو أصحُّ الناس، فلما خرجوا من عنده قال معاوية:

وتجلــدي للشــامتيــن أريهُــمُ　　　أنّي لريبِ الدهرِ لا أتضعضعُ
وإذا المنيــةُ أنشبــتْ أظفــارهــا　　　ألفيـت كـلَّ تميمـة لا تنفـعُ»[2]

وعند الموت يشعر الحكام والمتسلطون بالندم ويتمنون البراءة مما جنوا، وكذلك كان معاوية فيما يرويه محمد بن إسحاق قال: «لما أزِف أمرُ معاوية، وحان فِراقُه، واشتد،ت عِلَّتُه، وأيسَ من بُرئِهِ، أنشأ يقول:

فيا ليتني لم أغْنَ في المُلْك ساعةً　　　ولم أكُ في اللذاتِ أعشىٰ النواظر
وكنتُ كذي طِمْرينِ عاشَ ببُلْغةٍ　　　من الدهرِ حتى زارَ أهلَ المقابرِ»[3]

---

(1) ابن الأثير4/ 8، أنساب الأشراف 4/ 1/ 128 ـ 121 والبيت لعدي بن زيد العبادي في ديوانه ص 132.

(2) الطبري 5/ 326، ابن الأثير 4/7 التعازي والمراثي ص 6 والبيتان لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين ص 3.

(3) مروج الذهب 3/ 58، العقد الفريد 3/ 232، تاريخ الخلفاء ص 220، البداية والنهاية 8/141.

مجالس معاوية:

وكان معاوية في مجلسه يحاور الجالسين والشعراء عن الشعر والأخبار والآداب، وعما في الشعر من المعاني الطريفة السائرة والحكم النادرة، من موضوات هذه المجالس ما روى سليمان المخزومي قال: «أذن معاوية للناس يوماً، فدخلوا عليه واحتفل المجلس وهو على سريره، فأجال بصره فيهم، ثم قال لابن الزبير: يا أبا خُبَيْب، أنشدني لقدماء العرب ثلاثة أبيات جامعة من أجمع ما قالته، قال: نعم يا أمير المؤمنين بثلثمائة ألف، فقال معاوية: إنْ ساوت، قال: أنت بالخيار، وأنت وافٍ كافٍ، قال: نعم، فأنشده للأفوه الأودي:

بلوتُ الناسَ قَرْناً بعد قرنٍ ... فلم أرَ غيرَ خَتَّالٍ وقالِ

فقال: صدق.

ولم أرَ في الخطوبِ أشدَّ وقعاً ... وكيداً من معاداةِ الرجالِ

فقال: صدق.

وذُقتُ مرارةَ الأشياء طُرّاً ... فما شيءٌ أمرَّ من السؤالِ

فقال: صدق. هيه يا أبا خُبيب. قال: إلى هنا انتهى بي، فدعا معاوية بثلاثين عبداً على عنق كل واحد منهم بدرة، فمروا بين يدي ابن الزبير حتى انتهوا إلى داره»[1]

وروى أبو عبيدة أن معاوية قال لجلسائه: «أي أبيات العرب في الضيافة أحسن؟ فاختلفوا وأكثروا، فقال معاوية: قاتل الله أبا اللحام الغِفاري حيث يقول:

لقد علمتْ عِرسي قُلابةُ أنَّني ... طويلٌ سنا ناري بعيد خمودُها

إذا حلَّ ضيفي بالفلاةِ فلم أجد ... سوى مثبتِ الأطنابِ شُبَّ وقودُها»[2]

---

(1) تهذيب تاريخ ابن عساكر 7/ 408، تاريخ الخلفاء ص 202، البداية والنهاية 8/ 337).

(2) حلية المحاضرة 1/ 404 وانظر فيما يتعلق بمعاوية والأمويين من حسين عطوان ـ الرواية الأدبية في بلاد الشام.

=

وقال الأصمعي: «بلغني أنَّ معاوية بن أبي سفيان قال لدغفلٍ النسَّابة: أيُّ بيتٍ قالته العرب أفخرَ وأندى؟ قال: قولُ الشاعر:

لـه هِمَـمٌ لا منتهـى لكبـارهـا … وهِمَّتُهُ الصغري أجلُّ من الدهرِ
لـه راحـةٌ لـو أنَّ معشـارَ جـودهـا … على البَرِّ كان البَرُّ أندى من البحرِ»[1]

وكان معاوية يحب الشعر الذي فيه إنصاف، من ذلك ما روى المدائني قال: قال دغفل النسابة: قدمت على معاوية فقال: يا دعفل. اخبرني عن أنصف العرب في أشعارها؟ قال: قلت: الذي يقول:

فلـم أرَ مثـلَ الحـيِّ حيّـاً مُصَبَّحـاً … ولا مثلنـا يـومَ التقينـا فـوارسـا
أكـرَّ وأحمـى للحقيقـةِ منهـمُ … وأضـربَ مِنَّـا بـالسيوف القـوانسـا
إذا مـا شـدَدْنـا شـدَّةً نصبـوا لهـا … صدورَ المذاكي والرماحَ المداعِسا
نطـاعـنُ عـن أحسـابنـا بـرمـاحنـا … ونضربُهم ضربَ المذيدِ الخوامسا»[2]

وروى المدائني أيضاً أن معاوية قال لجلسائه: «أيُّكم يُنشدُ قصيدةً أنصف فيها صاحبها، ولم يَخفَّ لقومه؟[3] فقالوا فأكثروا، فلم يأتوا بشيءْ، فقال: يا غُلام، هاتِ تلك الرقعة، فقرأ عليهم من قصيدة للمفضل العبدي:

بكـلِّ قـرارةٍ منـا ومنهـم … بنـانُ فتـى وجُمجُمـةٌ فليـقُ
فـأشبعنـا الضبّـاعَ وأشبعـوهـا … فـراحـتْ كلُّهـا تَئِـقٌ تفـوقُ
قتلنـا الفـارسَ الـوضّـاحَ منهـم … كـأنَّ فـروعَ لِمَّتـهِ العُـذوقُ
وقـد قتلـوا بـه منّـا غـلامـاً … كـريمـاً لـم تخـوِّنْـهُ العُـروقُ

---

(1) حلية المحاضرة 1/ 332، تهذيب ابن عساكر 5/ 249.

(2) (حلية المحاضرة 1/ 331 والأبيات للعباس بن مرداس في ديوانه ص 92 ـ 93، القوانس: جمع قونس، أعلى بيضة الرأس. المذاكي الخيل الفتية، المداعس: جمع مدعس، الرمح الغليظ القوي. الخوامس: الإبل التي وردت خمساً، وهو أن تشرب يوماً وترعى ثلاثة وترد في اليوم الخامس).

(3) خف لقومه تعصب لهم ومنعه حبهم من قول الصواب.

فـأبكينـا نسـاءهـمُ وأبكَـوا   نِسـاءً مـا يسـوغُ لهـنَّ ريـقُ»[1]

ولم يكن مجلس معاوية يخلو من تعليقات وتعليلات وأحكام نقدية، وتفضيله لشاعر بعينه أو شعراء على آخرين لأسباب معللة ومبيَّنة، من ذلك تفضيله الشاعر طفيل الغنوي على بقية الشعراء، نقل ابن قتيبة قول معاوية: «دعوا لي طفيلاً وسائرُ الشعراء لكم»[2]، وكان يفضل شعراء مزينة على بقية شعراء القبائل، قال مصعب بن عبد الله الزبيري: «كان معاوية يفضل مزينة في الشعر، ويقول: كان أشعر أهل الجاهلية زهيرٌ وابنه بعده، وأشعر أهل الإسلام معن بن أوس المزني»[3]، وروى المدائني قال: «سأل معاوية الأحنف بن قيس عن أشعر الشعراء، فقال: زهير، قال: وكيف؟ قال: ألقى عن المادحين فضول الكلام، قال: مثل ماذا؟ قال: مثل قوله:

فمـا يـكُ مـن خيـرٍ أتَـوْهُ فـإنَّمـا   تـوارثـهُ آبـاءُ آبـائهـم قبـلُ»[4]

وكان معاوية يسائل العلماء عن اللغة والمعارف والعلوم والأنساب وأي القبائل أفصح، قيل: «إن معاوية دعا دغفلاً النسابة فسأله عن العربية وسأله عن أنساب الناس، وسأله عن النجوم، فإذا الرجل عالم، فقال: يا دغفل، من أين حفظتَ هذا؟ فقال: حفظت هذا بقلبٍ عقول ولسان سئول، وإنَّ غائلة العلم النسيان، قال معاوية: انطلق إلى يزيد فعلمه أنساب الناس، وعلمه النجوم، وعلمه العربية»[5]، وكان يحرص على تعلم العربية ويرى في اللحن سوأة تنتقص من قدر المتكلم، قال

---

(1) حلية المحاضرة 1/ 330، أنساب الأشراف 4/ 1/ 113 والأبيات من قصيدة المفضل النكري العبدي في الأصمعيات 200 ـ 203 مع خلاف يسير في الرواية. القرارة: المطمئن من الأرض، التئق: الممتلىء، يفوق: ينقطع نفسه ويأخذه البهر، العذق: عرجون النخل، تخونه: تنقصه، العروق: جمع عرق، الأصل والنسب.

(2) الشعر والشعراء 1/ 453، الأغاني 15/ 350.

(3) أنساب الأشراف 4/ 1/ 21، شرح شواهد المغني ص 341 الأخبار الموفقيات ص 630.

(4) الأغاني 10/ 290 والبيت في ديوان زهير ص 115.

(5) الأنساب للسمعاني 1/ 11، تهذيب ابن عساكر 5/ 245، 246، الإصابة 1/ 475 الاستيعاب ص 462.

المدائني: «أوفد زيادٌ عُبيدَ الله بن زياد إلى معاوية، فكتب إليه معاوية: إن ابنك كما وصفتَ، ولكن قوِّمْ من لسانه»[1]، قيل: وكان في عبيد الله بن زياد لكنة، لأن أباه تركه مع أمه مَرْجانة بعد أن طلقها وتزوجت شيرويه الأسواري[2].

وفي رواية أخرى أن معاوية كتب إلى زياد يطلب عبيد الله ابنه، فلما قدم عليه كلَّمه فوجده يلحن فرده إلى زياد وكتب إليه كتاباً يلومه فيه ويقول: أمثلُ عبيد الله يُضَيَّع!»[3].

ومثلما كان معاوية حريصاً على الفصاحة وسلامة اللغة، فانه كان حريصاً أيضاً على بلاغة الكلام ويعجبه سماع الكلام البليغ، روى ابن الأعرابي أن معاوية سأل صحار بن عيَّاش العبدي قائلاً: «ما هذه البلاغة التي فيكم؟ قال: شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا، فقال له معاوية: ما تعدون البلاغة فيكم؟ قال: الإيجاز، قال معاوية: وما الإيجاز؟ قال: أن تجيب فلا تبطيء، وأن تقول فلا تخطيء»[4].

هذا أهم ما ذُكر عن معاوية من اهتمامه بالشعر والأدب وما كان يدور في مجالسه من رواية للشعر وحكم على الشعراء وقضايا الأدب بعامة.

وقد قيل إن معاوية كان له شعر قاله في مناسبات بعينها، وشعر الخلفاء بعامة فيه شك، فقد يستشهدون بأبيات لا يعرفها الناس وتنسب لهم، على أن لهم حفظ وذوق وليس من المستبعد أن ينظموا شعراً، فمما روي لمعاوية من الشعر جملة مقطعات: منها أبيات ينصح ابنه يزيد بقوله:

انصب نهاراً في طلاب العلا ... واصبر على هجر الحبيب القريبْ

حتى إذا الليلُ أتى بالدجى ... واكتحلت بالغمض عين الرقيبْ

---

(1) البيان والتبيين 2/ 167.

(2) البيان والتبيينِ 2/ 167 والعقد الفريد 2/ 477.

(3) المحكم في نقط المصاحف ص 3.

(4) البيان والتبيين 1/ 93، 3/ 249، عيون الأخبار 2/ 172، العقد الفريد 2/ 261.

فبــاشــر الليــلَ بمــا تشتهــي ... فــإنمــا الليــلُ نهــارُ الأريــبْ
كــم فــاســق تحسبــه نــاسكــاً ... قـد بـاشـرَ الليـلَ بـأمـرٍ عجيبْ
غطــى عليــه الليــلُ أستــارَهُ ... فبات في أمنٍ وعيشٍ خصيبْ
ولــذَّهُ الأحمــقِ مكشــوفــةٌ ... يسعى بها كلُّ عدو مريبْ»[1]

وقال في كتمان السر[2]:

إنمــا مــوضــعُ ســرِّ المــرءِ إنْ ... بــاحَ بــالســرِّ أخــوهُ المنتصــحْ
فــإذا بحــتَ بســرٍ فــإلــى ... نــاصــحٍ يستــرهُ أو لا تبُــحْ

وأشار عمرو بن العاص على الحريث مولى معاوية أن يبارز علياً، فلما نازله قتل عليٌّ الحريثَ، وقال معاوية في ذلك:

حُريثُ ألم تعلم وجهلُكَ ضائرُ ... بــأنَّ عليــاً للفــوارس قــاهــرُ
وأنَّ عليــاً لــم يبــارزه فــارسٌ ... من الناس إلا أقصدتهُ الأظافرُ
أمــرتُــكَ أمــراً حــازاً فعصيتنــي ... فجَدُّكَ إذ لم تقبل النصحَ عاثرُ
ودلاكَ عمــروٌ والحــوادثُ جمَّــةٌ ... غروراً وما جرَّتْ عليك المقادرُ
وظن حُريثٌ أنَّ عمراً نصيحَهُ ... وقد يهلِكُ الإنسانَ من لا يحاذرُ
أيركبُ عمروٌ راسَهُ خوفَ سيفهِ ... ويصلــي حــريثــاً إنــه لفُــرافــرُ[3]

وقال معاوية يعاقب قريشاً:

إذا أنــا أعطيــتُ القليــلَ شكــوتــمُ ... وإنْ أنا أعطيتُ الكثيرَ فلا شكرُ
وما لُمتْ نفسي في قضاء حقوقكم ... وقد كان لي فيما اعتذرتُ به عذرُ
وأمنحكــم مــالــي وتكفــرُ نعمتــي ... وتشتمُ عِرضي في مجالسها فِهْرُ

---

(1) البداية والنهاية 8/ 228، حلبة الكميت ص 97.
(2) الكامل لابن الأثير3/ 422.
(3) وقعة صفين ص 273، نهج البلاغة 5/ 216، الفتوح لابن أعثم 3/ 27 ـ 28، الفرافر: الأخرق الأحمق.

إذا العُذرُ لم يُقبَلْ ولم ينفع الأسى وضاقتْ قلوبٌ منهمُ حشوها الغمرُ
فكم سأداوي داءكتم ودواءكم يزيدكُم غَيّاً فقد عظم الأمرُ
سأحرمكم حتى يذل صعابُكم وأبلغُ شيءٍ في صلاحكمُ الفقرُ[1]

وقال معاوية يصف حاله:

قد عشتُ في الدهر ألواناً على خلقٍ شتى وقاسيتُ فيه اللينَ والطَّبعا
كُلاًّ لبستُ فلا النعماءُ تبطرني ولا تعودتُ من مكروهها جزعاً
لا يملأ الأمرُ صدري قبل مصدرهِ ولا أضيقُ به ذرعاً إذا وقعا[2]

وقد حفظت كتب الأدب لمعاوية من الشعر ما يقرب من أربعين ومائتي بيت، وقد لا تصح كلها له، فبعضها مما كان يحفظه ويتمثل به.

(1) عيون الأخبار 3/ 159.
(2) أمالي القالي 2/ 304.

عبد الملك بن مروان:

لم يكن من الخلفاء الأمويين من له بصر بالشعر واهتمام بالمجالس الأدبية بعد معاوية إلا عبد الملك بن مروان فقد كان له بصر بالشعر والشعراء، وله مجالس حافلة بالعلماء والأدباء والشعراء، وله إحكام نقدية وموازنات بين الشعر والشعراء، وله كذلك شعر روته كتب الأدب.

نشأ عبد الملك قبل أن يلي الخلافة نشأة علم ودين، كان يلزم مسجد المدينة ويأخذ عن شيوخ المسجد ويغترف العلم بهمة ونشاط، قال نافع بن جبير النوفلي المدني: «رأيت عبد الملك بن مروان، وما بالمدينة شابٌ أشد تشميراً ولا أطلب للعلم منه»[1]، وكان يلزم مسجد المدينة عابداً داراساً لا يكاد يبرح المسجد، حتى سُمي حمامة المسجد لطول انقطاعه للعبادة والدرس[2]، وكان يجالس الشيوخ والفقهاء ويستقي العلم منهم، قال ابن سعد: «كان عبد الملك جالس الفقهاء والعلماء وحفظ عنهم»[3]، وقد قرأ القرآن في المدينة وفي دمشق وروى الحديث، واتقن الفقه حتى عده بعضهم من فقهاء المدينة الأربعة كما يقول أبو الزناد عبد الله بن ذكوان القرشي: «كان فقهاء المدينة أربعة: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب، وعبد الملك بن مروان»[4]، وقد درس الأخبار والأيام والأنساب، وقد وقف على السير والمغازي النبوية، ولكنه حجبها عن أولاده وعن أهل الشام لأن بني أمية كان نصيبهم منها في جانب الكفر ومعاداة الإسلام، روى الزهري: «أن عبد الملك رأى عند بعض ولده حديث المغازي، فأمر به فأحرِق،

---

(1) طبقات ابن سعد 5/ 234، تاريخ بغداد 10/ 389، تاريخ الخلفاء ص 216 الرواية الأدبية في بلاد الشام ص 183 وما بعدها.

(2) العقد الفريد6/ 350.

(3) طبقات ابن سعد 5/ 226، البداية والنهاية 9/ 62، تهذيب التهذيب 6/ 422.

(4) ابن الأثير 4/ 520، تاريخ بغداد 10/ 389، تاريخ الخلفاء ص 216.

وقال له: عليك بكتاب الله فاقرأه، والسنة فاعرفها واعمل بها»[1].

وكان ابنه سليمان بن عبد الملك حين حج سنة اثنتين وثمانين قد أحرز كتاباً في سير النبي ومغازيه كتبه له أبان بن عثمان، فأمره عبد الملك أن يخرِّقه، وقال له: «ما حاجتك أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل، تُعَرِّفُ أهلَ الشام أموراً لا نريد أن يعرفوها»[2].

وقد أحاط عبد الملك بعلوم عصره الدينية والدنيوية وتفقه فيها وبرع في علوم كثيرة، وقد شهد له علماء عصره، قال مالك بن عمارة اللخمي: «كنت أجالس في ظل الكعبة أيام الموسم عبد الملك بن مروان، وقبيصة بن ذؤيب، وعروة بن الزبير، وكنا نخوض في الفقه مرة، وفي الذكر مرة، وفي أشعار العرب مرة، وآثار الناس مرة، فكنت لا أجد عند أحد منهم ما أجده عند عبد الملك بن مروان من الاتساع في المعرفة، والتصرف في فنون العلم، والفصاحة والبلاغة، وحسن استماعه إذا حُدِّثَ، وحلاوة لفظه إذا حَدَّثَ»[3].

أما في العلوم العربية من رواية الشعر والأخبار والأيام والأنساب واللغة والنحو والبلاغة، فقد كان عبد الملك ضليعاً متقناً حافظاً، وقد كان بصيراً بأسرار العربية حتى عُدَّ من الفصحاء الذين لم يسقطوا في لحن في جدهم وهزلهم، قال الأصمعي: «أربعة لم يلحنوا في جِد ولا هزل: الشعبي وعبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف، وابن القِريَة»[4].

وشهد الشعبي لعبد الملك بسعة العلم والبراعة في فنون كثيرة مع السماحة وحسن المجالسة في خلافته، قال الشعبي: «وفدت على عبد الملك، فما أخذت في حديث أرى أنه لم يسمعه إلا سبقني إليه، وربما غَلِطتُ في الشيء، وقد علمه

(1) أنساب الأشراف خ 1/ 1165.
(2) الأخبار الموفقيات ص 133 ـ 134، وكذلك فعل معاوية قبله في حجب السيرة النبوية والمغازي الأولى عن أهل الشام. كما سبق.
(3) الإمتاع والمؤانسة 2/ 70.
(4) تاريخ الخلفاء ص 221.

فيتغافل عني تكرماً»[1]، وقال: ما جالست أحداً إلا وجدت لي عليه الفضل، إلا عبد الملك بن مروان، فإني ما ذاكرته حديثاً إلا زادني فيه، ولا شعراً إلا زادني فيه»[2].

وكان عبد الملك يحب الشعر ويحب من يحفظ الشعر ويرويه، ولذلك كان يحرص أن يتعلم أبناؤه الشعر العفيف الذي يدعو إلى الفروسية والفضائل والكرم، فقد كان يوصي معلم ولده إسماعيل بن أبي المهاجر بقوله: «رَوِّهم من الشعر أعفَّه»، وقال: «علمهم الشعر يمجدوا وينجدوا»[3]، وكان يفضل شعر الأعشى ويوصي مؤدب ولده أن يؤدبهم بشعره لأن في شعره عذوبة ويدل على محاسن الكلام، قال يوصي ابن المهاجر: «أدبهم برواية شعر الأعشى، فإن له عذوبة، يدلهم على محاسن الكلام، قاتله الله ما أعذب بحرَهُ وأصلبَ صخرَهُ»[4]، وكان يكرم من له علم بالشعر ويحفظه فيزيد في عطائه، وينقص من عطاء من كان لا علم له بالشعر، ومن طريف ما يروى عنه حين دخل الكوفة لأخذ البيعة من أحياء العرب بعد مقتل مصعب بن الزبير، نقل المدائني عن معبد بن خالد الجدلي قال: «تقدمنا إليه معشر عدوان، فقدَّمنا رجلاً وسيماً جميلاً، وتأخرتُ، وكان معبدٌ دميماً، فقال عبد الملك: مَنْ؟ فقال الكاتب: عَدوان: فقال عبد الملك:

عــذيــرَ الحــي مــن عَــدوا ... نَ كــانــوا حيَّــةَ الأرض

بغــى بعضهــمُ بعضــاً ... فلــم يُــرعــوا علــى بعــضِ

ومنهــم كــانــت الســادا ... تُ والمــوفــونَ بــالقــرضِ

ثم أقبل على الجميل فقال: إيهٍ! فقال: لا أدري فقلتُ من خلفه:

ومنهــم حكــمٌ يقضــي ... فــلا يُنْقَــضُ مــا يقضــي

---

(1) أنساب الأشراف 1/ 1163، ذيل الأمالي والنوادر ص 80

(2) ابن الأثير 4/ 520، تاريخ الخلفاء ص 216، البداية والنهاية 9/ 63.

(3) أنساب الأشراف 1/ 1165، عيون الأخبار 2/ 167، البداية والنهاية 9/ 66، نور القبس ص 250.

(4) جمهرة أشعار العرب ص 84.

ومنهم من يُجيز الحَـ ـجَّ بالسُنَّةِ والفرْضِ
وهم مَنْ ولدوا أشْبَوا بسرِ النسبِ المحضِ

قال: فتركني عبد الملك، ثم أقبل على الجميل فقال: مَنْ هو؟ قال: لا أدري، فقلت من خلفه: ذو الإصْبَع، قال: فأقبل على الجميل فقال له: ولِمَ سُمِّيَ ذا الإصبع؟ فقال: لا أدري، فقلت من خلفه: لأن حيَّةً عضَّتْ إصبَعَهُ فقطعها، فأقبل على الجميل فقال: ما كان اسمُهُ؟فقال: لا أدري، فقلت من خلفه: حُرْثان بن الحارث، فأقبل على الجميل فقال من أيِّكم كان؟ قال: لا أدري، فقلت من خلفه: من بني ناجٍ، فقال:

أبعدَ بني ناجٍ وسعيكَ بينَهمْ فلا تُتْبِعَنْ عينيك ما كانَ هالكا
إذا قلتُ معروفاً لأصلحَ بينهم يقولُ وُهَيْبٌ لا أصالحُ ذلكا
فأضحى كظهرِ العَيْرِ جُبَّ سنامُهُ تُطيفُ به الوِلدانُ أحدبَ بارِكا

ثم أقبل على الجميل فقال: كم عطاؤكَ؟ فقال سبعمائة، فقال لي: في كم أنت؟ قلت: في ثلاثمائة، فأقبل على الكاتبَينِ فقال: حُطَّا من عطاء هذا أربعمائة، وزيداها في عطاء هذا، فرجعت وأنا في سبعمائة، وهو في ثلاثمائة»[1]، وكان لهذه الحادثة أثرها البيِّن في دفع الناس ولاسيما القادة والأمراء وأشراف الناس على رواية الشعر وتعلمه وحفظه، ومن دلائل ذلك أن عبد الرحمن بن محمد الأشعث الكندي كان يقول: قدم عبد الملك بن مروان، وكان يُحِبُ الشعرَ، فبعثتُ إلى الرواة، فما أتت عليَّ سنةٌ حتى رويتُ الشاهدَ والمثلَ وفضولاً بعد ذلك»[2]، والأخبار عن حب عبد الملك للشعر وتحريص الناس على حفظه وتعلمه وروايته كثيرة حفلت بها كتب الأدب[3].

(1) تاريخ الطبري 6/ 163، المصون في الأدب ص 169، أمالي المرتضى 1/ 249، الأغاني 3/ 91 الرواية الأدبية ص 190 ـ 192.
(2) الحيوان 5/ 194.
(3) انظر الرواية الأدبية في بلاد الشام ص 182 ـ 216.

مجالس عبد الملك بن مروان:

كان مجلس عبد الملك عامراً بالشعراء والأدباء والعلماء، وكان للشعراء خاصة منزلة مرموقة في مجلسه، وكان يغدق عليهم الأموال فيقصدونه من كل حدب وصوب، وربما كان يرسل على الشعراء والرواة من البصرة أو الكوفة أو الحجاز ليسألهم عن بيت شعر أو قصيدة أو خبر، ويرجعون لأهلهم محملين بالعطايا والهبات، وفي هذه المجالس وما فيها من علم عبد الملك بالشعر ودلالته ما رواه المبرد قال: «قال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه: أي المناديلُ افضل؟ فقال قائل منهم: مناديلُ مصر، كأنها غِرْقيءُ البَيْض وقال آخر: مناديل اليمن كأنها أنوارُ الربيع، فقال: ما صنعتما شيئاً، أفضلُ المناديل ما قال أخو تميم، يعني عبدة بن الطبيب:

لمـا نـزلنـا نصبْنـا ظِـلَّ أخبيـةٍ ... وفارَ للقومِ باللحم المراجيلُ

وردٌ وأشقَـرُ مـا يُـؤنيـه طـابخُـةٌ ... ما غَيَّرَ الغَلْيُ منهُ فهو مأكولُ

ثُمَّـتَ قمنـا إلـى جُـرْدٍ مُسَـوَّمـةٍ ... أعـرافُهُـنَّ لأيـدينـا منَـاديـلُ»[1]

وفي مجلس آخر ذكره عوانة بن الحكم الكلبي قال: «حضر عند عبد الملك الشعراءُ وأصنافٌ من أشراف العرب، فقال لهم: أيُّ بيتٍ فيما أنبأتموني قالته العرب أرقُ وأغزلُ وأحسنُ في النسيب؟ وأي بيت أفخرُ في المديح؟ وأيُّ بيتٍ أفحشُ في الهجاء؟ قالوا: كل ذلك يا أمير المؤمنين مختلف فيه، ولكلٍّ حَسَنٌ من القول وقبيحٌ، فأما أغزلُ بيتٍ قالته العرب فقول امرىء القيس:

وما ذرفتْ عيناكِ إلا لتقدحي ... بسهميكِ في أعشارِ قلبٍ مُقَتَّلِ

وأما أرَقُّ بيتٍ قالته العرب فقول ابن أبي ربيعة:

حبَّـذا رجعُهـا يـديهـا إليهـا ... فـي يـدَي درعهـا تَحُـلُّ الإزارا

---

(1) الكامل 146/2، الأغاني 26/21، العقد الفريد 164/1، والأبيات من مفضلية في المفضليات ص 141، وغرقىء البيض: القشرة الرقيقة تحت القشرة الصلبة، والأخيرة تسمى القيض.

وأما أمدحُ بيت قالته العرب فقول زهير:

تــراهُ إذا مــا جئْتَــهُ مُتَهَلِّــلاً   كأنَّكَ تُعْطيهِ الذي أنتَ سائلُهْ

وأما أفحشُ بيتٍ قالتهُ العربُ فقولُ الأخطل:

قومٌ إذا استنبحَ الأضيافُ كَلْبَهُمُ   قالوا لأمِّهِم بولي على النارِ»[1]

وقريب من هذا في مجلس آخر ما رواه أبو هلال العسكري قال: «قالوا: قال عبد الملك بن مروان للفرزدق وجرير والأخطل: من أتاني منكم بصدر هذا البيت (والعَوْدُ أحمدُ) فله عشرةُ آلاف درهم، فما كان منهم مجيب، فأدخِلَ أعرابيٌّ من عُذرة إليه، فأنشده:

فإنْ كان مني ما كَرِهْتَ فإنَّني   أعودُ لما تهواهُ والعَوْدُ أحمدُ

فقال عبد الملك: أحسنْتَ، ولكنْ لم تُصِبْ ما أردْتُ، فأنشدُه:

جَزَيْنا بني شيبانَ قدْماً بفعلِهمْ   وعُدْنا بِمثْلِ البَدْءِ والعَوْدُ أحمدُ[2]

قال: لم تصب ما أردتُ، فأنشد:

وأحْسَنَ عمروٌ في الذي كان بيننا   فإنْ عادَ بالإحسان فالعَوْدُ أحمدُ

فقال: هذا طلبتُ، ثم قال: اخبرني عن أهجى بيتٍ قالتْهُ العربُ؟ قال: قول جرير:

فغُـضَّ الطَّـرْفَ إنـكَ مـن نُمَيْـرٍ   فــلا كعبــاً بلغــتَ ولا كــلابــا

قال: فأخبرني عن أمدح بيتٍ قالته العربُ؟ قال: قولُ جرير:

ألسْتُمْ خيرَ من رَكِبَ المطايا   وأنــدى العــالميــنَ بُطــونَ راحِ

قال: فما أفخرُ بيتٍ قالته العربُ؟ قال: قولُ جرير:

إذا غَضبَـتْ عليـكَ بنـو تميـمٍ   حَسبْـتَ النـاسَ كُلَّهُـم غضِـابـا

قال: فما أغزلُ بيتٍ قالتْهُ العربُ؟ قال: قول جرير:

---

(1) حلية المحاضرة 1/371.

(2) البيت لمالك بن نويرة في الشعر والشعراء 1/339، ومجمع الأمثال 2/35.

إنَّ العيونَ التي في طَرْفها حَوَرٌ قَتَلْنَنا ثم لم يُحيِيْنَ قتلانا
يصرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتى لا حَرَاكَ بهِ وهُنَّ أضعَفُ خَلْقِ اللَّه أركانا

قال: فما أحسنُ بيتٍ قيل؟ قال: قول جرير:

وطوى الطِّرادُ مع القياد بطونَها طَيَّ التِّجارِ بحضرموتَ بُرودا

قال: فما اقبحُ بيتٍ قيلَ؟ قال: قولُ جرير:

ألم ترَ أنَّ جِعْثَنَ وسْطَ سَعْدٍ تسمَّى بعدَ قضّتها الرُّحابا
ترى بَرَصاً بأسفلَ إسْكَتَيْها كعَنْفَقَةِ الفَرَزْدَقِ حينَ شابا

قال: فما أهجنُ بيت قيل؟ قال: قول جرير:

طَرَقَتْكَ صائدَةُ القلوبِ وليس ذا حينَ الزيارةِ فارجعي بسلامِ

قال: فهل تعرف جريراً؟ قال: لا، ولكنْ تَرِدُ علينا أقاويلُ الشعراء، فلم أرَ شعراً أرَقَّ في الوزن، ولا أملأ للفم من شعره، فقام جرير فقبَّل رأسه، وجعل جائزته في هذا العام له، واضاف عبد الملك إليها مثلها، وكتب إلى عامله باليمامة أن يُنصِفَ من خَصْمٍ تظلَّم منه»[1].

ومجلس آخر من مجالس عبد الملك رواه أبو عبيدة قال: «اجتمع عند عبد الملك بن مروان أناسٌ فقال: أنشدوني أكرمَ أربعةِ أبياتٍ قالتها العربُ في الجاهلية؟ فقال رَوْحُ بن زِنْباعٍ:

منعَ البَقاءَ تقَلُّبُ الشمس وطلوعُها من حيثُ لا تُمسي
تبدو لنا بيضاءَ بازِغَةً وتغيبُ في صفراءَ كالوَرْسِ
تجري على كَبِدِ السماء كما يجري حِمامُ الموتِ في النفسِ
اليومَ يُعْلَمُ ما يجيءُ به ومضى بفضلِ قضائه امسِ

---

(1) ديوان المعاني 1/76، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ص 252، والقسم الثاني من الخبر من قوله: أخبرني عن أهجى بيت: في الأغاني 8/41، وجمهرة اشعار العرب ص 111.

فقال: أحسنت، فأخبرني بأكرمِ بيتٍ مدحَ به رجلٌ قومَهُ في حربٍ؟ قال: قولُ كعبِ بن مالكٍ الأنصاري:

نصلُ السيوفَ إذا قصُرْنَ بخطونا ... قُـدْمـاً ونُلْحِقُهـا إذا لـم تلحَـقِ

قال: فأخبرني بأفضلِ أبياتٍ قيلت في الجود؟ قال: قول حاتم الطائي:

تـرى أنَّ مـا أبقيـتُ لـم أكُ ربَّـهُ ... وأنَّ يـدي ممـاً بخلـتُ بـه صِفْـرُ

ألـم تـرَ أنَّ المـالَ غـادٍ ورائـحٌ ... ويبقى من المالِ الأحاديثُ والذِّكرُ

غَنينـا زمـانـاً بـالتصَعْلُـكِ والغِنـى ... فكُـلاً سقـانـاهُ بكـأسيهمـا الـدهـرُ

فمـا زادنـا بغْيـاً علـى ذي قـرابـةٍ ... غِنانا ولا أزرْى بأحسابِنا الفَقْرُ

قال: فأخبرني عن أشعر الناس؟ قال: أشعرهم الذي يقول:

كأنَّ عيونَ الوحشِ حولَ خِبائنا ... وأرحُلِنا الجَزْعُ الذي لم يُثقَّبِ

والذي يقول:

كـأنَّ قلـوبَ الطَّيـرِ رَطْبـاً ويـابسـاً ... لـدى وكـرهـا العُنَّـابُ والحَشَـفُ البـالي

قال: فأنشدنا أوصَفَ بيتٍ قالتْهُ العرب؟ قال: أحسنُ بيتٍ وصفاً قول امرى القيس:

وتعـرفُ فيـه مـن أبيـه شمـائـلاً ... ومن خالهِ ومن يزيدَ ومن حُجُرْ

سمـاحـةَ ذا وبِـرَّ ذا ووفـاءَ ذا ... ونائلَ ذا إذا صحا وإذا سَكِرْ[1]

ولم يكتفِ عبد الملك بمن يحضر مجلسه من أهل الشام ومن يفد عليه من الشعراء، بل كان يرسل إلى مَنْ في العراق من الرواة ليسائلهم في الرواية والشعر، فقد أرسل على الشعبي فحضر مجلسه وسأله عن أخبار العرب وما يحفظ من الملح النوادر والطرائف، روى المفضل الضبي قال قال الشَّعبي: سالني عبد الملك بن مروان: أيُّ بيتٍ قالتهُ العربُ أرقُّ؟ فقلت: قول الشاعر:

فدقَّتْ وجَلَّتْ واسبكَرَّتْ وأكْمِلَتْ ... فلو جُنَّ إنسانٌ من الحُسن جُنَّت»[2]

---

(1) الخبر في حلية المحاضرة 1/361، ذيل الأمالي والنوادر ص 29، زهر الآداب ص 766.
(2) حلية المحاضرة 1/637، والبيت للشنفرى في المفضليات ص 109.

وسأل عبد الملك الشعبي فقال: «يا شَعبي، أنشدني أحكمَ ما قالتْهُ العرب وَأوجَزَهُ؟ فقال: يا أمير المؤمنين، قول امرى القيس:

صُبَّتْ عليه وما تنصَبُّ من أمَمٍ ... إنَّ البلاءَ على الأشقَيْن مصبوبُ»[1]

ثم أنشده أبياتاً لزهير، والنابغة، وعدي بن زيد، وطرفة، وعبيد، ولبيد، والأعشى، والحطيئة، والمرقش الأصغر، والشماخ، فقال عبد الملك: حججتك يا شعبي بقول طُفيل الغنوي:

ولا أخالسُ جاري في حليلته ... ولا ابنَ عمِّي غالتْني إذاً غُولُ

حتى يُقالَ وقد دُلِّيتُ في جَدَثٍ ... أينَ ابنُ عوفٍ أبو قُرَّانَ مجعولُ[2]

ولـم تقتصر مجالس عبد الملك على الشعراء والأدباء، بل كانت له مجالس مع أبنائه وأهل بيته، فكان يسائلهم ويحاورهم في الشعر والأدب والأخبار، من ذلك ما رواه العتبي قال: «قال عبد الملك بن مروان لولده وأهل بيته: أيُّ بيتٍ ضربَتْهُ العرب على عصابة، ووصفته أشرفَ حواءً[3] وأهلاً وبناءً؟ فقالوا فأكثروا، وتكلم من حضر، فقال عبد الملك: أكرم بيتٍ وصفته العرب بيتُ طُفيل الذي يقولُ فيه:

وبيـتٍ تَهُـبُّ الـريحُ فـي حُجُـراتـهِ ... بـأرضٍ فضـاءٍ بـابُـه لـم يُحَجَّـبِ

سَمَـاوَتُـه اسمـال بُـرْدٍ مُحَبَّـرٍ ... وصَهْـوتُـهُ مـن أتحَمـيٍّ معَصَّـبِ

وأطنـابُـهُ أرسـان جُـرْدٍ كـأنَّهـا ... صُـدورُ القنـا مـن بـادىءٍ ومُعَقَّـبِ

نصبـتْ علـى قـومٍ تُـدِرُّ رِمـاحُهـم ... عُروقَ الأعادي من غَريرٍ وأشيَبِ»[4]

ومن مجالسه بين أولاده ما ذكره أبو عبيدة قال: «قال عبد الملك بن مروان، وعنده الوليد وسليمان ذاتَ يوم: أيُّ بيتٍ أرقُّ وأمتنُ؟ فقال الوليد: قول امرىء القيس:

وما ذرفتْ عيناكِ إلا لتضربي ... بسَهْمَيْكِ في أعشارِ قلبٍ مُقَتَّلِ

---

(1) حلية المحاضرة 1/360، نور القبس ص 241.

(2) ديوان طفيل الغنوي ص 31، والرواية الأدبية ص 232.

(3) الحواء: بيوت الناس إذا تدانت.

(4) (الأغاني 15/352.

وقال سليمان: قول كُثَيِّر:

أريدُ لأنسى ذِكْرَها فكأنَّما ... تمَثَّلُ لي ليلى بكل سبيلِ

فقال: قاتل اللَّهُ الأعرابيَّ حيث يقول:

دعوتُ الهوى حتى ارتَمَيْنَ قُلوبَنا ... بأعْيُنِ أعداءٍ وهُنَّ صديقُ»[1]

ومن مجالسه بين أولاده ما رواه المصعب الزبيري قال: «قال عبد الملك بن مروان يوماً لأولاده؛ الوليد وسليمان ومسلمة: ما أمدح بيتٍ قالته العرب؟ قال الوليد: قول الأخطل:

صُمٌّ عن الجهلِ عن قول الخَنَا خُرُسٌ ... وإنْ أَلَمَّتْ بهم مكروهةٌ صبروا

شُمْسُ العداوةِ حتى يُستَقادَ لهم ... وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قدَروا

وقال سليمان: بل قول عبيد الله بن قيس الرقيات:

ما نقموا من بني أميَّةَ إلا ... أنَّهم يحلمونَ إنْ غَضبوا

وأنَّهم معْدنُ الملوكِ فما ... تصْلُحُ إلا عليهمُ العربُ

وقال مسلمة: بل قول جرير:

ألستم خيرَ من ركِبَ المطايا ... وأندى العالمينَ بطونَ راحِ

فقال عبد الملك: بل قولُ حسان بن ثابت:

بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابُهم ... شُمُّ الأنوفِ من الطِّرازِ الأولِ

يُغشَونَ حتى ما تَهِرُّ كلابُهمْ ... لا يسألونَ عن السوادِ المقبلِ»[2]

وفي مجلس آخر سأل عبد الملك أولاده عن أكرم بيت قالته العرب، فقال الوليد: قول طرفة:

وأعْسِرُ أحياناً فتشْتَدُّ عُسْرتي ... وأدْرِكُ ميسورَ الغِنى ومعي عِرضي

---

(1) حلية المحاضرة 1/374، حلبة الكميت ص 95، والبيت الأخير لجرير في ديوانه 1/372، وينسب لنصيب بن رباح، في مجموع شعره ص 109.

(2) حلية المحاضرة 1/338.

وقال سليمان: قول كثير:

إذا قَلَّ مالي زادَ عِرضي كرامةً علـيَّ ولـم أتْبَـعْ دفيـن المطـامِـعِ

وقال مسلمة: بل قول عنترة:

ولقد أبيتُ على الطَّوى وأظَلُّهُ حتـى أنـالَ بـه كـريـمَ المـأكـلِ

فقال عبد الملك: بل قول كعب بن مالك:

يُسَوِّدُني المالُ القليلُ إذا بدتْ مروءتُه فينا وإنْ كان مُعْدِما»[1]

ويسأل عبد الملك أولاده فيما روى المفضل الضبي، عن أشجع بيت قالته العرب:

فقال الوليد: قولُ عنترة:

إنَّ المنيَّـةَ لـو تُمَثَّـلُ مُثِّلـتْ مثلي إذا نزلوا بضَنْكِ المنزلِ

وقال سليمان: بل قوله أيضاً:

يـدعـونَ عَنْتَـرَ والـرمـاحُ كـأنَّهـا اشطـانُ بِئْـرٍ فـي لَبَـانِ الأدهَـمِ

وقال مسلمة: بل قولُه أيضاً:

وأنـا المنيـةُ حيـنَ تشتجِرُ القَنَـا والطَّعْـنُ منِّـي سـابِـقُ الآجـالِ

فقال عبد الملك: بل قول عباس بن مرداس السُّلمي:

أشُـدُّ علـى الكتيبـةِ لا أبـالـي أحتْفي كان فيها أم سِواها[2]

وهكذا كان عبد الملك يمتحن أبناءه في معرفة الشعر وروايته في هذه المجالس وغيرها، ومجالس عبد الملك كثيرة أكثر مما يحيط بها حصر.

ونختم القول في المجالس التي اخترناها من مجالس عبد الملك بن مروان بآخر مجلس قبل وفاته، روى الهيثم بن الربيع العُقَيلي، قال: قال الشعبي: «أسل إليَّ عبد الملك بن مروان، وهو شاكٍ، فدخلتُ عليه، فقلتُ: كيف أصبحت يا أميرَ المؤمنين؟ فقال: أصبحتُ كما قال ابن قميئةَ أخو بني قيس بن ثعلبة:

---

(1) حلية المحاضرة 361/1، وبيت كعب بن مالك غير موجود في ديوانه جمع سامي العاني.

(2) حلية المحاضرة ص 352/15.

كأني وقد جاوزتُ تسعينَ حِجَّةً خلعْتُ بها عنِّي عِذارَ لجامي

(الأبيات)، فقلت: يا أمير المؤمنين، ولكنك كما قال لبيد بن ربيعة أخو بني جعفر بن كلاب، قال: وما قال؟ قلت: قال:

نفسي تشَكَّى إليَّ الموتَ مُجْهِشَةً وقد حملتُكِ سبعاً بعدَ سبعيناً

فـإنْ تُـزادي ثـلاثـاً تبلغـي أمـلاً وفـي الثـلاثِ وفـاءٌ للثمـانينـا

فعاش والله يا أمير المؤمنينَ حتى بلغ تسعينَ حجَّةً، فقال:

كأني وقد جاوزتُ تسعينَ حِجَّةً خلعْـتُ بهـا عـن مَنْكِبَـيَّ ردائيـاً

فعاش حتى بلغ عشراً ومائة سنةٍ، فقال في ذلك:

أليسَ في مائةٍ قد عاشها رجلٌ وفي تكامُلِ عَشْرٍ بعدَها عُمُرُ

فعاش والله يا أمير المؤمنين حتى بلغ عشرين ومائة، فقال في ذلك:

وغَنيْتُ سَبْتاً بعدَ مُجرى داحسٍ لو كان للنفسِ اللَّجوُجِ خُلودُ

فعاش حتى بلغ أربعينَ ومائةً، فقال في ذلك:

ولقد سَئِمْتُ من الحياة وطولِها وسؤال هذا الناسِ كيفَ لبيدُ

فقال عبد الملك: والله ما بي بأسٌ، اقعُدْ حدثني ما بينَكَ وبينَ الليل، فقعدتُ فحدَّثْتُهُ حتى أمسيتُ، ثم فارقْتُهُ، فمات في ليلتهِ»[1].

---

(1) المعمرون والوصايا ص 78، العقد الفريد 3/ 55، الأغاني 15/ 375، خزانة الأدب 1/ 338.

شعر عبد الملك بن مروان:

وقد روي لعبد الملك شعر، كما روي لغيره من الخلفاء، وهذا الشعر في أكبر الظن قسم منه يصح لعبد الملك، نظراً لكثرة محفوظه من الشعر وعلمه به، وقسم آخر استشهد به واختلط على الناقلين شعره وشعر غيره، ومن الصعب الجزم بصحة هذا الشعر أو ذاك له، ونذكر هنا طائفة من شعره أو ما نسب له:

قال عبد الملك في الحكمة:

أحسنت ظنَّك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخَفْ سوء ما يأتي به القدرُ

وسالمتْكَ الليالي فاغتررتَ بها ... وحين تصفو الليالي يحدثُ الكدرُ[1]

وبعث مصعب بن الزبير كتاباً إلى عبد الملك يتهدده فيه ويتوعده، فرد عليه عبد الملك:

أتوعدني ولم أرَ مثل يومي ... خَشاشَ الطيرِ يوعدنَ العُقابا

متى يلقى العُقابُ خَشاشَ طيرٍ ... يُهَتِّكَ عن مقاتِلها الحجابا

توعَّدَ بالذئابِ أسودَ غابٍ ... وأسْدُ الغابِ تلتهمُ الذئابا[2]

وقف عبد الملك يوماً على قبر معاوية فأنشد:

وما الدهرُ والأيامُ إلا كما ترى ... رزيَّةُ مالٍ أو فراق حبيبِ[3]

أرسل الحجاج كتاباً إلى عبد الملك يخبره فيه عن ثورة أهل العراق وفارس تحت لواء ابن الأشعث، فقال عبد الملك:

وإني وإياهم كمن نبَّه القطا ... ولو لم يُنَبَّهْ باتت الطيرُ لا تسري

---

(1) التذكرة السعدية ص 139.

(2) شرح نهج البلاغة 18/11، وانظر في هذا الشعر وما يليه شعر الخلفاء ص 130 ـ 133.

(3) العقد الفريد 241/3.

أخالُ صروفَ الدهرِ للحين منهمُ ستحملهم مني على مركبٍ وَعْرِ[1]

وكتب إلى الحجاج لما وسَّعَ العطاء على أهل الشام بعد وقعة ابن الأشعث:

عليكَ بتقوى الله في الأمرِ كلِّهِ وكن يا عُبَيْدَ الله تخشى وتضرعُ
ووَفِّرْ خراجَ المسلمينَ وفيْأهمْ وكنْ لهمُ حصناً تُجيرُ وتمنَعُ[2]

ومـات ابنٌ لعبد الملك اسمه مروان، بعث إليه بعض عمومته يعزيه في موته، فقال:

كتبتَ تسألُ عن صبري لتعلمهُ على الرزيَّة بالمأمولِ مروانِ
فقد صبرتُ بعونِ الله محتسباً لموعد الله من فوزٍ ورضوانِ
ولو حزنتُ ولم أَصبر لفرقته ما كان في فقده منهاة أحزاني[3]

وقيل: وضع سماط عبد الملك يوماً بين يديه، فقال لحاجبه: ائذن لخالد بن عبد الله ابن أسيد، فقال: مات يا أمير المؤمنين. قال: فلأبيه عبد الله بن أسيد، قال: مات. قال: فلخاله خالد بن يزيد بن معاوية، قال: مات. قال: فلفلان وفلان حتى عدد أقواماً قد ماتوا، وهو يعلم ذلك، فأمر فرفع السماط، وأنشأ يقول:

هبت لداتي وانقضت أيامهم وغبرتُ بعدهم ولستُ بخالد[4]

ولعبد الملك أبيات قالها وهو يحتضر، ويذكر فيها حاله وهزاله وموته، من ذلك أن ابنه الوليد سأله عن حاله وهو يجود بنفسه فقال:

كـم عـائـدٍ رجـلاً وليـسَ يعـودُهُ إلا لينظرَ هل يراهُ يموتُ[5]

وقال وهو يجود بنفسه:

---

(1) الأخبار الطوال ص 217.
(2) البداية والنهاية 9/126.
(3) التعازي والمراثي ص 143.
(4) البداية والنهاية 9/67.
(5) مروج الذهب 3/169، وشعر الخلفاء ص 130 وفي: يراه ميتُ، وفي الكتاب تصحيف وتحريف وأخطاء في الضبط.

فهـل مـن خـالـد إمَّـا هلكنـا وهل بالموت للباقين من عارِ[1]

وقال أيضاً وهو يحتضر:

ومستخبرٍ عنا يُريدُ لنا الردى ومستخبراتٍ والدموعُ سواجمُ[2]

هذا أهم ما يذكر عن عبد الملك ومجالسه، أما من جاء بعده من الخلفاء الأمويين فليس لهم مجالس أدبية أو علمية تستحق الذكر، وكان لمجالس معوية وعبد الملك بن مروان أثر في الثقافة العربية، لم يستطع أحد من الخلفاء الأمويين أن يجاريهما أو يبلغ مكانتهما في علمهما بالشعر والرواية الأدبية.

---

(1) البداية والنهاية 9/68.

(2) مروج الذهب 3/169.



الفصل الثاني

مجالس الخلفاء العباسيين

هارون الرشيد



1 ـ مجالس الرشيد مع الشعراء

أخبار هارون الرشيد مع الشعراء، ومجالسه كثيرة، وقد مدحه كثرة من الشعراء، ولكن مجالسه مع الشعراء التي فيها محاورة ومساءلة وآراء في الشعر والشعراء قليلة، ولا يتحقق المجلس إلا بهذه المحاورات والمناظرات، ولذلك سنقف عند بعض مجالس الرشيد التي يتحقق فيها مفهوم المجلس كما رسمنا.

كان الرشيد على قدر صالح من العلم بالشعر وفهم دقيق له، وكانت له مداخلات وتصحيحات لشعر الشعراء، وقد رويت بعض الأشعار للرشيد، وقيل إن أول شعر قاله كان في سنة ولايته الخلافة، فقد حج ودخل داراً، فإذا في صدر بيت منها بيت شعر كتب على الحائط هو[1]:

ألا يا أمير المؤمنين أما ترى　　　فـديتـك هجـران الحبيـب كبيـراً

فدعا بدواة وكتب تحته:

بلى والهدايا المشعرات وما مشى　　　بمكـة مـرفـوع الأظـل حسيـراً

وكان للرشيد بصر بالشعر واللغة، وربما صحح للشعراء شعرهم إذا وجد فيه لحناً، من ذلك ما روى سعيد بن مسلم، قال: كان فَهْمُ الرشيد فهم العلماء، أنشده العُماني في صفة الفرس:

كـأنَّ أذنيـه إذ تَشَـوَّفـا　　　قـادمـةً أو قلمـاً مُحَـرَّفـا

فقال الرشيد: دع كأن وقل: تخال، حتى يستوي الشعر.[2] لأن الشاعر نصب خبر كأن. وبكلمة تخال يصح الشعر والنحو.

---

(1) تاريخ الخلفاء ـ السيوطي ص 256 طـ دار المعرفة، بيروت 1997.

(2) تاريخ الخلفاء ص 257.

وللرشيد أشعار رويت له. واكثر هذه الأشعار في جواريه وأحاديثه مع الشعراء، قيل إن الرشيد حلف أن لا يدخل إلى جارية له أياماً، وكان يحبها، فمضت الأيام ولم تسترضه، فقال:

صَـدَّ عنـي أن رأنـي مفتتـنْ — وأطـال الصبـرَ لمـا أن فطّـنْ
عـزَّةُ الحـب أرتْـهُ ذلَّتـي — فـي هـواهُ ولـه وجـهٌ حَسَـنْ
فلهـذا صـرتُ مملـوكـاً لـه — ولهـا شـاع مـا بـي وعَلَـنْ[1]

ومن شعر الرشيد يرثي جاريته هيلانة، أورده الصولي:[2]

قـاسيـتُ أوجـاعـاً وأحـزانـا — لمـا استخَـصَّ المـوت هيـلانـا
فـارقـتُ عيشـي حيـنَ فـارقْتُهـا — فمـا أبـالـي كيـف مـا كـانـا
كـانـت هـي الـدنيـا فلمـا ثَـوَتْ — فـي قبـرهـا فـارقْـتُ دنيـانـا
قـد كثـر النـاسُ ولكننـي — لسـتُ أَرى بعـدَك إنسـانـاً
والله لا أنسـاكِ مـا حـرَّكَـتْ — ريـحٌ بـأعـى نجـد أغصـانـا

ومن شعره أيضاً رواه الصولي:

يـا ربَّـةَ المنـزلِ بـالفـركِ — وربَّـةَ السلطـان والمُلْـكِ
تـرفقـي بـالله فـي قتلِنـا — لسنـا مـن الـدَّيْلـمِ والتُـرْكِ[3]

وأكثر شعر الرشيد في جواريه وأهل بيته.

مجالسه مع أبي العتاهية:

وكان الرشيد يدعو أبا العتاهية لينشده، فأمره أن ينشد غزلاً فأبى، فحبسه وضيّق عليه، وكان الرشيد يعجبه غناء الملاحين في الزلّالات[4] إذا ركبها، وكان

---

(1) تاريخ الخلفاء ص 257.
(2) تاريخ الخلفاء ص 259 ـ 260.
(3) السابق ص 260.
(4) الزلالات: نوع من السفن.

يتأذّى بفساد كلامهم ولحنهم، فقال: قولوا لمن معنا من الشعراء يعمَلوا لهؤلاء شعراً يغنون فيه، فقيل له: ليس أحدٌ أقدرَ على هذا من أبي العتاهية، وهو في الحبس، فوجَّهَ الرشيد إلى أبي العتاهية وهو في الحبس، وقال له: قل شعراً حتى أسمعه منهم، ولم يأمر بإطلاقه، قال أبو العتاهية: فغاظني ذلك، فقلت: والله لأقولنَّ شعراً يحزُنُهُ ولا يُسَرُّ به، فعملتُ شعراً ودفعتُهُ إلى مَنْ حفَّظه الملاحين، فلما ركب الرشيد الحَرَّاقة[1] سَمِعَهُ وهو:[2]

خانكَ الطَّرْفُ الطَّموحُ	أيها القلبُ الجَموحُ
لدواعي الخيرِ والشَّـ	ـرِّ دُنُوٌّ ونُزوحُ
هل لمطلوبٍ بذنْبٍ	توبةٌ منه نصوحُ
كيف إصلاحُ قلوبٍ	إنَّما هُنَّ قُروحُ
أحسنَ الله بنا أنَّ	الخطايا لا تفوحُ
فإذا المستورُ منَّا	بين ثوبيه نَضوحُ
كم رأينا من عزيزٍ	طُويَتْ عنهُ الكُشُوحُ
صاحَ منهُ برحيلٍ	صائحُ الدَّهْرِ الصَّدوحُ
موتُ بعضِ الناسِ في الأر	ضِ على قومٍ فتوحُ
سيصيرُ المرءُ يوماً	جَسَداً ما فيه روحُ
بينَ عَيْنَيْ كُلِّ حَيٍّ	عَلَمُ الموت يلوحُ
كُلُّنا في غفلةٍ والـ	ـموتُ يغدو ويروحُ
لبَني الدنيا من الدُّنـ	ـيا غَبُوقٌ وصبَوحُ
رُحْنَ في الوَشْي وأصبَحْـ	ـنَ عليهنَّ المُسُوحُ
كلُّ نطَّاحٍ من الدَّهْـ	ـر له يومٌ نَطوحُ

(1) الحراقة: سفينة بحرية فيها مرامي نيران لحرق العدو، وهي هنا بمعنى اليخت الذي يستعمل في النزهات البحرية.

(2) الأغاني 4/108 ـ 109.

نُـخْ علـى نفسـكَ يـا مسْـ ـكيـنُ إنْ كُنْـتَ تنـوحُ
لتَمـــوتَـــنَّ وإنْ عُمِّـ ـــرْتَ مـا عُمِّـرَ نـوحُ

قال: فلما سمع ذلك الرشيد جعل يبكي وينتَحب، وكان الرشيد من أغزر الناس دموعاً في وقت الموعظة، وأشدهم عسْفاً في وقت الغضب والغِلْظة، فلما رأى الفضل بين الربيع كثرة بكائه، أومأ إلى الملاحين أن يسكتوا.

وقال الأصمعي: صنع الرشيد طعاماً وزخرف مجالسه، وأحضر أبا العتاهية، وقال له: صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا. فقال أبو العتاهية:[1]

عـش مـا بـدا لـك سـالمـاً فـي ظـلِّ شـاهقـةِ القصـورِ

فقال الرشيد: أحسنت، ثم ماذا؟ فقال:

فـإذا النفـوسُ تقَعْقَعـتْ فـي ظـلِّ حشـرجـةِ الصـدورِ
فهنـاكَ تعلـمُ مـوقِنـاً مـا كنـتَ إلا فـي غـرورِ

فبكى الرشيد. فقال الفضل بن يحيى البرمكي: بعث إليك أمير المؤمنين لتسره فحزنته، فقال الرشيد: دعه فإنه رآنا في عمى فكره أن يزيدنا منه.

وكان الرشيد يفضل شعر أبي العتاهية على غيره من الشعراء، قال إسحاق ابن إبراهيم الموصلي: كان الرشيد يقدم أبا العتاهية حتى يجوز الحد في تقديمه، وكنت أقدم العباس بن الأحنف، فاغتابني بعض الناس عند الرشيد، وعابني عنده، وقال عَقِبَ ذلك: وبحسبك يا أمير المؤمنين أنه يخالفك في العباس بن الأحنف على حداثة سنه، وقلة حِذْقه وتجريبه، ويقدمه على أبي العتاهية مع ميلك إليه. قال إسحاق: وبلغني الخبر، فدخلت على الرشيد، فقال لي ابتداءً: أيما أشعر عندك، العباس بن الأحنف أو أبو العتاهية؟ فعلمتُ الذي يُريد، فأطرقتُ كأنني مُسْتَثْبِتٌ، ثم قلت: أبو العتاهية أشعر، قال: أنشدني لهذا ولهذا، قلت: فبأيهما أبدأ؟ قال: بالعباس. فأنشدته أجود ما أرويه للعباس، وهو قوله[2]:

(1) ديوان أبي العتاهية ص 143 طـ دار الكتاب العربي، بيروت 1997م.
(2) الأغاني 8/387.

أحْـرَمُ منكـم بمـا أقـولُ وقـد نال به العاشقونَ مَنْ عَشقوا

فقال لي: أحسن، فأنشدني لأبي العتاهية، فأنشدته أضعفَ ما أقدرُ عليه، وهو قوله:

كـأنَّ عتَّـابـةَ مـن حسْنهـا دُمْيَـةُ قَـسٍّ فتنـتْ قَسَّهـا
يـا ربِّ لـو أنسيتنيهـا بمـا فـي جنَّـةِ الفـردوسِ لـم أنسَهـا
إنـي إذاً مثـلُ التـي لـم تـزلْ دائبـةً فـي طحنهـا كُـدْسَهـا[1]
حتـى إذا لـم يبـقَ منهـا سـوى حفَنَـةِ بُـرٍّ قتلـتْ نفسَهـا

قال الرشيد: أتعيِّره هذا!! فأين أنتَ عن قوله:

قال لي أحمدٌ ولم يدرِ ما بي أتحـبُّ الغَـداة عُتْبَـةَ حَقَّـا
فتنفَّسْـتُ ثـم قلـتُ نعـم حُبَّـ ـاً جرى في العروقِ عِرْقاً فعِرْقا

ويحكَ! أتعرفُ لأحدٍ مثلَ هذا، أو تعرف أحداً سبقه إلى قوله: «فتنفَّسْتُ ثم قلت كذا وكذا»! اذهب ويحك فاحفظها. فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، ولو كنتُ سمعت با لحفظتها. قال إسحاق: وما أشكُّ أني كنت أحفظَ لها حينئذ من أبي العتاهية، ولكني إنما أنشدتُ ما أنشدتُ تعصباً.

مجالس الرشيد مع الأصمعي:

لعل أول صلة الأصمعي بالرشيد في هذه الرواية، فعن يحيى بن سعيد قال:[2] أخبرني الأصمعي قال: تصرفتْ بي الأسباب إلى باب الرشيد مؤملاً للظفر، بما كان في الهمة دفيناً، أترقب به طالع سعد، فاتصل بي ذلك إلى أن صرت للحرس مؤانساً، بما استملت به مودتهم، فكنت كالضيف عند أهل المبرَّة، فطُرَفُهم متوجهة بإتحافي، وطاولتني الغايات بما كدت به أن أصير إلى ملالة، غير أني لم أزل مُحْيياً للأمل بمذاكرته عند اعتراض الفترة، وقلت في ذلك:

(1) الكدس: الكومة من الطعام وغيره.
(2) العقد الفريد 6/159 ـ 166 طـ دار الكتب العلمية، بيروت 1997.

وأيُّ فتّـى أعيـرَ ثبـاتَ قلـبٍ ... وسـاعٍ مـا تضيـق بـه المعـانـي
تجـاذَبُـهُ المـواهـبُ عـن إبـاءٍ ... ألا بـلْ لا تُـواتيـهِ الأمـانـي
فـرُبَّ مُعَـرِّسٍ لليـأس أجلـى ... عن الدَّرَكِ الحميدِ لدى الرِّهان(1)
وأيُّ فتّـى أنـافَ علـى سُمُـوٍّ ... مـن الهِمَّـاتِ ملتَهِـبِ الجَنـانِ
بغيـر تـوسُّـعٍ فـي الصـدرِ مـاضٍ ... على العزَماتِ والعَضْبِ اليماني

فلم نَبْعُد أن خرَجَ علينا خادم في ليلةٍ نثرت السعادة والتوفيق فيها الأرقَ بين أجفان الرشيد، فقال: هل بالحضرة أحد يحسن الشعر؟ فقلت: الله أكبر! ربَّ قيدٍ مضيقة قد فكه التيسير للإنعام! أنا صاحبك، إنْ كان صاحبك من طلب فأدمن، وحفظ فأتقن. فأخذ بيدي. ثم قال: ادخل أن يختم الله لك بالإحسان لديه والتصويب، فلعلها أن تكون ليلة تعوِّض صاحبها الغى. قلت: بشَّرك الله بالخير. قال: ودخلت، فواجهت الرشيد في البهو جالساً كأنما ركب البدر فوق أزراره جمالاً، والفضل بن يحيى إلى جانبه، والشمع يحدق به على قضب المنابر، والخدم فوق فرشه وقوف، فوقف بي الخادم حيث يسمع تسليمي، ثم قال: سَلِّمْ، فسلمت، فردَّ، ثم قال: يُنَحّى قليلاً رَوعُهُ، إن وجد لروعه حسَّاً.

فقعدتُ حتى سكن جأشي قليلاً، ثم أقدِمتُ فقلت: يا أمير المؤمنين إضاءةُ كرمك، وبهاءُ مجدك، مجيران لمن نظر إليك من اعتراض أذيّة له، أيسألني أمير المؤمنين، فأجيب، أم أبتدىء فأصيب، بيُمنِ أمير المؤمنين وفضله؟

قال: فتبسم الفضل، ثم قال: ما أحسن ما استدعى الاختبار استسهل به المفاتحة، وأجدر به أن يكون محسناً. ثم قال الفضل: والله يا أمير المؤمنين، لقد تقدَّم مبرِّزاً محسناً في استشهاده على براءته من الحيرة، وأرجو أن يكون ممتعاً.

قال: أرجو، ثم قال: ادنُ، فدنوت، فقال: أشاعر أم راوية؟ قلت: راوية يا أمير المؤمنين. قال: لمن؟ قلت: لذي جد وهزل بعد أن يكون محسناً. قال: والله ما رأيت أدعى لعلم، ولا أخبرَ بمحاسن بيان فتَقَتْهُ الأذهان منك، ولئن صرت

(1) المعرس: الذي لزم القتال ولم يبرحه.

حامداً أثرك لتعرفن الإفضال متوجهاً إليك سريعاً. قلت: أنا على الميدان يا أمير المؤمنين، فيطلق أمير المؤمنين من عقالي مجيباً فيما أحبَهُ. قال:

قـد أنصفَ القـارةَ مـن رامـاهـا[1]

ثم قال: ما معنى المثل في هذه الكلمة بديًّا؟ قلت: ذكرت العرب يا أمير المؤمنين، أن التبايعة كانت لهم رماة لا تقع سهامهم في غير الحَدَق، فكانت تكون في الموكب الذي يكون فيه الملك، على الجياد البُلْق،[2] بأيديهم الأسورة، وفي أعناقهم الأطواق، فخرج من موكب الصُّغد فارس مُعْلَم بعذبات[3] سود في قلنسوته، قد وضع نشابته في الوتر، ثم صاح: أين رماة الحرب؟ قالوا: قد أنصف القارة من راماها، والملك أبو حسان إذ ذاك المضاف إليه.

قال الرشيد: أحسنت، أرويت للعجاج ورؤبة شيئاً؟ قلت: يا أمير المؤمنين، يتناشدان لك بالقوافي وإن غابا عنك بالأشخاص. فمد يده فأخرج من تحت فراشه رقعة، ثم قال: أسمعني. فقلت:

أرّقنـــي طـــارقُ هَـــمٍّ طَـــرَقـــا

فمضيتُ فيها مُضيَّ الجواد في سَنَنِ ميدانه، تهدر بها أشداقي، حتى إذا صرت إلى مدح بني أمية ثنيت عنان اللسان إلى امتداحه المنصور في قوله:

قلـتُ لـزيـرٍ لـم تصلـه مـريَمُـه[4]

قال: أعن حيرة أم عن عمد؟ قلت: عن عمد، تركتُ كذِبَه إلى صدقه فيما وصف به المنصور من مجده.

قال الفضل: أحسنت بارك الله فيك، مثلك يؤمل لهذا الموقف. قال

---

(1) هذا مثل في مجمع الأمثال 2/100، المستقصى 2/189، والقارة: قبيلة، وسموا قارة لاجتماعهم والتفافهم.

(2) البلق: التي فيها سواد وبياض.

(3) اراد الفارس الذي له علامة في الحرب وأسبل لعمامته عذبتين من خلفه.

(4) زير: أي زير نساء، مريمه: امرأة.

الرشيد: ارجع إلى أول هذا الشعر. فأخذت من أوله حتى صرت إلى صفة الجمل فأطلت، فقال الفضل: مالك تضيِّق علينا كلَّ ما اتسع لنا من مساعدة السهر في ليلتنا هذه بذكر جمل أجرب؟ صِرْه إلى امتداح المنصور حتى تأتي على آخره.

فقال الرشيد: اسكت، هي التي أخرجتك من دارك، وأزعجتك من قرارك، وسلبتك تاجَ مُلكك، ثم ماتت، فعُمِل جلودُها سياطاً تضرب بها قومك ضرب العبيد! ثم قهقه، ثم قال: لا تدع نفسك والتعرض لما تكره. فقال الفضل؛ لقد عوقبت على غير ذنب، والحمد لله! قال الرشيد: أخطأت في كلامك يرحمك الله! لو قلت: وأستغفر الله، قلت صواباً، إنما يحمد الله على النعم.

ثم صرف وجهه إليَّ وقال: ما أحسن ما أدَّيتَ في قدر ما سئلت! أسمعني كلمة عدي بن الرقاع في الوليد بن يزيد بن عبد الملك، قوله:

عـرف الـديـار تـوهمـاً فـاعتـادهـا

فقال الفضل: يا أمير المؤمنين، ألبستنا ثوب السهر ليلتَنا هذه لاستماع الكذب! لِمَ لا تأمره يُسمعك ما قالت الشعراء فيك وفي آبائك؟ قال: ويحك! إنه أدب وقلما يُعتاض عن مثله، ولأن أسمع من ثقيف بعبارة تشغله العناية بها عمره، أحبُّ إليَّ من أن تشافهني به الرسوم، وللمتدَح بهذا الشعر حركاتٌ سترد عليك، ولا تقدر أن تصدر من غير انتفاع بها، ولا أكون أول مستنٍّ طريقةً ذكر لم تؤدها الرواية.

قال الفضل: قد والله يا أمير المؤمنين شاركتك في الشوق، وأعنتك على التَّوْق، ثم التفت إليَّ الفضل فقال: أحدُ بنا ليلتك منشداً، هذا سيدي أمير المؤمنين قد أصغى إليك مستمعاً، فمرّ ويحك في عنان الإنشاد، فهي ليلة دهرك لم تنصرف إلا غانماً.

قال الرشيد: أما إذا قطعت عليَّ فأحلف لتشركني في الجزاء، فما كان لي في هذا شيء لم تقاسمنيه. قال الفضل: قد والله يا أمير المؤمنين وطَّنتُ نفسي على ذلك متقدماً، فلا تجعلنَّه وعيداً. قال الرشيد: لا أجعله وعيداً.

قال الأصمعي: الآن ألبس رداء التِّيه على العرب كلها، وإني أرى الخليفة

والوزير وهما يتناظران في المواهب لي، فمررت في سنن الإنشاد، حتى بلغت إلى قوله:

تُـزْجـي أغَـنَّ كـأنَّ إبـرةَ رَوْقِـهِ   قلمٌ أصابَ من الدواةِ مِدادَها

فاستوىٰ جالساً، ثم قال: أتحفظ في هذا شيئاً؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين، كان الفرزدق لما قال عدي:

تُـزْجـي أغَـنَّ كـأنَّ إبـرةَ رَوْقِـهِ

قلت لجرير: أي شيء تراه يناسب هذا تشبيهاً؟ فقال جرير:

قلـم أصـاب مـن الـدواة مـدادهـا

فما رجع الجواب حتى قال عدي:

قلـم أصـاب مـن الـدواة مـدادهـا

فقلت لجرير: لكأنَّ سمعَكَ مخبوءٌ في فؤاده! فقال جرير: اسكت، شغلني سَبُّكَ عن جيد الكلام.

ثم قال الرشيد: مُرَّ في إنشادك، فمضيتُ حتى بلغت إلى قوله:

ولقـد أراد الله إذ ولاَّكَهـا   مـن أمَّـةٍ إصلاحَها ورشادَها

قال الفضل؛ كذب وما برَّ. قال الرشيد: ماذا صنع إذ سمع هذا البيت؟ قلت: ذكرتْ الرواة يا أمير المؤمنين أنه قال: لا حول ولا قولا إلا بالله! قال: مُرَّ في إنشادك، فمضيت حتى بلغت إلى قوله:

تـأتيـهِ أسـلاب الأعـزَّةِ عَنْـوةً   عُصباً ويجمعُ للحروبِ عَتادَها[1]

قال الرشيد: لقد وصفه بحزم وعزم لا يعرض بينهما وكل[2] ولا استذلال، قال: فماذا صنع؟ قلت: يا أمير المؤمنين، ذكرت الرواة أنه قال: ما شاء الله! قال:

---

(1) في العقد الفريد: أسلاب الأغرة، جمع غرير وهو الشاب لا تجربة له، والصواب: الأعزة، بالزاي كما في ديوان عدي بن الرقاع ص 40 تحقيق حسن محمد نور الدين، طـ دار الكتب العلمية، بيروت 1990.

(2) الوكل العجز والجبن.

أحسبك واهماً. قلت: يا أمير المؤمنين، أنت أولى بالهداية، فليردَّني أمير المؤمنين إلى الصواب. قال: إنما هذا عند قوله:

ولقــــد أراد الله إذ ولاكهـــــا   مـن أمَّـةٍ إصـلاحهـا ورشـادَهـا

ثم قال: والله ما قلت هذا عن سمع، ولكنني أعلم أن الرجل لم يكن يخطيء في مثل هذا. قال الأصمعي: وهو والله الصواب. ثم قال: مرَّ في إنشادك. فمضيت حتى بلغت قوله:

وعلمتُ حتى لا أسائل واحداً   عن حرف واحدةٍ لكي أزدادَها

قال: وكان من خبرهم ماذا؟ قلت: ذكرت الرواة أن جريراً لما أنشد عدي هذا البيت، قال: بلى والله وعشر مئين. قال عدي: وَقْرٌ في سمعك أثقل من الرصاص، هذا والله يا أمير المؤمنين المديح المنتقى. قال الرشيد: والله إنه لنقيُّ الكلام في مدحه وتشبيبه.

قال الفضل: يا أمير المؤمنين، لا يحسن عدي أن يقول:

شمْسُ العداوة حتى يُستْقادَ لهم   وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدروا

قال الرشيد: بلى قد أحسن. ثم التفت إليَّ فقال: ما حفظت له في هذا الشعر شيئاً حين قال:

أطفأتَ نيرانَ الحروبِ وأوقدَتْ   نارٌ قدحتَ براحتيكَ زنادَها

قلت: ذكرت الرواة أنه يا أمير المؤمنين حك يميناً بشمال مقتدحاً بذلك، ثم قال: الحمد لله على هبة الإنعام.

ثم قال الرشيد: رويتَ لذي الرُّمَّة شيئاً؟ قلت: الأكثر يا أمير المؤمنين. قال: والله لا أسالك سؤال امتحان، ولا كان هذا عليك، ولكنني أجعله سبباً للمذاكرة، فإن وقع في عرفانك، وإلا فلا ضيقَ عليك بذلك عندي، فماذا أراد بقوله:

مُمَــرٌّ أمــرَّتْ مَتْنَــهُ أسَــديَّــةٌ   يمـانيَّـةٌ حـلَّالـةٌ بـالمصـانـعِ(1)

قلت: وصف يا أمير المؤمنين حماراً وحشياً أسمنه بَقْلُ روضة تشابكت فروعه، ثم تواشجت عروقه من قطر سحابة كانت في نوء الأسد، ثم في الذراع منه. قال: أصبت،

(1) ممر: مدمج الخلق مفتول. أمرت متنه: أدمجته. أسدية: سحابة بنَوء الأسد.

أفترى القوم علموا هذا من النجوم، بنظرهم، إذ هو شيء قلما يُستخرج بغير أسباب للذين رُويَتْ لهم أصوله، أو أدَّتْهُم إليه الأوهام والظنون؟ فالله أعلم بذلك.

قلت: يا أمير المؤمنين، هذا كثير في كلامهم، ولا أحسبه إلا عن أثر أُلقيَ إليهم. قال: قلما أجد الأشياء لا تثيرها إلا الفِكَرُ في القلوب، فإنْ ذهبتَ إلى أنه هبة الله. قال: ذهبتَ إلى ما أدَّتهم إليه الأوهام.

ثم قال: أرويتَ للشمَّاخ شيئاً؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال يعجبني منه قوله:

إذ رُدَّ من ثني الزِّمام ثنتْ له جِراناً كخُوط الخيزُران المموَّجِ[1]

قلت: يا أمير المؤمنين، هي عروسُ كلامه. قال: فأيها أحسن الآن من كلامه؟

قلت: الرائية. وأنشدته أبياتاً منها، قال: أمسك، ثم قال: استغفر الله ثلاثاً، أرحْ قليلاً واجلس، فقد أمتعتَ منشداً، ووجدناك محسناً في أدبك، معبراً عن سرائر حفظك، ثم التفت إلى الفضل، فقال: لكلام هؤلاء ومن تقدَّم من الشعراء، ديباج الكلام الخسرواني[2] يزيد على القِدم جِدَّةً وحُسناً، فإذا جاءك الكلام الزَّيْن بالبديع، جاءك الحرير الصيني المذهب، يبقى على المحادثة في أفواه الرواة، فإذا كان له رونق صواب، وعتْهُ الأسماع، ولذَّ في القلوب، ولكن في الأقل منه، ثم قال: يُعجبني مثل قول مسلم في أبيك وأخيك الذي افتتحه بمخاطبة حليلته مفتخراً عليها بطول السُّرى في اكتساب المغانم، حيث قال:

أجَدكِ هل تدرين أنْ رُبَّ ليلةٍ كأنَّ دُجاها من قرونكِ يُنْشَرُ
صبرتُ لها حتى تجلَّتْ بغُرَّةٍ كغُرَّةِ يحيى حين يُذكرُ جعفرُ

أفرأيتَ؟ ما ألطف ما جعلهما معدناً لكمال الصفات ومحاسنها!

---

(1) الخوط: الغصن الناعم، أو القضيب. الجران: باطن العنق من البعير وغيره.
(2) الخسرواني: نوع من الثياب.

ثم التفت إليَّ فقال: أجدُ ملالة، ولعل أبا العباس يكون لذلك أنشط، وهو لنا ضيفٌ في ليلتنا هذه، فأقم معه مسامراً له! ثم نهض، فتبادر الخدم، فأمسكوا بيده حتى نزل عن فرشه، ثم قدمت النعلُ، فلما وضع قدمه فيها جعل الخادم يسوّي عقب النعل في رجله، فقال: ارفق ويحك، حسْبُك قد عقرتني!

قال الفضل: لله درُّ العجم ما أحكم صنعتَهم، لو كانت سنديّة ما احتجتَ إلى هذه الكلفة! قال: هذه نعلي ونعلُ آبائي رحمة الله عليهم، وتلك نعلك ونعل آبائك، لا تزال تعارضني في الشيء ولا أدعك بغير جواب يُمِضُّك[1]. ثم قال: يا غلام، عليَّ بصالح الخادم. فقال: يؤمَر له بتعجيل ثلاثين ألف درهم في ليلته هذه.

قال الفضل: لولا أنه مجلس أمير المؤمنين، ولا يأمر فيه أحدٌ غيره، لدعوت له بمثل ما أمر به أميرُ المؤمنين، فدعا له بمثل ما أمر إلا ألفَ درهم، ويصبح من غدٍ فيلقى الخازن إن شاء الله.

قال الأصعمي: فما صليت الظهر إلا وفي منزلي تسعة وخمسون ألف درهم.

مجلس آخر مع الأصمعي

قال الأصعمي: [2] دخلت على هارون الرشيد أمير المؤمنين، وبين يديه جارية حسناء عليها لِمَّة جعدة[3] وذؤابة تضرب الحقو[4] منها، وهلال بين عينيها مكتوب عليه بالذهب: هذا ما عمل في طراز الله! فقال: يا أصمعي، صفها، فأنشأت أقول:

كنانية الأطرافِ سعديَّةُ الحشا ... هـلاليَّـةُ العينيـن طـائيـةُ الفـمِ

لها حكمُ لقمانٍ وصورةُ يوسفٍ ... وُنغمَـةُ داودٍ وعفَّـةُ مـريــمِ

فقال: أحسنت والله يا أصمعي، فهل عرفت اسمها؟ قلت: لا، يا أمير المؤمنين.

فقال: اسمها دنيا. فأطرقتُ ساعة ثم قلت:

---

(1) يمضك: يؤلمك.

(2) العقد الفريد 8/108 ـ 109.

(3) اللمة: الشعر المجاوز شحمة الأذن.

(4) الحقو: الخصر.

إنَّ دنيـــا هـــي التـــي تملـــكُ القلـــبَ قـــاهـــرهْ
ظلمـــوهـــا شطـــر اسمهـــا فهـــي دنيـــا وآخـــرهْ

قال الأصمعي: فأمر لي بعشرة آلاف درهم.

وحدث عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال[1]، قال عمي: سمعتُ بيتين لم أحفل بهما، قلت: هما على كل حال خير من موضعهما من الكتاب، قال: فإني عند الرشيد يوماً، وعنده عيسى بن جعفر، فأقبل على مسرور الكبير، فقال له: يا مسرور، كم في بيت مال السرور؟ فقال: ما فيه شيء. فقال عيسى: هذا بيت الحزن، فاغتم لذلك الرشيد وأقبل على عيسى، فقال: والله لتُعْطِيَنَّ الأصمعي سلفاً على بيت مال السرور الف دينار، فاغتمَّ عيسى وانكسر. فقلت في نفسي: جاء موضع البيتين، فأنشدت الرشيد رحمه الله تعالى:

إذا شئتَ أن تلقى أخاك معبِّساً وجَدَّاه في الماضين كعبٌ وحاتمٌ
فكَشِّفْـهُ عمَّـا فـي يـديـه فـإنَّمـا تُكَشِّفُ أخبارَ الرجالِ الدراهمُ

قال: فتجلَّى عن الرشيد، وقال لمسرور: أعطِه على بيت مال السرور الفي دينار، فأخذتُ بالبيتين ألفي دينار، وما كان البيتان يساويان عندي درهمين.

مجلس مع الأصمعي وإسحاق الموصلي

وعن الأخفش عن المبرد قال: حدِّثتُ عن الأصمعي قال:[2] دخلتُ أنا وإسحاق الموصلي يوماً على الرشيد، فرأيناه لَقِسَ النفس[3]، فأنشده إسحاق يقول:

وآمرةٍ بالبُخل قلتُ لها اقْصُري فـذلـك شـيءٌ لـه مـا إليـهِ سبيـلُ
أرى الناسَ خُلَّانَ الكرامِ ولا أرى بخيـلاً لـه حتـى الممـاتِ خليـلُ

---

(1) ذيل الأمالي والنوادر ـ القالي 3/183.
(2) الأغاني 5/331 ـ 332.
(3) لقست النفس: غثت.

وإني رأيتُ البُخل يُزري بأهلهِ فأكرمتُ نفسي أن يقالَ بخيلُ
ومن خير حالاتِ الفتى لو علمته إذا نال خيراً أن يكون يُنيلُ
فعالي فعالُ المكثرين تَجَمُّلاً ومالي كما قد تعلمينَ قليلُ
وكيف أخافُ الفَقْرَ أو أحرَمَ الغِنى ورأيُ أميرِ المؤمنينَ جميلُ

قال، فقال الرشيد: لا تخَفْ إنَ شاء الله، ثم قال: لله دَرُّ أبيات تأتينا بها، ما أشد أصولها، وأحسنَ فصولَها، وأقلَّ فضولَها، وأمر له بخمسين ألف درهم، فقال له إسحاق: وصفُكَ والله يا أمير المؤمنين لشعري أحسن منه، فعلامَ آخُذُ الجائزة! فضحك الرشيد وقال: اجعلوها لهذا القول مائة ألف درهم.

قال الأصمعي: فعلمت يومئذ أن إسحاق أحذق بصيد الدراهم مني. وفي رواية[1]: وكان الأصمعي حاضراً فتغيَّرَ وجهه، وعرف الرشيد منه ذلك فقال: يا أصمعي، أبو محمد تلميذك ومن بحرك يغترق، وأنت شيخ الكل وأستاذهم. فقال: يا أمير المؤمنين، ولكنه أحذق بصيد الدراهم مني، فضحك الرشيد وقال: اعطوا الأصمعي مائة ألف درهم، فأحضرت وسلمت إليه، فقال الأصمعي: للذكر مثل حظ الأنثيين، فضحك الرشيد وقال: اعطوا الأصمعي مائة ألف أخرى.

مع مروان بن أبي حفصة:

عن الفضل بن الربيع قال: رأيت مروان بن أبي حفصة وقد دخل على المهدي بعد وفاة معن بن زائدة، في جماعة من الشعراء، فيهم سَلْمُ الخاسر وغيره، فأنشده مديحاً فيه، فقال له: من أنت؟ قال شاعرك يا أمير المؤمنين وعبدُك مروان بن أبي حفصة، فقال له المهدي: الستَ القائل[2]:

أقمنا باليمامة بعد مَعْنٍ مُقاماً لا نُريدُ به زَوالا
وقُلْنا أينَ نرحلُ بعدَ مَعْنٍ وقد ذهبَ النَّوالُ فلا نوالا

---

(1) تاريخ بغداد 14/10.
(2) الأغاني 10/108 ـ 110.

قد ذهب النَّوالُ فيما زعمتَ، فلِمَ جئتَ تطلبُ نوالَنا؟ لا شيء لك عندنا، جُروا برجله، فجَرُّوا برجله حتى أُخْرِج، قال: فلما كان من العام المقبل تلطَّف حتى دخل مع الشعراء ـ وإنما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في كل عام مرة ـ فمثل بين يديه وأنشده بعد رابع أو بعد خامس من الشعراء:

طَرَقَتْكَ زائرةً فحيِّ خيالَها ... بيضاءُ تخلطُ بالجمالِ دلالَها

قادتْ فؤادَكَ فاستقادَ ومثلُها ... قادَ القلوبَ إلى الصِّبا فأمالَها

قال: فأنصتَ الناسُ لها حتى بلغ إلى قوله:

هل تطمسونَ من السماء نجومَها ... بأكُفِّكم أو تسترونَ هلالَها

أو تجحدونَ مقالةً عن ربِّكم ... جبريلُ بلَّغَها النبيَّ فقالَها

شَهِدَتْ من الأنفالِ آخرُ آيةٍ ... بتُراثهم فأرَدْتُمُ إبْطالَها[1]

قال: فرأيت المهدي قد زحف من صدر مُصَلَّاة حتى صار على البساط إعجاباً بما سمع، ثم قال: كم هي؟ قال: مائة بيت. فأمر له بمائة ألف درهم. فكانت أوَّل مائة ألف درهم أعطيها شاعرٌ في أيام بني العباس.

قال: ومضت الأيام، ووَلِيَ الرشيد الخلافة[2]، فدخل إليه مروان، فرأيته واقفاً مع الشعراء، ثم أنشده قصيدة امتدحه بها. فقال: مَنْ أنت؟ قال: شاعرُك وعبدك يا أمير المؤمنين مروان بن أبي حفصة. قال له: ألستَ القائل في مَعْن بن زائدة! وأنشد البيتين اللذين أنشده إياهما المهدي، ثم قال: خذوا بيده فأخرجوه، لا شيء لك عندنا، فاخْرِجَ، فلما كان بعد ذلك بأيام تلطف حتى دخل، فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

لعَمْرُكَ ما أنسى غداةَ المُحَصَّبِ ... إشارةَ سَلْمىٰ بالبنانِ المُخَضَّبِ

وقد صَدَرَ الحُجَّاجُ إلا أقلَّهم ... مصادر شتى موكِباً بعدَ موكبِ

---

(1) الآية 75 من سورة الأنفال: ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم﴾.

(2) ولي الرشيد الخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة 170هـ.

قال: فأعجبته، فقال: كم قصيدتك من بيت؟ فقال: ستون أو سبعون. فأمر له بعدد أبياتها ألوفاً. فكان ذلك رِسْمَ مروان عندهم حتى مات.

والشعراء الذين اتصلوا بالرشيد كثر، نكتفي بما ذكرنا إذ تتوافر فيهم صفات المجالس، أما الأخبار الذي رويت عن صلة أبي نواس بالرشيد ففيها الوضع والافتعال ولا أظنها صحيحة إذ كانت صلة أبي نواس بالأمين وليست بالرشيد، ولذلك ضربنا عنها صفحاً.

2 ـ مجالس الغناء والطرب

لقد ازدهر الغناء في العصر الأموي، وكثرت مجالس الغناء والطرب وما يتبعه من موسيقى ومغنين ينشدون وقيان يعزفن ويغنين، وكانت هذه المجالس في بدايتها فيها حشمة ووقار وفن غنائي رفيع، ثم دخلها الإسفاف والسكر والمجون والرقص في عهد يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد، ثم استمرت هذه المجالس بين الحشمة والوقار وبين الإسفاف والمجون وفق سيرة الخليفة والتزامه بآداب المجلس أو تهتكه وإسفافه، واستمرت هذه المجالس بين المد والجزر منذ العصر الأموي وبلغت ذروتها في العصر العباسي، وبخاصة في زمن هارون الرشيد الذي ارتبطت باسمه أكثر قصص الغناء والطرب، ومن هذه الأقاصيص ما له أصل من الحقيقة، وكثير منها ما كان من نسج خيال المتأخرين الذين اتخذوا من ألف ليلة وليلة مادة لنسج القصص وإضافتها إلى هارون الرشيد، ولكننا في حديثنا عن مجالس الرشيد سنعتمد على ما جاء في كتاب الأغاني من مجالس مع المغنين والندماء والأدباء.

لقد كان للخلفاء الأمويين والعباسيين مجالس وكان لكل خليفة حالة وهيئة في هذه المجالس، وقد سئل إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن أحوال الخلفاء في الشراب واللهو، فأجاب ووصف حالة كل خليفة من الأمويين والعباسيين من حيث الحشمة والوقار أو المجون والتهتك فقال [1]:

«أما معاوية ومروان وعبد الملك والوليد وسليمان وهشام ومروان بن

---

(1) انظر الأغاني في مواضع متفرقة، وأجملها أحمد فريد رفاعي في عصر المأمون 1/176 ـ 181 طـ دار الكتب المصرية، القاهرة 1928.

محمد، فكان بينهم وبين الندماء ستار، وكان لا يظهر أحد من الندماء على ما يفعله الخليفة إذا طرب للمَغْنى والتذَّه حتى ينقلبَ ويمشي ويحرِّك كتفيه ويرقص ويتجرَّد، حيث لا يراه إلا خواص جواريه، إلا أنه كان إذا ارتفع من خلف الستار صوتٌ أو نعيرُ طربٍ أو رقصٌ أو حركة بزفير تجاوز المقدار، قال صاحب الستار: حسبُكِ يا جارية كُفِّي! انتهي! أقْصِري! يوهم الندماء أن الفاعل لذلك بعض الجواري.

فأما الباقون من خلفاء بني أمية فلم يكونوا يتحاشون أن يرقصوا ويتجرَّدوا ويحضُروا عُراة بحضرة الخلعاء والمغنين، ومع ذلك لم يكن أحد منهم في مثل حال يزيد بن عبد لملك والوليد بن يزيد في المجون والرفث بحضرة الندماء والتجرد، ما يباليان ما صنعا.

قلت: فعمر بن عبد العزيز؟ قال: ما طَنَّ في سمعه حرف غناءٍ منذ أفضتِ الخلافة إليه إلى أن فارق الدنيا، فأما قبلها وهو أمير المدينة، فكان يسمع الغناء ولا يظهر منه إلا الأمر الجميل. وكان ربَّما صفَّق بيديه، وربَّما تمرَّغ على فراشه وضرب برجليه وطرب، فأما أن يخرج عن مقدار السرور إلى السخف فلا.

قلت: فخلفاؤنا[1]

قال: كان أبو العباس[2] في أول أيامه يظهر للندماء ثم احتجب عنهم بعد سنة، أشار بذلك عليه أسيد بن عبد الله الخزاعي، وكان يطرب ويبتهج ويصيح من وراء الستار: «أحسنت والله! أعد هذا الصوت» فيُعادُ له مراراً، فيقول في كلها: «أحسنت». وكان فيه فضيلة لا تجدها في أحد، كان لا يحضره نديمٌ ولا مغنٍ ولا مُلْهٍ فينصرف إلا بصلةٍ أو كُسْوَةٍ قلَّتْ أو كَثُرَتْ، وكان لا يؤَخِّرُ إحسانَ مُحْسنٍ لغَدٍ، ويقول: «العجبُ ممن يفْرِحُ إنساناً فيتعَجَّلُ السرورَ، ويجعلُ ثوابَ مَنْ سَرَّهُ تسويفاً وعِدَةً»، فكان في كل يوم وليلة يقعد فيه لشغله، لا ينصرف أحدٌ ممن حضره إلا

---

(1) أي خلفاء بني العباس.

(2) أبو العباس السفاح: أول خلفاء الدولة العباسية حكم سنة 132هـ، وتوفي سنة 136هـ.

مسروراً، ولم يكن هذا لعربي ولا عجمي قبله، غير أنه يُحكى عن بَهْرَام جُور ما يقارب هذا.

«فأما أبو جعفر المنصور فلم يكن يظهر لنديم قطُّ، ولا رآه أحدٌ يشرب غيرَ الماء، وكان بينه وبين الستار عشرون ذراعاً، وبين الستار والندماء مثلها. فإذا غنَّاهُ المغنِّي فأطربه حرَّكت الستارَ بعضُ الجواري، فاطَّلَعَ إليه الخادمُ صاحب الستار فيقول: قل له: «أحسنتَ بارك الله فيك»، وربَّما أراد أن يُصّفِّقَ بيديه فيقوم عن مجلسه ويدخل بعض حُجَر نسائه فيكون ذاك هناك. وكان لا يُثيبُ أحداً من ندمائه وغيرهم درهماً فيكون له رسماً في ديوان. ولم يُقْطِعْ أحداً ممن كان يضاف إلى مُلهيَةٍ أو ضَحكٍ أو هَزْلٍ موضعَ قدمٍ من الأرض، وكان يحفظ كلَّ ما أعطى واحداً منهم عَشْرَ سنين ويحسبه ويذكره له.

«وكان المهدي في أول أمره يحتجب عن الندماء متشَبِّهاً بالمنصور نحواً من سنة، ثم ظهر لهم، فأشار عليه أبو عَوْنٍ بأن يحتجبَ عنهم، فقال: «إليك عنِّي يا جاهل! إنَّما اللذة في مشاهد السرور، وفي الدنو ممن سَرَّني، فأما من وراء وراء فما خيرها ولذَّتُها! ولو لم يكن في الظهور للندماء والإخوان إلا أني أعطيهم من السرور بمشاهدتي مثلَ الذي يعطونني من فوائدهم، لجعلتُ لهم في ذلك حظاً مُوَفَّراً». وكان كثير العطايا يواترها، قلَّ مَنْ حضره إلا أغناه، وكان لَيِّنَ العريكة، سَهْلَ الشريعة، لذيذ المنادمة، قصيرَ المناومة، لا يَمَلُّ نديماً ولا يتركه إلا عن ضرورة، قطيع الخَنا[1]، صبوراً على الجلوس، ضاحكَ السنِّ قليل الأذى والبَذَاء.

«وكان الهادي شَكِسَ الأخلاق، صعبَ المَرام، قليلَ الإغضاء، سَيِّءَ الظنِّ، قلَّ من توقاهُ وعرف أخلاقه إلا أغناه، وما كان شيءٌ أبغضَ إليه من ابتدائه بسؤال، وكان يأمرُ للمغني بالمال الخطير الجزيل فيقول: «لا يُعطيني بعدها شيئاً» فيعطيه بعد أيام مثلَ تلك العطية.

«ويقال: إنه قال يوماً وعنده ابن جامع وإبراهيم الموصلي ومُعاذ بن الطبيب ـ

(1) أي لا يفحش في كلامه.

وكان أول يوم دخل عليه معاذ وكان حاذقاً بالأغاني عارفاً بها ـ: من أطربني اليومَ منكم فلهُ حُكمُه، فغناه ابن جامع غناء لم يحركه، وكان إبراهيم قد فهم غرضه فغناه:

سلَيمـى أجمعـتْ بينَـا فـأيـنَ تقـولُهـا أيْنَـا

فطرب حتى قام عن مجلسه ورفع صوته وقال: «أعد بالله وبحياتي» فأعاد فقال: «أنت صاحبي فاحتكم» فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين حائط عبد الملك بن مروان وعينُه الخرَّارة بالمدينة؛ قال: فدرات عيناه في رأسه حتى صارتا كأنهما جمرتان. ثم قال: «يا بن اللخناء! أردتَ أن تَسمَعَ العامةُ أنك أطربتني، وأني حكَّمْتُكَ فأقطعْتُكَ، أما والله لولا بادرةُ جهلكَ التي غلبتْ على صحيح عقلكَ وفكركَ، لضربتُ الذي فيه عيناك!»، ثم سكت هُنَيْهَةً. قال إبراهيم: فرأيتُ ملَكَ الموت قائماً بيني وبينه ينتظر أمره. ثم دعا إبراهيم الحرَّاني، فقال: «خذ بيد هذا الجاهل فأدخله بيت المال فليأخذ منه ما شاء!». فأخذ الحراني بيدي حتى دخل بيت المال، فقال: كم تأخذ؟ فقلت: مائة بدرة، فقال» دعني أؤامره؛ فقلت: فآخذ تسعين؛ قال: حتى أؤامره؛ قلت فثمانين؛ قال: لا؛ فأبى إلا أن يؤامره فعرفتُ غرضَه، فقلت له: آخذ سبعين لي ولك ثلاثون؛ قال شأنكَ؛ قال: فانصرفتُ بسبعين ألفاً وانصرف مَلَكُ الموت عن الدار.

قال: وكان الرشيد في أخلاق أبي جعفر المنصور يتمثلها كلها إلا في العطايا والصلات والخِلَع، فإنه كان يقفو فعلَ أبي العباس والمهدي، ومَنْ خبَّرَك أنه رآه قط وهو يشرب إلا الماء فكذِّبْهُ، وكان لا يحضرُ شربَه إلا خاصُّ جواريه، وربَّما طَرِبَ للغناء فتحرَّكَ حركةً بين الحركتين في القِلَّة والكثرة.

«وهو من بين خلفاء بني العباس مَنْ جعلَ للمغنين مراتبَ وطبقات، على نحو ما وضعهم أردشير بن بابك وأنو شِرْوان، فكان إبراهيم الموصلي، وإسماعيل بن القاسم بن جامع، وزلزل منصور الضارب في الطبقة الأولى، وكان زلزل يضربُ ويُغَنِّي هذان عليه. والطبقة الثانية سُلَيم بن سلاَّم (أبو عبيد الله الكوفي)، وعمرو الغزال ومَن أشبههما. والطبقة الثالثة أصحاب المعازف والصنج والطنابير. وعلى

قدر ذلك كانت تخرج جوائزهم وصلاتُهم. وكان إذا وصَلَ واحداً من الطبقة الأولى بالمال الكثير الخطير، جعل لصاحبيه اللذين معه في الطبقة نصيباً منه، وجعل للطبقتين اللتين تليانه منه أيضاً نصيباً. وإذا وُصِلَ أحد من الطبقتين الأخريين بصلة لم يقبل واحدٌ من الطبقة العليا منه درهماً، ولا يجترىء أن يعرضَ ذلك عليه.

«قال: فسأل الرشيدُ يوماً برصوما الزامرَ، فقال له: يا إسحاق! ما تقولُ في ابن جامع؟ فحرك رأسَه وقال: خمرُ قُطْرَبُّلَ[1] يعقِل الرِّجْلَ ويُذهبُ العَقْلَ. قال: فما تقولُ في إبراهيم الموصلي؟ قال: بستانٌ فيه خوخ وكُمثرى وتُفَّاح وشوكٌ وخَروبٌ. قال: فما تقول في سُليم بن سلاَّم؟ فقال: ما أحسنَ خِضَابه. قال: فما تقول في عمرو الغزال؟ قال: ما أحسنَ بَنانَهُ. قال: وكان منصور زلزل من أحسن وأحذق مَن برأ الله بالجَسِّ. فكان إذا جَسَّ العودَ فلو سمعه الأحنفُ ومن تحالم في دهره كله لم يملك أن يطربَ.

«قال إبراهيم: فغنيتُ يوماً على ضربه، فخطَّأني، فقلتُ لصاحب الستار: هو والله أخطأ. قال: فرفع الستار ثم قال: يقول لك أمير المؤمنين أنت والله أخطأتَ! فحَميَ زلزلٌ وقال: يا إبراهيم تُخطئني! فوالله ما فتح أحد من المغنين فاه بغير لفظ إلا عرفتُ غرضَه. فكيف أخطأ وهذه حالي!.

فأدَّاها صاحبُ الستار. فقال الرشيد: قال له صدقتَ، أنتَ كما وصفتَ نفسَك، وكذب إبراهيم وأخطأ. قال إبراهيم: فغَمَّني ذلك، فقلت لصاحب الستار: أبلغ أمير المؤمنين سيدي ومولاي، أنَّ بفارس رجلاً يقال له سُنَيْدٌ، لم يخلق الله أضربَ منه بعود ولا أحسنَ مجَسَّاً، وإنْ بعث إليه أمير المؤمنين فحمله عرفَ فضلَه وتغنَّيْتُ على ضربه، فإن زلزلاً يكايدني مكايدة القُصَّاص والقَرَّادين.

قال: فوجه الرشيد إلى الفارسي فحُمِلَ على البريد، فأقلق ذلك زلزلاً وغَمَّه. فلما قدِمَ الفارسي، أحضرنا وأخذنا مجالسنا، وجاءوا بالعيدان قد سُوِّيَتْ،

---

(1) قطربل: قرية بين بغداد وعكبرا، ينسب إليها الخمر، كانت متنزهاً للباطلين وحانة للخمارين، وقد أكثر الشعراء من ذكرها. ياقوت: قطربل.

وكذلك كان يفعل في مجلس الخلافة، ليس يُدْفَعُ إلى أحد عودُهُ فيحتاجُ إلى أن يُحَرِّكَهُ لأنها قد سُوِّيَتْ وعُلِّقَتْ مثالثُها مُشاكِلَةً للزِّيَرَةِ على الدقَّة والغلظ. قال: فلما وُضِعَ عودُ الفارسيِّ في يديه، نظر إلى منصور زلزل، فأسفر وجهُه وأشرف لونُه، فضربَ وتغنَّى عليه إبراهيم.

ثم قال صاحب الستار لزلزل: يا منصور اضرِبْ! قال: فلما جَسَّ العودَ ما تمالك الفارسيُّ أنْ وثبَ من مجلسه بغير إذنٍ حتى قبَّلَ رأسَ زَلْزَلٍ وأطرافَهُ، وقال: مِثْلُكَ جُعِلْتُ فِداك! لا يُمْتَهَنُ ويُسْتَعملُ، مثلك يُعْبَد. فعجِبَ الرشيد من قوله وعرف فضيلة زلزل على الفارسيِّ. فأمر له بصلة وردَّهُ إلى بلده.

«وكان منصور زلزل من أسخى الناس وأكرمهم، نزل بين ظَهْرانَيْ قومٍ وقد كان يحِلُّ لهم أخذ الزكاة، فما مات حتى وجبت عليهم الزكاة.

«وكان إسحاق بَرْصُومَا، في الطبقة الثانية. قال: فطرب الرشيد يوماً لِزَمْرِه، فقال له صاحب الستار: يا إسحاق ازْمُرْ على غناء ابن جامع. قال: لا أفعل. قال: يقول لك أمير المؤمنين ولا تفعل! قال: إنْ كنتُ أزمُرُ على الطبقة العليا رُفِعْتُ إليها، فأما أن أكون في الطبقة الثانية وأزمُرَ على الأولى فلا أفعلُ! فقال الرشيد لصاحب الستار: ارفعه إلى الطبقة الأولى، فإذا قمتُ فادفع البِساطَ الذي في مجلسهم إليه. فرُفِعَ إسحاقُ إلى إلى الطبقة العالية، وأخذ البساطَ وكان يساوي ألفَي دينار. فلما حمله إلى منزله استبشرتْ به أمُّهُ وأخواتُه، وكانت أمه نَبَطيَّة لكناء، فخرج برصوما عن منزله لبعض حاجاته، وجاء نساء جيرانه يُهَنِّئنَ أمَّه بما خُصَّ به دون أصحابه ويدعون لها، فأخذت سكيناً وجعلت تقطِّعُ لكل من دخل عليها قطعةً من البساط حتى أتت على أكثره، فجاء برصوماً فإذا البساط قد تُقُسِّمَ بالسكاكين. فقال: ويلكِ ما صنعتِ. قالت: لم أدرِ، ظننتُ أنه كذا يتقسم. فحُدِّثَ الرشيد بذلك فضحك ووهبَ له آخر.

«وزعم سعيد بن وهب أن إبراهيم الموصلي غنَّى أمير المؤمنين هارون صوتاً فكاد يطير طرباً، فاستعاد عامَّةَ ليله، وقال: ما رأيتُ صوتاً يجمع السخاءَ والطربَ

وجودةَ الصنعة والخفةَ غيرَ هذا الصوتِ، فأقبل إبراهيم فقال: يا أمير المؤمنين، لو وَهَبَ لك إنسانٌ مائة ألف درهم، أو لو وجدتَ مائة ألف درهم مطروحة كنتَ أَسَرَّ بها أو بهذا الصوت؟ قال: والله لأنا أسرُّ بهذا الصوت مني بألف ألف وألف ألف. قال: فلو فقدتَ من بيت مالك مائة ألف كان أشد عليك أو لو فقدتَ هذا الصوت وفاتك هذا السرور؟ قال: بل ألف ألف وألف ألف أهون عليَّ. قال: فلم لا تَهَب مائة ألف أو مائتي ألف لمن أتاك بشيء فقد ألفي أهون عليك منه! فأمر له بمئتي ألف درهم.

3 ـ مجالس الرشيد في الغناء والطرب

لم يكن لأحد من الخلفاء العباسيين نصيب من مجالس الغناء والطرب وأخبار مع المغنين ما لهارون الرشيد، وسواء أصحت أخبار هذه المجالس أم زيد فيها وبولغ ولُفِّق بعضها، فهي تعبر عن روح العصر وطبيعة تلك المجالس، ولذلك سنقف عند بعض هذه المجالس وهي كثيرة ونختار طائفة منها.

إبراهيم بن المهدي وإبراهيم الموصلي في مجلس الرشيد:

عن العباس بن الفضل عن أبيه قال[1] قال الرشيد لإبراهيم بن المهدي وإبراهيم الموصلي وابن جامع وابن أبي الكنَّات: باكروني غداً، وليكن كل واحد قد قال شعراً إن كان يقدر أن يقوله، وغنَّى فيه لحناً، وإن لم يكن شاعراً غنى في شعره غيره.

قال إبراهيم بن المهدي: فقمتُ في السَّحَر وجهدتُ أن أقدر على شيء أصنعه فلم يتفق لي، فلما، فلما خِفْتُ طلوعَ الفجر دعوتُ بغلماني وقلت لهم: إني أريد أن أمضي إلى موضع لا يشعر بي أحد حتى أصيرَ إليه، وكانوا يبيتون على باب داري، فقمت وركبت وقصدتُ دار إبراهيمَ الموصلي، وكان قد حدثني أنه إذا أراد الصنعة لم ينَمْ حتى يدبِّرَ ما يحتاجُ إليه، وإذا قام لحاجته في السَّحَر اعتمد على خشبة له في المُسْتَراح، فلم يزل يقرع عليها حتى يفْرُغَ من الصوت ويرسخَ في قلبه، فجئتُ حى وقفتُ تحت مُسْتراحه، فإذا هو يردد هذا الصوت:

إذا سُكبَتْ في الكأسِ قبلَ مِزاجها ... ترى لونَها في جِلْدَةِ الكأسِ مُذهَبَا
وإنْ مُزِجَتْ راعتْ بلونٍ تخالُهُ ... إذا ضُمِّنَتْهُ الكأسُ في الكأسِ كوكبا

---

(1) الأغاني 5/229 ـ 230.

أبوها نجاءُ المُزْنِ والكَرْمُ أمُّها — فلم أرَ زوجاً منه أشهى وأطيبا[1]

فجاتْكَ صَفْراً أشبهتْ غير جنسها — وما أشبهتْ في الون أمّاً ولا أبا

قال: فما زلتُ واقفاً استمع منه الصوتَ حتى أخذته؛ ثم غدونا إلى الرشيد، فلما جلسنا للشرب خرج الخادمُ إليَّ فقال: يقول لك أمير المؤمنين: يا ابنَ أمِّ غَنِّني؛ فاندفعتُ فغنيتُ هذا الصوت والموصليُّ في الموت، حتى فرغتُ منه، فشرب عليه وأمر لي بثلاثمائة ألف درهم؛ فوثب إبراهيم الموصلي فحلف بالطلاق وحياة الرشيد أن الشعر له قاله البارحة وغنَّى فيه، ما سبقه إليه أحد؛ فقال إبراهيم: يا سيدي، فمن أين هو لي أنا لولا كذبُه وبُهْتُه![2] وإبراهيم يضطرب ويضجُّ؛ فلما قضيتُ أرَباً من العَبَث به، قلت للرشيد: الحقُّ أحقٌّ أنْ يُتَّبَع، وصَدَقْتُه؛ فقال للموصلي: أما أخي فقد أخذ المال ولا سبيلَ إلى ردِّه، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم عوضاً مما جرى عليه، فلو بداتَ أنت بالصوت لكان هذا حظَّك؛ فأمر له بها فحُمِلَتْ إليه.

إبراهيم الموصلي وجارية في مجلس الرشيد

عن عمر بن شبَّة قال حدثني إسحاق عن أبيه قال[3]:

والله إني لفي منزلي ذاتَ يوم وأنا مفكِّرٌ في الركوب مرَّةً وفي القعود مرة، إذ غلامي قد دخل ومعه خادم الرشيد يأمرني بالحضور من وقتي، فركِبْتُ وصرتُ إليه، فقال لي: اجلس يا إبراهيم حتى أريَك عجباً، فجلستُ، فقال: عليَّ بالأعرابية وابنتِها، فأخرجتْ إليَّ أعرابية ومعها بُنَيَّة لها، عشرٌ أو أرجح، فقال: يا إبراهيم، إن هذه الصبية تقول الشعر، فقلتُ لأمها: ما يقول أمير المؤمنين؟ فقالت: هي هذه قدَّامك فسَلْها، فقلت: يا حبيبة، أتقولين الشعر؟ فقالت: نعم، فقلت: أنشديني بعض ما قلت فأنشدتني:

---

(1) النجاء: جمع النجو وهو السحاب. الزوج: النوع والصنف.

(2) البهت: الافتراء.

(3) الأغاني 5/259 ـ 260.

تقول لأترابٍ لها وهي تَمْتَري دموعاً على الخدين من شدة الوجدِ[1]
أكلُّ فتاةٍ لا محالةَ نازلٌ بها مثلُ ما بي أم بُليتُ به وحدي
براني لهُ حُبٌّ تنشَّبَ في الحَشَى فلم يُبْقِ من جسمي سوى العظمِ والجلدِ
وجدتُ الهوى حُلْواً لذيذاً بديئُهُ وآخِرُهُ مُر لصاحبِهِ مُردي

قال الشَّبِّيُّ[2] في خبره: قال إسحاق: وكان أبي حاضراً، فقال: والله لا تَبْرَحْ يا أمير المؤمنين أو نصنعَ في هذه الأبيات لحناً؛ فصُغْتُ فيها أنا وأبي وجميع من حضر. وقال الآخرون: قال إبراهيم: فما بَرِحْتُ حتى صنعتُ فيه لحناً وتغنَّيْتُ به، وهي حاضرة تسمع. قال ابن المَرْزُبان[3] في خبره، ولم يذكره عمي: فقالت: يا أمير المؤمنين، قد أحسنَ روايةَ ما قلتُ، أفتأذَن لي أن أكافِئه بمدح أقول فيه؟ قال: افعلي؛ فقالت:

ما لإبراهيم في العلـ ـلم بهذا الشأنِ ثاني
إنما عمرُ أبي إسـ ـحاقَ زَيْنٌ للزمانِ
منهُ يُجنى ثَمَرُ اللهـ ـو ورَيْحانُ الجنانِ
جنَّةُ الدنيا أبو إسـ ـحاق في كلِّ مكانِ

قال: فأمر لها الرشيد بجائزة، وأمر لي بعشرة آلاف درهم، فوهبتُ لها شَطْرَها.

الرشيد يطرب فيأمر برفع الستارة

عن عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال[4]:

خرج رسول الرشيد[5] ذاتَ ليلة إلى المغنين فقال: غَنُّوا:

---

(1) تمتري دموعاً: تستدرها.
(2) هو عمر بن شبة المتوفي سنة 262هـ.
(3) محمد بن خلف بن المرزبان: مؤرخ، مترجم، عالم بالأدب، كان أحد التراجمة، توفي سنة 309هـ.
(4) الأغاني 5/238 ـ 239.
(5) يعني صاحب الستارة، وكان الخلفاء يجلسون وراء ستارة بينها وبين الندماء عشرون ذراعاً،=

يـا خليلـيَّ قـد مَلِلْـتُ ثَـوائـي بالمُصَلَّى وقد سَئِمْتُ البَقيعا[1]

بَلِّغـانـي ديـارَ هنـدٍ وسُعْـدى وارجعاني فقد هَويتُ الرجوعا

قال: فغناه ابن جامع، فلما فرغ منه طرب الرشيد وشرب؛ فقال له إبراهيم الموصلي: يا سيدي فاسمعه من نُبَيْطِيِّك فغناه، فجعل ابن جامع يزحف من أول البيت إلى آخره، وطَرِبَ هارونُ فقال: ارفعوا الستارة، فقال له ابن جامع: مني والله أخذه يا أمير المؤمنين فأقبل على إبراهيم فقال: بحياتي صَدَق؟ قال صدق وحياتك يا سيدي، قال: وكيف أخذتَهُ وهو أبخل الناس إذا سئل شيئاً؟ قال: تركتُه يغنِّيه وكان إذا سكِرَ يسترسلُ فيه فيغنِّيه مستوياً ولا يتحرَّز مني، فأخذتُه على هذا منه حتى وفَيْتُ به.

الرشيد وجارية زلزل

عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال [2]:

كان بَرْصُوما الزامر وزَلْزَلُ الضارب من سواد أهل الكوفة من أهل الخشنة والبذاذة[3] والدناءة، فقدم بهما أبي معه سنةَ حَجٍّ، ووقفهما على الغناء العربي وأراهما وجوهَ النَّغَم وثقَّفهما حتى بلغا المبلغ الذي بلغاه من خدم الخليفة، وكانا أطبعَ أهلِ دهرهما في صناعتهما، فحدثني أبي[4] قال: كان لزلزل جاريةٌ قد ربَّاها وعلَّمها الضربَ وسألني مطارحتها فطارحتها، وكانت مطبوعة حاذقة، قال: فكان يصونُها أن يسمعها أحدٌ، فلما مات بلغني أنها تُعْرَض في ميراثه للبيع، فصرتُ إليها لأعترِضَها، فغنَّت:

= وكان يوكل بهذه الستارة حاجب ينهي إلى المغنين ما يريده الخليفة. التاج للجاحظ ص 37، ط بولاق.

(1) البقيع: موضع بالمدينة.

(2) الأغاني 5/239 ـ 240.

(3) الخشنة: الخشونة. البذاذة: رثاثة الهيئة.

(4) أي إبراهيم الموصلي.

أقفــرَ مـــن أوتـــاره العـــودُ فـــالعـــودُ لـــلأوتـــارِ معمـــودُ
وأوحَشَ المزمارُ من صوته فمـــا لَـــه بعـــدَكَ تغـــريـــدُ
مَـــنْ للمـــزاميـــرِ وعيـــدانهـــا وعـــامـــرُ اللـــذَّاتِ مفقـــودُ
الخمـــرُ تبكـــي فـــي أبـــاريقهـــا والقَيْنَـــةُ الخَمْصـــانـــةُ الـــرُّودُ[1]

قال: وهذا شعر رثاه به صديق له كان بالرقَّة، قال: فأبكت والله عيني وأوجعتْ قلبي. فدخلتُ على الرشيد فحدَّثتُه بحديثها، فأمر بإحضارها فحضرتْ، فقال لها: غَنِّي الصوتَ الذي حدَّثني إبراهيم عنك أنك غَنَّيْتِهِ، فغنَّتْهُ وهي تبكي، فرَقَّ الرشيد لها وتغَرْغَرتْ عيناه، وقال لها: أتحبينَ أنْ أشتريك؟ فقالت: يا أمير المؤمنين، لقد عرضتَ عليَّ ما يقصرُ عنه الأمل، ولكن ليس من الوفاء أن يملكني أحد بعد سيدي فينتفعَ بي، فازداد رقَّةً عليها، وقال: غنِّي صوتاً آخر، فغنَّتْ:

العيـنُ تُظهِـرُ كتمـانـي وتُبـديـهِ والقلـبُ يكتـمُ مـا ضَمَّنْتُـهُ فيـهِ
فكيـف ينكتـمُ المكتـومُ بينهمـا والعيـنُ تُظهـرهُ والقلـبُ يُخفيـهِ

فأمر بأنْ تُباعَ وتُعتَقَ، ولم يزل يُجْري عليها إلى أن ماتت.

قصة الموصلي مع الرشيد بشأن جارية

عن حمَّاد عن أبيه عن جده قال [2]:

قال لي الرشيد يوماً: يا إبراهيم، بَكِّرْ عليَّ غداً حتى نصطبحَ[3]، فقلت له أنا والصبح كفَرَسَيْ رِهان، فبكَّرْتُ فإذا أنا به خالياً، وبين يديه جارية كأنها خُوطُ بان أو جَدْلُ عِنان[4]، حلوةُ المنظر، دَمِثَةُ الشمائل، وفي يدها عودٌ، فقال لها: غنِّي، فغنَّتْ في شعر أبي نواس وهو:

---

(1) الخمصانة: الضامرة البطن. الرؤد: الشابة الناعمة الحسنة.
(2) الأغاني 5/240 ـ 241.
(3) نصطبح: نشرب صباحاً.
(4) الخوط: الغصن الناعم. الجدل: شدة الفتل.

تـوَهَّمَـهُ قلبـي فـأصبـح خـدُه　　وفيه مكانَ الوهْم من نظري أثْرُ
ومـرَّ بفكـري خـاطـراً فجـرحتُـه　　ولم أرَ جِسْماً قطُّ يجرَحُه الفِكْرُ
وصـافَحَـهُ قلبـي فـآلـمَ كفَّـهُ　　فمِنْ غَمْز قلبي في أنامله عَقْرُ

قال إبراهيم: فذهبتْ والله بعقلي حتى كِدْتُ أن أفتضحَ، فقلتُ: مَنْ هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذه التي يقول فيها الشاعر:

لهـا قلبـي الغـداةَ وقلبُهـا لـي　　فنحـنُ كـذاك فـي جَسَـدْيـنِ رُوْحُ

ثم قال لها: غَنِّي، فغنَّتْ:

تقـولُ غـداةَ البيـنِ إحـدى نسـائهـم　　لِيَ الكَبِدُ الحَرَّى فسرْ ولك الصَّبْرُ
وقـد خَنَقَتْهـا عَبْـرَةٌ فـدمـوعُهـا　　على خَدِّها بِيْضٌ وفي نحرِها صُفْرُ[1]

قال: فشرب وسقاني، ثم سقاها، ثم قال: غنِّ يا إبراهيم، فغنيت حسبَ ما في قلبي غيرَ متحفِّظ من شيء:

تشـرَّبَ قلبـي حبَّهـا ومشـى بـه　　تَمَشّي حُمَيَّا الكأسِ في جسمِ شاربِ
ودَبَّ هـواهـا فـي عظـامـي فشَقَّهـا　　كما دَبَّ في الملوعِ سُمُّ العقاربِ

قال: ففطن بتعريضي، وكانت جهالةً منِّي، قال: فأمرني بالانصرف، ولم يدْعُني شهراً ولا حضرتُ مجلسَهُ، فلما كان بعد شهرٍ دَسَّ إليَّ خادماً معه رقعةٌ، فيها مكتوب:

قد تخوَّفتُ أنْ أموتَ من الوَجْـ　　ـد ولم يدْرِ مَنْ هَوِيتُ بما بي
يا كتابي فاقرَ السلامَ على مَنْ　　لا أسَمِّـي وقـل لـه يـا كتـابـي
إنَّ كَفَّـاً إليـكَ قـد بعَثَتْـنـي　　فـي شقـاءٍ مُـواصِـلٍ وعـذابِ

فأتاني الخادم بالرقعة، فقلتُ له: ما هذا؟ قال: رقعة الجارية فلانة التي غنَّتْكَ بين يدي أمير المؤمنين، فأحسَسْتُ القصَّة فشتمتُ الخادمَ ووثبْتُ عليه وضربْتُه ضَرْباً شَفَيْتُ به نفسي وغيظي، وركبتُ إلى الرشيد من فَوْري فأخبرتُه القصَّةَ وأعطيتُه

---

(1) الشعر لأبي الشيص الخزاعي المتوفي سنة 196.

الرقعةَ، فضحك حتى كاد يستلقي، ثم قال: على عَمْدٍ فعلتُ ذلك بك لأمتَحِنَ مذهَبَكَ وطريقَتَكَ، ثم دعا بالخادم فلما خرج رآني فقال لي: قطع الله يديك ورجليك، وَيْحَكَ! قتَلتَني، فقلتُ: القتلُ والله كان بعضَ حقِّكَ لِمَا وردتَ به عليَّ، ولكن رَحِمْتُكَ فأبقَيْتُ عليك، وأخبرتُ أمير المؤمنين ليأتيَ في عقوبتك بما تستحقه. فأمر لي الرشيدُ بصلةٍ سنيّة، والله يعلم أني ما فعلتُ عفافاً ولكن خوفاً.

إبراهيم بن المهدي وإسحاق الموصلي في مجلس الرشيد:

عن حماد بن إسحاق الموصلي قال[1]:

قال لي أبي: كنت عند الرشيد يوماً، وعنده ندماؤه وخاصَّته وفيهم إبراهيم بن المهدي، فقال لي الرشيد: يا إسحاق تغَنَّ:

شَرِبْتُ مُدامةً وسُقِيْتُ أخرى وراحَ المنتشــونَ ومـا انتشَيْـتُ

فغنَّيْتُهُ، فأقبلَ عليَّ إبراهيم بن المهدي فقال لي: ما أصبتَ يا إسحاق ولا أحسنتَ، فقلت: ليس هذا مما تُحسنهُ ولا تعرفه، وإنْ شئْتَ فغنِّه، فإنْ لم أجِدْكَ أنك تُخطيء فيه منذُ ابتدائك إلى انتهائك فدمي حلال. ثم أقبلت على الرشيد فقلت: يا أمير المؤمنين، هذه صناعتي وصناعة أبي، وهي التي قَرَّبَتْنا منك واستخدمَتْنا لك وأوطأتْنا بساطَك، فإذا نازَعَناها أحدٌ بلا علم لم نجد بُدّاً من الإيضاح والذَّب، فقال: لا غَرْوَ ولا لومَ عليك، فقام الرشيد ليبول، فأقبل إبراهيم ابن المهدي عليَّ وقال: ويلَكَ يا إسحاق! أتجترىء عليَّ وتقول ما قلتَ يابنَ الفاعلة! لا يَكْني، فداخلني ما لم أملك نفسي معه، فقلت له: أنت تشتمنى، وأنا أقدر على إجابتك وأنت ابن الخليفة وأخو الخليفة، ولولا ذلك لكنت أقول لك: يا ابن الزانية، أوَ تُرَى أني كنتُ لا أحسن أن أقول لك: يابن الزانية، لكن قولي في ذمِّك ينصرف جميعه إلى خالك الأعلم[2]، ولولاك لذكرت صناعتَه ومذهبَه ـ قال

---

(1) الأغاني 5/306 ـ 309.

(2) الأعلم: المشقوق الشفة العليا.

إسحاق: وكان بيطاراً ـ قال: ثم سكَتُّ، وعلمت أنَّ إبراهيم يشكوني، وأن الرشيد سوف يسأل من حضر عما جرى فيخبرونه، فتلافيتُ ذلك، ثم قلتُ: أنت تظن أنَّ الخلافة تصير إليك فلا تزال تهددني بذلك وتعاديني كما تعادي سائرَ أولياء أخيك حَسَداً له ولولده على الأمر! فأنت تضعُف عنه وعنهم وتستخِفُّ بأوليائهم تَشَفِّياً، وأرجو ألاَّ يخرجها الله عن يد الرشيد وولده، وأن يقتلك دونها، فإنْ صارت إليك ـ وبالله العياذ ـ فحرامٌ عليَّ العيش يومئذ، والموت أطيب من الحياة معك، فاصنعْ حينئذ ما بدا لك.

قال: فلما خرج الرشيد وثبَ إبراهيم فجلس بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين، شتمني وذكر أمي واستخفَّ بي، فغضب وقال: ما تقول؟ ويلَك! قلت: لا أعلم، فسَلْ مَنْ حضَر، فأقبلَ على مسرور وحُسين[1] فسألهما عن القصة، فجعلا يخبرانه ووجههُ يترَبَّد[2] إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة، فسُرِّي عنه ورجعَ لونه، وقال لإبراهيم: ما له ذنب، شتمتَهُ فعرَّفَك أنه لا يقدرُ على جوابك، ارجع إلى موضعك، وأمْسِكْ عن هذا، فلما انقضى المجلس وانصرف الناس، أمر بألا أبرح، وخرج كلُّ من حضر حتى لم يبقَ غيري، فساء ظني وأهَمَّتْني نفسي، فأقبل عليَّ وقال: ويلك يا إسحاق! أتراني لم أفهم قولك ومرادك! قد والله زَنَّيْتَه[3] ثلاث مرات، أتراني لا أعرف وقائعك. أقدامَك وأين ذهبت! ويلك! لا تَعُدْ، حدِّثني عنك، لو ضربك إبراهيم، أكنتُ أقتصُّ لك منه فأضربه وهو أخي يا جاهل؟ أتُراك لو أمر غلمانَه فقتلوك أكنتُ أقتله بك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، قد والله قتلتني بهذا الكلام، ولئن بلغه ليقتلَنِّي، وما أشك في أنه قد بلغه الآن، فصاح بمسرور الخادم وقال: عليَّ بإبراهيم الساعة فأحضر، وقال: قم فانصرف، وقلتُ لجماعة من الخَدَم، وكلهم كان لي محبّاً وإليَّ مائلاً ولي مُطيعاً: أخبروني بما يجري، فأخبروني من غد أنه لما دخل وبَّخَهُ وجهَّلَه وقال له: أتستَخِفُّ بخادمي وصنيعَتي

---

(1) مسرور وحسين: خادمان كانا للرشيد.

(2) تريد وجهه: تغَيَّرَ وتَعَبَّس.

(3) أي نسبته إلى الزنا.

ونَديمي وابن نديمي وابن خادمي وصنيعتي وصنيعة أبي في مجلسي، وتُقْدِمُ عليَّ وتستخفُّ بمجلسي وحضرتي؟ هاه هاه! أتُقدم على هذا وأمثاله! وأنت مالكَ وللغناء، وما يُدريكَ ما هو! ومَنْ أخذكَ به وطارحكَ إياه حتى تتوهَّم أنكَ تبلُغُ مبلغَ إسحاق الذي غُذي به وعُلِّمه وهو صناعته! ثم تظن أنك تخَطِّئه فيما لا تدريه، ويدعوك إلى إقامة الحجة عليك فلا تثبُت لذلك وتعتصم بشتمه! أليس هذا مما يدُلُّ على السقوط وضعف العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يُشْبِهك وغَلَبَةِ لذَّتِك على مروءتِك وشرفك، ثم إظهارك إياه ولم تُحكمه وادِّعائك ما لا تعلمه، حتى ينسبُكَ الناسُ إلى الجهل المُفْرِط! ألا تعلم ـ وَيْلَكَ ـ أنَّ هذا سوءُ أدب وقلةُ معرفة وقلةُ مُبَالاة بالخطأ والتكذيب والردِّ القبيح! ثم قال: والله العظيم وحَقِّ رسوله، وإلا فأنا نفِيٌّ من المهدي، لئن أصابه أحدٌ بسوء، أو سقط عليه حجرٌ من السماء، أو سقط من على دابَّته، أو سقط عليه سقفُه، أو مات فجأة، لأقتلَنَّك به؛ والله! والله! والله! فلا تعرِضْ له وأنت أعلم، قم الآن فاخرج، فخرج وقد كاد أن يموت.

فلما كان بعد ذلك دخلت إليه وإبراهيم عنده، فأعرضتُ عن إبراهيم، وجعل ينظر إليه مرَّةً وإليَّ مرَّةً ويضحك، ثم قال له: إني لأعلم محبَّتك في إسحاق وميلَك إليه وإلى الأخذ عنه، وإنَّ هذا لا يجيئك من جهته كما تريد إلا بعد أن يرضى، والرضا لا يكون بمكروه، ولكن أحسن إليه وأكرمه واعرِف حقَّه وبِرَّه وصِلْهُ، فإذا فعلتَ ذلك ثم خالفك فيما تهواه عاقبتَه بيد منبسطة ولسان منطلق، ثم قال لي: قم إلى مولاك وابنِ مولاك فقَبِّلْ رأسَه، فقمتُ إليه وقام إليَّ وأصلحَ الرشيدُ بيننا.

ابن جامع في مجلس الرشيد

عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن جده إبراهيم الموصلي قال [1]:

بينا نحن عند الرشيد أنا وابن جامع وعمرو الغزال، إذ قال صاحب الستارة لابن جامع: تغَنَّ في شعر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، قال: لم يكن

---

(1) الأغاني 12/274 ـ 277.

ابن جامع يغني في شيء منه، وفطنت لما أراد من شعره، وكنت قد تقدمت فيه، فأرتج على ابن جامع، فلما رأيت ما حلَّ به اندفعتُ فغنيتُ:

يهيمُ بجُمْلٍ وما إنْ يرى ... له من سبيل إلى جُمْلِهِ
كأنْ لم يكن عاشقٌ قبلَهُ ... وقد عَشقَ الناسُ من قَبْلِهِ
فمنهم مَن الحبُّ أودى به ... ومنهم مَن اشْفَى على قتلِهِ[1]

فإذا يدٌ قد رفعت الستارة، فنظر إليَّ وقال: أحسنتَ والله! أعد، فأعدته، فقال: أحسنت! حتى فعل ذلك ثلاث مرات، ثم قال لصاحب الستارة كلاماً لم أفهمه، فدعا صاحب الستارة غلاماً فكلمه، فمرَّ الغلام يسعى فإذا بَدْرَةُ دنانير[2] قد جاءت يحملها فرَّاش، فوُضِعَتْ تحت فخذي اليسرى وقيل لي: اجعلها تُكَأتَكَ، قال: فلما انصرفنا قال لي ابن جامع: هل كنت وضعتَ لهذا الشعر غناءً قبل هذا الوقت؟ فقلت: ما شعر قيل في الجاهلية ولا الإسلام يدخل فيه الغناء إلا وقد وضعتُ له لحناً خوفاً من أن ينزل بي ما نزل بك.

فلما كان المجلس الثاني وحضرنا قال صاحب الستارة: يا بن جامع، تغنَّ في شعر عبد الله بن معاوية، فوقع في مثل الذي وقع فيه بالأمس، قال إبراهيم: فلما رأيتُ ما حَلَّ به اندفعتُ فغنيتُ:

يا قوم كيف سواغُ عيـ ... ـشٍ ليس تؤمَن فاجعاتُهْ
ليست تزالُ مُطلَّةً ... تغدو عليك منغِّصاتُهْ
الموتُ هولٌ داخلٌ ... يوماً على كُرْه أناتُهْ
لا بُدَّ للحَذِرِ النَّفو ... رِ من أن تقنَّصَهُ رُماتُهْ
قد أمنحُ الودَّ الخليـ ... ـلَ بغيرِ ما شيء رزاتُه[3]
وله أقيمُ قناةَ ودٍّ ... ي ما استقامت لي قناتُهْ

---

(1) أشفى على قتله: أشرف.

(2) البدرة: عشرة آلاف درهم، والبدرة من المال: كمية عظيمة منه، وهي أيضاً الكيس الموضوعة فيه والجمع بِدَر وبدور.

(3) رزاته: أصله رزأته، أي أصيب به.

قال: فأومأ إليَّ صاحبُ الستارة أن أمسك، ووضع يده على عينه كأنه يومىء إليَّ أنه يبكي، قال: فأمسكتُ ثم انصرفنا، فقال لي ابن جامع: ما صبَّ أمير المؤمنين على ابن جعفر؟ قلتُ: صبه الله عليه لبدرة الدنانير التي أخذتُها. قال: ثم حضر بعد ذلك، فلما اطمأنَّ بنا مجلسنا قال ابن جامع بكلام خفيٍّ اللهم أنْسِهِ ذكْرَ ابنِ جعفر، قال: فقلت: اللهم لا تستجب، فقال صاحب الستارة؛ يا بنَ جامع تغنَّ في شعر عبد الله بن معاوية، قال: فقال ابن جامع: لو كانت عندهم في عبد الله بن معاوية خيرٌ لطار مع أبيه[1]، ولم يُقبل على الشعر، قال إبراهيم: فسمعنا ضحكة من وراء الستارة. قال إبراهيم فاندفعتُ أغني في شعره:

سلا ربَّةَ الخِدْرِ ما شأنُها ... ومن أيِّما شأننا تعجبُ؟
فلستُ بأول من فاتَهُ ... على إربِهِ بعضُ ما يطلبُ
وكائن تعَرَّضَ من خاطب ... فزُوِّجَ غيرَ التي يخطُبُ
وأنكِحَها بعدَهُ غيرُهُ ... وكانت له قبلَهُ تُحْجَبُ
وكُنَّا حديثاً صَفِيَّيْنِ لا ... نخافُ الوشاةَ وما سَبَّبوا
فإنْ شَطَّت الدارُ عنَّا بها ... فبانتْ وفي الناسِ مُسْتَعْتَبُ
واصبحَ صدْعُ الذي بيننا ... كصَدْعِ الزجاجةِ ما يُشْعَبُ[2]
وكالدَّرِّ ليستْ له رجعةٌ ... إلى الضَّرْعِ من بعدما يُحْلَبُ[3]

قال: فقال لي صاحب الستارة: أعد فأعدته، فأحسبُ أميرَ المؤمنين نظر إلى ابن جامع كاسفَ البال. فأمر له بمثل الذي أمر لي بالأمس، وجاؤوني ببدرة دنانير فوُضِعَتْ تحت فَخذي اليسرى أيضاً، وكان ابن جامع فيه حسد ما يستتر منه، فلما انصرفنا قال: اللهم أَرِحْنا من ابن جعفر هذا، فما أشدَّ بغضي له، لقد بَغَّضَ إليَّ

(1) يريد جده جعفر بن أبي طالب وكان يلقب بالطيار وبذي الجناحين، أحد أمراء وشهداء مؤتة سنة 8 هـ يرحمهم الله جميعاً.
(2) الشعب: الإصلاح. وشعبُ الصدع في الإناء: اصلاحه وملاءمته ونحو ذلك. (اللسان: شعب).
(3) الدر: اللبن.

جدَّهُ، فقلت: ويحك! أَتدري ما تقول! قال: فمن يدري ما يقول؟ إذاً لودِدْتُ أني لم أرَ إقباله عليك وعلى غنائك في شعر هذا البغيض ابن البغيضة، وأني تصدقتُ بها ـ يعني البدرة.

ابن جامع في مجلس الرشيد

عن أحمد بن يحيى المكي قال[1]:

كان ابن جامع أحسن ما يكون غناءً إذا حَزِنَ صوتُه. فأحبَّ الرشيد أن يسمع ذلك على تلك الحال، فقال للفضل بن الربيع: ابعث خريطةً[2] فيها نعيُ أم ابن جامع ـ وكان باراً بأمه ـ ففعل. فوردت الخريطة على أمير المؤمنين وهو في مجلس لهوه، فقال: يابن جامع، جاء في هذه الخريطة نعيُ أمك، فاندفع ابن جامع يغني بتلك الحُرْقة والحزن الذي في قبله:

كم بالدروبِ وأرضِ السِّنْدِ من قدمٍ	ومن جماجم صرعى ما بها قُبروا
بقُنْدُهارَ ومن تُكتَبْ منيَّتُه	بقُنْدُهارَ يُرَجَّم دونَهُ الخبرُ

قال: فوالله ما ملكنا أنفسنا، ورأيت الغلمان يضربون برؤوسهم الحيطان والأساطين[3]، ثم غنَّى بعد ذلك:

يا صاحبَ القبر الغريب	بالشامِ في طرف الكثيب
بالحجْرِ بين صفائحٍ	صُمٍّ تُرَصَّفُ بالجُبُوب
رصْفاً ولحدٍ مُمْكِنٍ	تحتَ العجاجةِ في القليب
فإذا ذكرتُ أنينَهُ	ومغيبَهُ تحت المغيب
هاجتْ لواعجُ عبرةٍ	في الصدرِ دائمة الدَّبيب
أسفاً لحسن بلائهِ	ولمصرعِ الشيخ الغريب

---

(1) الأغاني 6/322 ـ 323.

(2) الخريطة: هنة مثل الكيس تكون من الخِرقَ والأدَم تشرج على ما فيها، ومنه خرائط كتب السلطان وعمَّاله.

(3) الأعمدة والسواري، الواحدة: اسطوانة والكلمة أجنبية.

أقبلـــتُ أطلـــبُ طِبَّـــهُ والمـوتُ يُعْضِـلُ بـالطبيـب[1]

الشعر لمكين العذري يرثي أباه، وقيل: إنه لرجل خرج بابنه إلى الشام هرباً به من جارية هويها فمات هناك. فأجاد ابن جامع في هذا الغناء، فقال له الرشيد: أحسنت! وأمر له بعشرة آلاف دينار.

الرشيد ينظر لمجلس الندماء والمغنين خفية

عن يوسف بن إبراهيم قال[2]:

حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي أن الرشيد قال للحارث بن بُسْخُنَّر: قد اشتهيتُ أن أرى نُدَمائي ومن يحضُر مجلسي من المغنين جميعاً في مجلس واحد، يأكلون ويشربون ويتَبَذَّلون منبسطين على غير هيبة ولا احتشام، بل يفعلون ما يفعلون في منازلهم وعند نظرائهم، وهذا لا يتمُّ إلا بأنْ أكونَ بحيث لا يَرَونني، من غير علم منهم برؤيتي إياهم. فأعِدَّ لي مكاناً أجلس فيه أنا وعمِّي سليمان وإخوتي: إبراهيم بن المهدي، وعيسى بن جعفر، وجعفر بن يحيى. فإنّا مُغَلِّسون[3] عليك غداةَ غد، واستَزِر أنت محمد بن خالد بن برمك، وخالداً أخا مُهْرُويه، والخِضْرَ ابنَ جبريل، وجميع المغنين، وأجلسهم بحيث نراهم ولا يرونَنا، وابسُط الجميع وأظهِرْ بِرَّهم، واخلع عليهم، ولا تدَعْ من الإكرام شيئاً إلا فعلتَهُ بهم. ففعل ذلك الحارث، وقدَّم إليهم الطعام فأكلوا، والرشيد ينظر إليهم، ثم دعا بالنبيذ فشربوا، وأحضرت الخِلَع، وكان ذلك اليوم يوماً شديد البرد، فخلع على ابن جامع جُبَّةَ خَزٍّ طارونيٍّ[4] مبطَّنة بسَمُّور صيني، وخلع على إبراهيم الموصلي جُبَّةَ وَشْيٍ كوفي

---

(1) أعضله الأمر: غلبه، وأعضل به الأمر: أعياه. وقالوا: الداء العضال المنكر الذي يأخذ مبادهةً ثم لا يلبث أن يقتل، وهو الذي يعيي الأطباء علاجه. (اللسان: عضل)

(2) الأغاني 19/303 ـ 305.

(3) مغلسون: قادمون بغَلس، وهو ظلمة آخر الليل.

(4) الطاروني: نوع من الخز.

مرتفع مبطنة بفَنَك[1]، وخلع على أبي صدقة دُرَّاعة مُلْحِم[2] خراسانيٍّ محشُوَّةً بقَزٍّ، ثم تغَنَّى ابن جامع، وتغنَّى بعده إبراهيم، وتلاهما أبو صدقة فغنى لابن سُرَيْج:

ومن اجلِ ذاتِ الخالِ أعمَلْتُ ناقتي أُكَلِّفُهـا سَيْـرَ الكَـلالِ مـع الظَّلْـعِ[3]

فأجاده، واستعاده الحارث ثلاثاً وهو يعيده. فقال له الحارث: أحسنتَ والله يا أبا صدقة! قال له: هذا غنائي وقد قرَصَني البَرْدُ، فكيف تراه ـ فديتك ـ كان يكون لو كان تحت دُرَّاعتي هذه شُعَيْرات؟ يعني الوَبَر، والرشيد يسمع ذلك فضحك، فأمر بأن يُخلع عليه دراعةُ مُلْحِم مبطنة بفَنَك، ففعلوا، ثم تغنى الجماعة، وغنَّى أبو صدقة لمعبَد:

بـانَ الخليـطُ علـى بُـزْلٍ مُخَيَّسَـةٍ هُذْلِ المشافرِ أدنى سيرِها الرَّمَلُ[4]

ثم تغنَّى بعده لمعبَد أيضاً:

بانَ الخليطُ ولو طُوعتُ ما بانا وقطَّعوا من حبالِ الوصلِ أقرانا

فأقام فيهما جميعاً القيامة، فطرب الرشيد حتى كاد أن يخرج إلى المجلس طرباً، فقال له الحارث: أحسنتَ والله يا ابا صدقة ـ فديتك ـ وأجملت، فقال أبو صدقة: فكيف ترى ـ فديتك ـ الحال تكون لو كانت على هذه الدراعة نُقَيْطات؟ يعني الوشي، فضحك الرشيد حتى ظهر ضحكه، وعلموا بموضعه، وعرف علمَهم بذلك، فأمر بإدخالهم إليه، وأمر بأن يُخلعَ على أبي صدقة دراعةٌ أخرى مبطنة، فخُلِعتْ عليه.

---

(1) الفنك: دابة فروتها من النوع الجيد.
(2) الدراعة: ضرب من الثياب التي تلبس، وقيل: جبة مشقوقة المقدم. والملحم: ضرب من الثياب.
(3) الظلع: الغمز في المشي.
(4) الخليط القوم الذين أمرهم واحد. البزل: جمع بازل الناقة أو الجمل الذي بلغ السنة التاسعة، المخيَّسة: المروضة. الرمَل: الهرولة.

الرشيد يؤثر ابن أبي الكنات على جميع المغنين

عن محمد بن عبد الله بن فزوة قال [1]:

قلت لابن جامع يوماً: هل غلبك أحد من المغنين قط؟ قال: نعم؛ كنت ليلةً ببغداد إذ جاءني رسول الرشيد يأمرني بالركوب، فركبت حتى إذا صرت إلى الدار، فإذا أنا بفضل بن الربيع معه زلزلٌ العوّاد وبَرْصوما، فسلمتُ وجلستُ قليلاً، ثم طلع خادمٌ فقال للفضل؛ هل جاء؟ فقال: لا، قال: فابعث إليه، ولم يزل المغنون يدخلون واحداً بعد واحد حتى كنا ستة أو سبعة.

ثم طلع الخادم فقال: هل جاء؟ فقال: لا، قال: قم، فابعث في طلبه، فقام فغاب غير طويل، فإذا هو قد جاء بعمرو بن أبي الكنّات، فسلم وجلس إلى جنبي فقال لي: من هؤلاء؟ قلت مغنون، وهذا زلزل، وهذا برصوما. فقال: والله لأغنيَّنك غناء يخرق هذا السقف وتجيبه الحيطان، ولا يفهمون منه شيئاً. قال: ثم طلع الخصيُّ فدعا بكراسيّ، وخرجت الجواري. فلما جلسن قال الخادم للمغنين: شدوا، فشدوا عيدانهم، ثم قال: نعم يا بن جامع، فغنيت سبعة أو ثمانية أصوات. ثم قال: اسكتْ وليُغَنِّ إبراهيم الموصلي، فغنى مثل ذلك أو دونه. ثم سكت فلم يزل يمرّ القوم واحداً واحداً، حتى فرغوا.

ثم قال لابن أبي الكنّات: غَنِّ، فقال لزلزل: شد طبقتك، فشد ثم أخذ العود من يده فجسَّه حتى وقف على الموضع الذي يريده، ثم قال: على هذا وابتدأ بصوت أوله: ألا لا؛ فوالله لقد خُيِّلَ لي الحيطان تجاوبه، ثم رجَّعَ النغم فيه. فطلع الخصيُّ فقال له اسكت، لا تتم الصوت، فسكت.

ثم قال: يُحبَس عمرو بن أبي الكنّات، وينصرف باقي المغنين، فقمنا بأكسف حال وأسوأ بال، لا والله ما زال كل واحد منا يسأل صاحبه عن كل شعر يرويه من الغناء الذي أوله: ألا لا، طمعاً في أن يعرفه أو يوافق غناءه، فما عرفه

---

(1) الأغاني 20/372 ـ 373.

منا أحد، وبات عمرو ليلته عند الرشيد، وانصرف من عنده بجوائز وصِلات وطُرَف سنيَّة.

وقال له الرشيد: أردت أن تفتن الناس

وعن موسىٰ بن أبي المهاجر قال[1]:

خرج ابن جامع وابن أبي الكنَّات حين دفعا من عرفة، حتى إذا كانا بين المأزمين[2]، جلس عمرو على طرف الجبل، ثم اندفع يغني، فوقف القطارات، وركب الناس بعضهم بعضاً حتى صاحوا واستغاثوا: يا هذا، الله الله. اسكت عنَّا يَجُز الناس، فضبط إسماعيل بن جامع بيده على فيه حتى مضى الناس إلى مُزْدَلِفَة.

قال هارون: وحدثني عبد الرحمن بن سليمان عن علي بن أبي الجهم، قال: حدثني من أثق به قال:

واقفتُ ابنَ أبي الكنَّات المديني على جسر بغداد أيام الرشيد. فحدثته بحديث اتصل بي عن ابن عائشة أنه فعله أيام هشام، وهو أن بعض أصحابنا حدثني قال: وقف ابن عائشة في الموسم فمرَّ به بعض أصحابه، فقال له: ما تعمل؟ فقال: إني لأعرف رجلاً لو تكلم لحبس الناسَ، فلم يذهب أحد ولم يجيء. فقلت له: ومن هذا الرجل؟ قال: أنا، ثم اندفع يغني:

جَرَتْ سَنَحاً فقلتُ لها أجيزي ... نـوىً مشمـولـةٌ فمتـى اللقـاءُ؟
بنفسـي مَـنْ تـذكُّـرُهُ سَقـامٌ ... أعـالجـهُ ومطلبُـهُ عَنـاءُ

قال: فحبس الناس، واضطربت المحامل، ومدت الإبلُ أعناقَها، وكادت الفتة تقع، فأتي به هشام فقال: يا عدو الله أردتَ أن تفتنَ الناس؟ فأمسك عنه وكان تيَّاهاً[3] فقال له هشام: ارفُق بتيهك. فقال ابن عائشة: حقٌّ لمن كانت هذه قدرته

---

(1) الأغاني 30/373 ـ 375.
(2) المأزمان: موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة، واسم لمواضع أخرى. (ياقوت: المأزمان).
(3) التياه: المغرور المعجب بنفسه المتكبر.

على القلوب أن يكون تيّاهاً، فضحك وأطلقه. قال: فبرق ابن أبي الكنات، وكان معجباً بنفسه، وقال: أنا أفعل كما فعل، وقدرتي على القلوب أكثر من قدرته كانت، ثم اندفع فغنّى في هذا الصوت ونحن على جسر بغداد.

وكان إذ ذاك على دجلة ثلاثة جسور معقودة، فانقطعت الطرق، وامتلأت الجسور بالناس، وازدحموا عليها، واضطربت حتى خيف عليها أن تتقطع لثقل من عليها من الناس. فأخذ فأتي به الرشيد، فقال: يا عدو الله أردت أن تفتن الناس؟ فقال: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكنه بلغني أن ابن عائشة فعل مثل هذا في أيام هشام، فأحببت أن يكون في أيامك مثلُه، فأعجب من قوله ذلك، وأمر له بمال، وأمره أن يغني، فسمع شيئاً لم يسمع مثله فاحتبسه عنده شهراً يستزيده في كل يوم استأذنه فيه في الانصراف يوماً آخر حتى تم له شهر، فقال هذا المخبر عنه: وكان ابن أبي الكنّات كثير الغِشيان لي، فلما أبطأ توهمتُه قد قُتِل، فصار إليَّ بعد شهر بأموال جسيمة، وحدثني بما جرى بينه وبين الرشيد.

الفصل الثالث

مجالس الخلفاء العباسيين

المأمون

مجالس المأمون

عاش المأمون في كنف أبيه الرشيد، وشهد مجالسه وشارك في مناظرات وحوارات تلك المجالس، وتثقف ثقافة عالية، وكان ذكياً طموحاً درس على علماء عصره وشهد تطور الثقافة وأسهم في تطورها وإنضاجها، وكان يميل إلى الاطلاع على علوم الأمم الأخرى من فرس ويونان وهنود، فشجع الترجمة وقرأ كتب الفلاسفة والمناطقة، وكانت مجالسه حافلة بضروب من العلوم والفنون، وكان يقرب العلماء ويسمع محاوراتهم ومناظراتهم في شتى علوم المعرفة الدينية واللغوية والأدبية والعلمية، وكانت مجالس الخلفاء العباسيين في عصر المأمون وقبله حافلة بالفقهاء والأدباء والشعراء والمغنين والموسيقيين وأصحاب الصنائع، وألفت في هذا العصر كتب تعنى بالمجالس أو سميت باسمها، من مثل كتاب الأغاني للأصفهاني وبهجة المجالس للقرطبي، ونزهة الجليس ومنية الأديب والأنيس للعباس بن علي الحسيني، ومجالس العلماء للزجاجي، ومجالس ثعلب لأبي العباس ثعلب، ومحاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني وغيرها من الكتب، وقد حوت هذه الكتب ما يحسن تناوله في هذه المجالس، وقد بيَّن القرطبي ما حواه كتابه مما يليق بالمجالس وآدابها، وهو نموذج للكتب الباقية، يقول[1]: «قد جمعت في كتابي هذا من الأمثال السائرة، والأبيات النادرة، والحكم البالغة، والحكايات الممتعة في فنون وأنواع جمَّة، من معاني الدين والدنيا، وما انتهى إليه حفظي ورعايتي، وضمته روايتي وعنايتي، ليكون لمن حفظه ووعاه، وأتقنه

---

(1) بهجة المجالس 1/27، تحقيق مرسي الخولي، ط ادار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

وأحصاه زيناً في مجالسه، وأنساً لمجالسه، وشحذاً لذهنه وهاجسه، فلا يمر به معنى في الأغلب مما يذاكر به، إلا أورد فيه بيتاً نادراً، أو مثلاً سائراً أو حكاية مستطرفة، أو حكمة مستحسنة، يحسن موقع ذلك في السماع، ويخفف على النفس والطباع، ويكون لقارئه أنساً في الخلاء، كما هو زين له في الملاء وصاحباً في الاغتراب، كما هو حَلْيٌ بين الأصحاب. . .».

وكان الرشيد يحرص أن يحضر الأمين والمأمون مجالسه الأدبية، فكان يدعو الكسائي ويسأله عن الشعر ومعانيه وتفسير ما غمض منه بحضور ولديه، وقد جلس الأمين عن يمينه والمأمون عن يساره، يريد بذلك أن يتعلما مما يدور في مجالس الشعر والأدب وآداب تلك المجالس، ومما دار في ذلك المجلس قول الرشيد يسأل الكسائي: «يا علي، ما زلت ساهراً مفكراً في معاني أبيات قد خفيت عليَّ، قال الكسائي: إن رأى أمير المؤمنين أن ينشدنيها، فأنشدني:

قد قلت قولاً للغراب إذ حَجَلْ عليك بالقُوْدِ المسانيفِ الأوَلْ

تغَدَّ ما شئْتَ على غيرِ عَجَلْ

فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، إن العِير إذا فصلت من خَيْبَر وعليها التمر، يقع الغراب على آخر العير، فيطرده السوّاق، يقول هذا: تقدم إلى أوائل العير فكُلْ على غير عجل، والقود: الطوال الأعناق، والمسانيف: المقدمة.

ثم أنشدني[1]:

لعمري لئن عشَّرْتُ من خشيةِ الرَّدى نهاقَ الحمار إنني لجهولُ

قلت: نعم يا أمير المؤمنين، كانا لرجل من العرب إذا دخل خيبر، أكبَّ على أربع وعشَّر تعشير الحمار، وهو أن ينهق عشر نهقات متتابعات، يفعل ذلك ليدفع عن نفسه حُمَّى خيبر. ويستمر في الإنشاد والسؤال، حتى قال: ثم أنشدني:

ومنحدَرٍ من رأسِ برقاءَ حَطَّهُ مخافةَ بَيْنٍ أو حبيبٌ مزايلُ

---

(1) البيت لعمرو بن الورد في ديوانه ص 99، وفيه: إنني لجزوع، وانظر: المحاسن والمساوىء، ص 140.

قلت: نعم، يعني الدموع، والبرقاء العين، لأن فيها سواداً وبياضاً، حطه: أساله، حبيب: محبوب، مزايل: مفارق.

فأعجب الرشيد بالكسائي وعلمه وسعة درايته وحفظه، وعبر عن إعجابه بقوله: لله در أهل الأدب، ثم أمر بإعطائه خمس بِدَر، ثم سأله أن يستنشد ابنيه الأمين والمأمون، فأنشدني الأمين[1]:

وإني لعفُّ الفَقْرِ مشترك الغنى ... وتاركُ شكْلٍ لا يوافقهُ شَكْلي
وشكلي شكلٌ لا يقومُ بمثلهِ ... من الناس إلا كلُّ ذي نِيْقَةٍ مثلي
ولي نيقةٌ في المجدِ والبذْلِ لم يكنْ ... تأنَّقها فيما مضى أحدٌ قبلي
وأجعلُ مالي دون عِرضي جُنَّةً ... لنَفْسي وأستغني بماكان من فضلي

قال: وأنشدني عبدالله المأمون:

بكَرتْ تلومُ مطلعَ الفجرِ ... ولقد تلومُ بغيرِ ما تدري
ما إنْ ملكْتُ مُصيبةً نزَلتْ ... إذْ لا يُحَكَّمُ طائعاً أمري
مَلِكُ الملوكِ عليَّ مقْتَدِرٌ ... يُعْطي إذا ما شاءَ من يُسْرِ
فلَرُبَّ مغتَبِطٍ بمُرْزِئَةٍ ... ومُفَجَّعِ بنوائبِ الدهْرِ
ومكاشحٍ لي قد مدَدْتُ لَهُ ... نَحْراً بلا ضَرْعٍ ولا غِمْرِ[2]
حتى يقولَ لنفسهِ لَهَفاً ... فأيِ مذاهبِ غايةٍ أجري
وتَرى قناتي حينَ يغمِزُها ... غَمْرُ الثقاتِ بطيئةَ الكسرِ

فقال: يا عليُّ، فكيف تراهما؟ فقلت:

أرى قمريْ أفْقٍ وفَرْعَي بَشامةٍ ... يزينُهما عرْقٌ كريمٌ ومَحْتِدُ
يسُدانِ آفاقَ السماء بشيمةٍ ... يؤيدُها حَزْمٌ وعَضْبٌ مُهَنَّدُ
سليلَيْ أمير المؤمنينَ وحائزَيْ ... مواريثَ ما أبقى النبيُّ محمَّدُ[3]

---

(1) الأبيات لحاتم الطائي، في المحاسن والمساوىء 2/141.

(2) الضَرَع: الضعف، الغمر: الحقد.

(3) الرواية في المحاسن والمساوىء 2/139 ـ 143، وللرشيد مجالس أخرى مع المفضل=

ولا شك أن الرشيد كان يريد أن يتثقف ابناه ثقافة عربية، ويتعلما ما يدور في المجالس، ويحفظا من جيد الشعر ويعرفا معانيه وتفسيره، وقد تمثلت في محفوظ الأمين والمأمون شخصيتهما، إذ تمثل في ما أنشده الأمين الكرم وعزة النفس وإعجابه بنفسه، وتمثل في الشعر الذي أنشده المأمون التواضع والإيمان والعقل والحكمة. وهكذا كان المأمون محباً لهذا الضرب من الشعر الذي يقرب إليه القلوب ويحبب الناس في سيرته وأفعاله.

= الضبي يحرص فيها على حضور ولديه الأمين والمأمون، ينظر مجالس العلماء للزجاجي، ص 26 ـ 39.

1 ـ مجالس المأمون مع الشعراء والأدباء:

1 ـ كان المأمون في مرو قبل أن يلي الخلافة، وكان الأمين خليفة في بغداد، وقد عقد المأمون مجلسه، فدخل عليه النضر بن شميل وعليه قميص مرقوع في يوم صائف، فقال المأمون[1]: «يا نضر، تدخل على أمير المؤمنين في خلقان ثيابك؟! فقال النضر: يا أمير المؤمنين، حرُّ مَرْوٍ كما ترى، وأنا شيخ كبير، لا أحتمل الحر ولا البرد، ثم أنشده:

لـو يُشْتَـرى الشبـابُ لاشتـرتيُـهُ شبـابـيَ النَّضـرَ الـذي أبليتُـهُ

بكـلِّ مـالـي ثـم مـا استغلَيْتُـهُ

فقال المأمون: لا ولكنك رجل متقشِّف، ثم سأله: يا نضر، أي النساء أحبُّ إليك؟

قال النضر: البيضاء الفرعاء المديدة. فقال المأمون: حدثني هشيم بن بشير، عن مجاهد، عن الشعبي، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها، كان له فيها سَدادٌ من عوز**» بفتح السين. فرأى النضر أن الصواب سِداد بكسر السين، فقال النضر مصححاً بأسلوب غير مباشر: صدق هشيم، حدثني عوف عن الحسن، عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، قال رسول الله ﷺ: «**إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان له سِداد من عوز**» (بكسر السين)، وكان المأمون جالساً متكئاً فاستوى، وقال: السِداد، لحن عندك يا نضر!، فقال النضر: نعم هاهنا، يا أمير المؤمنين، وإنما هشيم لَحِنَ، وكان لحَّانة. فقال المأمون: وما الفرق بينهما؟ قال النضر: السَّداد ـ بالفتح ـ القصد في

(1) المحاسن والمساوىء 2/126، الأغاني 15/20.

الدين، والطريقة والسبيل، والسِّداد ـ بالكسر ـ البُلْغة، وكلّ ما سَددتَ به شيئاً فهو سِداد ثغرٍ. قال نضر: نعم، هذا العَرْجي، من ولد عثمان بن عفان رحمه الله، حيث يقول:

أضاعوني وأيَّ فتىً أضاعوا ... ليومِ كريهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ

ثم يسأله عن معاني الشعر ومقاصد الشعراء، فقال: أخبرني بأخلب بيت قالته العرب؟ فقال النضر: قول حمزة بن بيض في الحَكَم بن مروان:

تقول لي والعيونُ هاجعةٌ ... أقِمّ علينا يوماً فلم أقِمِ

أيَّ الوجوه انتجعتَ قلتُ لها ... لأيِ وجهٍ إلا إلى الحَكَمِ

متى يقُلْ صاحبُ السُّرادق هـ ... ـذا ابنُ بَيْضٍ بالبابِ يبتسمُ

قد كنتُ أسلمتُ مقْتَبَلاً ... فهاتِ أدْخُلْ واعطني سَلَمي

فقال المأمون: لقد أحسنَ وأجاد! فاخبرني بأنصفِ بيت قالته العرب؟

فقال نضر: قول أبي عروة المدني[1]:

إني وإنْ كان ابن عمِّي واغلاً ... لَمُدْهِنُ مِنْ خلفِهِ وَوَرائِهِ

ومفيدُهُ نَصْري وإنْ كان امْرَأً ... مُتَباعِداً من أرضِهِ وسمائِهِ

فأكونُ والِيَ سرِّهِ وأصُونُهُ ... حتَّى يحينَ عليَّ وقْتُ أدائِهِ

وإذا الحوادثُ أجحَفَتْ بسَوامِهِ ... قَرَّبْتُ حِلَّتَنا إلى جَرْيائِهِ

وإذا دعا باسمي ليركبَ مركبَاً ... صَعْباً رَكِبْتُ له على سَيْسَائِهِ

وإذا رأيتُ عليه بُرْداً ناضراً ... لم يُلْفِني متمنِّياً لردائِهِ

فقال المأمون: أحسنت، لقد أحسنَ وأجاد، فأنشدني الآن عن أعزِّ بيت قالته العرب. قال نضر: قول راعي الإبل حيث يقول[2]:

---

(1) في الأغاني 20/15 خلاف يسير في رواية الأبيات.

(2) الأبيات الثلاثة الأولى لم ترد في المحاسن والمساوىء، وهي في الأغاني 21/25، وانظر الأبيات في ديوان الراعي، ص 301 تحقيق فايبرت.

إنـي امـرؤ لـم أزلْ وذاك مـن الـ ـلـهِ قـديمـاً أعَلِّـمُ الأدبـا

أقيمُ بالدارِ ما اطمأنتْ بي الدا رُ وإنْ كنـتُ نـازعـاً طَـرِبـا

لا أجتـوي خُلَّـةَ الصـديـقِ ولا أتْبِـعُ نفسـي شيئـاً إذا ذهَبـا

أطلبُ ما يطلبُ الكريمُ من الر زقِ لنفسـي وأجْمِـلُ الطَّلَبـا

وأحلـبُ الثَّـرَّةَ الصَفِـيَّ ولا أطلـبُ فـي غيـرِ خِلْفِهـا حَلَبـا[1]

إنـي رأيـتُ الفتـى الكـريـمَ إذا رغَّبْتَـهُ فـي صنيعـةٍ رَغِبـا

والنـذلُ لا يطلـبُ العَـلاءَ ولا يُعْطيـكَ شيئـاً إلا إذا رَهِبـا

مثـلَ الحمـارِ المـوَقَّـعِ السَّـوْءَ لا يُحْسِـنُ مشيـاً إلا إذا ضُـرِبـا

فقال المأمون: أحسنت يا نضر. والله لقد أحسن شاعرك وأجاد.

ثم دعا المأمون بدواة، دون أن يدري نضر ما يكتب، وقال المأمون: يا نضر، كيف تقول من الإتراب؟ قال نضر: أقوا إترب القرطاس، والقرطاس متروب. فقال المأمون: ولِمَ كسرتَ الألف؟ قال: لأنها ألف وصل تسقطُ في التصغير.

قال المأمون: فكيف تقول من الطين؟ قال نضر: طِنْ الكتابَ، والكتابُ مَطِينٌ.

قال المأمون: وهذه أحسن من الأولى.

ثم وجه المأمون نضراً مع خادم إلى الحسن بن سهل ذي الرياستين وأمر له بخمسين ألف درهم، وسأله سهل عما جرى بينه وبين المأمون، فأخبره، فقال سهل: ويحك! لحنتَ أمير المؤمنين، فقال نضر: معاذ الله! بل لحَّنتُ هُشيماً، لأنه كان لحَّانة. وأكرمه سهل من عنده بثلاثين ألف درهم، فانصرف نضر بثمانين ألف درهم في تصويب (سِداد وسَداد)[2].

---

(1) الثرة الصفي: الناقة الغزيرة اللبن.

(2) المحاسن والمساوىء 2/126 ـ 130، والأغاني 16/154.

2 ـ وحين تقوم الحرب بين الأمين والمأمون، ويدخل المأمون بغداد منتصراً، يتزاحم الشعراء على مجلسه يريدون التقرب والمديح، فيأذن لهم، ويتعاقب الشعراء على مديحه فيجيزهم، وليس من منهجنا أن نستعرض ما مدح به المأمون، ولكننا نقف عند من ناظرهم وساءلهم فيتوافر بذلك مفهوم المجلس، من ذلك أنه قال للشاعر محمد بن الجهم: انشدني أحسنَ ما سمعته في المديح. فقال ابن الجهم: نعم يا أمير المؤمنين، قوله(1):

تجودُ بالنفسِ إذ ضنَّ الجوادُ بها والجودُ بالنفسِ أقصى غايةِ الجُوْدِ

فقال المأمون: أنشدني أخبث ما سمعته في الهجو. فقال: قوله:

قَبُحَتْ مناظرُهم فحينَ خبِرْتُهمْ حَسُنَتْ مناظِرُهمْ لِقُبْحِ المَخْبَرِ

فقال المأمون: فأنشدني أحسن ما سمعته في المراثي. فقال، قوله:

أرادوا ليُخفوا قَبْرَهُ عن عدوِّهِ فطيبُ تُرابِ القبرِ دلَّ على القبرِ

ومثله أيضاً:

على قبرِهِ بين القُبورِ مهابةٌ كما قبلَهُ كانتْ على ساكنِ القبرِ

فقال المأمون: أنشدني أحسن ما سمِعْتَ في الغزل. قال، قوله:

حُبٌّ مُجِدٌّ وحبيبٌ يلعبُ وأنتَ مُلْقى بينهمْ مُعَذَّبُ

وأعجب المأمون بحفظ محمد بن الجهم فكافأه بأن ولاه على الجبل (الصيمرة والسيروان ومهرجان قذق والدينور ونهاوند)(2).

3 ـ وكان المأمون يسائل مجالسيه من الشعراء عن بعض الأشعار ويصحح لهم ويروي أشعاراً في معان معينة، فمن ذلك قوله يمتحنهم: انشدوني بيتاً لملك يدل البيتُ وإن لم يعرف قائله أنه شعرُ ملك، فأنشده بعضهم قول امرىء القيس:

أمِنْ أجلِ أعرابيةٍ حلَّ أهلُها جنوبَ الملا عيناك تبتدرانِ

---

(1) المحاسن والمساوىء 2/38، والأغاني 13/16 مع خلاف في الرواية.
(2) المحاسن والمساوىء 1/398 ـ 399.

قال المأمون معلقاً: ما هذا مما يدل على ملكه، قد يجوز أن يقول هذا سوقة من أهل الحضر، فإنه يؤنب نفسه على التعليق بأعرابية. ثم قال: الشعر الذي يدل على أن قائله ملك قول الوليد:

إسقني من سُلافِ ريقِ سُلَيْمَى   واسقِ هذا النديمَ كأساً عِقارا

وقال موضحاً: أما ترى إلى إشارته في قوله (هذا النديم) وإنها إشارة ملك، ثم فكر المأمون قليلاً وتابع، ومثل قوله:

لي المحضُ من ودِّهمْ   ويغمرهم نائلي

قال: وهذا قول من يقدِر بالمُلك على طويّات الرجال، يبذل المعروف لهم ويُمكنهم استخلاصُها لنفسه.

وهذا البيت مع أبيات قبله[1]:

سَقَيْتُ أبا كاملٍ   من الأصغرِ البابلي
وسقيتُها معبداً   وكلَّ فتىً بازلِ
لي المحضُ من ودِّهمْ   ويغمرُهم نائلي
فما لامني فيهمُ   سوى حاسدٍ جاهلِ

4 ـ بعث المأمون إلى ابن الأعرابي فحضر، وكان المأمون مع يحيى بن أكثم يطوفان في الحديقة، ولما دخل ابن الأعرابي نظر المأمون إليه وولاه ظهره، قال ابن الأعرابي: فجلست، فلما أقبل قمت قائماً، فأَسَرَّ إلى يحيى بشيء ما فهمت كله إلا ما قال: ما أحسن أدبه، وقد أقبل إلى مجلسه، ثم التفت إليَّ وقال: يا محمد بن زياد، من أشعر العرب في وصف الخمر؟ فقلت: الذي يقول:

تُريكَ القذى من دونها وهي دونَهُ   إذا ذاقها مَنْ ذاقها يتمطَّقُ

فقال: أحسن الناس قولاً في صحة الخمر الذي يقول[2]:

---

(1) الأغاني 7/146، ط دار الكتب العلمية.
(2) أبو نواس في ديوانه ص 41.

فتمشـــت فـــي مفـــاصلهـــم　　كتمشـــي البُـــرْءِ فـــي السَّقَـــمِ
فعَلَـتْ فـي البيـتِ إذ مُـزِجَـتْ　　مثـلَ فِعْـلِ الصُّبْـحِ فـي الظُّلَـمِ
فـاهتـدى سـاري الظَّـلامِ بهـا　　كـاهتـداءِ السَّفْـرِ بـالعَلَـمِ[1]

فقال ابن الأعرابي يقر للخليفة بالسبق: فائدة يا أمير المؤمنين:

وسأله المأمون قائلاً: ما معنى قول هند[2]:

نحـــنْ بنـــاتُ طـــارقْ　　نمشـــي علـــى النمـــارقْ
إنْ تُقبِلـــوا نُعـــانِـــقْ　　أو تُـــدْبِـــروا نفـــارقْ
فـراقَ غـيـرِ وامـق

فلم يهتدِ إلى اسم طارق في نسبها فقال: ما أعرف يا أمير المؤمنين طارقاً. فقال المأمون: إنما قالت إنها في العلو والشرف بمنزلة الطارق، وهو النجم من قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾[3].

فقال ابن الأعربي يثني على دقة فهم المأمون: فائدة يا أمير المؤمنين ثانية.

فقال المأمون ليحيى بن أكثم: أنا بؤبؤ هذا الأمر وابن بؤبئه. ولم يدرِ ابن الأعرابي بما أراد المأمون، وقبل أن يخرج رمى إليه بعنبرة كانت بيده، فباعها بخمسة آلاف درهم، وأراد أن يعرف قصد المأمون في قوله: «أنا بؤبؤ هذا الأمر»، فرجع إلى كتبه، قال: فنظرت فيها لأعرف ما قال، فوقعت على هذه الأبيات لبعض الأعراب:

كـأنمـا بنـتُ أبـي المُحَيْـرِيَـهْ　　قـاعـدةٌ فـي إتْبِهـا لُـؤَيْلِيَـهْ
قـد فـاقَـتُ البـؤبـؤ والبـؤيْبِيَـهْ

فعلمت أنه عنى به السيد وابن السيد»[4].

---

(1) المحاسن والمساوىء 2/130.
(2) الرجز لهند بنت عتبة في سيرة ابن هشام 2/68.
(3) سورة الطارق، آية: 1.
(4) المحاسن والمساوىء 2/132.

5 ـ وكان المأمون يميل إلى فنون من الشعر، مثل الغزل والحكمة والرثاء، أما المديح فكان يكتفي منه بأبيات، وإذا جاوز الشاعر الحد يوقفه ويقول: حسبك.

ومصداق ذلك ما رواه اليزيدي عن أبيه عن عمه عن أبي جعفر أحمد بن محمد، قال: دخلت على المأمون وهو في مجلس غاص بأهله ـ وأنا يومئذٍ غلام ـ فاستأذنت في الإنشاد، فأذن، فأنشدته مديحاً لي مدحته به، وكان يستمع للشاعر ما دام في تشبيب أو وصف ضرب من الضروب، حتى إذا بلغ إلى مديحه لم يسمع منه إلا بيتين أو ثلاثة، ثم يقول للمنشد: حسبُك، ترفعاً، فأنشدته[1]:

يـا مـن شكـوتُ إليـه مـا ألقـاهُ ... وبـذلـتُ مـن وجـدي لـه أقصـاهُ

فـأجـابنـي بخـلافِ مـا أمَّلْتُـهُ ... ولـرُبَّمـا مُنِـعَ الحـريـصُ مُنـاهُ

أتـرى جميـلاً إنْ شكـا ذو صَبْـوَةٍ ... فهجَـرْتَـهُ وغَضِبْـتَ مـن شكـواهُ

يكفيكَ صَمتٌ أو جوابٌ مؤيسٌ ... إنْ كنـتَ تكـرَهُ وصلَـهُ وهـواهُ

موتُ المُحِبِّ سعادةٌ إنْ كان مَنْ ... يهـواهُ يـزعُـمُ أنَّ ذاك رِضـاهُ

فلما صرت إلى المديح قلت:

أبقـى لنـا اللهُ الإمـامَ وزادَهُ ... عِـزّاً إلـى العـزِّ الـذي أعطـاهُ

فـاللّـهُ مُكْـرِمُنـا بـأنّـا معشَـرٌ ... عُتقـاءُ مـن نِعَـمِ العِبـادِ سـواهُ

فسُرَّ بذلك وضحك، وقال: جعلنا الله وإياكم ممن يشكر النعمة، ويُحسِن العمل[2].

ويبدو أن المأمون يستجيد الشعر الذي يكون ملائماً للمناسبة وطبيعة الظرف، فقد أنشده أبو جعفر أحمد بن محمد شعراً في المدح فيه غزل وطرب، وكان المأمون خارجاً للغزو، فنهره وأعلمه أن هذا لا يناسب ما هم فيه من جد واستعداد للقتال، وكان في الشعر قوله[3]:

---

(1) الأغاني 20/276 ـ 277 ط دار الكتب العلمية.

(2) الأغاني 20/276 ـ 277، ط دار الكتب العلمية.

(3) الأغاني 20/277.

يـا قصـرُ ذا النَّخـلاتِ مـن بـارا | إنـي حللـتُ إليـك مـن قَـارا[1]
أبصـرتُ أشجـاراً علـى نهـرٍ | فكـرتُ أشجـاراً وأنهـارا
لله أيـامٌ نَعِمْـتُ بهـا | بـالقُفْصِ أحيـانـاً وفـي بـارا[2]
إذ لا أزالُ أزور غـانيـةً | ألهـو بهـا وأزورُ خمَّـارا
لا أستجيـبُ لِمَـنْ دعـا لهـدى | وأجيـبُ شُطَّـاراً ودُعَّـارا
أعصـي النصيـحَ وكـلَّ عـاذلـةٍ | وأطيـعُ أوتـاراً ومـزمـارا

قال: فغضب المأمون، وقال: إنَّا في وجه عدو، وأحضُّ الناس على الغزو، وأنت تذكِّرهم نزهة بغداد؟، فقلت: الشيء بتمامه، ثم قلت:

فصحوتُ بالمأمونِ عن سُكُري | ورأيـتُ خيـرَ الأمـر مـا اختـارا
ورأيـتُ طـاعتَـهُ مـؤديَّـةً | للفَـرْضِ إعـلانـاً وإسـرارا
فخلعتُ ثوبَ الهَزْلِ عن عُنُقي | ورَضيْـتُ دارَ الجِـدِّ لـي دارا
وظلَلْـتُ معتصمـاً بطـاعتـه | وجِـوارِهِ وكفـى بـهِ جـارا
إن حَـلَّ أرضـاً فهـي لـي وطـنٌ | وأسيـرُ عنهـا حيثمـا سـارا

فقال له يحيى بن أكثم: ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين! أخبرَ أنه كان في سُكر وخَسار، فترك وارعوى، وآثر طاعة خليفته. وعلم أن الرشيد فيها، فسكن وأمسك.

6 ـ كان المأمون يحب أن تتنوع موضوعات مجالسه فأراده أن يكون الحديث في أخبار العرب، فسأل محمد بن حازم: كيف بصرُك بأيام الناس وأخبار العرب؟

فقال ابن حازم: أنا على الميدان، فليطلق من عناني. واستدرك قائلاً: هذا مجلس خلافة ولا آمن نبوة، فقال المأمون: انشد ما بدا لك، فأنشد[3]:

(1) بارا: بليدة وكورة من نواحي حلب. وقارا: قرية كبيرة على طريق حمص للقاصد إلى دمشق. ياقوت: بارا 1/320، قارا 4/259.

(2) القفص: قرية بين بغداد وعكبرا قريب من بغداد، كانت من مواطن اللهو تنسب إليها الخمور الجيدة والحانات الكثيرة. ياقوت: القفص 4/382.

(3) الديارات للشابشتي، ص 282.

رُزِقْتُ عقلاً ولم أرزق مروءةً ... وما المروءةُ إلا كثرة المالِ
إذا أردتُ مُساماةً تقاعدَ بي ... عمَّا يُنَوِّهُ باسمي رِقَّةُ الحالِ

فقال المأمون لجلسائه: الشيخ يشكو رقة الحال، فليدفع إليه ألف درهم، ثم أنشده:

أنتَ سماءٌ ويدي أرضُها ... والأرضُ قد تأملُ غيثَ السَّما
فازرعْ يداً عنديَ محمودةً ... تحصدْ بها في الناس حُسْنَ الثَّنا

فقال المأمون معلقاً: هذا المعنى أقوى من الأول، وأمر له بألفي درهم، ثم قال المأمون: خدعتني، أي لقاء ما أعطاه عن البيتين الأولين.

فقال ابن حازم: قد حضرني بيتان في الخديعة، فأنشده:

وإذا الكريم أتيتَهُ بخديعة ... فرأيتَهُ فيما ترومُ يسارعُ
فاعلمْ بأنَّكَ لم تُخادعْ جاهلاً ... إنَّ الكريمَ بفعلِهِ يتخادَعُ

فقال المأمون وقد أعجب بالبيتين: هما والله أحسن من الأول. ثم استزاده، فأنشد:

لا تُرْهِقَنَّكَ ضَجْرَةٌ من سائلٍ ... فَلَخَيْرُ دَهْرِكَ أن تُرى مسؤولا
لا تجبَهَنْ بالمَنْعِ وَجْهَ مؤمِّلٍ ... فَبَقاءُ عِزِّكَ أنْ تُرَى مأمولا
واعلمْ بأنَّكَ عن قليلٍ صائرٌ ... خَبراً فكنْ خَبَراً يروقُ جميلا
يُلْقَى الكريمُ فيُسْتَدَلُّ بِبِشْرِهِ ... وترى العُبوسَ على اللئيمِ دليلا

فأعجب المأمون وقال: لله دَرُّكَ، ما أحسنَ معانيك! يا غلام صكَّ له (أي اكتب له صكاً) بمثل ما أعطيناه[1].

7 ـ وكان المأمون يحب أن يُذكَّر بين آونة وأخرى بالموت والآخرة، فكان يرسل إلى أبي العتاهية لينشده ما قاله في الزهد والموت، روى المعلَّى بن أيوب قال: دخلتُ على المأمون يوماً وهو مقبلٌ على شيخ حَسَن اللحية خضيبٍ شديد بياض الثياب، وعلى رأسه لاطئة[2]، فقلت للحسن بن أبي سعيد ـ قال: وهو ابن خالة

---

(1) الديارات ـ الشابشتي، ص 282 ـ 283.
(2) قلنسوة صغيرة تلطأ بالرأس.

المعَلَّى بن أيوب، وكان الحسن كاتب المأمون على العامة ـ من هذا؟ فقال: هذا أبو العتاهية، فسمعت المأمون يقول له: أنشِدْني أحسنَ ما قلتَ في الموت، فأنشده[1]:

أنساكَ محياكَ المَماتا فطلبْتَ في الدنيا الثَّباتا
أَوَثِقْتَ بالدنيا وأنـ ـتَ ترى جماعَتَها شَتَاتا
وعزَمْتَ منك على الحيا ةِ وطولها عزْماً بتاتا[2]
يا مَنْ رأى أبويهِ فيـ ـمن قد رأى كانا فماتا
هل فيهما لك عبرةٌ أم خلتَ أنَّ لك انفلاتا
ومَنْ الذي طلبَ التفلُّـ ـتَ من منيَّتِه ففاتا
كلٌّ تُصَبِّحُهُ المنـ ـيَّةُ أو تُبيِّتُهُ بَياتا

ودخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده:

ما أحسنَ الدنيا وإقبالَها إذا أطاعَ اللهَ مَنْ نالَها
مَنْ لم يُواسِ الناسَ من فضلها عَرَّضَ للإدبارِ إقْبالَها

فقال المأمون: ما أجود البيت الأول، فأما الثاني فما صنعتَ فيه شيئاً، الدنانير تُدْبر عمن واسى أو ضَنَّ بها، وإنما يوجبُ السماحةُ بها الأجرَ، والضنُّ بها الوِزْرَ، فقال: صدقتَ يا أمير المؤمنين، أهلُ الفضلِ أولى بالفضل، وأهلُ النقصِ أولى بالنقص.

فقال المأمون: ادفَعْ إليه عشرةَ آلاف درهم لاعترافه بالحق. فلما كان بعد أيام أنشده:

كم غافلٍ أودى به الموتُ لم يأخُذِ الأهْبَةَ للفَوْتِ
من لم تَزُلْ نعمَتُهُ قبلَهُ زالَ عن النعمةِ بالموتِ

فقال له أحسنتَ! الآنَ طَيَّبْتَ المعنى، وأمر له بعشرين ألف درهم[3].

---

(1) الأغاني 4/56 ـ 57.
(2) بتاتا: لا رجعة فيه.
(3) الأغاني 4/56 ـ 57.

2 ـ مجالس المأمون في الفصاحة والبيان:

1 ـ كان المأمون حريصاً على سلامة اللغة، وكان ينفر من اللحن، ويوصي أولاده بتعلم العربية، فمما قال في ذلك يوصي أولاده: «ما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيِّمَ بها أودَهُ، ويزيِّنَ بها مشهدَهُ، ويفلَّ بها حُجَجَ خصمه، بمُسكتاتِ حكمه، ويملك مجلس سلطانه بظاهر بيانه، أوَ يَسُرُّ أحدكم أن يكون لسانُه كلسان عبدهِ أَو أمَتهِ. فلا يزالُ الدهرَ أسيرَ كلمته. قاتل اللهُ الذي يقول[1]:

ألـم تَـرَ مفتـاحَ الفـؤادِ لسـانَـهُ   إذا هـو أبـدى مـا يقـولُ مـن الفـم
وكائنْ ترى من صاحبٍ لَكَ مُعجبٍ   زيـادتُـهُ أو نقصُـهُ فـي التكلُّـمِ
لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُهُ   فلم يبقَ إلا صورةُ اللحمِ والدَّمِ

2 ـ دخل أبو العلاء المنقري على المأمون، وكان أبو العلاء لحَّاناً، فقال له المأمون: بلغني أنك أميٌّ، وأنك لا تُقيمُ الشعرَ، وأنك تلحن في كلامك؟

فقال أبو العلاء: أما اللحن، فربما سبقني لساني بالشيء منه، وأما الأمية وكسر الشعر، فلقد كان رسول الله ﷺ أميّاً، وكان لا يُنشدُ الشعر.

فقال المأمون ممتعضاً: سألتك عن ثلاثة عيوب فيك، فزدتني رابعاً، وهو الجهل، يا جاهل! ذلك في النبيّ ﷺ فضيلة، وفيك وفي أمثالك نقيصة[2]. وقد أوضح المأمون أمية الرسول ﷺ بقوله: وإنما مُنع ذلك النبيّ ﷺ لنفي الظِّنَّة عنه، لا لعيب في الشعر والكتاب، وقد قال تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن

---

(1) بهجة المجالس 1/64 ـ 65، وانظر أعتاب الكتاب، ص 126، ولم يرد فيه الشعر.

(2) صبح الأعشى ـ القلقشندي 1/43 ط عالم الكتب، القاهرة.

﴿كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[1].

3 ـ وكتب ميمون بن إبراهيم عن إسحاق بن إبراهيم المصعبي، وكان في بلاد الروم، كتاباً إلى المأمون وذكر مالاً حمله إليه: (وهذا المالُ مالاً)، فخط المأمون على الوضع من الكتاب، ووقَّع بخطه في حاشيته: تكاتبني بلحنٍ! فجاء الرد: ما لحنتُ وما هو إلا صواب.

قال ابن قادم: فدعاني المأمون، فلما أردتُ الدخول تلقاني إبراهيم المصعبي فقال لي: ما تقول لأمير المؤمنين إذا سألك؟ قال: أقول له، الوجه ما قال أمير المؤمنين، وهذا جائز.

قال: ولما دخلت قال لي المأمون: ما تقول: (وهذا المالُ مالٌ) أو: (وهذا المالُ مالاً)؟ فقلت: الرفع أوجه، والنصب جائز. فقال المأمون: مُرّ، كلُّ شيء عندكم جائز؟! ثم قال لإسحاق المصعبي: اكتب له: لا تكتبَنَّ إليَّ كتاباً حتى تعرضه[2].

4 ـ وكان المأمون يحب في جليسه أن يكون فصيحاً عالماً باللغة والشعر والأدب، وكان يسأل عن أمثال هؤلاء، فقد سأل المأمون العباس بن الحسن عن رجل، فقال: رأيتُ له حلماً وأناةً، ولم أرَ سَفَهاً، وعجلةً، ووجدتُ له بياناً وإصابةً، ولم أرَ له لحناً ولا إحالةً، يجيء بالحديث على مطاويه، ويُنشد الشعرَ على مبانيه، ويروي الأخبارَ المتقنة، ويرمي إليكَ بالأمثال المحكمة[3].

5 ـ وكان الناس يعرفون عن المأمون علمه وحبه للفصاحة، وكان المأمون كما عرف عنه: من أعلى الخلفاء مكاناً وأوسعهم علماً[4].

---

(1) سورة العنكبوت، آية: 48، العقد الفريد 2/479.

(2) مجالس ثعلب ص 12، أعتاب الكتاب، ص 124 ـ 125.

(3) المصون في الأدب ـ الحسن بن عبدالله العسكري، ص 220، تحقيق عبد السلام هارون، ط الكويت 1960.

(4) صبح الأعشى 1/107.

وقيل إن رجلاً من أهل الشام أراد لقاء المأمون، فسأل رجلاً من أصحابه قائلاً: على أي جهة أصلح أن ألقى أمير المؤمنين؟ قال الرجل: على الفصاحة. قال: ليس عندي منها شيء، وإني لألحن في كلامي كثيراً. قال: فعليك بالرفع فإنه أكثر ما يُستعمل. فلما دخل هذا على المأمون قال: السلام عليك يا (أميرُ) المؤمنين، ورحمةُ الله وبركاته. (برفع أمير). فغضب المأمون وقال: يا غلام، اصفعْ، فصُفَع. فقال الرجل: بسمُ الله (بضم بسم). فازداد غضب المأمون، وقال: ويلك! مَنْ صَبَّكَ على الرفع؟ فقال الرجل: وكيف لا أرفعُ من رفعَ اللهُ؟! فضحك المأمون وقضى حاجته[1].

6 ـ وحضر أحد أصحاب علم الكلام مجلس المأمون، فسأله أحد الشعراء: ما سنُّك؟ فقال المتكلم: عظم. قال الشاعر: لم أرد هذا، ولكن كم تعدّ؟ قال المتكلم: من واحد إلى ألف ألف، وأزيد. قال الشاعر: لم أرد هذا، ولكن كم أتى عليك؟ قال المتكلم: لو أتى عليَّ شيء لأهلكني.

فضحك المأمون، فقيل له: كيف السؤال عن هذا؟ فقال: أن تقول: كم مضى من عمرك؟[2].

7 ـ وقد مرّ بنا في أول هذا الكلام حديث المأمون مع النضر بن شميل، واختلافهما حول ضبط كلمة سداد، فقد رواها المأمون بفتح السين ورواها النضر بكسر السين وما جرى من حوار بينهما في ذلك، وفيها دلالة على اهتمام المأمون بالفصاحة والحفاظ على اللغة[3].

8 ـ وفي مجلس من مجالس المأمون سأل المأمون جلساءه: ما جَهْدُ البَلاء؟ فقال عمرو بن مسعدة: طول الليالي الساهرة، من خوف ذي البَطْشَة القادرة. فقال المأمون: إن هذا الجَهْدَ لم يبلغ أن يكون كلَّ الجَهْد.

---

(1) المحاسن والمساوىء 2/ 159.

(2) بهجة المجالس 1/ 104، والمحاسن والمساوىء، ص 2/ 126.

(3) انظر: ص 275 ـ 276 من مجالس المأمون هذه.

فقال صالح العباسي: جهد البلاء زوال النعمة، وانتهاك الحُرمة والأمرُ الغُمَّة. فقال المأمون: إنَّ الأمرَ الغُمَّة لناهيكَ به.

فقال الحجاج بن خَيْثَمة: بل جَهْدُ البلاء، على مَنْ غضب عليه أمير المؤمنين، فلا تقبل له عذراً، ولا يعده صفحاً، فالأرض لا تَقِله، والسماء لا تُظِلُّه.

فقال ثمامة: جَهْدُ البلاء: جريُ حكم جاهل على عالم، فقال المأمون لثمامة: ينبغي أن يكون لحديثك قصة. فذكر ثمامة قصته فقال:

نعم، حبسني الرشيد، ووكل بي مسروراً (الكبير)، فمنعني النعاس وقرب الناس، ثم دخل عليَّ يوماً وهو يقرأ ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾، ويقرأ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذَّبِينَ﴾[1] بفتح الذال، فقلت له: لا تقل أيها الأمير هكذا، قال: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾، وكسرت الذال، لأن المكذَّبين هم الرسل، والمكذِّبين قومهم. فقال: قد قيل لي إنك قدريٌّ ولكنني لم أصدق إلى الآن. فلا نجوتَ مني. فعاينت يا أمير المؤمنين منه تلك الليلة الموت من شدة ما عذَّبني. فأيُّ جَهْد، يا أمير المؤمنين أجهد من هذا!؟ فقال المأمون: صدقتَ يا ابنَ معن[2].

9 ـ ومن حب المأمون للفصاحة وصحة الكلام، ما روي: أنه انفرد من عسكره، فمرَّ بحيٍّ من أحياء العرب، فنظر إلى صبي قائم يملأ قربة وهو يصيح: «يا أبتِ أدرك فاها، فقد غلبني فوها، لا طاقة لي بفيها»، فعجب المأمون من فصاحته على صغيره، فقال للصبي: من أنت بارك الله فيك؟ فتسمى له: ثم قال الصبي: من أنت؟ فقال المأمون: من بني آدم. فقال الصبي: صدقت، فمن أيِّ بني

---

(1) سورة المرسلات، آية: 19.

(2) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ـ الثعالبي النيسابوري ص 668، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار النهضة، مصر 1965، وشرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد 318/5، تحقيق الشيخ حسن تميم، ط دار مكتبة الحياة، بيروت 1963.

آدم؟ قال المأمون: من خيارهم. قال: فأنت من العرب إذاً، فمن أيها؟ قال: من خيارهم. قال: فمن مضر إذاً، فمن أيها؟ قال المأمون: من خيارهم. قال الصبي: فمن قريش ورب الكعبة، فمن أيهم؟ قال المأمون: من خيارهم. قال الصبي: فمن بني هاشم والله، فمن أيهم؟ قال المأمون: أنا ممن تحسده بنو هاشم كلها. فتباعد الصبي عن المأمون وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

قال المأمون: فأعجبني والله ذكاؤه، فقلت له: أيُّما أحبُّ إليك، مائة دينار معجلة، أو عشرة آلاف درهم مؤجلة. قال الصبي: لست أبيع عاجلاً بآجل.

قال المأمون: فبينما نحن كذلك إذ خرج شيخ ضعيف من البيت، فحاولت أخذ الصبي، فقال الشيخ: أنا شيخ فان، وله والده مثلي في الكبر والضعف، وما لنا جميعاً سواه، فلا تحرمناه. فأمرتُ له بمائة دينار وانصرفت[1].

10 ـ وكان المأمون يحب الكلام البليغ، ويعجب بالرسائل التي تتميز بأسلوب فيه فصاحة وبيان، فمن ذلك ما قاله أحمد بن يوسف: دخلت على المأمون، وفي يده كتاب، يعجب به، كتبه إليه عمرو، وهو يعاود قراءتَه مرة بعد مر، ويصعِّد فيه بصره ويصوِّبه، فالتفت إليَّ وقد لحظني في أثناء قراءته الكتاب، فقال: أراك مفكراً فيما تراه مني! فقلت: نعم، وقَّى الله أميرَ المؤمنين المكروه.

قال: لا مكروه إن شاء الله، ولكني قرأت كتاباً وجدته نظير ما سمعتُ الرشيد يقوله عن البلاغة، فإني سمعته يقول: «البلاغة التباعد عن الإطالة، والتقرب من البُغْية، والدلالة بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى». وما كنت أتوهم أن أحداً يقدر على هذه البلاغة، حتى قرأت هذا الكتاب من عمرو بن مسعدة إلينا، فإذا فيه: «كتابي إلى أمير المؤمنين، ومن قِبَلي من الأجناد والقواد في الطاعة والانقياد، على أحسن ما تكون عليه الطاعة، جند تأخرت أعطياتهم، واختلت

---

(1) المستجاد من فعلات الأجواد ـ التنوخي 262 ـ 264، تحقيق: محمد كردعلي، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق 1946.

أحوالهم»[1].

11 ـ ويحب المأمون في الكتب أن تكون موجزة، الإيجاز البليغ، بعيدة عن الإطناب، يروى أنه كان يقول: ما أعْجَبُ بكلام أحد، كإعجابي بكتاب القاسم بن عيسى، فإنه: يوجز في غير عجز، ويصيب مفاصل الكلام، ولا تدعوه المقدرة إلى الإطناب، ولا تميل به الغزارة إلى الإسهاب. يُجْلي عن مراده في كتابه، ويُصيب المغزى في ألفاظه[2].

12 ـ وكما كان المأمون يحب الإيجاز في غير إخلال، فإنه يحب أن يؤتى بالفصل والوصل في مكانه الصحيح، قال العسكري: وفصَّل المأمون عند «حتى» كيف وقعت، وأمر كُتَّابَه بذلك، فغلط أحمد بن يوسف، ووصل «حتى» بما قبلها من اللفظ. ولما عرض الكتاب على المأمون، أمر بإحضاره، فقال له: «لعن الله هذه القلوب التي أكَنَّتْ العلوم بزعمكم، واجتنت لطائف الحكمة بدعواكم، قد شغلتموها باستطراف ما عزب عنكم علمه عن تفهم ما رويتموه، وتفحص ما جمعتموه، وتعرف ما استفدتموه، أليس قد تقدمنا إليكم بالفصل عند «حتى» حيثما وقعت من الألفاظ. فقال: يا أمير المؤمنين، قد ينبو السيفُ وهو صميم، ويكبو الجوادُ وهو كريم.

وكان لا يعود في شيء من ذلك، وكان يأمر كتابه بالفصل بين بل، وبلى، وليس[3].

وقال المأمون: ما أتفحَّصُ من رجلٍ شيئاً كتفحصي عن الفصل والوصل في كتابه، والتخلص من المعقود إلى المحلول، فإن لكل شيء جمالاً وحِلْيَةً، وحِلية الكتاب وجمالُه إيقاع الفصل موقعه، وشحذ الفكرة وإحالتها في لُطْف التخلص من

---

(1) زهر الآداب ـ الحصري، ص 836 ـ 837، والمحاسن والمساوىء 2/194.

(2) كتاب الصناعتين ـ أبو هلال العسكري ص 460، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1952.

(3) كتاب الصناعتين، ص 461.

المعقود إلى المحلول[1].

13 ـ ومما يتعلق بالوصل والفصل في مجلس المأمون، أنه سأل يحيى بن أكثم: هل تغديت اليوم؟ فقال ابن أكثم: لا، وأيّد الله أمير المؤمنين. فسُرَّ المأمون، وقال: ما أظرف هذه الواو، وأحسن موقعها![2].

ونقل عن المبرد أنه قال: سأل المأمون أبا محمد يحيى بن المبارك عن شيء فقال له: لا، وجعلني الله فداك يا أمير المؤمنين. فقال له المأمون: لله دَرُّك، ما وُضِعَتْ واوٌ قط موضعاً أحسن من موضعها من لفظك[3].

---

(1) كتاب الصناعتين، ص 462.
(2) ثمار القلوب، ص 611.
(3) الرسالة العذراء ـ إبراهيم بن المدبر، ص 13، تحقيق: زكي مبارك، ط دار الكتب المصرية، القاهرة 1931.

3 ـ مجالس المأمون في الأنس والطرب:

1 ـ وكانت مجالس المأمون كبقية مجالس الخلفاء، لا تخلو من الأنس والطرب والغناء وذكر الخمر وأوصاف الجواري، ومن ولع المأمون بهذه المجالس الخاصة أنه زيَّن صدر مجلسه كما نقل الوشاء[1] عن أبي جعفر القارىء عن بعض شيوخه أنه قرأ في صدر مجلس لأمير المؤمنين المأمون:

صِلْ مَنْ هَويتَ ودَعْ مقالةَ حاسدٍ ليس الحسودُ على الهوى بمساعدِ
لم يخْلُقِ الرحمنُ أحسنَ منظراً من عاشقَيْنِ على فِراشٍ واحدِ
مُتَعانقَيْنِ عليهما أزْرُ الهوى مُتَوَسِّدَيْنِ بِمعْصَمٍ وبساعِدِ
يا مَنْ يلومُ على الهوى أهلَ الهوى هل تستطيعُ صلاحَ قلبٍ فاسدِ

ونثر المأمون أشعار الغزل في مجلسه فزين بها أوانيه وسُتره، وحتى أجساد جواريه، روى العباس بن الفضل بن الربيع أن أباه رأى على صينية بين يدي المأمون مكتوباً فيها[2]:

لا شيءَ أملحُ من أيامِ مجلسِنا إذ نجعلُ الرُّسْلَ فيما بيننا الحَدَقا
وإذ جوانِحُنا تُبْدي سَرائرَنا وشَكْلُنا في الهوى تلقاهُ مُتَّفِقا
ليتَ الوشاةَ بنا والعاشقينَ لنا في لُجَّةِ البحرِ ماتوا كلُّهم غَرَقا
أوليتَ مَنْ ذَمَّنا أو عابَ مجلِسَنا شُبَّتْ عليهِ ضِرامُ النارِ فاحْتَرَقا

وقال الماوردي: رأيتُ على راحة (قائدَ) جايرة لبعض جواري المأمون اليمنى

(1) الظرف والظرفاء أو الموشى ـ الوشاء، ص 337، تحقيق: فهمي سعد، ط عالم الكتب، بيروت 1985.
(2) الظرف والظرفاء، ص 352.

بالحناء[1]:

فـديْتُـكَ قـد جُبِلْـتُ على هـواكـا   فقلبـي مـا يُنـازِعُنـي سِـواكـا

وعلى اليسرى:

أحِبُّـكَ لا ببَعضـي بـلْ بكُلِّـي   وإنْ لـم يُبْـقِ حُبُّـك بـي حِـراكـا

2 ـ مع ثمامة بن الأشرس في حد العشق:

تحاور المأمون في مجلسه مع يحيى بن أكثم قاضي القضاة، وثمامة بن أشرس في معنى العشق والهوى، فقال ليحيى: خبرني عن حد العشق. فقال يحيى: يا أمير المؤمنين، سوانح تسنح للعاشق يؤثرها ويهيم بها، تسمَّى عشقاً.

فقال ثمامة: اسكت يا يحيى، فإنما عليك أن تجيب في مسألة من الفقه، وهذه صناعتنا.

فقال المأمون: أجب يا ثمامة، فقال ثمامة: يا أمير المؤمنين، إذا تقادَحَتْ جواهر النفوس المتقاطعة، بوصل المشاكلة، أثقبت لمح نور ساطع تستضيء به بواطن العقل، فتهتز لإشراقه طبائع الحياة، ويتصور من ذلك اللُّمح نورٌ حاضرٌ بالنفس، متصلٌ بجوهرها فيسمَّى عشقاً[2]. ثم قال مستطرداً: العشقُ جليس ممتعٌ، وأليفٌ مؤنسٌ، وصاحبُ ملكٍ، مسالكُهُ لطيفةٌ، ومذاهُبه غامضة، وأحكامُه جارية. ملك الأبدان وأرواحها، والقلوبَ وخواطرها، والعقول وآراءها، قد أعطِيَ عنان طاعتها، وقوة تصرفها، تواريْ عن الأبصار مَدْخله، وعمي عن القلوب مَسْلكُه.

فأعجب المأمون بقوله، فقال: أحسنت يا ثمامة. وأمر له بألف دينار[3]. وأنشأ يقول[4]:

---

(1) الظرف والظرفاء، ص 343.

(2) بهجة المجالس ـ القرطبي 1/815 ـ 816.

(3) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ـ ابن قيم الجوزية، ص 139، تحقيق: أحمد عبيد، ط السعادة، مصر 156.

(4) روضة المحبين، ص 187.

مَلَكَ الثلاثُ الآنساتُ عناني　　وحَلَلْنَ من قلبي بكُلِّ مكانِ
ما لِي تُطاوعُني البَريَّةُ كُلُّها　　وأطيعُهُنَّ وهُنَّ في عصياني
ما ذاكَ إلا أنَّ سُلْطانَ الهوى　　وبهِ قَوِيْنَ أعزُّ من سُلطانِ

ثم قال: النساء شرٌّ كلُّهُنَّ، وشرُّ ما فيهنَّ قِلَّةُ الاستغناءِ عنهنَّ[1].

وأنشد[2]:

ما الحبُّ إلا نظرةٌ　　وغمز كفٍّ وعَضُدْ
أو كُتُبٌ فيها رُقَى　　أجلُّ من نَفْثِ العُقَدْ
ما الحبُّ إلا هكذا　　إنْ نُكِحَ الحُبُّ فَسَدْ
مَنْ كان هذا حبَّهُ　　فإنَّما يبغي الوَلَدْ

وكان بين المأمون وجواريه مداعبات ومكاتبات، فقد وعد جارية أن يبيت عندها، وأخلفها الوعد، فكتبت إليه:

أرقَتْ عيني ونامتْ　　عينُ مَنْ هُنْتُ عليهِ
إنَّ نفسي فاعْذُرَنْها　　أصبحتْ في راحَتَيْهِ
رَحِمَ الله رحيماً　　دَلَّ عيْنَيَّ عليهِ

فلما قرأ رقعتها ضحِكَ ولم يبت ليلتَهُ إلا عندها[3].

وكان المأمون يقول الشعر في جواريه ويغازلهن ويعاتبهن وهنَّ يتمنعنن فيسترضيهن، فقد عتب على جارية من جواريه، وكان كَلِفاً بها، فأعرض عنها وأعرضت عنه، ثم أسلمه الهوى وأقلقه الشوق، فأرسل يطلب مراجعتها، وأبطأ عليه الرسول، فلما رجع أنشأ يقول[4]:

بعثْتُكَ مُرتاداً ففُزْتَ بنظرةٍ　　وأغفَلْتَني حتى أسأتُ بك الظَنَّا

---

(1) بهجة المجالس 2/45، قال: وقد روي هذا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.
(2) روضة المحبين، ص 81 ـ 82.
(3) العقد الفريد 6/408.
(4) العقد الفريد 6/408 ـ 409، أنوار الربيع ـ المدني 6/304.

ونـاجَيْتَ مَـنْ أهـوى وكنتُ مُقَرَّبـاً | فيا ليتَ شعري عن دُنُوِّكَ ما أغنى
ونزَّهْتَ طَرْفاً من محاسِنِ وجْهِها | ومتَّعْـتَ بـاستطـرافِ نغمتِهـا أذْنـا
أرى أثـراً منهـا بعَيْنَيْـكَ لـم يكـنْ | لقد سرَقَتْ عيناكَ من وجْهِها حُسْنا
فيـا ليتنـي كنـتُ الـرسـولَ وكُنْتَنـي | وكنْتَ الذي يُقْصَى وكنتُ أَنا المُدْنَي

ثم ذهب المأمون إليها يسترضيها، فسلم عليها، فلم ترد عليه السلام، وكلَّمها فلم تُجِبْهُ، فأنشأ يقول[1]:

تكَلَّـمْ ليـس يـوجِعُـكَ الكـلامُ | ولا يُـؤذي محـاسِنَـكَ السـلامُ
أنـا المـأمـونُ والملـكُ الهُمـامُ | ولكنـــي بحُبِّـــكَ مُسْتهـــامُ
يحـــقُّ عليـــكِ أنْ لا تقتلينـــي | فيبقـى النـاسُ ليـس لهـم إمـامُ

3 ـ وفي أحد مجالسه سأل المأمون محمد بن أبي محمد اليزيدي أن يقول شعراً في نحو هذين البيتين[2]:

صحيـحٌ يـوَدُّ السُّقْمَ كيمـا تعـودَهُ | وإنْ لم تعُدْهُ عادَ منها رسولُها
ليعلَـمَ هـل تـرتـاعُ عنـد شَكـاتِـهِ | كما قد يروعُ المُشْفِقاتِ خليلُها

قال: قلت:

صحيـحٌ ودَّ لـو أمســى عليــلاً | لتكتُـبَ أو يَـرَى منكـم رسـولا
رآكَ تســومُــهُ الهِجْـرانَ حتَّــى | إذا مـا اعتَـلَّ كنـتَ لـه وَصـولا
فـوَدَّ ضَنَـى الحيـاةِ وصْـلِ يـومٍ | يكـونُ علـى هـواكَ لـه دليـلا
همـا مـوتـانِ مـوتُ هـوىً وهَجْرٍ | ومـوتُ الهجـرِ شـرُّهمـا سبيـلا

قال: فأمر لي بعشرة آلاف دينار[3].

4 ـ وفي أحد مجالس شرب المأمون، قال محمد بن أبي محمد اليزيدي

(1) السابق والصفحة.
(2) الأغاني 263/20، ط دار الكتب العلمية.
(3) الأغاني 263/20.

دخلت على المأمون وهو يشرب، وعنده عَرِيب ومحمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر يغنيانه، فقال المأمون: أطعموا محمداً شيئاً، فقلت: قد بدأت بذلك في دار أمير المؤمنين، فقال: أما ترى كيف عَتَق هذا الشراب حتى لم يبقَ إلا أقلُّه، ما أحسنُ ما قيل في قديم الشراب؟ فقلت قول الحَكَمي(1):

عُتِّقَتْ حتى لو اتصَلَتْ بلسانٍ ناطقٍ وفَمِ

لاحْتبَتْ في القومِ مائِلَةً ثم قَصَّت قِصَّةَ الأمَمِ

فقال: هذا كان في نفسي، ثم قال: اسقوا محمداً رطلين، واعطوه عشرين ألف درهم، ثم نكت في الأرض ورفع رأسه، ثم قال، يا محمد:

إنِّي وأنتَ رضيعا قهوةٍ لطفتْ عن العِيانِ ودقَّتْ عن مدى الفَهِمِ

لن نرتَضِعْ غيرَ كأس دَرُّها ذَهَبٌ والكأسُ حُرْمتُها أولى من الرَّحِمِ

قال: والشعر له قاله في ذلك الوقت(2).

5 ـ وكانت مجالس المأمون لا تخلو من الفكاهة والنوادر والغزل، فقد حضر إبراهيم بن المهدي عمُّ المأمون، مجلسَ المأمون، وكان إبراهيم أثجل البطن، كثير اللحم والشحم، فقال له المأمون: بالله يا عمّ، عَشِقْتَ قط؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، وأنا الساعة عاشقٌ، قال: وأنت على هذه الجثَّة والشحم الكثير! ثم أنشأ المأمون يقول(3):

وجهُ الذي يعشَقُ معروفُ لأنه أصفرُ مَنْحوفُ

ليس كمن أمسى له جثَّةٌ كأنَّهُ للذبْحِ معلوفُ

فأجابه إبراهيم بن المهدي:

وقائلٍ لستَ بالمُحِبِّ ولو كُنْتَ مُحبّاً لذُبْتَ مُذْ زَمَنِ

---

(1) الحكمي هو أبو نواس والبيتان في ديوانه، ص 41.

(2) الأغاني 20/264.

(3) الظرف والظرفاء، ص 126.

فقلتُ قلبي مُكاتِمٌ بَدَني حُبِّي فالحُبُّ فيه مُخْتَزَنُ
أحَبَّ قلبي وما درى بدني ولو درى لم يُقِمْ به السَّمَنُ

قيل: وقول إبراهيم: أحب قلبي وما درى بدني، مُحال، لا يعلقُ القلبُ، فيسلمَ الجسم، ولكنَّه لاستحيائه قد احتج بحجَّةٍ ضعيفة[1].

(1) الظرف والظرفاء، ص 126 ـ 127.

4 ـ مجالس المأمون بين العفو والانتقام:

1 ـ العفـو:

لما نشب الخلاف بين الأمين والمأمون، اغتنم إبراهيم بن المهدي عمُّ المأمون هذه الفرصة، فدعا إلى نفسه، وبايعه كثيرون ببغداد، فلما انتصر المأمون وقدم بغداد طلبه المأمون، وأهدر دمه، فاستتر ست سنين، ثم جاءه مستسلماً، فسجنه ستة أشهر، فاعتذر إليه وعفا المأمون عنه، ويروي الجاحظ قصة حضوره إلى مجلس المأمون واعتذاره.

قال الجاحظ: أرسل إليَّ ثُمامة بن أشرس، يومَ جلس المأمون لإبراهيم بن المهدي، وأمر بإحضار الناس على مراتبهم، فحضروا، فجيء بإبراهيم يحجلُ في قيوده، فوقف على طرف الإيوان وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال له المأمون: لا سلَّم الله عليك ولا حفظك ولا رعاك ولا كلأك يا إبراهيم.

فقال له إبراهيم: على رِسْلك يا أمير المؤمنين، فقد أصبحتَ وليَّ ثأري، والقدرة تُذْهِبُ الحفيظة، ومَنْ مَدَّ له الاغترارُ في الأمل، هجمت به الأناةُ على التلف، وقد أصبح ذنبي فوق كل ذنب، كما أنَّ عفوك فوق كلِّ عفو، فإنْ تعاقبْ فبحقك، وإنْ تعفُ فبفضلك.

فأطرق المأمون ملياً ثم قال: إن هذين أشارا عليَّ بقتلك، فالتفت فإذا المعتصم والعباس بن المأمون، فقال: يا أمير المؤمنين، أمَّا حقيقة الرأي في معظم تدبير الخلافة والسياسة، فقد أشارا عليك به، وما غشَّاك إذا كان ما كان مني، ولكنَّ الله عوَّدك من العفو عادة جريْتَ عليها، دافعاً ما تخاف بما ترجو، فكفاك الله.

فتبسم المأمون، وأقبل على ثُمامة، ثم قال: إنَّ من الكلام ما يفوق الدرَّ ويغلبُ

السِّحْرَ، وإنَّ كلام عمِّي منه، أطلقوا عن عمِّي حديدَه وردُّوه إليَّ مُكَرَّماً. فلما رُدَّ إليه قال: يا عمِّ، صِرْ إلى المنادمة، وارجع إلى الأنس، فلن ترى منِّي أبداً إلا ما تحب[1].

فلما كان من الغد، بعث إبراهيم إلى المأمون بدرج فيه:

يا خيرَ من ذَمَلَتْ يمانيةٌ به	بعد الرسولِ لآيسٍ أو طامعِ
وأَبَرَّ من عبد الإلهَ على الهدى	نفساً وأحكمه بحقٍّ صادعِ
قسماً وما أدلي إليكَ بحجَّةٍ	إلا التضرُّعَ من مُحِبٍّ خاشعِ
ما إن عصيتُكَ والغُواةُ تُمدُّني	أسبابها إلا بنيَّةِ طائعِ
حتى إذا عَلِقَتْ حبائلُ شقوتي	بِرَدًى على حُفَرِ المهالكِ هائعِ[2]
لم أدرِ أنَّ لمثلِ ذنبي غافراً	فأَقمتُ أرقُبُ أيَّ حَتْفٍ صارعي
رَدَّ الحياةَ إليَّ بعدَ ذَهابِها	وَرَعُ الإمام القاهرِ المتواضعِ
أحياكَ مَنْ وَلاَّكَ أطولَ مُدَّةٍ	ورمَى عدوَّكَ في الوتينِ بقاطعِ
إنَّ الذي قسَمَ الفضائلَ حازها	في صُلبِ آدمَ للإمام السابعِ

إلى آخر القصيدة، وهي طويلة[3].

قيل: فبكى المأمون ثم قال: عليَّ به، فأُتيَ به فخلع عليه وحمله وأمر له بخمسة آلاف دينار. وفي رواية الطبري[4] أن المأمون قال: أقول ما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[5]، ثم تمثل المأمون[6]:

فلئن عفوتُ لأعْفُونْ جَلَلاً	ولئنْ سطَوْتُ لأوهِنَنْ عَظْمِي
قومي هُمُ قتلوا أُمَيْمَ أخي	فإذا رميتُ أصابني سَهْمي

---

(1) الأغاني 10/144 ـ 145.

(2) الهائع: المنتشر.

(3) راجع الأغاني 10/145 ـ 146 ط دار الكتب العلمية، وتاريخ الطبري 8/604.

(4) الطبري 8/606.

(5) سورة يوسف، آية: 92.

(6) الأغاني 10/146.

وعفا عنه المأمون وأكرمه ورده إلى مجلسه، ثم صار إبراهيم يمدح المأمون ويذكر عفوه وكرمه ومِنَّتَه عليه فمما قال[1]:

البِرُّ بي منكَ وطَّا العُذْرَ عندك لي — دونَ اعتذاري فلم تَعْذِلْ ولم تَلُمِ
وقام علمُكَ بي فاحتيجَ عندك لي — مقـامَ شـاهِـدِ عَـدْلٍ غيـرِ مُتَّهَـمِ
ردَدْتَ مالي ولم تَمْنُنْ عليَّ به — وقبلَ رَدِّكَ مالي قد حَقَنْتَ دَمي
تعفو بعَدْلٍ وتسطو إنْ سطوتَ به — فـلا عَـدِمْنـاكَ مـن عـافٍ ومُنْتَقِـمِ
فبُـؤْتُ منـكَ وقـد كـافـأتهـا بيـدٍ — هي الحياتانِ من موتٍ ومن عَدَمِ

فقال المأمون: اجلس يا عمّ آمناً مطمئناً، فلن ترى أبداً مني ما تكره، إلا أن تُحْدِثَ حَدَثاً أو تتغيَّر عن طاعة، وأرجو ألا يكون ذلك منك إن شاء الله.

وهكذا عفا المأمون عن عمه إبراهيم بن المهدي، وأكرمه واحتفى به في مجلسه.

2 ـ الانتقـام:

أما الانتقام فكان في أمر علي بن جبلة المعروف بالعكوَّك، وهو شاعر ضرير من أبناء الشيعة الخراسانية من أهل بغداد، وهو شاعر مطبوع عذب اللفظ جزله، لطيف المعاني، واستنفد شعره في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي[2]، وكان المأمون لا يحب أن يسمع في مجلسه مدحاً لقواده أو ولاته، وقد غاظه أن يمدح علي بن جبلة أبا دلف بقصيدة رائعة فيها مديح جاوز الحد وجعله خير الناس.

وقيل إن المأمون قال يوماً لبعض جلسائه: أقسم على مَنْ حضر ممن يحفظ قصيدة علي بن جَبَلة الأعمى في القاسم بن عيسى، إلا أنشدنيها، فقال له بعض الجلساء: قد أقسم أمير المؤمنين، ولا بدّ من إبرار قسمه، وما أحفظها، ولكنها

---

(1) الأغاني 10/147.
(2) ترجمته في الأغاني 20/20 ـ 50.

مكتوبة عندي. قال: قم فجئني بها، فمضى وأتاه بها، فأنشده إياها، وهي طويلة، فمما جاء فيها[1]:

ذادَ وِرْدُ الغـيِّ عـن صـدَرهْ ... وارعـوى واللهـو مـن وَطَـرِهْ
وأبـت إلا البكـاءَ لـه ... ضحكـات الشيب في شعـرهْ
نـدمي أن الشبـاب مضـى ... لـم أبلِّغْـهُ مـدى أشَـرِهْ

وفيها يقول:

وامتـدح مـن وائـلٍ رجـلاً ... عَصَـرُ الآفـاقِ فـي عَصَـرِهْ[2]
المنـايـا فـي منـاقبـه ... والعطـايـا فـي ذُرى حُجَـرِهْ
ملـك تنـدى أنـامِلُـهُ ... كـانبـلاج النَّـوءِ مـن مطـره
مستهِـلٌ عـن مـواهبـه ... كـابتسـام الـروضِ عـن زَهَـرِهْ
جَبَـلٌ عَـزَّتْ منـاكِبُـهُ ... أمِنَـتْ عـدنـانُ فـي ثَغَـرِهْ
إنَّمـا الـدنيـا أبـو دُلَـفٍ ... بيـنَ مَبْـداهُ ومُحْتَضَـرِهْ
فـإذا ولَّـى أبـو دُلَـفٍ ... وَلَّـتِ الـدنيـا علـى أثَـرِهْ
لسـتُ أدري مـا أقـولُ لـه ... غيـرَ أنَّ الأرضَ فـي خَفَـرِهْ
يـا دواءَ الأرضِ إنْ فَسَـدَتْ ... ومُـدِيـلَ اليُسْـرِ مـن عُسَـرِهْ
كـلُّ مَـنْ في الأرضِ من عَرَبٍ ... بينَ بـاديـهِ إلـى حَضَـرِهْ
مستعيـرُ منـكَ مكـرُمـةً ... يكتسيهـا يـومَ مُفْتَخَـرِهْ

فاستشاط المأمون واغتاظ، وقال: «لستُ لأبي إنْ لم أقطع لسانه أو أسفك دمه»[3]، وقال: «ويلي على ابن الفاعلة، يزعم أنَّا لا نعرف مكرمة إلا مستعارة من أبي دلف»[4]، وقال: اطلبوه حيث كان، فهرب الشاعر إلى الجزيرة، وقيل: جيءَ

---

(1) الأغاني 20/25 ـ 27.
(2) العصر: المنجاة والملجأ.
(3) الأغاني 20/27.
(4) طبقات الشعراء ـ ابن المعتز، ص 172

به، فلما صار بين يديه قال: يا ابن اللخناء، أنت القائل للقاسم بن عيسى:

كل من في الأرض من عرب بيـــن بـــاديـــه ومحتضـــره
مستعيـــر منـــك مكـــرمـــةً يكتسيهـــا يـــوم مفتخـــرهْ

فقال ابن جبلة: يا أمير المؤمنين، عنيتُ أشكالَ قاسم وأشباهَهُ من الناس، فأما أنتم، فقد أتاكم الله بالفضل عن سائر عباده، لأنه اختصكم بالفضل والنبوّة والكتاب والحكمة، وجمع لكم إلى ذلك الخلافة والصلاة والمُلْك[1]، فقيل عفا عنه، وقيل قتله، وقال قبل أن يقتله: «أما أني لا أستحل دمك بهذا القول، ولكن أستحله بكفرك وجُرأتك على الله، إذ تقول في عبد مَهين، تسوي بينه وبين رب العالمين، حين تقول:

أنـتَ الـذي تنـزل الأيـام منـزلّهـا وتنقلُ الدهرَ من حالٍ إلى حالِ
وما مددتَ مدى طرفٍ إلى أحدٍ إلا قضيـــتَ بـــأرزاقٍ وآجـــالِ

ثم أمر فأخرج لسانه من قفاه، ثم قتله[2].

ولا شك أن الغيرة والحسد في أن يقال هذا الشعر في غيره من قواده، هما السبب في قتل الشاعر، والمأمون يعلم أن الشعر يُبْنَى على المبالغة فليس فيه كفر، وإذا قسنا على هذا يكون كل شعر المديح في كل العصور كفراً، لأنه يجعل الأرزاق بيـد الحاكمين، وما الأرزاق والحيـاة والموت، إلا بيد الله سبحانه وتعالى.

وكان علي بن جبلة قد مدح أبا دلف العجلي بعد قتله الصعلوك المعروف بقرقور، وكان من أشد الناس بأساً وأعظمهم، فكان يقطع هو وغلمانه على القوافل وعلى القرى، وعلى أثر ذلك مدحه ابن جبلة بهذه القصيدة الرائعة، فأعطاه مائة ألف درهم، وكان أبو دلف قد ندم على أن لم يعطه مائة ألف دينار، قيل: بينما أبو دلف يسير مع أخيه معقل ـ وهما إذ ذاك بالعراق ـ إذ مرَّا بامرأتين تتماشيان، فقالت

(1) طبقات ابن المعتز، ص 172.
(2) طبقات ابن المعتز، ص 172، الأغاني 20/49.

إحداهُما لصاحبتها: هذا أبو دُلَف، قالت: ومَنْ أبو دلف؟ قالت: الذي يقول فيه الشاعر:

إنمـا الـدنيـا أبـو دُلَـفٍ بيـنَ بـاديـهِ ومحتَضَـرِهْ
فـإذا ولَّـى أبـو دُلَـفٍ ولَّـتِ الـدنيـا علـى أثَـرِهْ

قال: فاستعبرَ أبو دلف حتى جرى دمعه، وقال له معقل: ما لك يا أخي تبكي؟ قال: لأني لم أقضِ حقَّ علي بن جبلة. قال: أوَلم تعطه مائة ألف درهم لهذه القصيدة؟ قال: والله يا أخي ما في قلبي حسرة تقارب حسرتي على أني لم أكن أعطيته مائة ألف دينار، والله لو فعلت ذلك لما كنت قاضياً حقه[1].

وظل في نفس المأمون شيء من غضب على الشاعر وعلى الممدوح، الذي أقصاه عن مجلسه، ثم عفا عنه، ولكنه كان يقول له: أنت الذي يقول فيك ابن جبلة: (أنما الدنا أبو دلفٍ؟) قال أبو دلف معتذراً ومبرراً غلو الشاعر: يا أمير المؤمنين، شهادة زور وكذب شاعر، ومَلَقُ مُسْتَجْدٍ، ولكني الذي يقول فيه ابن أخيه:

ذريني أجوب الأرضَ في طلَبِ الغِنى فما الكَرْجُ بالدنيا ولا الناسُ قاسمُ[2]

ولكن هل زال الحسد والغيرة من نفس المأمون على أبي دلف؟ لست أدري، ولا أظن أحداً يدري!!.

---

(1) الأغاني 20/29.
(2) العقد الفريد 2/166. والكرج: منزل أبي دلف العجلي.



الفصل الرابع

مجلس المأمون

في قضية القول بخلق القرآن



مجلس المأمون في قضية القول بخلق القرآن

مجلس مناظرة بين عبد العزيز الكناني وبشر المريسي في مجلس المأمون

ومما يلحق بالمآخذ التي أخذت على المأمون وهو الخليفة العالم العاقل، هي امتحان الناس بقضية القول بخلق القرآن، هل هو قديم أم مخلوق؟.

ففي سنة 218 هـ كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم ببغداد ـ وكان المأمون بالرقة ـ في امتحان القضاة والشهود والمحدثين بالقرآن، فمن أقرَّ أنه مخلوق مُحْدَث خلَّى سبيله، ومن أبى أعلمه به ليأمره فيه برأيه، وطوَّل كتابه بإقامة الدليل على خلق القرآن، وترك الاستعانة بمن امتنع عن القول بذلك، وكان الكتاب في ربيع الأول، وأمره بإنفاذ أشخاص، منهم: محمد بن سعد كاتب الواقدي، وأبو مسلم مستملي يزيد بن هارون، ويحيى بن معين، وأبو خيثمة زهير بن حرب، وإسماعيل بن داود، وإسماعيل بن أبي مسعود، وأحمد بن الدورقي، فأشخصوا إليه، فسألهم وامتحنهم عن القرآن، فأجابوا جميعاً أن القرآن مخلوق، فأعادهم إلى بغداد، فأحضرهم إسحاق بن إبراهيم داره وشهر قولهم بحضرة المشايخ من أهل الحديث، فأقروا بذلك فخلَّى سبيلهم، وامتحن القضاة والمحدثين، فأجاب القوم كلهم بأن القرآن مخلوق، إلا أربعة نفر منهم: أحمد بن حنبل، وسجَّادة، والقواريري، ومحمد بن نوح المضروب، فأمر بهم إسحاق بن إبراهيم فشدوا في الحديد[1].

---

(1) انظر: المحنة وأخبارها وكتب المأمون ومن قُتل وجُلد ونزل به العذاب في: تاريخ الطبري 8/631 ـ 645، والكامل لابن الأثير 6/3 ـ 6، حوادث سنة 218، وكتاب المحن ـ لأبي العرب التميمي ص 433 ـ 452.

إلا أن محاكمة هؤلاء المبتلين لم تجرِ على شكل مجلس بحضور المأمون إلا في القليل، ولكن أهم مناظرة جرت في مجلس المأمون وشارك فيها الخليفة هي مناظرة عبد العزيز بن يحيى الكناني مع بشر المريسي في مجلس المأمون وقد حواها كاملة كتاب الحيدة الذي ننقل المجلس عنه بنصه[1].

قال عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكناني[2]:

اتصل بي وأنا بمكة ما قد أظهره بشر بن غياث المريسي[3] ببغداد، من القول بخلق القرآن وغيره، ودعاية الناس إلى موافقته على قوله ومذهبه، وتشبيهه على أمير المؤمنين المأمون وعامة أوليائه، وما قد وقع في الناس من المحنة والأخذ في الدخول في الكفر والضلالة، ورهبة الناس وتخوفهم من مناظرته، وإحجامهم عن الرد عليه بما يكسر به قوله، وتدحض به حجته، ويبطل به مذهبه، واستتار المؤمنين في بيوتهم، وانقطاعهم عن الصلاة في الجماعات والجمعات، وهربهم من بلد إلى بلد خوفاً على أنفسهم وأديانهم، وكثرة موافقة الجهال والرعاع من الناس على كفره وضلالته، والدخول على بدعته والانتحال بمذهبه، رغبة في

---

(1) الحيدة للإمام عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكناني المكي المتوفّى سنة 240 هـ، ص 7 ـ 66، منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة الثالثة 1405 هـ.

(2) عبد العزيز بن يحيى الكناني: فقيه مناظر، كان من تلاميذ الإمام الشافعي، يلقب بالغول لدمامته، قدم بغداد في أيام المأمون، فجرت بينه وبين بِشْر المريسي مناظرة في القرآن، توفي سنة 240 هـ. تهذيب التهذيب 6/363، دول الإسلام 1/113، مفتاح السعادة 2/163، ميزان الاعتدال 2/141، الأعلام 4/29.

(3) بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمن المريسي، العَدَوي بالولاء، فقيه معتزلي عارف بالفلسفة، يرمى بالزندقة، وهو رأس الطائفة المريسية القائلة بالإرجاء، أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف، وقال برأى الجهمية، وأذى في دولة هارون الرشيد، وكان جده مولى ليزيد بن الخطاب. وقيل: كانه أبوه يهودياً، وهو من أهل بغداد ينسب إلى (درب المريس) فيها، عاش نحو سبعين عاماً، كان قصيراً دميم المنظر وسخ الثياب وافر الشعر كبير الرأس والأذنين. له تصانيف، وللدارمي كتاب (النقض على بشر المريسي) في الرد على مذهبه. توفي المريسي سنة 218 هـ. النجوم الزاهرة 2/228، وفيات الأعيان 1/91، تاريخ بغداد 7/56، لسان الميزان 2/29، ميزان الاعتدال 1/150، الأعلام 2/55.

الدنيا، ورهبة من العقوبة التي كان يعاقب بها من خالفه على مذهبه.

قال عبد العزيز: فأزعجني قلقي وأسهر ليلي، وأدام فكري، وأطال غمِّي وهمي، فخرجت من بلدي متوجهاً إلى ربي عزّ وجلّ، وأسأله سلامتي وتبليغي، حتى قدمت بغداد، فشاهدت من غلظ الأمر وامتداده أضعاف ما كان يصل إليَّ، ففزعتُ إلى الله عزّ وجلّ، أدعوه وأتضرع إليه، راغباً وراهباً، واضعاً له خدي، باسطاً إليه يدي، أسأله إرشادي وتسديدي، وتوفيقي ومعونتي، والأخذ بيدي، وأن لا يسلمني، وأن لا يكلني إلى نفسي، وأن يفتح لفهم كتابه قلبي، وأن يطلق لشرح بيانه لساني، وأخلصتُ لله نيتي، ووهبتُ له نفسي، فعجل تبارك وتعالى إجابتي، وثبت عزمي، وشجع قلبي، وفتح لفهم كتابه قلبي، وأطلق به لساني، وشرح به صدري، فأبصرت رشدي بتوفقيه إياي، وآنست إلى معونته ونصرته، ولم أسكن إلى مشاورة أحد من خلق الله عزّ وجلّ في أمري، وجعلت أسِرُّ أمري وأخْفي خبري على الناس جمعاً خوفاً من أن يشيع خبري، ويعلم بمكاني، فأقتل قبل أن يسمع كلامي، فأجمع رأيي على إظهار نفسي، وإشهار قولي ومذهبي على رؤوس الأشهاد، والقول بمخالفة أهل الكفر والضلال والرد عليهم، وذكر كفرهم وضلالتهم، وأن يكون ذلك في المسجد الجامع في يوم الجمعة، وأيقنت أنهم لا يحدثون عليَّ حادثة، ولا يعجلون عليَّ بقتل ولا عقوبة، بعد إشهاري نفسي، والنداء بمخالفتهم على رؤوس الخلائق، إلا بعد مناظرتي والاستماع مني.

وكان الناس في ذلك الزمان في أمر عظيم، قد مُنِعَ الفقهاءُ والمحدثون والمذكرون من القعود في ذلك الجامع ببغداد، وفي غيرها من سائر المواضع، إلا بشراً المريسي، ومحمد بن الجهم، ومن كان موافقاً لهما على مذهبهما، فإنهم كانوا يقعدون يعلمون الناس الكفر والضلال، وكل من أظهر مخالفتهم على مذهبهم، أو هَمَّ بذلك أُحْضِرَ فسُئلَ عن قوله، فإنْ خالفهم وأبى أن يوافقهم على قولهم قتلوه سراً أو جهراً، ويحملوه إلى أرض أخرى فيُقْتَل هناك، فكم من قتيل لا يعلم به، وكم من مضروب قد أظهر أمره، وكم أجابهم لما دعوه إليه، وتابعهم على قولهم من العلماء، خوفاً على أنفسهم لما عرضوه على السيف والقتل، أجابوا

جزعاً وفارقوا الحق عياناً، وهم يعلمون لما حذروه من بأسهم والوقوع بهم.

قال عبد العزيز: فلما كان يوم الجمعة التي عزمت فيها على إظهار أمرى، وإشهار قولي واعتقادي، صليت الجمعة في مسجد الرصافة، في الجانب الشرقي منها حيال القبلة والمنبر، في أول صفوف العامة، فلما سلَّم الإمام من صلاة الجمعة، وثَبْتُ قائماً على رجلي ليراني الناس ويسمعوا كلامي، ولا تخفى عليهم مقالتي، وناديتُ بأعلى صوتي مخاطباً لابني، وكنت قد أقمتُهُ بحيالي عند الأسطوانة الأخرى.

وقلت: يا بُنَي، ما تقول في القرآن؟ فقال ابني: كلام الله منزل غير مخلوق، فلما سمع الناس مقالتي وكلامي لابني، وجوابه لي، هبُّوا على وجوههم خارجين من المسجد، إلا اليسير من الناس، خوفاً على أنفسهم، وذلك أنهم سمعوا ما لم يكونوا يسمعونه من قبل، وظهر لهم ما كانوا يكتمونه، فلم يستتم من ابني الجواب حتى جاء أصحاب السلطان فاحتملوني وابني، فأوقفونا بين يدي عمرو بن مسعدة[1]، وكان جاء ليصلي الجمعة، فلما نظر إلى وجهي، وكان قد سمع كلامي ومسألتي لابني، وجواب ابني إياي، فلم يحتج أن يسألني عن كلامي، فقال لي: أمجنون أنت؟ قلت: لا. فقال: فموسوس أنت؟ قلت: لا. قال: فمعتوه أنت؟ قلت: لا، والحمد لله، وإني لصحيح العقل جيد الفهم ثابت المعرفة. قال: فمظلوم أنت؟ قلت: لا. فقال لأصحابه: مروا بهما سحباً إلى منزلي.

قال عبد العزيز: فحملنا على أيدي الرجالة حتى أخرِجْنا من المسجد الجامع، ثم جعل الرجالة يتعادون بنا سحباً شديداً، وأيدينا في أيديهم يمنة ويسرة،

---

(1) عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول، أبو الفضل الصولي، وزير المأمون، وأحد الكتاب البلغاء، كان يوقع بين يدي جعفر بن يحيـى البرمكي في أيام الرشيد، واتصل بالمأمون فرفع مكانته وأغناه، وكان مذهبه في الإنشاء الإيجاز واختيار الجزل من الألفاظ، وفي كتب الأدب كثير من رسائله وتوقيعاته، وكان جواداً ممدحاً فاضلاً، توفي سنة 217 هـ. تاريخ بغداد 12/203، معجم الأدباء 6/88 ـ 91، وفيات الأعيان 1/390، أمراء البيان، ص 191 ـ 217.

وسائر أصحابه قدامنا وخلفنا، حتى صرنا إلى منزل عمرو بن مسعدة، من الجانب الغربي على تلك الحالة الغليظة، فأوثقنا على بابه حتى دخل، فأمر بنا فأدخِلنا عليه، وهو جالس في صحن داره على كرسي من حديد وشواره عليه[1]، فلما صرنا بين يديه أقبل عليَّ فقال: من أين أنت؟ فقلت: من أهل مكة. قال: وما حملك على ما صنعت بنفسك؟ قلت: طلب القربة إلى الله عزّ وجلّ، ورجاء الزلفة لديه. قال: فهلا فعلت ذلك سراً من غير نداء، ولا إظهار المخالفة لأمير المؤمنين، ولكن أردت الشهرة والرياء والسوء لتأخذ أموال الناس.

فقلت: ما أردت إلا الوصول إلى أمير المؤمنين والمناظرة بين يديه، لا غير ذلك. قال: أو تفعل ذلك؟ قلت: نعم، ولذلك قصدت وبلغت بنفسي ما ترى من تغريري بنفسي، وسلوك البراري أنا وولدي، رجاء تأدية حق الله فيما استودعني من العلم والفهم في كتابه، وما أخذه عليَّ وعلى العلماء من البيان.

فقال: إن كنت إنما جعلت هذا سبباً لغيره إذا وصلت إلى أمير المؤمنين، فقد حلَّ دمك، لمخالفتك أمير المؤمنين. فقلت له: إنْ تكلمت في شيء غير هذا، وجعلت هذا ذريعة إلى غيره، فدمي حلال لأمير المؤمنين.

فوثب عمرو قائماً على رجليه وقال: أخرجوه بين يدي. فأخرجتُ بين يديه، وركب من الجانب الغربي، وأنا وابني بين يديه، يُعدَى بنا على وجوهنا، وأيدينا في أيدي الرجالة، حتى صاروا إلى دار أمير المؤمنين من الجانب الشرقي، فدخل ونحن في الدهليز قياماً على أرجلنا. فأطال عند أمير المؤمنين، ثم خرج وقعد في حجرة له، وأمر بي فأُدخلتُ عليه، فقال:

أخبرت أمير المؤمنين بخبرك وما فعلت، وما سألت من الجمع بينك وبين مخالفيك للمناظرة بين يديه. وقد أمر ـ أطال الله بقاءه، وأعلى أمره ـ بإجابتك إلى ما سألت، وجمع المناظرين على هذه المقالة إلى مجلسه ـ أعلاه الله ـ في يوم الاثنين الأدنى، ويحضر معهم ليناظروا بين يديه، ويكون هو الحاكم بينكم.

---

(1) الشوار: متاع البيت، وما يستحسن منه.

قال عبد العزيز: فأكثرت حمد الله وشكره على ذلك، وأظهرت الدعاء والشكر لأمير المؤمنين.

فقال عمرو: أعطنا كفيلاً بنفسك حتى تحضر معهم يوم الاثنين، وليس بنا حاجة إلى حبسك. فقلت له: أدام الله عزك، أنا رجل غريب ولست أعرف في هذا البلد أحداً، ولا يعرفني من أهلها أحد، فمن أين لي من يكفل بي خاصة مع إظهاري مقالتي. ولو كان الخلق يعرفونني حق معرفتي لتبرأوا مني، وهربوا من قربي وأنكروني.

قال: فنوكل بك من يكون معك حتى يحضرك في ذلك اليوم، وتنصرف فتصلح من شأنك، وتتفكر في أمرك، فلعلك أن ترجع عن غيك، وتتوب من فعلك، فيصفح أمير المؤمنين عنك. فقلت: ذلك إليك، أعزك الله، فافعل ما رأيت، فوكل من يكون معي في منزلي، وانصرف.

قال عبد العزيز: فلما صليت الغداة في يوم الاثنين، في المسجد الذي على باب بيتي، إذ خليفة عمرو بن مسعدة قد جاءني، ومعه جمع كثير من الفرسان والرجالة، فحملني مكرماً على دابة، حتى صار بي إلى دار أمير المؤمنين، فأوقفني هناك، حتى جاء عمرو بن مسعدة، فجلس في حجرته التي كان يجلس فيها، ثم أذن لي بالدخول فدخلت، فلما صرت بين يديه أجلسني ثم قال:

أنت مقيم على ما كنت عليه، أم رجعت عنه؟ فقلت: بل مقيم على ما كنت عليه، وقد ازددت بتوفيق الله بصيرة ورشداً، فقال عمرو: يا أيها الرجل، قد حملت نفسك على أمر عظيم، وبلغت الغاية في مكروهها، وتعرضت لما لا قوام لك به من مخالفة، وادعيت ما لا يثبت لك به من حجة على مخالفيك، وليس إلا السيف بعد ظهور الحجة عليك. فانظر لنفسك، وبادر أمرك قبل أن تقع المناظرة، وتظهر عليك الحجة، فلا تنفعك الندامة، ولا تقبل لك معذرة، ولا تقال لك عثرة، فقد رحمتك وأشفقت عليك مما هو نازل بك، وأنا أستقيل لك أمير المؤمنين، وأسأله الصفح عن جرمك، وعظيم ما كان منك، إن أظهرت الرجوع

عنه، والندم على ما كان منك، وآخذ لك الآمان منه ـ أيده الله ـ والجائزة، وإن كان بك مظلمة أزلتها عنك، وإن كان لك حاجة، قضيتها لك، فإنما جلست رحمة لك مما هو نازل بك بعد ساعة إن أقمت على ما أنت عليه، ورجوت أن يخلصك الله على يدي من عظيم ما أوقعت نفسك به.

فقلت: ما ندمت ـ أعزك الله ـ على ما كان مني، ولا رجعت عنه، ولا خرجت من بلدي، وغررت بنفسي إلا في طلب هذا اليوم، وهذا المجلس، رجاء أن يبلغني الله ما أؤمله من إقامة الحق. وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وهو حسبي ونعم الوكيل.

قال عبد العزيز رحمه الله تعالى: فقام عمرو بن مسعدة على رجليه وقال: قد حرصت على خلاصك جهدي، وأنت حريص على سفك دمك وقتل نفسك.

فقلت: معونة الله تبارك وتعالى أعظم وألطف من أن ينساني أو يكلني إلى نفسي، وعدل أمير المؤمنين أوسع من أن يقصر عني، وإنما أقول: لا حولة ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال عبد العزيز رحمه الله تعالى: فقام عمرو بن مسعدة فدخل بي، فأخرجت إلى الدهليز الأول، ومعي جماعة موكلون بي، وكان قد أمر بني هاشم أن يركبوا، ووجه إلى القضاة والفقهاء الموافقين لهم على مذهبهم، وسائر المتكلمين والمناظرين أن يحضروا، والقواد والأولياء، فركب القوم بالسلاح ليرهبوني بذلك، ويرهبوا الرعية، وأمر الناس جميعاً أن لا ينصرفوا حتى نفرغ من المجلس.

فلما اجتمع الناس وتتاموا، ولم يتخلف منهم أحد ممن يعرفونه بالكلام والجدل، أذن لي بالدخول، فلم أزل أنتقل من دهليز إلى دهليز، حتى صرت إلى الحاجب صاحب الستر الذي على باب الصحن، فلما رآني أمر بي فأدخلت إلى حجرته، ودخل معي، فقال: إن كنت تحتاج إلى تجديد الوضوء، قلت: ما لي إلى ذلك حاجة، قال: اركع ركعتين، فركعت أربع ركعات، ودعوت الله عزّ وجلّ، ثم قال لي: استخر الله وقم فادخل.

وخرج معي إلى باب الصحن، وشال الستر، وأخذ الرجال بيدي وعضدي، وجعل أقوام أيديهم في ظهري، وعلى رقبتي، وجعلوا يتعادون بي، ونظرني المأمون وأنا أسمع صوتاً: خلوا عنه. وكثر الضجيج من الحجاب والقواد بمثل ذلك، فخلوا عني، وقد كاد يتغير عقلي من شدة الجزع، وعظيم ما رأيت في ذلك الصحن من السلاح، وهم ملء الصحن، وكنت قليل الخبرة بدار أمير المؤمنين، ما رأيته قبل ذلك ولا دخلتها.

فلما صرت على باب الإيوان، وقفت، فسمعت المأمون يقول: أدخلوه وقرِّبوه. فلما دخلت من باب الإيوان، وقعت عيني عليه، وقبل ذلك لم أنتبه لما كان على باب الإيوان من الحجاب والقواد، فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمين ورحمة الله وبركاته. فقال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. ثم قال: أدنُ مني. فدنوت منه، ثم جعل يقول: أدنُ مني. فدنوت منه، ثم جعل يقول: أدنُ، فأدنو، وكرر ذلك، وأنا أدنو خطوة خطوة، حتى صرت إلى الموضع الذي يجلس فيه المتناظرون، ويسمع كلامهم، والحاجب معي يقدمني، فلما انتهيت إلى الموضع، قال لي المأمون: اجلس. فجلست.

قال عبد العزيز: وسمعت رجلاً من جلسائه يقول، وقد دخلت الإيوان: يا أمير المؤمنين، يكفيك من كلام هذا قبحُ وجهه، فوالله ما رأيت خلقاً أقبح وجهاً منه، فسمعت قوله هذا وفهمته، وما رأيت شخصه على ما كنت فيه من الجزع والرعدة.

قال عبد العزيز: وتبين لأمير المؤمنين ما أنا فيه من الجزع، وما قد نزل بي من الخوف، فجعل ينظرني وأنا أرتعد خوفاً وأنتفض، وأحبَّ أن يؤنسني ويسكن روعتي، فجعل يكثر كلام جلسائه. يكلم عمرو بن مسعدة، ويتكلم بأشياء كثيرة مما لا يحتاج إليها، يريد بذلك كله إيناسي، وجعل يُطيل النظر إلى الإيوان، ويدير نظره فيه، فوقعت عيناه على موضع من نقش الجص قد انتفخ، فقال: يا عمرو، ما ترى هذا قد انتفخ من هذا النقش في هذا الجص وسيقع، فبادر في قلعه وعمله. فقال عمرو: قطع الله يد صانعه، فإنه قد استحق العقوبة على عمله هذا.

قال عبد العزيز: ثم أقبل المأمون عليَّ فقال: ما الاسم؟ فقلت: عبد العزيز. قال: ابن مَنْ؟ قلت: يحيى بن مسلم. قال: ابن مَنْ؟ قلت: ابن ميمون الكناني. قال: أو أنت من كنانة؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. فتركني هنيهة لا يكلمني، فقال: من أين الرجل؟ قلت: من الحجاز. قال: ومن أي الحجاز؟ قلت: من مكة. قال: ومَنْ تعرف من أهل مكة؟ قلت: يا أمير المؤمنين، قَلَّ مَنْ بها من أهلها إلا وأنا أعرفه، إلا رجل ضوى إليها، أو من جاور بها، فإني لا أعرفه.

قال: تعرف فلاناً وفلاناً، حتى عدد جماعة من بني هاشم كلهم أعرفهم حق المعرفة، فجعلت أقول نعم. وسألني عن أولادهم وأنسابهم، فأخبرته من غير حاجة إلى شيء من ذلك ولا تقدم من مسألتي، وإنما يريد إيناسي وبسطي للكلام، وتسكين روعتي وجزعي، فذهب عني ما كنت فيه، وما لحقني من الجزع، وجاءت المعونة من الله عزّ وجلّ، قوي بها ظهري، واشتد بها قلبي، واجتمع بها فهمي.

قال عبد العزيز رحمه الله تعالى: فأقبل المأمون عليَّ وقال: يا عبد العزيز، إنه قد اتصل بي ما كان منك وقيامك في المسجد الجامع، وقولك إن القرآن كلام الله الخ، بحضرة الخلق، وعلى رؤوس الخلائق، وما كان من مسألتك بذلك من الجمع بينك وبين مخالفيك على القول لتناظرهم في حضرتي وفي مجلسي، والاستماع منك ومنهم، وقد جمعت المخالفين لك لتناظرهم بين يدي، وأكون أنا الحاكم بينكم، فإنْ تتبيَّن الحجة لك عليهم، والحق معك اتَّبعناكَ، وإن تكن الحجة لهم عليك، والحق معهم عاقبناك، وإنْ استقلت أقلناك.

ثم أقبل المأمون على بِشْر المريسي، وقال: يا بِشر، قم إلى عبد العزيز فناظره وأنصفه. قال: فوثب بشر المريسي من موضعه الذي كان فيه كالأسد يثب إلى فريسته فرحاً، فانحطَّ عليَّ، فوضع ركبتيه وفخذه الأيسر على فخذي الأيمن، فكاد أن يحطمه، وغمز إليَّ بقوته كلها، فقلت: مهلاً، فإنَّ أمير المؤمنين لم يأمرك بقتلي، ولا بظلمي، وإنما أمرك بمناظرتي وإنصافي، فصاح به المأمون وقال: تنحَّ عنه، وكرر ذلك عليه حتى باعده مني.

قال: ثم أقبل المأمون عليَّ وقال: يا عبد العزيز، ناظره على ما تريد، واحتج عليه، ويحتج عليك، وتسأله ويسألك، وتناصفا في كلامكما، وتحفَّظا ألفاظكما، فإني مستمع إليكما، فتحفظا ألفاظكما.

فقال عبد العزيز: فقلت، السمع والطاعة لأمير المؤمنين، ولكن أريد أن أقول شيئاً، فيأذن لي أمير المؤمنين فيه، قال: قل كما تريد.

قلت: يا أمير المؤمنين أسألك بالله من أجمل من بلغك من البشر وأحسنهم وجهاً من جميع ولد آدم؟ قال: يوسف ـ بعد أن أطرق ملياً ـ قلت: صدقت يا أمير المؤمنين، فوالله ما أُعْطِيَ يوسف على حسن وجهه جرادتين، ولقد سُجن وضُيِّقَ عليه من أجل حسن وجهه ظلماً بغير حق، بعد أن وقف على براءته وإقرار امرأة العزيز أنها هي راودته عن نفسه، فاستعصم، فحُبِسَ بعد ذلك كله لحسن وجهه، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾[1]، فدل بقوله على أنه حبس بغير ذنب، لكن العلة حسن وجهه، وليغيبوه عنها وعن غيرها، رجاء تغير حلية وجهه، وليذهب بحسنه، فطال في السجن مكثه، حتى عبر الرؤيا، ووقف الملك على علمه ومعرفته وحسن عبارته، فاشتاق إليه ورغب في صحبته، فقال: ائتوني به أستخلصه لنفسي، وكان هذا القول من الملك بعد تعبير يوسف الرؤيا، ووقوف الملك على حسن عبارته، وكما أخبر الله عزّ وجلّ في كتابه، قبل أن يسمع كلامه، فلما دخل عليه وسمع كلامه صيَّره على خزائن الأرض، وفوَّض إليه الأمورَ كلَّها، واعتزل منها وصار كأنه من تحت يده، فكان ما بلغه يوسف كله من كلامه وعلمه، لا بجماله وحسن وجهه، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[2]، ولم يقل إني حسن جميل، فوالله ما أبالي يا أمير المؤمنين لو كان وجهي أقبح مما هو معي، فقد أعطاني الله وله الحمد من فهم كتابه والعلم بتنزيله.

---

(1) سورة يوسف، آية: 35.

(2) سورة يوسف، آيتان: 54، 55.

فقال المأمون: وأيَّ شيء أردتَ بهذا القول، وما الذي دعاك إليه؟ فقلت: إني سمعت بعض من ههنا يقول: يا أمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا قبح وجهه، فأي عيب يلحقني في صنعة ربي عزّ وجلّ؟ فتبسم المأمون، حتى وضع يده على فيه. فقلت: يا أمير المؤمنين، قد رأيتك تنظر هذا النقش في الحائط، وتنكر انتفاخ الجص، وسمعت عَمْراً يعيب الصانع ولا يعيب الجص. فقال المأمون: العيب لا على الشيء المصنوع، إنما العيب على صانعه. فقلت: صدقت يا أمير المؤمنين، وقلت الحق، فهذا يعيب ربي لِمَ خلقني قبيحاً؟ فازداد تبسماً حتى ظهر ذلك، فقال: يا عبد العزيز، ناظر صاحبك، فقد طال المجلس بغير مناظرة.

قلت: يا أمير المؤمنين، كل متناظرين على غير أصل يكون بينهما يرجعان إليه إذا اختلفا في شيء من الفروع، فهما كالسائر على غير طريق، وهو لا يعرف المحجَّة فيتبعها، ولا يعرف الموضع الذي يريد فيقصده، وهو لا يدري من أين جاء، فيرجع فيطلب الطريق وهو على ضلال، ولكنا نؤصِّل بيننا أصلاً، فإذا اختلفنا في شيء من الفروع، رددناه إلى الأصل، فإن وجدناه فيه، وإلا رمينا به ولم نلتفت إليه.

قال المأمون: نِعْمَ ما قلت، فاذكر الأصل الذي تريد أن يكون بينكما. قلت: يا أمير المؤمنين، الأصل بيني وبينه ما أمر الله عزّ وجلّ، واختاره لنا، وعلمناه وأدبنا به في التنازع. والاختلاف، ولم يكلنا إلى غيره، ولا إلى أنفسنا واختيارنا فنعجز.

قال المأمون: وهل ذلك موجود عن الله عزّ وجلّ؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فاذكر ذلك. قلت: قال الله عزّ وجلّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[1]، فهذا تعليم من الله وتأديبه واختياره لعباده المؤمنين، ما أصَّله المتنازعون بينهم، وقد تنازعت أنا وبشر يا أمير المؤمنين،

---

(1) سورة النساء، آية: 59.

وبيننا كتاب الله وسنة نبيّه محمد ﷺ كما أمر الله عزّ وجلّ، فإذا اختلفنا في شيء من الفروع رددناه إلى كتاب الله عزّ وجلّ، فإن وجدناه فيه، وإلا إلى سنّة نبيّه ﷺ، فإن وجدناه فيها، وإلا ضربناه في الحائط، ولم نلتفت إليه.

قال المأمون: فافعلا وأصِّلا بينكما هذا، واتفقا عليه، وأنا الشاهد عليكما، والحافظ لما يجري بينكما.

قال عبد العزيز: قلت يا أمير المؤمنين إنه من ألْحَدَ في كتاب الله زائداً أو جاحداً، لم يناظر بالتأويل ولا بالتفسير. قال المأمون: بأي شيء تناظر؟ قلت: بنص القرآن بالتلاوة، قال الله عزّ وجلّ لنبيّه ﷺ حين ادعت اليهود تحريم أشياء لم تحرم عليهم: ﴿فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1]، وقال الله عزّ وجلّ لنبيّه: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾[2]، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[3]. وقال: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾[4]، فإنما أمر الله نبيّه بالتلاوة ولم يأمره بالتأويل، وإنما يكون التأويل لمن آمن بالتنزيل، فأما من ألحَدَ بالتنزيل فكيف يناظر بالتأويل؟.

فقال المأمون: ويخالفك بالتنزيل؟ قلت: نعم، ليخالفني أو ليدعَنَّ قوله ومذهبه وليوافقني. قال: فناظره بالتلاوة ونص التنزيل. قلت: نعم.

قال عبد العزيز: فأقبلت على بشر فقلت: يا بشر، ما حجتك أن القرآن مخلوق، وانظر أحدَّ سهم من كنانتك فارمني به، ولا تحتج إلى معاودتي لغيره.

قال بشر: تقول يا عبد العزيز القرآن شيء، أم غير شيء؟ فإن قلت شيء فقد

---

(1) سورة آل عمران، آية: 93.

(2) سورة الرعد، آية: 30.

(3) سورة الأنعام، آية: 151.

(4) سورة النمل، آية: 92.

أقررت أنه مخلوق، إذا كانت الأشياء كلها مخلوقة بنص التنزيل، وإن قلت إنه ليس بشيء، فقد كفرت، لأنك تزعم أن حجة الله على خلقه ليس بشيء.

قال عبد العزيز: فقلت لبشر ما رأيت أعجب من هذا، تسألني وتجيب عن نفسك! فإن تسألني لأجيبك فاسمع الجواب مني، فإني أحسن أن أجيبك وأعبر عن نفسي، وإن تُرِدْ أن تخطب وتتكلم لتهشني[1] حجتي، فلن أزداد بتوفيق الله إياي إلا بصيرة وفهماً، وما أحسبك يا بشر إلا وقد تعلمت شيئاً، أو سمعت هذه المقالة والتي قبلها، أو قرأتها في كتاب، فأنت تكره أن تقطعها حتى تأتي على آخرها.

فأقبل عليه المأمون، وقال: صدق عبد العزيز، اسمع منه جواب ما سألته، ثم رد عليه بعد ذلك ما شئت، ثم قال لي: تكلم فأجبه يا عبد العزيز لما سألك.

فقلت لبشر: سألت عن القرآن، هو شيء أم غير شيء، فإن كنت تريد شيء إثباتاً للوجود ونفياً للعدم، فنعم، هو شيء، وإن كنت تريد أن الشيء اسم له وأنه كالأشياء فلا.

فقال بشر: ما أدري ما تقول ولا أفهمه، ولا أعقله ولا أسمعه، ولا بدّ من جواب يعقل ويفهم، أنه شيء أم غير شيء؟.

قال، فقلت لبشر: صدقت، لأنك لا تفهم ولا تعقل ولا تسمع ما أقول، ولقد وصفت نفسك بأقبح الصفات، واخترت لها أذمَّ الاختيارات، ولقد ذمَّ الله عزّ وجلّ قوماً في كتابه وعلى لسان نبيّه، قالوا مثل مقالتك، وكانوا بمثل ما وصفت به نفسك، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ ۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ۝ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾[2] وقال: ﴿ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[3]، وقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ

---

(1) تهشني: من هش الورق خبطه بعصا ليتحات، وهش الرجل: صال بعصا، وهش الشجرة: ضربها بعصا ليتساقط ورقها. المعجم الوسيط: هشش.

(2) سورة الأنفال، الآيتان: 22 ـ23.

(3) سورة الزخرف، آية: 40.

﴿ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾[1]، ومثل هذا في القرآن كثير، ولقد مدح الله قوماً في كتابه بحسن الاستماع، وأثنى عليهم فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾[2] الآية، وقال: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[3] الآية، وقال: ﴿ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[4].

فما اخترت لنفسك ما اختاره الرسول، ولا ما اختاره المؤمنون، ولا ما اختاره أهل الكتاب.

قال المأمون: دعك عنك هذا يا عبد العزيز، وارجع إلى ما كنت فيه، وبيِّن ما قلته، واشرحه من ذكر الشيء. فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله أجرى كلامه على ما أجراه على نفسه، إذ كان كلامه من ذاته ومن صفاته، فلم يتسم بالشيء، ولم يجعل الشيء اسماً من أسمائه، ولكنه دلَّ على نفسه أنه شيء، وأنه أكبر الأشياء إثباتاً للوجود، ونفياً للعدم، وتكذيباً للزنادقة ومن تقدمهم ممن جحد معرفته وأنكر ربوبيته، من سائر الأمم، فقال لنبيّه ﷺ: ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾[5] فدل على نفسه أنه شيء كالأشياء، وأنزل في ذلك خبراً خاصاً مفرداً لعلمه السابق، إن جهماً[6] وبشراً ومن قال بقولهما، يلحدون في أسمائه وصفاته، ويشبهون على خلقه، ويدخلونه وكلامه في الأشياء المخلوقة، فقال عزّ وجلّ:

---

(1) سورة البقرة، الآيات: 16 ـ 18.
(2) سورة الزمر، آية: 18.
(3) سورة المائدة، آية: 83.
(4) سورة البقرة، آية: 285.
(5) سورة الأنعام، آية: 19.
(6) جهم: هو جهم بن صفوان السمرقندي، من موالي بني راسب، رأس «الجهمية» قال الذهبي: الضال المبدع، هلك في زمان صغار التابعين وقد زرع شراً عظيماً، كان يقضي في عسكر الحارث بن سريج، الخارج على أمراء خراسان، فقبض عليه نصر بن سيار فقتله سنة 128 هـ. الكامل لابن الأثير حوادث سنة 128، لسان الميزان 2/142، ميزان الاعتدال 1/197، الحور العين، ص 255، خطط المقريزي 2/349، 351، الأعلام 2/141.

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1]، فأخرج نفسه وكلامه وصفاته من الأشياء المخلوقة بهذا الخبر، تكذيباً لمن ألحد في كتابه، وافترى عليه، وشبَّهه بخلقه، وقال: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2]، ثم عدد أسماءه في كتابه، ولم يتَسَمَّ بالشيء، ولم يجعل الشيء اسماً من أسمائه، قال النبيّ ﷺ: «**إن لله تسعاً وتسعين اسماً، من أحصاها دخل الجنة**»[3]، ثم عددها، فلم نجده جعل الشيء اسماً، فقلت كما قال الله وتأدبت بما أدبني الله متَّبِعاً غير مبتدع، ثم ذكر جلَّ ذكره كلامه كما ذكر نفسه، ودلَّ عليه مثل ما دلَّ على نفسه، ليعلم الخلق أنه من ذاته، وأنه صفة من صفاته، فقال عزّ وجلّ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾[4]، فذمَّ الله مَنْ نفى أن يكون كلامه الذي أنزله على رسوله شيئاً، وذلك أن رجلاً من المسلمين ناظر رجلاً من اليهود بالمدينة، فجعل المسلم يحتج على اليهودي من التوراة، بما علم من صفة النبيّ ﷺ وذكر نبوّته من التوراة، فضحك اليهودي وباهت، فقال: ما أنزل الله على بشر من شيء، فأنزل الله عزّ وجلّ تكذيبه وذمَّ قوله، وأعظم فريته حين جحد أن يكون كلام الله شيئاً ليس كالأشياء، كما دلّ على نفسه أنه شيء وليس كالأشياء، وقال في موضع آخر: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ ﴾[5]، فدل بهذا الخبر أيضاً على أن الوحي شيء بالمعنى، وذم من جحد أن يكون كلامه شيئاً، فلما أظهر اسم كلامه، لم يظهره باسم الكتاب والنور والهدى، فقال لنبيّه ﷺ: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾[6]، فأظهره باسم الكتاب والنور والهدى، ولم يقل مَنْ أنزلَ الشيء الذي جاء به موسى،

---

(1) سورة الشورى، آية: 11.
(2) سورة الأعراف، آية: 180.
(3) صحيح البخاري 3/259، 9/145، مسند أحمد بن حنبل 2/258، 499.
(4) سورة الأنعام، آية: 91.
(5) سورة الأنعام، آية: 93.
(6) سورة الأنعام، آية: 91.

ويجعل الشيء اسماً لكلامه، فكانت أسماء ظاهرة يعرف بها، كما سمى نفسه بأسماء ظاهرة، يعرف بها، فسمى كلامه نوراً وهدى وشفاءً ورحمة وحقاً وقرآناً وفرقاناً، لعلمه السابق في جهم وبشر ومن يقول بقولهما إنهم سيلحدن في كلامه، ويدخلونه في الأشياء المخلوقة.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين، قد أقرَّ عبد العزيز أن القرآن شيء، وادَّعى أنه ليس كالأشياء، وقلت أنا إنه كالأشياء، فليأت بنص التنزيل كما أخذ على نفسه أنه ليس كالأشياء، وقلت أنا إنه كالأشياء، فليأت بنص التنزيل كما أخذ على نفسه أنه ليس كالأشياء، وإلا بقد بطل ما ادَّعاه، وصحَّ قولي أنه مخلوق، إذا كنَّا جميعاً قد اجتمعنا على أنه شيء، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[1] بنص التنزيل.

فقال المأمون: هذا يلزمك يا عبد العزيز، لما أخذت على نفسك. وجعل محمد بن الجهم وغيره يضجون، ويقولون ظهر أمر الله وهم كارهون، جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا، وطمعوا في قتلي، وجثا بشر على ركبتيه، وجعل يقول: أقرَّ والله يا أمير المؤمنين بخلق القرآن، وأمسكت فلم أتكلم، حتى قال أمير المؤمنين: ما لك لا تتكلم يا عبد العزيز. فقلت: يا أمير المؤمنين، قد تكلم بشر وطالبني بنص التنزيل على ما قلت، وهو المناظر لي، فضجيج هؤلاء إيش هو؟ وأنا لم أنقطع، ولم أعجز عن الجواب وإقامة الحجة بنص التنزيل على بشر كما طالبني، ولست أتكلم وفي المجلس أحد يتكلم غير بشر، إلا أن ينقطع بشر عن الحجة فيعتزل ويتكلم غيره.

فصاح المأمون لمحمد بن الجهم[2] وغيره؛ أنْ أمسكوا، فأمسكوا، وأقبل عليَّ وقال: تكلم يا عبد العزيز، واحتج لنفسك، فليس يعارضك غير بشر.

قال: قلت: قال الله تعالىٓ: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن

(1) سورة الزمر، آية: 62، وسورة غافر، آية: 62.
(2) محمد بن الجهم البرمكي: كان شاعراً من منادمي المأمون، سأله عن أشعار فأجابه، فولاه الدينور وهمذان ونهاوند والسوس. الأغاني: 14/ 177 ـ 178.

فَيَكُونُ﴾[1]. وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[2]. وقال سبحانه: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[3]. فدل عزّ وجلّ بهذه الأخبار وأشباه لها في القرآن كثير، على أن كلامه ليس كالأشياء، وأنه غير الأشياء، وأنه خارج عن الأشياء، وأنه يكوّن الأشياء، ثم أنزل الله عزّ وجلّ خبراً مفرداً ذكر فيه خلق الأشياء كلها، فلم يدع منها شيئاً إلا ذكره وأدخله في خلقه، وأخرج كلامه وأمره من جملة الخلق، وفصله منها ليدل على أنَّ كلامه غير الأشياء المخلوقة، وخارج عنها، فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4]، فجمع في قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ جميع ما خلق، فلم يدع شيئاً، ثم قال: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ يعني، والأمر الذي كان به الخلق خلقاً، فرقاً بين خلقه وأمره، فجعل الخلق خلقاً، والأمر أمراً، وجعل هذا غير هذا، وقال: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾[5]. وقال: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤﴾[6]، يعني من قبل الخلق، ومن بعد الخلق، ثم جمع الأشياء المخلوقة في آيات كثيرة في كتابه، فأخبر عن خلقها، وأنه خلقها بقوله وكلامه، وأن كلامه وقوله غيرها، وخارج عنها، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾[7]، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾[8].

---

(1) سورة النحل، آية: 40.
(2) سورة يس، آية: 82.
(3) سورة آل عمران، آية: 47.
(4) سورة الأعراف، آية: 54.
(5) سورة النحل، آية: 77.
(6) سورة الروم، آية: 4.
(7) سورة الأنعام، آية: 73.
(8) سورة الحجر، آية: 85.

وقال: ﴿حمٓ * تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ * مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[1]. وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ * إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[2] وقال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[3].

فقال المأمون: يجزيك هذا أو بعضه يا عبد العزيز، فاختصر. فقلت: يا أمير المؤمنين، قد أخبر الله عن خلق السموات والأرض وما بينهما فلم يدع شيئاً من الخلق إلا ذكره، فأخبر عن خلقه أنه ما خلقه إلا بالحق، وأن الحق قوله وكلامه الذي به خلق الخلق كله، وأنه غير الخلق، وأنه خارج عن الخلق، وغير داخل في الخلق، وهذا نص التنزيل على أن كلام الله غير الأشياء المخلوقة، وليس هو كالأشياء، وبه تكون الأشياء.

قال بشر: يا أمير المؤمنين، قد ادَّعى أن الأشياء لا تكون إلا بقوله، ثم جاء بأشياء متباينات متفرقات، وزعم أن الله يخلق بها الأشياء فأكذب نفسه ونقض قوله، ورجع عما ادَّعاه من حيث لا يدري، وأمير المؤمنين شاهد عليه، وهو الحاكم بيننا.

فأقبل المأمون عليَّ، فقال: يا عبد العزيز، قال بشر كلاماً قد قلته ويحتاج أن تصحح قولك، ولا ينقض بعضه بعضاً. وجعل بشر يصيح: لو تركته يتكلم لجاء بألف شيء مما خلق الله به الأشياء.

فقلت: يا أمير المؤمنين، قد ذهبت بالحجج ورضي بشر وأصحابه بالضجيج والترويج بالباطل، وقطع المجلس، وطلب الخلاص، ولا خلاص من الله حتى يظهر دينه ويقمع الباطل بالحق فيزهقه.

فصاح المأمون ببشر: أقبل على صاحبك واسمع منه، ودع هذا الضجيج،

---

(1) سورة الأحقاف، الآيات: 1 ـ 2 ـ 3.

(2) سورة الدخان، آيتان: 38، 39.

(3) سورة الروم، آية: 8.

وكان المأمون قد قعد منا مقعد الحاكم من الخصوم، ثم أقبل المأمون وقال: تكلم يا عبد العزيز.

فقلت: يا بشر، زعمت أني قد جئت بأشياء متباينات متفرقات، وادعيت أن الله خلق بها الأشياء، وما قلت إلا ما قال الله عزّ وجلّ، ولا أقول إن الله خلق الأشياء بقوله وكلامه وأمره، وهذه أربعة أشياء، ولا أنه خلقها إلا بكلامه.

قال بشر: يا أمير المؤمنين، قد قال: إن الله خلق الأشياء بقوله وكلامه وأمره، وهذه أربعة أشياء.

قال المأمون: بل قلت هذا يا عبد العزيز. فقلت: صدق أمير المؤمنين، قد قلت هذا، وهذه أربعة أشياء لشيء واحد، لأن كلام الله هو قوله، وقوله الله هو كلامه، وأمر الله هو كلامه، وكلام الله هو أمره، وكلام الله هو الحق، والحق هو كلام الله، فهذه أسماء لكلام الله، وقد قدمت ذكر هذا فقلت: إن الله سمى كلامه نوراً وهدىً وشفاءً ورحمة وقرآناً وفرقاناً وبرهاناً، وسماه الحق، وهذه أشياء شتى لشيء واحد، وهو كلام الله، كما سمى نفسه بأسماء كثيرة، وهو واحد صمد فرد، وإنما ينكر بشر هذا ويستعظمه لقلة معرفته بلغة العرب.

قال بشر: قد أصَّل بيني وبينه كتاب الله، وزعم أنه لا يقبل إلا بنص التنزيل، فأين نص التنزيل أن كلام الله هو قوله، وأمره، وأن كلامه هو الحق؟

فقال المأمون: هذا يلزمك يا عبد العزيز، لما عقدت على نفسك من الشرط.

فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، وعليَّ أن آتي بنص التنزيل على ما قلت. قال: فهاته. قلت: قال الله عزّ وجلّ، وقد ذكر كلامه في القرآن: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[1]، وإنما يسمعه من قارئه، وإنما عنى القرآن، لا خلاف بين أهل العلم واللغة في ذلك، وقال: ﴿سَيَقُولُ

(1) سورة التوبة، آية: 6.

﴿ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ﴾(1)، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ﴾(2)، فقد أخبر عن القرآن أنه الحق، وقال: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾(3)، فأخبر عن القرآن أنه الحق، وقال: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾(4)، فأخبر عن القرآن أنه الحق، وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾(5)، وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ﴾(6)، وقال: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾(7)، فأخبر أنه الحق.

فهذه أخبار الله كلها أن القرآن هو الحق، ثم ذكر عزّ وجلّ قوله فسماه الحق، فأخبر أن الحق قوله، قال: ﴿فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾(8)، فأخبر أنه الحق، وأن الحق قوله، وقال: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾(9)، وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ﴾(10)، فهذه أخبار الله أنه الحق، وأن الحق قوله، ثم ذكر أن كلامه الحق، وأن الحق كلامه، فقال: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(11)، وقال: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ

---

(1) سورة الفتح، آية: 15.
(2) سورة البقرة، آية: 91.
(3) سورة الأنعام، آية: 66.
(4) سورة يونس، آية: 94.
(5) سورة السجدة، آية: 3.
(6) سورة المائدة، آية: 83.
(7) سورة القصص، آية: 53. وفي الأصل المطبوع جاءت الآية محرفة بلفظ: وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا.
(8) سورة ص، آية: 84.
(9) سورة السجدة، آية: 13.
(10) سورة سبأ، آية: 23.
(11) سورة يونس، آية: 33.

بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[1]، وقال: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2] فهذه أخبار الله أن الحق كلامه، وأخبر أن أمره هو القرآن، وهو كلامه، فقال: ﴿حمٓ * وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ * إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾[3]، يعني القرآن، وقال: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾[4] يعني القرآن.

فهذه أخبار الله أن القرآن أمره وكلامه، وأن أمره هو القرآن، وهذا تعليم لخلقه، وتأديب لهم، فقلت كما قال الله: إن القرآن كلام الله، وإنه أمر من أمر الله، وإنه الحق، وإن هذه أسماء لشيء واحد، هو الكلام الذي به خلقت الأشياء، وهو غير الأشياء، وخارج عن الأشياء، وليس هو كالأشياء، فهذا بنص التنزيل، لا بتأويل ولا بتفسير.

فقال المأمون: أحسنت يا عبد العزيز.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين، هذا يحب أن يخطب بما لا أسمعه، ولا أعقله، ولا ألتفت إليه، وما أتى بحجة، ولا أقبل من هذا شيئاً.

قال: قلت: يا أمير المؤمنين، من لا يعقل عن الله ما يخاطب به نبيّه وما علَّمه لعباده في كتابه، يدعي العلم، ويحتج للمقالات والمذاهب، ويدعو الناس للبدع والضلال!!.

قال بشر: أنا وأنت في هذا سواء، تنتزع آيات من آيات القرآن، لا تعلم تفسيرها، ولا تأويلها، وأنا أرد ذلك وأدفعه حتى تأتي بما أفهمه وأعقله.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، فذاك كلام بشر وتسويته فيما بيني وبينه، ولقد فرّق الله بيني وبينه، وأخبر أنا على غير السوي، وأكذبه في دعواه.

---

(1) سورة يونس، آية: 82.

(2) سورة الزمر، آية: 71.

(3) سورة الدخان، آيات: 1 ـ 5.

(4) سورة الطلاق، آية: 5.

فقال المأمون: وأين ذلك من كتاب الله عزّ وجلّ؟

قلت: قال الله عزّ وجلّ: ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1]. فأنا والله يا أمير المؤمنين أعلم أن الذي أنزل عليه هو الحق وأؤمن، وبشر قد شهد على نفسه أنه لا يعلمه، ولا يفهمه، ولا يعقله، ولا يقبله، وأنه مما لا يقوم لي به حجة، فلم يقل كما قال الله عزّ وجلّ، ولا كما قال نبيّه ﷺ، ولا كما قال موسى عليه السلام، ولا كما قالت الملائكة، ولا كما قال المأمون، ولا كما قال أهل الكتاب، ولقد أخبر الله عن جهله، وأزال عنه المذكرة، وأخرجه من جملة أولي الألباب، لكن أمير المؤمنين، لما خصَّه الله به من الفضل والسؤدد، وشرَّفه به من الحلم والفضل، ورزقه من الفهم والمعرفة، قد عقل عن الله قوله، وعرف ما عنى، فقبله واستحسنه ممن انتزع به بين يديه.

فقال بشر: قد أقرَّ بين يديك أن القرآن شيء، فليكن عنده كيف شاء، فقد اتفقنا جميعاً أنه شيء، وقد قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[2]، فهذه لفظة لم تدع شيئاً إلا أدخلته في الخلق، ولا يخرج عنها شيء ينسب إلى الشيء، لأنها لفظة قد استوعبت الأشياء كلها، وأتت عليها مما ذكرها الله عزّ وجلّ، ومما لم يذكرها، فصار القرآن مخلوقاً بنص التنزيل، لا بتأويل، ولا بتفسير.

قال عبد العزيز: فقلت، يا أمير المؤمنين، عليَّ أن أكسر قوله وأكذبه فيما قال بنص التنزيل، حتى يرجع عن قوله، أو يقف أمير المؤمنين على كسر قوله، وبطلان دعواه.

فقال المأمون: قل ما عندك، قلت: قال الله في قصة عاد: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾[3]، فهل أبقت الريح يا بشر شيئاً لم تدمره؟ قال: لا، قد دمرت كل شيء كما أخبر الله عنها فلم يبق شيء إلا وقد دخل تحت هذه اللفظة، فقلت: قد أكذب

---

(1) سورة الرعد، آية: 19.

(2) سورة الزمر، آية: 62.

(3) سورة الأحقاف، آية: 25.

الله عزّ وجلّ من قال هذا بقوله: ﴿فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡ﴾[1]، فأخبر أن مساكنهم كانت باقية بعد تدميرهم، ومساكنهم أشياء كثيرة، وقد قال: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾[2]، وقد قال في قصة بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾[3]، فهل بقي يا بشر شيء لم تؤته بلقيس.

قال: أنا أقول إن هذه اللفظة تجمع الأشياء كلها.

فقلت: قد أكذبَ اللهُ عزّ وجلّ مَنْ قال هذا، لأن ملك سليمان كمثل ملك بلقيس مائة ألف مرة ولم تؤته، وهذا كله ما يكسر قولك، ويبطل مذهبك، ويدحض حجتك، ومثل هذا في القرآن كثير، ولكن أبدأ بما هو أشنع وأظهر فضيحة لمذهبك، وأدمغ لبدعتك. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٍ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾[4] وقال: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾[5]، وقال: ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾[6]، وقال: ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ﴾[7]، أتُقِرُّ يا بشر لله علماً كما أخبر أو تخالف التنزيل؟

قال: فحاد بشر عن جوابي، وأبى أن يصرح بالكفر، فيقول ليس لله علم، فيكون قد رد نص التنزيل، فتبين ضلالته وكفره، وأبى أن يقر أن لله علماً، فأسأله عن علم الله هل هو داخل في الأشياء المخلوقة أم لا، وعلم ما أريد، وألزمه في ذلك من كسر قوله وإبطال مذهبه ودحض حجته، فاجتلب كلاماً لم أسأله عنه، وقال: الله لا يجهل وهذا معنى العلم.

قال: فأقبلت على المأمون، فقلت: يا أمير المؤمنين، لا يكون الخبر عن

(1) سورة الأحقاف، آية: 25.
(2) سورة الذاريات، آية: 42.
(3) سورة النمل، آية: 23.
(4) سورة البقرة، آية: 255.
(5) سورة النساء، آية: 166.
(6) سورة هود، آية: 14.
(7) سورة فاطر، آية: 11.

المعنى، فليقر بشر أن لله علماً، كما أخبرنا به في كتابه، فإني سائله: ما معنى العلم، وهذا مما لا أسأله عنه إذ قال إنَّ الله لا يجهل، وقد حاد بشر يا أمير المؤمنين عن جوابي.

فقال بشر: وهل تعرف الحَيْدة؟ قلت: نعم، إني لأعرف الحيدة في كتاب الله، وهي سبيل الكفار التي اتبعتَها.

فقال لي المأمون: يا عبد العزيز، أتعرف الحَيْدة في كتاب الله؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، وفي سُنَّة المسلمين، وفي لغة العرب. قال المأمون: اذكر ذلـك.

قلت: قال الله تعالى في قصة إبراهيم، حين قال لقومه: ﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ * أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ﴾[1]، وإنما قال لهم إبراهيم هذا ليذمهم ويعيب آلهتهم، ويسفِّه أحلامهم. فعرفوا ما أراد بهم، فصاروا بين أمرين: أن يقولوا نعم يسمعوننا حين ندعو، أو ينفعوننا أو يضروننا، فيشهد عليهم بلغة قومهم أنهم كذبوا، أو يقولوا لا يسمعوننا حين ندعو، ولا ينفعوننا، ولا يضروننا، فينفون عن آلهتهم القدرة، وعلموا أن الحُجَّة عليهم لإبراهيم، لأنهم في أي القولين أجابوه فهو عليم، فحادوا عن جوابه، واجتلبوا كلاماً من غير ما سألهم عنه، فقالوا: ﴿بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾[2]، فلم يكن هذا جواب مسألته.

وأما الحَيْدة في سُنَّة المسلمين، فإنه يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لمعاوية وقد قدم عليه فرآه يكاد يتفقأ شحماً[3]، فقال: يا معاوية، ما هذه؟ لعلها من نومة الضحى ورد الخصوم. قال معاوية: يا أمير المؤمنين، علمني وفهمني، ولم يكن هذا جواباً لقول عمر رضي الله عنه، ولكنه حاد عن جوابه، لعلمه بما عليه من رد الجواب، واجتلب كلاماً من غير ما سأله عنه فأجابه به.

---

(1) سورة الشعراء، آية: 72 ـ 73.

(2) سورة الشعراء، آية: 74.

(3) يتفقأ شحماً: امتلأ حتى تشقق جلده.

وأما الحَيْدة في كلام العرب، فقول امرىء القيس في المعنى[1]:

تقـول وقـد مـال الغبيـط بنـا معـاً عقرتَ بعيري يا امرأ القيس فانزلِ

فقلتُ لها سيري وأرخي زمانَهُ ولا تُبعـدنـي عـن خبـاك المحلـلِ

ولم يكن هذا جواباً لقولها، وإنما حاد عن جوابها فاجتلب كلاماً غيره، فأجاب به.

فأقبل المأمون على بشر فقال: يأبى عليك عبد العزيز إلا أن تُقِرَّ أن لله علماً، فأجبه ولا تحد عن جوابه.

فقال بشر: قد أجبته عن معنى العلم، أنه لا يجهل، وهذا هو جوابه، ولكنه يتعنَّت.

قال: فقلت صدق بشر يا أمير المؤمنين، أن الله لا يجهل، ولم تكن مسألتي له عن الجهل، إنما سألته عن العلم، فليقر أن لله علماً كما أخبرنا في كتابه، وأثبته لنفسه، وليقل إن الله لا يجهل بعد إقراره بالعلم.

ثم التفَتُّ إلى بشر فقلت: لا بدّ أن تقرَّ أن لله علماً كما أخبرنا في كتابه، أو ترد أخبار الله بنصِّ التنزيل، أو يقف أمير المؤمنين على حَيْدَتِك عن جوابي.

فجعل يقول: إن نفي الجهل عنه هو إثبات العلم له، وإنْ كان اللفظان مختلفين.

فقلت: يا أمير المؤمنين، إن نفي السوء لا يثبت به المدحة، وإن إثبات المدحة ينفي السوء، وكذلك نفي الجهل لا يثبت العلم، وإثبات العلم ينفي الجهل.

قال بشر: وكيف ذاك؟ فقلت: إن قولك هذا الاضطراري إنه لا يجهل، ليس هو مدحة له، ولا إثبات للعلم.

قال عبد العزيز: فأقبلت على المأمون فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله عزّ وجلّ لم يمدح في كتابه ملكاً مقرباً، ولا نبيّاً مرسلاً، ولا مؤمناً تقيّاً بنفي الجهل

---

(1) ديوان امرىء القيس ص 11 ـ 12، وفيه: ولا تبعديني من جَناكِ المعلَّلِ.

عنه ليدل على إثبات العلم له، وإنما مدحهم بإثبات العلم لهم، فنفى بذلك الجهل عنهم، فقال وقد مدح الملائكة: ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[1]، ولم يقل: لا يجهلون، وقال لنبيّه ﷺ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[2]، وقال في مدحه المؤمنين: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[3]، ولم يقل الذين لا يجهلون، وهذا قول الله ومدحه لملائكته ولنبيّه ﷺ وللمؤمنين، فمن أثبت العلمَ نفى الجهل، ومن نفى الجهل لم يثبت العلم، فما اختاره بشر، ما اختاره الله لملائكته ولا لنبيّه، ولا من حيث اختار لعبادة المؤمنين.

فأقبل عليَّ المأمون وقال لي: يا عبد العزيز، قد حاد بِشر عن جوابك، وقد أبىٰ أن يقر أن لله علماً، ماذا تتكلم أنت عنه في الإقرار بذلك؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين، إذا أقرَّ أن لله علماً سألته عن علم الله، هل هو داخل في الأشياء المخلوقة حين احتج بقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[4]، وزعم أنه لم يبق شيء إلا وقد أتى عليه هذا الخبر، فإنْ قال علم الله داخل في الأشياء المخلوقة، فقد شبَّه الله بخلقه الذين أخرجهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً، وكل من تقدم قبل علمه، فقد دخل عليه الجهل فيما بين وجوده إلى حدوث علمه، وهذه صفة المخلوقين، والله أعظم وأجل [من] أن يوصف بذلك، أو ينسب إليه، ومن قال ذلك فقد كفر وحل دمه، ووجب على أمير المؤمنين قتله، وإنْ قال: إن علم الله خارج عن جملة الأشياء المخلوقة، وغير ذلك داخل فيها، فقد رجع عن قوله، وأكذب نفسه.

وقلت أنا: وكذلك كلامه خارج عن جملة الأشياء المخلوقة، غير داخل فيها.

---

(1) سورة الانفطار، آيتان: 11، 12.
(2) سورة التوبة، آية: 43.
(3) سورة فاطر، آية: 28.
(4) سورة الزمر، آية: 62.

فقال المأمون: أحسنت يا عبد العزيز، وإنما فرَّ بشر أن يجيبك في هذه المسألة لهذا.

ثم أقبل المأمون عليَّ وقال: يا عبد العزيز، إن الله عالم؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فتقول إن لله علماً؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فتقول إن الله سميع بصير؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فتقول إن لله سمعاً وبصراً؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين. قال: فافرق بين ذلك.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، وقد قدَّمت إليك فيما احتججت به أن على الناس جميعاً أن يثبتوا ما أثبتَ الله، وينفوا ما نفى الله، ويمسكوا عمَّا أمسك الله عنه، فأخبرنا الله عزّ وجلّ أن له علماً، فقلت إن لله علماً كما أخبر، وأخبرنا أنه عالم بقوله: ﴿عَـٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾[1]، فقلت: إنه عالم كما أخبر، وأخبرنا أنه سميع بصير، فقلت: إنه سميع بصير كما أخبر في كتابه، ولم يخبر أن له سمعاً ولا بصراً، فأمسكت عنه إمساكه، ولم أقل إن له سمعاً ولا بصراً.

فقال المأمون لبشر وأصحابه: ما هو بمشبِّه، فلا تكذبوا عليه.

فقال بشر: قد زعمت يا عبد العزيز أن لله علماً، فأي شيء هو علم الله، وما معنى علم الله؟

فقلت له: هذا مما تفرَّد الله بعلمه ومعرفته، فلم يخبر به ملكاً مقرباً ولا نبيّاً مرسلاً، بل احتجبه عن الخلق جميعهم، فلم يعلمه أحد قبلي، ولن يعلمه أحد بعدي، لأن علمه أكثر وأعظم من أن يعلمه أحد من خلقه، ألم تسمع إلى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[2]، وقال: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[3]، وقال: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا

---

(1) سورة الزمر، آية: 46، الحشر: 22، والجمعة: 8، والتغابن: 18، والسجدة: 6، والمؤمنون: 92، والرعد: 9، والتوبة: 105، والأنعام: 73.

(2) سورة البقرة، آية: 255.

(3) سورة الجن، آية: 26 ـ 27.

يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ﴾[1]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]. أتدري يا بشر ما معنى هذا؟ وأي شيء مما نحن فيه؟ فقال المأمون؟ قل أنت يا عبد العزيز، ما عنى بهذا، وفَهِّم بِشراً واشرحه.

قلت: نعم يا أمير المؤمنين، يعني بقوله هذا، لو أن ما في الأرض من جميع الشجر والخشب والقصب أقلام يكتب بها، والبحر مداد يمده من بعده سبعة أبحر، والخلائق كلهم يكتبون بهذه الأقلام من هذا البحر، ما نفدت كلمات الله. فمن يبلغ عقلُه وفهمه وفكره كنهَ عظمة الله وسعة علمه؟ وقال: ﴿لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾[3]، فمن يحد هذا أو يصفه أو يدَّعي علمه؟ وقد عجزت الملائكة المقربون عن علم ذلك، واعترفوا بالعجز عنه فقالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[4]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[5].

وسئل النبيّ عن علم الساعة، فقال: «**علمها عند ربي في خمس لا يعلمها إلا هو**»[6]، وتلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ الآية[7]. فأخبر النبيّ ﷺ أن هذه الخمس مما تفرد الله بعلمها، فلا يعلمها إلا هو. فإذا كان النبيّ ﷺ لا يعلم من علم الله إلا ما علمه، فكيف يجوز لأحد من أمته أن يتكلف علماً أو يدَّعي معرفةً؟

---

(1) سورة الأنعام، آية: 59.
(2) سورة لقمان، آية: 27.
(3) سورة الكهف، آية: 109.
(4) سورة البقرة، آية: 32.
(5) سورة لقمان، آية: 34.
(6) مسند أحمد بن حنبل 5/389، مجمع الزوائد 7/329.
(7) سورة لقمان، آية: 34.

قال بشر: دع عنك هذا الخطاب، لا بدّ من جواب أي شيء هو علم الله بنص التنزيل؟ أو يقف أمير المؤمنين على أنك قد حدت عن الجواب، فأكون أنا وأنت في الحيدة سواء.

قال عبد العزيز: فقلت له إنك لتأمرني بما نهاني الله عنه، وحرم عليَّ القول به، وتأمرني بما أمرني به الشيطان، ولست أعصي ربي وأرتكب نهيه، وأطيع الشيطـان وأتبع أمره وأمرك، إن كنتم قـد أمرتماني بخلاف ما أمرني به ربي ونهاني.

فاشتد تبسم أمير المؤمنين المأمون من قولي، ثم قال: يا عبد العزيز أمرك بشر بما نهاك الله عنه، وحرم عليك القول به، وأمرك به الشيطان؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: وأين ذلك من كتاب الله عزّ وجلّ، أو من سنة نبيّه عليه السلام؟ قلت: بل من كتاب الله بنص التنزيل. قال: فهاته.

قلت: قال الله عـزّ وجلّ لنبيّه عليـه السلام: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وأمرهم الشيطان بضد ذلك، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]، فأخبر الله عزّ وجلّ أن الشيطان يأمر الناس بأن يقولوا على الله ما لا يعلمون، فنهاهم عن اتباعه وقبول قوله.

فهذا تحريم الله ونهيه لنا يا أمير المؤمنين أن نقول عليه ما لا نعلم، وهذا أمر الشيطان لنا أن نقول على الله ما لا نعلم، وقد اتبع بشر يا أمير المؤمنين سبيل الشيطان التي نهاه الله عن اتباعها، ووافقه على قوله، وأمرني بمثل ما أمرني به الشيطان أن أقول على الله ما لا أعلم.

فكثر تبسم المأمون حتى غطّى بيده على فيه، وأطرق ينكت في الأرض بيده

---

(1) سورة الأعراف، آية: 33.

(2) سورة البقرة، آيتان: 168، 169.

على السرير.

فقال بشر: أخبرني يا عبد العزيز، لو ورد عليك اثنان وقد تنازعا في علم الله، فقال أحدهما: حلفت بالطلاق أنَّ علمَ الله هو الله، وقال الآخر: حلفت بالطلاق أن علـم الله غير الله، فقالا لك أفتنا في أيماننا وأجبنا عن مسألتنا، ما كان جوابك لهما؟

فقلت: الإمساك عنهما، وتركهما وجهلهما، وصرفهما بغير جواب.

فقال بشر: يلزمك إذا كنت تدعي العلم، ويجب عليك إجابتهما في مسألتهما وإخراجهما من أيمانهما، وإلا فأنت وهما في الجهل سواء.

قال عبد العزيز: فقلت لبشر: يجب عليَّ أن أجيب كل من سألني عن مسألة لا أجد لها في كتاب الله ولا في سنّة رسوله ذكراً؟ نعم، فقد جهل السائل، وحمق الحلاف عليها.

فقال بشر: يجب عليك ويلزمك أن تجيبه عن مسألته، وتخرجه عن يمينه، إذا كان لا بدّ لمسألته من جواب.

فقلت له: هذا تقوله من كتاب الله أو من سنّة رسولهﷺ، أو من قول أحد من أهل العلم؟ فقال: هذا قول الخلق جميعاً بلا خلاف فيه عندهم.

قال عبد العزيز: فقلت هذا قول أهل الجهل، وكل العلماء يخالفونك في هذا وينكرونه، ثم أقبلت على المأمون فقلت: قد سمعت ما قال بشر، أنه يجب عليَّ جواب كل من سألني عن مسألة لا أجد لها في كتاب الله، ولا في سنّة رسوله ﷺ مخرجاً وفتياه وإخراجه من يمينه؟ قال: المأمون: قد حفظت قوله.

فقلت: يا أمير المؤمنين، لو ورد عليَّ ثلاثة نفر، فتنازعوا في الكوكب الذي أخبر الله أن إبراهيم رآه بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾[1]، فقال أحدهم: حلفت بالطلاق أنه المشتري، وقال

(1) سورة الأنعام، آية: 76.

الآخر: حلفت بالطلاق أنه الزهرة، وقال الآخر: حلفت بالطلاق أنه المريخ، فأجبنا عن مسألتنا وأفتنا في أيماننا، أكان عليَّ أن أجيبهم في مسألتهم وأفتيهم في أيمانهم، وذلك لم يخبرنا الله ولا رسوله به.

فقال المأمون: وما ذاك بواجب ولا لك بلازم.

فقلت: يا أمير المؤمنين، فلو ورد على ثلاثة نفر قد تنازعوا في الأقلام التي أخبر الله عنها بقوله: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾[1]، فقال أحدهم: حلفت بالطلاق أنها من نحاس، وقال الآخر: حلفت بالطلاق أنها فضة، وقال الآخر: حلفت بالطلاق أن الأقلام خشب، فأجبنا عن مسألتنا وأفتنا في أيماننا، وذلك مما لم يخبر الله به ولا رسوله، ولا يوجد علمه في كتاب ولا سنّة، أكان عليَّ يا أمير المؤمنين أن أجيبهم عن مسألتهم، وأفتيهم في أيمانهم؟

فقال المأمون: لا، ما ذاك بواجب عليك ولا يلزمك.

قلت: فلو ورد عليَّ ثلاثة نفر قد تنازعوا في المؤذن الذي أخبر الله عنه في كتابه بقوله: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]، فقال أحدهم حلفت بالطلاق أن المؤذن من الإنس، وقال الآخر: حلفت بالطلاق أن المؤذن من الجن، وقال الآخر: حلفت بالطلاق أن المؤذن من الملائكة. فأجبنا عن مسألتنا وأفتنا في أيماننا، أكان عليَّ إجابتهم، وذلك مما لم يخبر به الله عزّ وجلّ، ولا رسول الله ﷺ، ولا يوجد علمه في كتاب الله، ولا سنّة رسول الله ﷺ؟

قال المأمون: ما ذاك عليك بواجب، ولا لك بلازم.

فقلت: صدقت يا أمير المؤمنين، لا يجوز لي ولا لغيري إجابتهم عن مسألتهم، ولا قبول قولهم في أيمانهم، إلا أن يكون عزّ وجلّ قد أخبر به في كتابه وعلى لسان نبيّه محمد ﷺ، وإذا لم يجز هذا في خلق الله، فكيف يجوز الجواب علىٰ علم الله عزّ وجلّ، وهو مما لم يوجد في كتاب الله، ولا في سنّة نبيّه

---

(1) سورة آل عمران، آية: 44.

(2) سورة الأعراف، آية: 44.

محمد ﷺ، وقد أكذب الله بشراً على لسان أمير المؤمنين فيما ادعاه من وجوب الجواب في فتوى من جهل في مسألة، وحمق في يمينه.

فقال المأمون: أحسنت يا عبد العزيز.

فقال بشر: واحدة بواحدة يا أمير المؤمنين، سألني عبد العزيز أن أقرَّ أنَّ للهِ علماً، فلم أجبه، وسألته عمَّا هو علم الله، فلم يجبني، فقد استوينا في الحيدة، ونخرج من هذه المسألة إلى غيرها، وندعها من غير حجة تثبت لأحدنا على الآخر.

قال عبد العزيز: فقلت يا أمير المؤمنين، إن بِشراً قد أفحِمَ وانقطع عن الجواب، ودُحِضَتْ حُجَّتُهُ، وبانت فضيحتُه، وبقي بلا حُجة يقيمها لمذهبه الذي هو عليه، ويدعو إليه، فلجأ أن يسألني مسألة محال يحج بها مني، ليقول سألني عبد العزيز عن مسألة فلم أجبه، وسألته عن مسألة فلم يجبني فيها، وقد قال ذلك الساعة، وأنا وبشر يا أمير المؤمنين على غير السواء في مسألتنا، لأني سألته عما أخبرنا الله في كتابه في مواضع كثيرة، وشهد به على نفسه، وشهدتْ له به الملائكة، بقوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾[1]، فأخبرنا بعلمه، وشهد به لنفسه، وشهد له به ملائكته، وتعبد الله نبيّه وسائر الخلق، بالإقرار به والإيمان به بقوله: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾[2]، وبشر يا أمير المؤمنين يأبى أن يؤمن بذلك، أو يقر به أو يصدق. وسألني بشر عن مسألة ستر الله علمها عن ملائكته وأنبيائه، وعن رسله وأهل ولايته جميعاً. وعني وعن بشر وعن سائر الخلق ممن مضى في سائر الدهر، ومَنْ هو آت إلى يوم القيامة، فلم يعلمه أحد قبلنا، ولم يعلمه أحد بعدنا، فلم يكن لي أن أجيبه عن مسألته، وإنما يدخل النقض عليَّ يا أمير المؤمنين لو كان بشر يعلم ما سألني عنه أو غيره من العلماء، وكنت أنا لا أعلم، فأما إذا اجتمعنا جميعاً أنا وبشر وسائر

---

(1) سورة النساء، آية: 166.

(2) سورة الشورى، آية: 15.

الخلق في جهلٍ، فليس الضرر بداخل عليَّ دونه، وهذه مسألة لا يحل لأحد أن يسأل عنها، ولا يحل لأحد أن يجيب عنها، لأن الله عزّ وجلّ حرم ذلك وحظره ونهى عنه.

فقال المأمون: أنتما في مسألتكما على غير السواء، وقد صح قولك في هذه المسألة، وبان ووضح يا عبد العزيز، وظهرت حجتك على بشر فيها.

قال عبد العزيز: ورأيت بشراً قد حاد وانقطع، وصح ما في يدي واستبان الحق ووضح لأمير المؤمنين، ولسائر من بحضرته، وشهد لي أمير المؤمنين بذلك، فقلت: يا أمير المؤمنين، لست أدَعُ بِشراً حتى أكسر قوله، وأدحض حجته من كل جهة، وأرجع إلى أول المسألة، وأدع ذكر العلم، وأحتج بما يبطل دعواه ويفضح مذهبه.

فقال المأمون: قد أصبت يا عبد العزيز بتركك الكلام فيما قطع المجلس من غير أن يرجع إليك عن مسألتك جواب، وقد وقفنا من قولك وشرحك على ما يلزم بِشراً في هذه المسألة، ولو أجابك في مسألتك فاخرجْ عنها إلى غيرها كما قلت، واحتجْ على بشر بغيرها.

قال عبد العزيز: فقلت يا أمير المؤمنين، أيجب على كل من كال بمكيال أن يوفي؟ فقال: ذلك يلزمه.

فقلت: يا بشر، تزعم أن قول الله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[1]، لا يخرج عنها شيء، لأن تلك كلمة تجمع الأشياء كلها، فلا تدع شيئاً يخرج عنها، وكل ذلك داخل فيها؟

قال بشر: نعم هكذا قلت، هكذا أقول، ولست أرجع عن قولي لكثرة خطبك وهذيانك. فقلت: يا أمير المؤمنين، شاهد عليه بهذا؟

قال المأمون: أنا شاهد عليه بهذا، فتكلم بما تريد.

---

(1) سورة الأنعام، آية: 102، والرعد: 16، والزمر: 62.

فقلت: يا بشر، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾[1]، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[2]، وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[3]، وقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾[4]، فقد أخبرنا الله عزّ وجلّ في مواضع كثيرة من كتابه أن له نفساً، فتقرُّ يا بشر أن لله نفساً كما أخبرنا عنها؟ قال: نعم. فقلت: يا أمير المؤمنين اشهد عليه أنه أقر أن لله نفساً، قال: نعم قد سمعت قوله، وشهدت عليه. فقلت: قال الله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[5]، فتقول: يا بشر أن نفس الله عزّ وجلّ داخلة في هذه النفوس التي تذوق الموت؟ فصاح بأعلى صوته ـ وكان جهوري الصوت ـ معاذ الله، معاذ الله.

قال عبد العزيز: فرفعت صوتي إذاً وقلت: معاذ الله أن يكون كلام الله داخلاً في الأشياء المخلوقة، كما أن نفسه ليست بداخلة في الأشياء الميتة. فقال بشر: يا أمير المؤمنين قد سألني فليسمع كلامي، وليدع الضجيج والصياح، قلت له: تكلم بما شئت.

فقال بشر: وإن كانت نفس الله غير الله، أو هو هو فليست بداخلة في هذه النفوس.

فقلت له: كم ألقي إليك إني أقول بالخبر وأمسك عن علم ما ستر عني، وإنما قلت إن لله نفساً كما أخبر في كتابه، وأقررت بذلك عندي، فليكن عندك على أي معنى شئت، وقل إنها داخلة في هذه النفوس أم لا؟ ودع عنك كلام الخطرات والوسواس.

فقال: أنت رجل متعنت وليس عندي جواب غيرها.

---

(1) سورة طه، آية: 41.
(2) سورة آل عمران، آية: 28.
(3) سورة الأنعام، آية: 54.
(4) سورة المائدة، آية: 116.
(5) سورة الأنبياء، آية: 35.

فقال عبد العزيز: فقلت يا أمير المؤمنين، قد كسرت قوله في هذه المسألة بالقول الأول، والقول الثاني في باب العلم، وكسرت قوله بغضبه، ودحضت حجته بمذهبه، وبطل ما كان يدعو إليه من بدعته، ويا أمير المؤمنين قبح مذهبه وفحش قوله.

فأقبل المأمون عليَّ وقال: يا عبد العزيز، قد وضحت حجتك، وبان قولك، وانكسر قول بشر في هذه المسألة، ونحتاج أن تشرح لنا هذه الأخبار في القرآن، وما أراد الله عزّ وجلّ.

قال عبد العزيز: فقلت يا أمير المؤمنين، إن الله عزّ وجلّ شرَّف العربَ وكرَّمهمْ، وأنزل القرآن بلسانهم، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[1]، وقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾[2]، فخص الله عزّ وجلّ العرب بفهمه ومعرفته، وفضلهم على غيرهم بعلم أخباره، ومعاني ألفاظه، وخصوصه وعمومه، ومحكمه ومبهمه، وخاطبهم بما عقلوه وعلموه ولم يجهلوه، إذ كانوا قبل نزوله عليهم يتعاملون بمثل ذلك في خطابهم، فأنزل الله عزّ وجلّ القرآن على أربعة أخبار، خاصة وعامة، (فمنها) خبر مخرجه مخرج الخصوص، ومعناه معنى الخصوص، وهو قوله تعالى: ﴿إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾[3]. وقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾[4] ثم قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾[5]، والناس اسم يجمع آدم وعيسى وما بينهما، وما بعدهما، فعقل المؤمنون عن الله عزّ وجلّ أنه لم يعن آدم وعيسى، لأنه قدم خبر خلقهما.

(ومنها) خبر مخرجه العموم، ومعناه معنى الخصوص، وهو قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾[6]، فعقل عن الله أنه لم يعنِ إبليسَ فيمن تسعه

---

(1) سورة يوسف، آية: 2.
(2) سورة مريم، آية: 97، والدخان، آية: 58.
(3) سورة ص، آية: 71.
(4) سورة آل عمران، آية: 59.
(5) سورة الحجرات، آية: 13.
(6) سورة الأعراف، آية: 156.

الرحمة، لما تقدم فيه من الخبر الخاص قبل ذلك، وهو قوله ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1] فصار معنىٰ ذلك الخبر العام خاصاً، لخروج إبليس ومن تبعه من سعة رحمة الله التي وسعت كل شيء.

(ومنها) خبر مخرجه الخصوص ومعناه معنى العموم، وهو قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾[2]، فكان مخرجه خاصاً ومعناه عاماً. (ومنها) خبر مخرجه العموم ومعناه العموم.

فهذه الأربعة الأخبار خص الله العرب بفهمها، ومعرفة معانيها وألفاظها وخصوصها وعمومها والخطاب بها، ثم لم يدعها اشتباهاً على خلقه، وفيها بيان ظاهر لا يخفى على من تدبره من غير العرب ممن يعرف الخاص والعام.

فلما قدَّم إلينا عزّ وجلّ في نفسه خبراً خاصاً أنه حي لا يموت، بقوله عزّ وجلّ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[3]، ثم أنزل خبراً مخرجه مخرج العموم ومعناه الخصوص، فقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[4]، فعقل المؤمنون عن الله عزّ وجلّ أنه لم يعن نفسه مع هذه النفوس، لما قدَّم إليهم من الخبر الخاص.

وكذلك قدَّم إلينا في كتابه خبراً خاصاً: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[5]، فدلَّ على قوله باسم مفرد، فقال: ﴿إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾، ولم يقل إذا أردناهما، ففرق بين القول والشيء المخلوق الذي يكون بالقول مخلوقاً. ثم قال عزّ وجلّ: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[6]، فعقل المؤمنون عن الله عزّ وجلّ أنه لم يعنِ كلامه وقوله في الأشياء المخلوقة، لما قدم من الخبر الخاص.

فقال المأمون: أحسنت، فاخرجوا منها إلى غيرها.

---

(1) سورة ص، آية: 85.
(2) سورة النجم، آية: 49.
(3) سورة الفرقان، آية: 58.
(4) سورة آل عمران، آية: 185، والأنبياء: 35، والعنكبوت: 57.
(5) سورة النحل، آية: 40.
(6) الأنعام 102، الرعد 16، الزمر 72، غافر 62.

فقال بشر: قد خطبت وتكلمت وهذيت وتركتك تفرح بما ادعيت من إبطال خلق القرآن بنص التنزيل، وههنا آية من كتاب الله لا يتهيأ لك معارضتها ودفعها، ولا التشبيه فيها، كما فعلت في غيرها بنص خلق القرآن، وإنما أخرتُها ليكون انقضاء المجلس بها، وفيها سفك دمك.

قال عبد العزيز: فقلت لبشر هاتها، وأنا أشهد أمير المؤمنين على نفسي أني أول من يتبعك عليها، ويقول بها، ويرجع عن قوله، ويكذب نفسه ويتوب إلى الله عزّ وجلّ إن كان معك بنص التنزيل، ومن خالفك فهو كافر، والله لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل ما قلت لم يأتوا به، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

قال بشر: قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[1].

فقلت: لا أعلم أحداً من المؤمنين إلا وهو مؤمن بهذا ويُقِرُّ به، ويقول إن الله جعله عربياً، فأي شيء في هذا من الحجة والدليل على خلقه!

فقال بشر: هل في الخلق أحد يشك في هذا أو يخالف عليه، أن معنى (جعلناه) خلقناه.

قال: فقلت يا أمير المؤمنين، ذهب نص التنزيل الذي ادعاه أنه يأتي به، ورجعنا إلى معناه وتأويله.

قال بشر: ما هذا إلا نص التنزيل، وما هذا بتأويل ولا بتفسير.

قال: فأقبلت على المأمون فقلت: يا أمير المؤمنين، إن القرآن نزل بلسانك ولسان قومك، وأنت أعلم أهل الأرض بلغة قومك ولغة العرب كلها، ومعاني كلامها. وبِشْر رجل من أبناء العجم يتأول كتاب الله تعالى على غير ما أنزل، غير ما عناه الله عزّ وجلّ، ويحرفه عن مواضعه، ويبدل معانيه، ويقول ما تنكره العرب وكلامها ولغاتها، وأنت أعلم خلق الله بذلك، وإنما يكفِّرُ بِشر الناس، ويستبيح دماءهم بتأويل لا بتنزيل.

---

(1) الزخرف 3.

فجعل بشر يقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[1]، يروغ عبد العزيز إلى الكلام والخطب والاستعانة بأمير المؤمنين لينقطع المجلس، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2]، ثم ضرب بشر يده على فخذه وغمز وقال: قد أتيتك بما لا تقدر على رده، ولا التشبيه فيه لينقطع المجلس بثبات الحجة عليك، وإيجاب العقوبة لك، فإن كان عندك شيء فتكلم به، وإلا فقد قطع الله مقالتك، وأدحض حجتك ـ وجعل يصيح ويقول: فرَّحناك أول المجلس وأطمعناك[3] حتى استطلت في الكلام، وتفرعت[4] وتوهمت أنك قد قدرت على ما أردت، فأين كلامك؟ وأين احتجاجك. حصل ما أخرسك وذهب بعقلك، وأباح دمك، قال الله عزّ وجلّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾[5]، قد اشتعل قلبي بقلبك، والفكر في ذلك.

قال عبد العزيز: فأقبل المأمون عليَّ فقال: يا عبد العزيز، ما لك قد أمسكت فلا تتكلم! أجبه إن كان عندك جواب لمسألته.

قلت: ليس يدعني أجيبه، ولا أكلمه من ضجيجه وجلبته، كأنه قد جاء بحجة، فإنْ سكت تكلمت وأجبته، وكسرت قوله، وأدحضت حجته بإذن الله، وإن كان غايته أن يهذي ويصيح ويروج الكلام تركته. وأمير المؤمنين أعلى عيناً بما يراه.

فصاح به المأمون: أمسك واسمع مع الرجل جواب ما سألته عنه، ودع عنك الهذيان. وأقبل المأمون عليَّ فقال: تكلم يا عبد العزيز بما تريد.

فقلت: يا أمير المؤمنين، ما خفي عليك ما جرى اليوم في مجلسك، ولنعمَ

---

(1) الإسراء 81.
(2) البقرة 89.
(3) في الأصل المطبوع: أطعمناك.
(4) لعلها: تفرعنت.
(5) الأنعام، آية: 44. وفي الأصل المطبوع: فلما فرحوا، من خطأ الطبع، والعبارة بعد الآية فيها غموض، لعل فيها نقصاً أو تحريفاً.

الحاكم أنت، وجزاك الله عني وعن رعيتك خيراً، وبشر يؤول الشيء على ما يخطر بباله بغير علم ولا حقيقة لقوله، فإن رأى أمير المؤمنين أن يتحفظ علينا ألفاظنا، وما يجري بيننا في هذه المسألة، ويشهد علينا بما نقول من الكتاب أو السنّة، فعل.

فقال أمير المؤمنين: أنا أفعل ذلك منذ اليوم، حتى لو احتيج إلى إعادة ما مضى لأعدته عليكما.

فأقبلت على بشر فقلت: يا بشر، أخبرني عن «جعل» هذا الحرف لا يحتمل غير الخلق؟ قال: لا، وما بين جعل وخلق عندي فرق، ولا عند أحد غيري من سائر الناس من العرب، ولا من العجم، ولا يتعارف الناس إلا هذا.

قلت لبشر: أخبرني عن نفسك، ودع ذكر العرب وسائر الناس، فأنا من الناس ومن الخلق ومن العرب، وأنا أخالفك على هذا، وكذلك سائر العرب يخالفونك.

قال بشر: هذه دعوى منك على العرب، وكل العرب والعجم يقولون ما قلت أنا، وما يخالف في هذا غيرك.

فقلت: أخبرني يا بشر، إجماع العرب والعجم بزعمك أن (جعل وخلق) واحد، لا فرق بينهما في هذا الحرف وحده، أو في سائر ما في القرآن من (جعل)؟

قال بشر: بل ما في سائر القرآن من جعل، وسائر ما في الكلام والأخبار والأشعار.

فقلت: قد حفظ عليك أمير المؤمنين ما قلت، وشهد به عليك.

قال بشر: أنا أعيد عليك هذا القول متى شئت، ولا أرجع عنه، ولا أخالفه.

فقلت لبشر: زعمت أن معنى جعلناه خلقناه قرآناً عربياً؟

قال: نعم، هكذا قلت، وهكذا أقول أبداً. فقلت له: أخبرني، تفرَّد الله بخلق القرآن أو شاركه في خلقه أحد غيره؟ فقلت له: أخبرني عمن قال: بعض

ولد آدم خلق القرآن من دون الله أمؤمن هو أم كافر؟

قال بشر: كافر حلال الدم. فقلت: صدقت، إنه كافر حلال الدم.

قلت: فأخبرني عمن قال: التوراة خلقتها اليهود من دون الله عزّ وجلّ، أمؤمن هو أم كافر؟ قال: بل كافر حلال الدم.

قلت: صدقت إنه كافر حلال الدم بإجماع الأمة. قلت: فأخبرني عمن قال: إن بني آدم خلق الله، وإن الله تعالى أخبر بذلك في كتابه، أمؤمن هو أم كافر؟ قال بشر: بل كافر حلال الدم.

فقلت: يا بشر، الله خلق الخلق كلَّهم؟ قال: بلى. قلت: فهل شاركه في خلقهم أحد من خلقه؟ قال: لا. قلت: صدقت، فأخبرني عمن قال إن بني آدم شاركوه في خلقه، أمؤمن هو أم كافر؟ قال: بل كافر حلال الدم. قلت: صدقت، وهكذا أقول أنا أيضاً.

قال بشر: فقد قعدت لتجيبني إيش هذا مما نحن فيه، إنما تريد أن تشغلني حتى يؤذن الظهر وينقطع المجلس، رجاء أن تنصرف منه سالماً، وهذا مما لا يكون، فإن كان عندك جواب، فقد انقطع الكلام، وإيش هذه الخرافات والمحنة الباردة؟ هات ما عندك.

فقلت: قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ « جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ » عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾[1]، خلقتم الله عليكم كفيلا؟ لا معنى له عند بشر غير ذلك، ثم قال: من قال هذا فهو كافر حلال الدم، فلم يرض بشر أن يقول بنو آدم خلقوا الله حتى زعم أن الله قال وشهد لهم في كتابه؟ ومن قال هذا فقد أعظم الفرية على الله عزّ وجلّ، وكفر به، وحل دمه بإجماع الأمة.

وقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾[2]، فزعم بشر أن

(1) سورة النحل، آية: 91.
(2) سورة البقرة، آية: 422.

معنى (ولا تجعلوا الله)، ولا تخلقوا الله، لا معنى له عنده غير ذاك، ثم قال، من قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة، لأنه حكى أن الله أخبر بمثل هذا.

وقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ﴾[1]، فزعم بشر أن معنى (ويجعلون لله البنات) يخلقون لله البنات، لا معنى لذلك غير هذا، ثم قال: من قال هذا فهو كافر حلال الدم.

فقال المأمون: ما أقبح هذه المقالة وأعظمها وأشنعها، فحسبك يا عبد العزيز، فقد صح قولك، وأقر بشر بما حكيت عنه، وكفَّر نفسه من حيث لم يدرِ.

فقلت: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تأذن لي أن أنتزع بآيات بقيت وأختصر.

قال المأمون: قل ما شئت.

قلت: قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[2]، فزعم بشر أن معنى (جعلوا لله)، خلقوا لله أنداداً. ثم قال: من قال هذا فهو كافر حلال الدم، وقد صدق أنه من قال هذا فهو كافر حلال الدم، إذ كان قد أخبر بمثل هذا عن الله عزّ وجلّ.

وقال: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾[3]، فزعم بشر أن معنى جعلوا خلقوا لله، لا معنى لذلك غير هذا، ثم قال: من قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة، إذ حكى الله عزّ وجلّ مثل هذا.

وقال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾[4]، فزعم بشر أن معنى (جعلوا) خلقوا، لا معنى لذلك غيره، وقد كذَّب تعالى بشراً في قوله هذا، ونزل

---

(1) سورة النحل، آية: 57.

(2) سورة إبراهيم، آية: 30.

(3) سورة الأنعام، آية: 100.

(4) سورة الرعد، آية: 33.

الرد بقوله فأخبر عن كفره: ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ﴾ الآية[1]، فأخبر تعالى عن كفر بشر وكذّب قوله، ونفاه عن نفسه.

وقال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ﴾ الآية[2]، فزعم بشر أن معنى جعلا له، خلقا له شركاء، لا معنى له غير ذلك عنده، ثم قال: من قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة.

ومثله: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ﴾[3]، ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ﴾[4]، وأمثال هذا في القرآن يطول ذكره، مما يدل على كفر بشر وإحلال دمه.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ * ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾[5]، فزعم بشر أن المقتسمين خلقوا القرآن، لا معنى عنده غيره، فصار القرآن عنده مخلوقاً بخلق المقتسمين له، لا بخلق الرحمن، ثم قال: من قال هذا فهو كافر وحل دمه، وقد صدق أن من قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة.

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ﴾[6]، فزعم بشر أن اليهود خلقت التوراة، ثم قال: من قال هذا فهو كافر حلال الدم بإجماع الأمة، وقد صدق.

قال عبد العزيز: فأقبل المأمون عليَّ وقال: حسبك يا عبد العزيز، فقد أقرَّ بشر على نفسه بالكفر وإحلال الدم، وأشهدني على نفسه بذلك، وقد صدقت فيما قلته، ولكنه قال ما قال وهو لا يعقل، ولا يعلم ما عليه فيه.

(1) سورة الرعد، آية: 33.
(2) سورة الأعراف، آية: 190.
(3) سورة الزخرف، آية: 19.
(4) الرعد 16.
(5) سورة الحجر، الآيتان: 90 ـ 91.
(6) سورة الأنعام، آية: 91.

فقلت: إنما خاطبت أمير المؤمنين، وأستشهده على ما حصل في يدي، وأقرَّ به بشر، وأشهد به على نفسه، وعلمتُ أن أمير المؤمنين قد حفظ عليه كلامه وألفاظه، ولولا ذلك ما اجترأت على أن أحكي عنه نكاية، وأستشهد به عليه بها، فلم أحصها عليه.

فقال المأمون: صدقت يا عبد العزيز. ثم أقبل المأمون عليَّ وقال: تكلم يا عبد العزيز في بيان هذا، في ذكر «جعل وخلق» الذي في القرآن، وفرِّقْ ما بين جعل وخلق، واشرح ذلك ليقف عليه من يحضرنا ويعرفه.

قلت: نعم يا أمير المؤمنين، ولكن إن رأيت أنك تأذن لي فأقول قبل البيان والشرح أشياء في هذا المعنى، مما أكسر به قول بشر وأدحض به حجته، وأكسر مذهبه، وأبطل بها اعتقاده.

فقال [المأمون]: قل ولا تطل، إنما هو شيء أدرسه درساً.

قال، فقلت: قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾[1]، وقال في موضع آخر لنبيّه عليه السلام: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾[2]، فزعم بشر أن الله قال لنبيّه: ولا تخلق مع الله إلهاً آخر، فلا أعظم قولاً من هذا وأشنع.

وقال الله عزّ وجلّ لنبيّه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾[3]، فزعم بشر أن الله قال لنبيّه ولا تخلق يدك، والله خلقه خلقاً تاماً مستوياً، وزعم أن الله بعثه رسولاً وليس له يد، ثم خاطبه بعد الرسالة بهذا الخطاب.

فمن أقبح قولاً وأفحش ممن قال هذا؟!

وقال الله عزّ وجلّ في قصة موسى وفرعون، وقوله لموسى: ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ

---

(1) سورة الإسراء، آية: 22.

(2) سورة الإسراء، آية: 39.

(3) سورة الإسراء، آية: 29.

﴿ٱلْمَسْجُونِينَ﴾[1]، فزعم بشر أن فرعون قال لموسى وقد بعثه الله رسولاً (لأخلقنَّك)، فأي قول أقبح من هذا؟!.

وقال في قصة موسى: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[2]، فزعم بشر أن الله تعالى وعد أم موسى أن يرده إليها، ويخلقه من المرسلين، والله تعالى أمرها بعد خلقه وولادته ورضاعه أن تلقيه في اليمِّ، ووعدها أن يرده إليها بعد أن تلقيه وهو غير مخلوق.

وقال الله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم﴾[3]، فزعم بشر أن الله تعالى قال لعباده: ولا تخلقوا دعاء الرسول.

وقال: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[4]، فوعد بعد خلقهم، فزعم بشر أن الله وعدهم أن يمنَّ عليهم ويخلقهم.

وقال الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾[5]، وإنما خاطبه بالخلافة بعد أن خلقه، وبعد أن جاهد في سبيله وقاتل أعداءه، وقتل جالوت، فزعم بشر أن الله عزّ وجلّ قال إنَّا خلقناك خليفة في الأرض.

وقال الله عزّ وجلّ عن إبراهيم وإسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾[6]، فأخبر أنهما دعوا ربهما وهما مخلوقان، ما أقبح هذا القول. وقال الله عزّ وجلّ: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾[7]، فأخبر أنه ما جعل ذلك كذلك، تكذيباً لمن جعل ذلك. وزعم بشر أن الله تعالى ما خلق البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، إنما خلقها الكافر من دون الله عزّ وجلّ. ومن قال هذا فقد كفر بالله تعالى.

---

(1) سورة الشعراء، آية: 29.
(2) سورة القصص، آية: 7.
(3) سورة النور، آية: 63.
(4) سورة القصص، آية: 5.
(5) سورة ص، آية: 26.
(6) سورة البقرة، آية: 128.
(7) سورة المائدة، آية: 103.

فقال المأمون: حسبك فقد ثبتت حجتك في هذه كلها، كما في المسألة الأولى، وانكسر قول بشر وبطلت دعواه، فارجع إلى بيان ما قد انتزعت وشرحه ومعانيه، وما أراد الله عزّ وجلّ به، وما هو من جعل مخلوق، وما هو غير مخلوق، وما تتعامل به العرب في لغاتهم، وفرق ما بين هذا وهذا.

قال عبد العزيز: فقلت، يا أمير المؤمنين، إن «جعل» في كتاب الله يحتمل عند العرب معنيين، معنى خلق، ومعنى صَيَّرَ، فلما كان خلق خلقاً محكماً لا يحتمل غير المخلوقين، فكان من صنعة الخالق لم يتعبد الله به العباد، فيقول: اخلقوا ولا تخلقوا، إذا كان الخلق ليس من صناعة المخلوقين، وإنما هو من فعل الخالق.

ولما كان جعل يحتمل معنيين، معنى خلق ومعنى صيَّر، لم يدع الله في ذلك اشتباهاً على خلقه، فيلحد الملحدون، ويشبه المشبهون على خلقه، كما فعل بشر وأصحابه حتى جعل الله عزّ وجلّ على كل من الكلمتين علماً ودليلاً فرق به بين جعل، الذي بمعنى خلق، وجعل الذي بمعنى صيَّر.

فأما جعل الذي هو على معنى خلق، فإن الله عزّ وجلّ جعله من القول المفصل، فأنزل القرآن به مفصلاً، وهو بَيِّنٌ لقوم يفقهون، والقول المفصل يستغني السامع إذا أخبِر به عن أن توصل له الكلمة بغيرها من الكلام، إذ كانت قائمة بذاتها على معناها، فمن ذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[1]، فسواء عند العرب قال جعل أو قال خلق، لأنها قد علمت أنه أراد بها خلق، لأنه أنزله من القول المفصل، وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾[2]، فقالت العرب أن معنى هذا: وخلق لكم، إذ كان قولاً مفصلاً، وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾[3]، فعقلت العرب عنه أنه عنى خلق

---

(1) سورة الأنعام، آية: 1.

(2) سورة النحل، آية: 72.

(3) سورة النحل، آية: 78.

لكم، إذ كان من القول المفصل، فسواء قال خلق أو جعل.

وأما جعل الذي هو على معنى التصيير، لا معنى الخلق، فإن الله عزّ وجلّ أنزله من القول الموصل الذي لا يدري المخاطب به حتى يصل الكلمة بكلمة بعدها، فيعلم ما أراد بها، وإن تركها مفصولة لم يصلها بغيرها من الكلام، لم يفهم السامع لها ما يعني بها، ولم يقف على ما أراد بها، فمن ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1]، فلو قال: «إنَّا جعلناك» ولم يصلها بخليفة في الأرض، لم يعقل داود ما خاطبه به عزّ وجلّ، لأنه خاطبه وهو مخلوق، فلما وصلها بخليفة، عقل داود ما أراد بخطابه.

وكذلك حين قال لأم موسى: ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[2]، فلو لم يصل «جاعلوه» بـ «المرسلين» لم تعقل أم موسى ما عنى الله عزّ وجلّ بقوله وجاعلوه، إذ كان خلق موسى متقدماً لرده إليها، فلما وصل جاعلوه بالمرسلين عقلت أم موسى ما أراد الله عزّ وجلّ بخطابها، وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾[3] فلو لم يقل «دكاً» لم يعقل أحد ما أراد بقوله هذا، إذ كان خلق الجبل متقدماً قبل أن يتجلى له، فلما وصله بذلك عقل السامع ما أراد بقوله.

وكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾[4]، فلو لم يصل اجعلنا بـ «مسلمين» لك، لم يعقل السامع لهذا الدعاء ما أراد بقولهما «واجعلنا»، فلما وصله بمسلمين لك، عقل السامع ما أراد بدعوتهما.

وكذلك قول إبراهيم: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾[5]، فلو لم يصل البلد بآمناً لم يعقل أحد ممن سمع دعاءه ما عنى به، وما أراد، إذ كان البلد قد خلق متقدماً لخلق إبراهيم، فلما وصل البلد بـ «آمناً» عقل السامع ما أراد به وما عنى.

---

(1) سورة ص، آية: 26.
(2) سورة القصص، آية: 7.
(3) سورة الأعراف، آية: 143.
(4) سورة البقرة، آية: 128.
(5) سورة البقرة، آية: 126.

ومثل هذا كثير في القرآن يا أمير المؤمنين، والذي تعرف العرب التعامل به في لغاتها وخطابها، ومعاني كلامها، ومخارج ألفاظها، هو الذي جرت عليه سنّة الله عزّ وجلّ في كتابه، إذ كان إنما أنزل القرآن بلسانها، والتف على بنيانها، فخاطبهم الله عزّ وجلّ بما عقلوه وعرفوه ولم ينكروه. وهذا القول المفصل والموصل.

فأرجع أنا وبشر يا أمير المؤمنين فيما اختلفنا فيه من قول الله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[1] إلى سنّة الله في كتابه في الجعلين جميعاً، وإلى سنّة العرب أيضاً مما تتعارفه وتتعامل به.

فإن كان من القول الموصل، فهو كما قلت إن الله جعله قرآناً عربياً، أي صيَّره قرآناً عربياً وأنزله بلغة العرب ولسانها، ولم يصيره أعجمياً فيبين له بلغة العجم، وإن كان من القول المفصل، فهو كما قال بشر إن الله خلقه قرآناً عربياً ولم تجد ذلك أبداً، وإنما دخل الجهل يا أمير المؤمنين على بشر ومن قال بقوله، لأنهم ليسوا من العرب، ولا علم لهم بلغة العرب ومعاني كلامها، فتأول القرآن على لغة العجم التي لا تفقه ما تقول، وأنها تتكلم بالشيء كما يجري على لسانها، وكل كلامهم ينقض بعضه بعضاً، ولا يعتقدون ذلك من أنفسهم، ولا يعتقده عليهم غيرهم لكثرة خطئهم ولحنهم وادعائهم لذلك.

وسمعت عبد الملك بن قريب الأصمعي، وقد سأله رجل فقال له: أتدغم الفاء في الباء؟ فتبسم الأصمعي وقبض على يدي ـ وكان لي إلفاً صديقاً ـ فقال: أما تسمع يا أبا محمد؟ ثم أقبل على السائل وهو متعجب من مسألته، فقال: يا هذا أتدغم الفاء في الباء في لغة أخرى ماني الساساني يقولون. . . .[2] فيدغمون الفاء في الباء، فأما العرب فلا تعرف هذا.

قال عبد العزيز: فاشتد تبسم المأمون من قول الأصمعي ووضع يده على

---

(1) سورة الزخرف، آية: 3.

(2) بياض بالأصل.

فيه. فقلت: وهذا الذي يأتينا به بشر من لغة أصحاب ماني الساساني.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين، يذمنا ويكفرنا ويقول إنَّا نحرف القرآن عن مواضعه، وقد وضع من شأن القرآن وقدره، وسماه بأنقص الأسماء، ووصفه بأخسِّ الصفات وأقلها، لأن الله عزّ وجلّ سمَّاه كتاباً عربياً، وسمَّاه كريماً، فأخبر عنه أنه كلام تام بقوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[1]، وسماه عبد العزيز موصلاً ومفصلاً، فخالف كتاب الله وضعفه، وذم ما مدح الله، لأن الموصل عند العرب والعجم وسائر الخلق، دون التام الصحيح الكامل، إذ كان الموصل عندهم جميعاً هو الملصق الذي وصل بعضه ببعض، ولفق بعضه ببعض، فإذا أراد الرجل من العرب وغيرهم أن يضع من قدر الشيء قال: هو موصل ملفق، وليس هو صحيح، وإن قطع الثوب قيل مفصل مقطع، فسمى عبد العزيز كتاب الله ناقصاً ذميماً، وقال إثماً وبهتاناً عظيماً، ولو قلت أنا هذا أو ما دونه، لخطب وصاح وجلب واستغاث بأمير المؤمنين، وأخرجني عن الإسلام، وهو يقول العظائم اليوم وأمير المؤمنين يحلم عليه، وهو يبغي لحلمه عليه.

فقال عبد العزيز: فقلت لبشر: وهذا أيضاً من جهلك لما في كتاب الله. تذمني وتزعم أني سميت كلام الله ناقصاً، وتغري بي أمير المؤمنين وهو أعلم خلق الله بما قلته وأوضحته، وما قلت إلا ما قال الله عزّ وجلّ، وما نسبت إلى كتاب الله إلا ما نسبه إليه وارتضاه له، وهو عند العرب الفصحاء كلام جيد صحيح مرتضى، وأنت تزعم أن كلام الله الذي هو من ذاته مخلوق، وتشبهه بكلام المخلوقين مثل الشعر أو قول الزور وغيره، وتنكر عليَّ أن أسميه بما سماه الله عزّ وجلّ به.

قال بشر: وأين سماه موصلاً ومفصلاً؟ قلت: في كتابه من حيث لا تعلمه أنت ولا تفهمه. قال: فاذكر ذلك.

قال عبد العزيز: قلت: قال الله عزّ وجلّ: ﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ

(1) سورة الأنعام، آية: 38.

﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾[1]، وهو تسمية الله لقوله، وتسمية لكلامه بنص التنزيل لا بتأويل ولا بتفسير. وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾[2]، فامتدحهم بصلة ما يوصل، وأثنى عليهم في غير آية، ووعدهم على ذلك أحسن عدة، وهي الجنة، فقال: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٍ يَدۡخُلُونَهَا﴾ الآية[3]، فهذه مدحة الله، وهذا ثناء الله، وهذا جزاء الله لمن وصل ما وصل الله.

ولقد ذمَّ الله عزّ وجلّ من قطع ما أمر الله به عزّ وجلّ أن يوصل، ولعنهم وجعلهم من الخاسرين، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[4]، يعني النار، وقال في موضع آخر: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[5]، وهذا ذمٌّ من الله عزّ وجلّ لمن قطع ما أمر الله بصلته، وهذا وعيد الله ولعنته لهم.

ثم ذكر المفصل في كتابه، فقال: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[6]، وقال: ﴿حمٓ * تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا﴾[7]، وقال: ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٍ يَفۡقَهُونَ﴾[8]، فهذا قول الله عزّ وجلّ، وهذه تسمية الله لكتابه، وهذا نسبة الله عزّ وجلّ لقوله، واختياره لنفسه، وهو ما ارتضاه الله ورضيه من قائليه.

ثم أقبلت على المأمون فقلت: يا أمير المؤمنين، يزعم بشر أني سمَّيتُ كتاب الله اسماً ناقصاً خسيساً، وأني أتيتُ في ذلك بهتاناً عظيماً، وإثماً كبيراً، وأن العرب

---

(1) سورة القصص، آية: 51.
(2) سورة الرعد، آية: 21.
(3) سورة النحل، آية: 31.
(4) سورة الرعد، آية: 25.
(5) سورة البقرة، آية: 27.
(6) سورة هود، آية: 1.
(7) سورة فصلت، الأيات: 1 ـ 2.
(8) سورة الأنعام، آية: 98.

والعجم تنكر ما قلت، وأمير المؤمنين، ثَبْتُ اللغة، وأعلمُ خلق الله بكلام العرب، وما قلت إلا ما قال الله واختاره، وارتضاه لكلامه، وما تختاره العرب لكلامها وتسميه به، فتقول مفصلاً وموصلاً.

فقال المأمون: ما قلتَ منذ اليوم إلا ما تقوله العرب، وتتعامل به وتعرفه، وما خرجتَ عن مذهب العرب، ولو عدلت من ذلك ما سوغتك الكذب عليه.

قال عبد العزيز: الله أكبر، الله أكبر، كذب بشر ورب الكعبة بشهادة أمير المؤمنين، أفلحت ورب الكعبة، وظهر أمر الله وهم كارهون.

فقال بشر: أوَ على الخلق أن يتعلموا لغات العرب؟ ما تعبد الله الخلق بهذا ولا أمِرنا به، وكل إنسان يتكلم بما علمه الله، وما كلف الله الخلق فوق طاقتهم، ولا طالب أولاد العجم بلغة العرب.

قال عبد العزيز: فقلت لبشر: فكلف الله الخلق أن يتكلموا بما لا يعلمون؟ ادَّعَيْتَ العلمَ، وتكلمت في القرآن، وتأوّلتَ كتاب الله على غير ما عناه الله عزّ وجلّ، ودعوت الخلق إلى اتباعك، وكفَّرتَ أتباعَك، وكفَّرتَ من خالفك، وأبحتَ دمه، والله عزّ وجلّ قد نهى الخلق جميعاً، فلم يتجاسر منهم أحد أن يقولوا ما لا يعلمون. فقال للنبيّ ﷺ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[1]، وقال لنوح: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[2]، وقال نوح معتذراً إلى ربه معترفاً بخطيئته: ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾[3]، وقال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية بأسرها[4]. فأخبر الله عزّ وجلّ أن من في قلبه زَيْغ يتبع ما تشابه من القرآن ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله، فذمهم بهذا وأخبر بذم فعلهم وطريقهم الذي سلكوه.

---

(1) سورة الإسراء، آية: 36.
(2) سورة هود، آية: 46.
(3) سورة هود، آية: 47.
(4) سورة آل عمران، آية: 7.

فقال بشر: اخطب حتى تشبع من الكلام، ثم أخاطبك.

قال عبد العزيز، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن بشراً قد تحيَّر في ضلالته، وعمي رشده، وبانت فضيحته، وبطل قوله ومذهبه.

فقال بشر: أخبرني يا عبد العزيز، تعبَّدَ اللهُ الخَلْقَ بأن يعرفوا الموصَل والمفصَّل؟ وما يضر الخلق أن لا يعلموا ذلك ولا يعرفوه؟

فقال المأمون: رجعنا إلى الكلام الأول، وقد مضى هذا، وانقطع الكلام فيه، فاخرج منه إلى غيره.

فقال بشر: قد شغلني بكلامه وخطبه عن الكلام الأول، وأنساني ما أحتاج إليه.

فقلت: يا أمير المؤمنين: أرأيت أن تأذن لي حتى أجيبه عن قوله. قال: افعل.

فقلت: يا بشر، نعم قد تعَبَّدَ اللهُ الخلقَ بأنْ يعرفوا هذا ويتعلموه، لئلا يصلوا ما لم يوصل الله، ويقطعوا ما وصل الله عزّ وجلّ.

قال بشر: إئتِ بحجة ودليل لما قلت.

فقلت: أما سمعتَ ما قرأتُ عليك من كتاب الله عزّ وجلّ، وما تلوتُ من الآيات المحكمات في وصل ما أمر الله أن يوصل، وقطع ما أمر الله أن يقطع، وما وعد الله تعالى هؤلاء من حسن الثواب وعقبى الدار، وما وعد هؤلاء من اللعنة والعذاب وسوء الدار.

قال بشر: دع ذكر ما مضى، فما لك فيه حجة، واحتج الساعة بشيء أفهمه.

فقلت له: صدقت، إنك ما فهمت ما مضى، وكيف تفهمه وقد منعت من فهمه؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، إن في بعض ما مضى لكفايةً وبلاغاً، وبشر يزعم أنه لم يفهم شيئاً مما مضى، وأنا أتكلم في ذكر المفصَّل والموصَل من القرآن، وأحتج للعرب في صحة لغاتهم ومذاهبهم.

فقال المأمون: إذا كان لا يفهم ما مضى فكذلك لا يفهم ما يأتي بعد إعادة ما مضى، وظهرت لك فيه الحجة، فإن هذا وقت الزوال.

فقلت: يا أمير المؤمنين إن تأذن لي حتى أتكلم بشيء لم أتكلم به في هذا المعنى لأقيم به الحجة على بشر، وأرجو أن يستحسنه أمير المؤمنين من غير إطالة الكلام، فقال: تكلم وأوجز.

قال: فأقبلت على بشر فقلت: زعمت أن الله تعالى لم يتعبد الخلق بمعرفة الموصَل والمفصَّل؟ فقال: نعم، هذا شيء لم يتعبد الله الخلق به. فقلت: أخبرني عمن قال: من قال لم يتعبد الله الخلق بمعرفة شيء من هذا وغيره، أو زاد فيه أو نقص كان كافراً، يكون صادقاً أم كاذباً؟.

فقال: بل كاذباً، وإنما أقول إن كل شيء إذا زيد فيه أو نقص منه أو غير عما كان عليه، كان فاعل ذلك كافراً، لأن الله عزّ وجلّ قد تعبد الخلق بمعرفته وعلمه.

قلت: فافتني وأجب نفسك عني، وأقر بما أنكرت. فقال بشر: دع التشبث عنك وأجب، ودع الكلام وأقم الشاهد والدليل على ما تقول.

قال عبد العزيز رحمه الله تعالى: فأقبلت على المأمون فقلت: قال الله عزّ وجلّ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾[1]، فإن قال رجل: شهد الله أنه لا إله ـ وقطع الكلام والصلة عامداً كان كافراً بإجماع الأمة، لأنه يزعم أنه شهد أن لا إله، وشهدت الملائكة وأولو العلم أن لا إله، فمن قال هذا عامداً كان كافراً حلال الدم، لأنه أعظم الفرية على الله تعالى، وأبطلَ الربوبية، وجحد أن يكون الله إلهاً، وأشهد الله والملائكة وأولى العلم على كذبه، وإذا وصل الكلمة كما وصلها الله تعالى فقال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾[2]، كان صادقاً، وكان قد قالها كما قال الله عزّ وجلّ، وكما شهد به لنفسه، وشهد به الملائكة وأولوا العلم.

---

(1) سورة آل عمران، آية: 18.

(2) سورة آل عمران، آية: 18.

وكذلك قوله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[1]، ومثله في القرآن كثير في أربعين موضعاً من التهليل[2] على هذا المعنى ـ من فصل شيئاً من ذلك عن صلته عامداً كان كافراً، حتى يصله كما وصله الله، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[3]، فلو قال رجل إن الله لا يستحي ـ وقطع الصلة عامداً كان كافراً حلال الدم، حتى يصل الأول بالثاني كما وصله الله عزّ وجلّ، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾[4]، فلو قال قائل: وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها ـ وقطع الصلة عامداً كان كافراً، لأنه زعم أن الله تعالى لا يعلم الغيب، ومن زعم هذا فقد رد ما اختاره الله، وقول الله وشهادته لنفسه بعلم الغيب، فهو كافر بإجماع الأمة، فإذا وصل فقال: ﴿ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾، كان صادقاً، وكان قد قال كما قال الله، ووصل ما أمر الله به أن يوصل.

فقال المأمون: أحسنت أحسنت يا عبد العزيز.

فقلت: ومثل هذا في القرآن كثير، فقال: يجزيك من ذلك آية واحدة.

فقلت لبشر: اسمع باقي مسألتك. قال: قل.

قلت: وأما الفصل الذي لا تجوز صلته، فهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ﴾[5]، فمن قال وقطع الكلام عامداً فهو كافر حلال الدم، لأنه زعم أن لله مثل السَّوء، وشبه الله عزّ وجلّ بالذين لا يؤمنون بالآخرة، فأدخله معهم في المثل السوء، فلو وقف على مثل السوء وقطع الكلام، كان كما قال الله، وفصل ما فصل الله ولم يصل ما قطعه الله منه، ثم قال الله: ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ﴾[6]، وههنا الكلام تام عند القراء، ثم يبتدىء

(1) سورة البقرة، آية: 255.
(2) كذا في الأصل، ولعلها: التعليل.
(3) سورة البقرة، آية: 26.
(4) سورة الأنعام، آية: 59.
(5) سورة النحل، آية: 60.
(6) سورة التوبة، آية: 40.

ويقول: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾، فلو قرأ قارىء: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾، وأراد أن الله أخبر بذلك. فمن قال هذا فقد أعظم الفرية على الله تعالى، وادعى على الله الكذب ووصل ما فصله الله، وإذا قرأ رجل: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾، وقطع ثم ابتدأ فقال وكلمة الله هي العليا ـ كان قد قرأ كما قال الله، وفصل ما فصل الله.

فأقبل عليَّ المأمون وقال: أحسنت يا عبد العزيز وبلغت، فلا يحتاج إلى زيادة. فقلت: يا أمير المؤمنين، مثل هذا في القرآن كثير، فقال: يجزيك من ذلك آية واحدة.

ثم أقبل المأمون على بشر فقال: يا بشر، هل عندك شيء فتسأل عبد العزيز عنه، أو تحتج به عليه، فقد ظهرت حجته عليك بالمسألتين جميعاً، وصح قوله وصح ما ادعاه.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين، هذا يريد نص القرآن لكل شيء يتكلم به، وهذا مما لا يُقدر عليه، لأنه ليس كل ما يتكلم به الناس مما يحتاجون إليه من علم أديانهم يوجد في كتاب الله بنص التنزيل، وإنما يوجد فيه بالتأويل.

فقال عبد العزيز: يا أمير المؤمنين، كل ما يتكلم به الناس مما يحتاجون إليه من علم أديانهم، ويتنازعون فيه منها، فهو موجود في القرآن، لقوله عزّ وجلّ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[1]، فأخبر الله عزّ وجلّ أنه ما فرط في الكتاب من شيء، فعقل ذلك من عقله وجهله من جهله.

قال: فجثا محمد بن الجهم على ركبتيه وقال: يا عبد العزيز، تزعم أن ما من شيء يتكلم به الناس ويتنازعون فيه يحتاجون إلى معرفته إلا وعلمه موجود بنص التنزيل لا بتأويل ولا بتفسير؟.

(1) سورة الأنعام، آية: 38.

قلت: نعم، وهكذا أقول، فسل عما شئت حتى أجيبك عليه من القرآن بنص التنزيل. فوضع محمد يده على حصير ديبقي[1] مبسوط في الإيوان، فقال: أوجدني أن هذا الحصير مخلوق بنص القرآن.

فقلت: عليَّ أن أوجد ذلك بنص التنزيل. ثم أقبلت عليه فقلت: أخبرني عن هذا، أليس هو من سعف النخل وجلود الأنعام؟ قال: نعم، فقلت: وهل فيه شيء غير هذا؟ قال: بل فيه صناعة الإنسان الذي يعمله حتى يصير حصيراً.

فقلت: قال الله تعالى في النخل: ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾[2]، فهو نص بخلق النخل والسعف، وأما الجلود، فقال الله تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ﴾[3]، وهذا خلقُ الجلود، وأما الصانع، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾[4]، فهذا خلقُ الصانع، فصار الحصير مخلوقاً بنص التنزيل لا بتأويل ولا بتفسير، فهل عندك مثل هذا لخلق القرآن ما تذكره أو تحتج به، وإلا فقد بطل ما تدعونه من خلقه، وصح ولم يزل صحيحاً أن القرآن كلام الله غير مخلوق من كل جهة، وعلى أي جهة تصرفت.

فصاح المأمون: يا محمد بن الجهم، خَلِّ بين الرجل وبين صاحبه، وإياك والمعارضة. ثم أقبل المأمون على بشر، فقال: هل عندك شيء تناظره قبل أن نصرفه ونقوم فقد طال المجلس وصُلِّيَتْ الظُهْرُ؟

فقال بشر: يا أمير المؤمنين، عندي أشياء كثيرة إلا أنه يقول بنص التنزيل، وأنا أقول بالنظر والقياس، فليدع مناظرتي بنص التنزيل وليناظرني بغيره، فإن لم يدع قوله ويرجع عنه، ويقول بقولي، ويقول بخلق القرآن الساعة فدمي لك حلال.

---

(1) نسبة إلى الدبيقية وهي ثياب تنسب إلى دَبيق، قرية بمصر. المعجم الوسيط: دبق.
(2) سورة الواقعة، آية: 72.
(3) سورة النحل، آية: 5.
(4) سورة الحجر، آية: 26، سورة المؤمنون، آية: 12، وسور ق، آية: 16.

فقال المأمون: نقول لرجل يناظرني بالكتاب والسنّة دعهما واخرج إلى النظر والقياس؟ هذا ما لا يجوز.

قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تأذن لي أن أناظره كما سأل ولا أحتج عليه بآية من كتاب الله، ولا سنّة رسوله، ولكن على جهة النظر والقياس، ويكون أمير المؤمنين الشاهد علينا والمتحفظ لألفاظنا، فإن أقام بشر عليَّ الحجة كما زعم وأقررت بشيء مما قال، ورجعت عن قولي فدمي حلال كما قال بشر. وإن أثبتُّ الحجة على بشر من جهة النظر والقياس، كما أثبتها عليه من الكتاب والسنّة، وشهد عليه أمير المؤمنين بذلك، فقد حلَّ دمه، كما شرط على نفسه.

قال المأمون: وتفعل ذلك؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، على أن بشراً يجيبني عن كل ما سألته عنه ولا يحيد عن جوابي، كما فعل في الأول.

فقال بشر: نعم، عليَّ أن أجيبك عن كل شيء سألتني عنه، ولا أحيد عنه.

قال عبد العزيز: تسألني أم أسألك؟ قال: اسأل أنت، وطمع فيَّ هو وأصحابه، وظنوا أني إن خرجت عن الكتاب والسنّة لم أحسن أن أتكلم بغيرهما، فقلت: يا بشر، إن الله خلق كلامه؟ قال: أنا أقول إن الله خلق القرآن.

قلت له: يلزمك في قولك هذا واحدة من ثلاث، أن تقول إن الله خلق كلامه في نفسه أو خلقه في غيره، أو خلقه قائماً بنفسه وذاته؟ فقل ما عندك.

فقال بشر: أنا أقول إنه مخلوق وأنه خلقه كما خلق الأشياء كلها.

قال عبد العزيز: تركنا الكتاب والسنّة عند هرب بشر عنهما، وناظرته بالقياس والنظر لما دعاه وذكر أنه يحسنه، ويقيم عليَّ الحجة حتى أرجع عن قولي، وأقرُّ معه بخلق القرآن، وشرط على نفسه إجابتي عما أسأله عنه، ولا يحيد عن الجواب، وقد مال بشر إلى الحيدة ونقض ما شرط على نفسه، وأمير المؤمنين الشاهد عليه، وهو أعلى عيناً فيما يراه من قطع المجلس وصرفي، فإنَّ بشراً إنما

يحسن أن يناظر من لا يفهم ولا يدري ما يقول، فأما من لا يدعه يخلص كلمة واحدة، فلا يقدر على مناظرته.

فقال له المأمون: أجب عبد العزيز عما سألك عنه، فقد ترك قوله ومذهبه وخرج عنه إلى ما ادعيت فهمه ومعرفته، فلا تحد عن جوابه.

فقال بشر: قد أجبته ولكنه يتعنَّت.

فقال المأمون: يأبى عليك عبد العزيز إلا أن تجيبه عما سألك عنه.

فقال بشر: ما عندي جواب غير ما أجبته به.

فأقبل المأمون عليَّ فقال: قد حاد بشر عن جوابك، فتكلم أنت يا عبد العزيز في شرح هذه المسألة وبيانها، وما على بشر فيها لو أجابك عنها ليقف من يحضرنا على ذلك.

قلت: نعم يا أمير المؤمنين، سألتُ بشراً عن كلام الله، مخلوق هو؟ فقال: نعم، قلت له يلزمك واحدة من ثلاث لا بدّ منها، أن تقول إن الله عزّ وجلّ خلق كلامه في نفسه، أو خلقه في غيره، أو خلقه قائماً بنفسه وذاته.

فإن قال: إن الله خلق كلامه في نفسه، فهذا محال باطل لا يجد السبيل إلى القول به من قياس ولا نظر ولا معقول، لأن الله لا يكون مكاناً للحوادث، ولا يكون فيه شيء مخلوق ولا يكون ناقصاً فيزيد بشيء إذا خلقه. ومن قال هذا فقد كفر بالله العظيم وحل دمه.

وإن قال خلق كلامه في غيره، فهذا أيضاً محال باطل لا يجد السبيل إلى القول به من قياس ولا نظر ولا معقول، لظهور الشناعة والكفر من قبله، لأنه يلزم قائل هذه المقالة في القياس والنظر والمعقول أن يجعل كل كلام خلقه الله في غيره هو كلام الله، فيجعل الشعر وقول الزور والفحش والخنا، وكل كلام ذمه الله وذم قائليه من كلام الكفر والسحر وغيره لله، تعالى الله عن ذلك.

وإن قال خلق كلامه قائماً بنفسه وذاته، فهذا هو المحال الباطل الذي لا يجد

السبيل إلى القول به من قياس ولا نظر ولا معقول، لأنه لا يكون الكلام إلا من متكلم، كما لا تكون الإرادة إلا من مريد، ولا العلم إلا من عالم، ولا القدرة إلا من قدير. ولا رؤيَ ولا يُرى أبداً كلام قائم بنفسه متكلم بذاته، وهذا ما لا يُعْقَل ولا يُعْرَف، ولا يثبت من قياس ولا نظر، ولا غيره، فلما استحال القرآن أن يكون مخلوقاً من هذه الجهات، ثبت أنه صفة لله عزّ وجلّ، وصفات الله عزّ وجلّ غير مخلوقة، فيبطل قول بشر من جهة النظر والقياس، كما يبطل من الكتاب والسنّة.

قال المأمون: أحسنت يا عبد العزيز.

فقال بشر: دع هذه المسألة واسأل عن غيرها حتى يخرج بيننا شيء يسمع.

قال عبد العزيز: فقلت يا بشر، تقول إن الله كان ولا شيء، وكان ولم يفعل شيئاً، وكان ولم يخلق شيئاً؟ قال: نعم، هكذا أقول.

فقلت: بأي شيء حدثت الأشياء بعد أن لم تكن شيئاً، هل حدثت بنفسها أم الله أحدثها؟ قال بشر: بل الله أحدثها، فقلت له: بأي شيء أحدثها؟.

قال بشر: بقدرته. قلت: فلست تقول إنه لم يزل قادراً؟ قال: كذلك أقول.

قلت: تقول إنه لم يزل يفعل؟ قال: لا أقول هذا. قلت: فلا بدّ أن تقول إنه خلق بالفعل الذي كان عن القدرة، وليس الفعل هو القدرة، لأن القدرة صفة من صفات الله، ولا يقال لصفات الله هي الله ولا هي غير الله، وهذا يلزمك القول به.

قال بشر: ويلزمك أيضاً أن تقول إنه لم يزل يفعل ويخلق، وإذا قلت ذلك تبينا أن المخلوق لم يزل مع الخالق.

قال، فقلت لبشر: إني لم أقل هذا، وليس لك أن تحكم عليَّ وتحكي عني ما لم أقل، وتلزمني ما لم يلزمني، إني لم أقل إنه لم يزل الخالق يخلق، ولم يزل الفاعل يفعل، فيلزمني ما قلت، وإنما قلت: لم يزل الفاعل سيفعل، ولم يزل الخالق سيخلق، لأن الفعل صفة الله يقدر عليها ولا يمنعه منها مانع.

قال بشر: ما أقوله إنه أحدث الأشياء بقدرته، فقل أنت ما شئت.

قال عبد العزيز: قلت يا أمير المؤمنين، قد قال بشر إن الله كان ولا شيء، وإنه أحدث الأشياء بعد أن لم تكن شيئاً بقدرته، فقلت أنا: أحدثها بأمره وقوله عن قدرته.

فقال المأمون: قد حفظت عليكما قولكما.

فقلت: يا أمير المؤمنين، لن يخلو أن يكون أول خلق خلقه الله بقول قاله وبإرادة أرادها وبقدرة قدرها.

قال المأمون: هكذا هو، وقد وافقك بشر في القدرة والإرادة، وخالفك في القول.

قلت: يا أمير المؤمنين، أي ذلك كان، فقد تبيَّن أن ههنا إرادة ومريداً، وقولاً وقائلاً ومقولاً له، وقدرة وقديراً ومقدور عليه، وذلك كله متقدم قبل الخلق، وما كان متقدماً قبل الخلق فليس هو من الخلق في شيء، وقد كسرت والله قول بشر ودحضت حجته بإقراره بلسانه بالنظر والمعقول، ولم يبق إلا القياس، وأنا أكسره بالقياس إن شاء الله تعالى.

فقال المأمون: هاتِ وأوجز، قبل خروج وقت الصلاة.

فقلت: يا أمير المؤمنين: لو كان لبشر غلامان وأنا لا أجد لهما خبراً من أحد من الناس، إلا من بشر، ويقال لأحدهما خالد وللآخر يزيد، وكان بشر غائباً عني حيث لا أراه، فكتب إليَّ بشر ثمانية عشر كتاباً، يقول في كل كتاب منها: ادفع إلى خالد غلامي هذا الكتاب، وكتب إليَّ أربعة وخمسين كتاباً يقول: ادفع إلى يزيد هذا الكتاب، ولم يقل (غلامي) ثم قدم بشر من سفره فقال لي: ألست تعلم أن يزيد غلامي؟ فقلت: قد كتبت إليَّ أربعة وخمسين كتاباً وقلت ادفع هذا الكتاب إلى يزيد، ولم تقل غلامي، وكتبت ولم أسمعك تقول غلامي، وأنا لا أجد ذلك إلا منك، ولا أعرف خبره من أحد غيرك، وكتبت إليَّ ثمانية عشر كتاباً ادفع إلى خالد غلامي هذا الكتاب، فعلمت بكتابك أنه غلامك، ثم كتبت إليَّ كتاباً جمعتهما فيه فقلت: ادفع هذا الكتاب إلى خالد غلامي، ويزيد، ولم تقل غلامي،

فمن أين أعلم أن يزيد غلامك، ولست أعلم خبرهما من أحد غيرك.

فقال بشر: فرطت. فقلت: بشر فرط، فحلفت أن بشراً فرَّط، وحلف بشر أني فرَّطت حيث لم أعلم أن يزيد غلامه من كتبه، فأينا المفرِّط يا أمير المؤمنين.

فقال المأمون: بشر المفرِّط.

فقال بشر: وإيش هذا مما نحن فيه، تريد أن تثبت بهذا السؤال على ما لم يكن، متى كانت هذه المكاتبة وهذا الكلام؟

فقلت: اسمع حتى تقف على ما أردت.

وقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله عزّ وجلّ أخبرنا في كتابه بخلق الإنسان في ثمانية عشر موضعاً، ما ذكره في موضع منها إلا أخبر عن خلقه، وذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعاً فلم يخبر عن خلقه في موضع منها، ولا أشار إليه بشيء من صفات الخلق، ثم جمع بين القرآن والإنسان في آية من كتابه، فأخبر عن الخلق للإنسان، ونفى الخلق عن القرآن، فقال عزّ وجلّ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ * عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾[1]، ففرق بين القرآن والإنسان، فزعم بشر يا أمير المؤمنين أن الله فرَّط في الكتاب من شيء، فهذا كسر قول بشر بالقياس.

فقال المأمون: أحسنت يا عبد العزيز، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم، فحُمِلَتْ بين يدي وانصرفت من مجلسه على أحسن حال وأجملها، قد أعز الله عزّ وجلّ دينه وأعز أهله، وأذل أهل الكفر والضلال، فللَّه الحمد على تسديده وتوفيقه كما هو أهله ومستحقه.

قال عبد العزيز: فسُرَّ المسلمون جميعاً بما وهبه الله لهم من إظهار الحق وقمع الباطل، وانكشف عن قلوبهم ما كان اكتنفها من الغمِّ والحزن، وجعل الناس يجيئون إليَّ أفواجاً حتى أغلقت بابي، واحتجبت عنهم خوفاً على نفسي وعليهم من مكروه يلحقنا.

---

(1) سورة الرحمن، الآيات: 1 ـ 4.

فقالوا: لا بدّ أن تملي علينا ما جرى لنعرفه ونتعلمه، فهِبْتُ ذلك، وتخوَّفتُ سوءَ عاقبته، فلما ألحوا عليَّ قلت: أنا أذكر لكم بعض ما جرى مما لا يجوز عليَّ فيه شيء، ولا حجر في ذكره، فرضوا بذلك مني، فأمليت عليهم أوراقاً مقدار عشر أوراق ونحوها، مختصرة لأقطعهم بها عن نفسي ومن ملازمة بابي، ولم يتهيَّأ لي أن أشرح هذا كله مما تخوفت على نفسي مما قد يلحقني بعد هذا المجلس، وما جرى بسبب الأوراق على الناس وكتبوها عني في كتاب غير هذا.

وصلّى الله على سيدنا محمد النبيّ الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

تــم والحمـد لله

مصادر الكتاب ومراجعه

(أ)

* إتحاف فضلاء البشر ـ الدمياطي : أحمد بن محمد (ت 1117 هـ) .
ط مصر 1359 هـ.
* الأخبار الطوال ـ الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن داود (ت 282 هـ) .
ط وزارة الإرشاد القومي ، مصر 1960 م .
* أخبار العلماء بأخبار الحكماء ـ القفطي : جمال الدين علي بن يوسف الشيباني (ت 646 هـ) .
ط ليبسك 1903 ، وط مصر 1326 هـ/ 1908 م .
* أخبار القضاة ـ وكيع : محمد بن خلف (ت 306 هـ) .
ط القاهرة 66 ـ 1369 هـ ، وط عالم الكتب ، بيروت د . ت .
* الأخبار الموفقيات ـ الزبير بن بكار بن عبدالله القرشي (ت 256 هـ) .
مطبعة العاني ، بغداد 1972 م .
* الأدب المفرد ـ البخاري : أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت 256 هـ) .
ط السلفية ، مصر .
* إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء) ـ ياقوت الرومي الحموي (ت 626 هـ) .
(7 أجزاء) تحقيق إحسان عباس ، ط دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1993 م .
* الاستيعاب في أسماء الأصحاب ـ ابن عبد البر : يوسف بن عبدالله النمري القرطبي (ت 463 هـ) .
(4 أجزاء) ط مصر 1939 م . وط دار الكتب العلمية ، بيروت 1995 م .
* أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ ابن الأثير : عز الدين علي بن محمد (ت 630 هـ) ط مصر 1280 هـ ، وتحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا ، ط دار المعرفة ، بيروت 1997 م .
* الاشتقاق ـ ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت 321 هـ) .

تحقيق عبد السلام هارون، ط الخانجي، مصر 1958 م.
* الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (852 هـ).
(4 مجلدات) تحقيق علي محمد البجاوي، ط القاهرة 1970 م، وط دار الكتب العلمية، بيروت 1995م.
* الأصمعيات ـ الأصمعي: عبد الملك بن قريب (ت 216 هـ).
تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، ط دار المعارف، مصر 1979 م.
* أعتاب الكتاب ـ ابن الأبّار القضاعي: محمد بن عبدالله بن أبي بكر (ت 658 هـ).
تحقيق صالح الأشتر، ط مجمع اللغة العربية، دمشق 1961 م. وط 2 دار الأوزاعي 1986 م.
* الأعلام ـ الزركلي: خير الدين محمود بن محمد (ت 1392 هـ/ 1972 م).
الطبعة الخامسة، ط دار العلم للملايين، بيروت 1980 م.
* الأغاني ـ الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين (ت 356 هـ).
ط الساسي، مصر 1323 هـ، ط دار الكتب المصرية، وط دار الكتب العلمية، بيروت 1992 م.
* ألف باء ـ البلوي: يوسف بن محمد (ت 604 هـ).
(مجلدان) ط مصر 1287 م.
* أمالي الزجاجي ـ الزجاجي: عبد الرحمن بن إسحاق (ت 304 هـ).
بشرح أحمد بين الأمين الشنقيطي، ط مصر 1368 هـ/ 1940 م.
* أمالي القالي ـ القالي: إسماعيل بن القاسم (ت 256 هـ).
ط دار الكتب المصرية 1926 م.
* أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) ـ المرتضى: الشريف علي بن الحسن العلوي (ت 436 هـ).
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط مصر 1373 هـ/ 1954 م.
* الإمتاع والمؤانسة ـ التوحيدي: أبو حيان علي بن محمد (ت 400 هـ).
تحقيق محمد حسن محمد، ط دار الكتب العلمية، بيروت 2003 م.
* أمراء البيان ـ كردعلي: محمد بن عبد الرزاق بن محمد كردعلي (ت 1372 هـ/ 1953 م).
(جزآن) ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1937 م.
* إنباه الرواة على أنباه النحاة ـ القفطي: جمال الدين علي بن يوسف (ت 646 هـ).
(3 أجزاء) ط دار الكتب المصرية، القاهرة 1369 ـ 1374 هـ.

* الأنساب ـ السمعاني: عبد الكريم بن محمد بن منصور المروزي (562 هـ).
ط حيدرآباد 1964 م، وط بيروت 76 ـ 1984 م.
* أنساب الأشراف ـ البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279 هـ).
تحقيق محمد حميدالله، ط دار المعارف، مصر 59 ـ 1962 م.
* أنوار الربيع في أنواع البديع ـ ابن معصوم: علي بن أحمد بن محمد الحسني (ت 1119 هـ).
تحقيق شاكر هادي، ط النجف 1968 م.
* إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون في الكشف عن أسامي الكتب والفنون ـ البغدادي: إسماعيل بن محمد أمين البابانى (ت 1339 هـ).
ط مكتبة المثنى، بغداد. د.ت.

(ب)

* البخلاء ـ الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ).
تحقيق طه الحاجري، ط دار الكاتب المصري، القاهرة 1948 م.
* البداية والنهاية ـ ابن كثير: أبو الفداء الحافظ إسماعيل بن عمر (ت 774 هـ).
(14 جزءاً)، ط مكتبة المعارف، بيروت 1974 م.
* البصائر والذخائر ـ أبو حيان التوحيدي (ت 400 هـ).
ط مصر 1953 م، وتحقيق إبراهيم الكيلاني، ط مكتبة أطلس، دمشق 1964 م.
* بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ـ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ).
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2 دار الفكر، القاهرة 1969 م.
* بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذهن والهاجس ـ القرطبي: يوسف بن عبدالله بن عبد البر (ت 363 هـ).
تحقيق محمد مرسي الخولي، ط الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر. د.ت.
* البيان والتبيين ـ الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ).
(4 أجزاء) تحقيق عبد السلام هارون، ط مكتبة الخانجي، مصر 1964 م.

(ت)

* تاريخ ابن الأثير = الكامل.

* تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ـ الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748 هـ).
ط السعادة، مصر 67 ـ 1969 م.
* تاريخ ابن الوردي = تتمة المختصر.
* تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت 463 هـ).
(14 مجلداً)، ط مكتبة الخانجي، القاهرة 1349 هـ/ 1931 م.
* تاريخ التراث العربي ـ سزكين : محمد فؤاد.
الترجمة العربية، ط الرياض 1404 هـ/ 1984 م.
* تاريخ التمدن الإسلامي ـ جرجي زيدان (ت 1914 م).
ط دار الهلال، القاهرة.
* تاريخ حكماء الإسلام ـ البيهقي : ظهير الدين أبو الحسن علي بن زيد (565 هـ).
ط دمشق 1946 م.
* تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر) ـ ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون المغربي (ت 808 هـ).
ط بولاق، القاهرة 1284 هـ.
* تاريخ الخلفاء ـ السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ).
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار نهضة مصر، القاهرة 1976 م، وبعناية محمود الحلبي، ط دار المعرفة، بيروت 1997 م.
* تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) ـ الطبري : محمد بن جرير (ت 310 هـ).
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعارف، مصر 1967 م.
* تاريخ مختصر الدول ـ ابن العبري : أبو الفرج غريغوريوس بن أهرون بن توما المالطي (ت 685 هـ).
ط بيروت 1890 م.
* تاريخ اليعقوبي ـ اليعقوبي : أحمد بن إسحاق بن واضح (ت 292 هـ).
(3 أجزاء) نشر هوتسمان، ط ليدن 1883 م، وط دار الكتب العلمية، بيروت 1991م.
* تتمة المختصر في أخبار البشر ـ ابن الوردي : زين الدين عمر بن الوردي (ت 749 هـ)
(مجلدان) ط مصر 1285 هـ، وط دار المعرفة، بيروت 1970 م.
* تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ـ المبارك فوري : محمد بن عبد الرحمن (ت 1353 هـ).
ط دار الفكر، بيروت 1979 م.
* تذكرة الحفاظ ـ الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748 هـ).

(3 أجزاء) ط دار المعارف العثمانية، حيدرآباد 75 ـ 1377 هـ/ 55 ـ 1958 م.
* التذكرة السعدية في الأشعار العربية ـ العبيدي: محمد بن عبد الرحمن (ت ق 8 هـ).
تحقيق عبدالله الجبوري، ط الدار التونسية للكتاب، ليبيا ـ تونس 1981 م.
* تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق ـ الأنطاكي: داود بن عمر (1008 هـ).
ط الأزهرية مصر 1328 هـ. وط دار حمد، بيروت 1973 م.
* التصحيف والتحريف ـ العسكري: أبو أحمد الحسن بن عبدالله (ت 382 هـ).
تحقيق عبد العزيز أحمد، ط دار إحياء الكتب العربية، مصر 1963 م.
* التعازي والمراثي ـ المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد الثمالي (ت 286 هـ).
تحقيق الديباجي، ط مجمع اللغة العربية، دمشق 1976 م.
* تهذيب تاريخ ابن عساكر ـ ابن عساكر: ثقة الدين أبو القاسم علي بن عساكر (ت 571 هـ).
ترتيب وتهذيب الشيخ عبد القادر بدران (ت 1346 هـ).
(7 أجزاء) مطبعة روضة الشام 1329 هـ، وط دار إحياء التراث، بيروت 1987 م.
* تهذيب التهذيب ـ ابن حجر: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت 852 هـ).
(12 جزءاً) ط حيدرآباد 25 ـ 1327 هـ.

(ث)

* ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ـ الثعالبي: أبو منصور عبدالملك بن محمد (ت 429 هـ).
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار نهضة مصر، القاهرة 1965 م.

(ج)

* جامع الأصول في أحاديث الرسول ـ ابن الأثير: مجد الدين المبارك بن محمد الجزري (ت 606 هـ).
تصحيح حامد الفقي، ط القاهرة 1949 م، وتحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ط دار الفكر، بيروت 1983 م.
* جامع بيان العلم وفضله ـ ابن عبد البر: يوسف بن عبدالله بن محمد النمري القرطبي (ت 463 هـ).
ط المنيرية، مصر. د.ت.
* الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ـ الخطيب البغدادي: أحمد بن علي بن ثابت (ت 463 هـ).

تحقيق محمد عجاج الخطيب، ط مؤسسة الرسالة، بيروت 1996 م.
* جمهرة أشعار العرب ـ القرشي: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب (ت أوائل ق 4 هـ).
تحقيق محمد علي الهاشمي، ط الرياض 1981 م.
* جمهرة أنساب العرب ـ ابن حزم: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي (ت 456 هـ).
تحقيق عبد السلام هارون، ط دار المعارف، مصر 1971 م.

(ح)

* حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ـ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ).
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1967 م.
* حلبة الكميت ـ النواجي: محمد بن الحسن (859 هـ).
ط مصر 1938 م.
* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ـ أبو نعيم الأصفهاني: أحمد بن عبدالله (ت 430 هـ).
(12 مجلداً ط مصر 1351 هـ، وط دار الكتب العلمية، بيروت 1997 م.
* حلية المحاضرة ـ الحاتمي: محمد بن الحسن (ت 388 هـ).
تحقيق هلال ناجي، ط بيروت 1978 م.
* الحور العين ـ نشوان الحميري: أبو سعيد نشوان بن سعيد بن نشوان (ت 573 هـ).
تحقيق كمال مصطفى، ط مصر 1948 م. وط دار آزال، بيروت 1985 م.
* الحيدة ـ الكناني: عبد العزيز بن يحيى بن مسلم المكي (ت 240 هـ).
ط 3 منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة 1405 هـ.
* الحيوان ـ الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ).
تحقيق عبد السلام هارون، ط الحلبي، مصر 1958 م.

(خ)

* خزانة الأدب ـ البغدادي: عبد القادر بن عمر (1093 هـ).
(13 مجلداً) تحقيق عبد السلام هارون، ط الخانجي، مصر 86 ـ 1989 م.
* خطط المقريزي = المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار.

(د)

* الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ـ ابن حجر: شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ).

(٤ أجزاء) ط حيدرآباد 45 ـ 1950 م، وتحقيق محمد سيد جاد الحق، ط دار الكتب الحديثة، القاهرة 1966 م.
* دمية القصر وعصرة أهل العصر ـ الباخرزي: أبو الحسن علي بن الحسن (ت 467 هـ).
تحقيق عبد الفتاح الحلو، ط دار الفكر العربي، القاهرة 1971 م.
* دول الإسلام ـ الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748 هـ).
(جزآن) ط حيدرآباد 1364 هـ.
* الديارات ـ الشابشتي: أبو الحسن علي بن محمد (388 هـ).
تحقيق كوركيس عواد، ط 2. منشورات مكتبة المثنى بغداد 1966 م.
* ديوان الأعشى ـ الأعشى: ميمون بن قيس (ت 8 هـ).
تحقيق جاير (الصبح المنير) ط لندن 1928 م، وتحقيق محمد محمد حسين، ط مؤسسة الرسالة، بيروت 1983 م.
* ديوان امرىء القيس ـ امرؤ القيس بن حجر الكندي (ت 80 ق هـ/ 545 م).
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعارف، مصر 1984 م.
* ديوان أوس بن حجر ـ أوس بن حجر بن مالك (ت 620 م).
تحقيق محمد يوسف نجم، ط دار صادر، بيروت 1967 م.
* ديوان جرير ـ جرير بن عطية بن الخطفى (ت 110 هـ).
ط دار صادر، بيروت 1960 م.
* ديوان الحطيئة ـ الحطيئة: جرول بن أوس (ت 30 هـ).
شرح ابن السكيت، والسكري، والسجستاني، تحقيق نعمان أمين طه، ط القاهرة 1958م.
* ديوان الخنساء ـ الخنساء: تماضر بنت عمرو (ت 24 هـ).
ط دار صادر، بيروت 1960 م.
* ديوان ذي الرمة ـ ذو الرمة: غيلان بن عقبة العدوي (ت 117 هـ).
تحقيق عبد القدوس أبو صالح، ط 3 مؤسسة الرسالة، بيروت 1993 م.
* ديوان الراعي النميري ـ الراعي: عبيد بن حصين بن معاوية النميري (ت 90 هـ).
تحقيق راينهرت فايبرت، ط دار صادر، بيروت 1980 م.
* ديوان زهير بن أبي سلمى ـ شرح أبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني ثعلب (ت 291 هـ).
ط دار الكتب المصرية 1944 م.
* ديوان الشماخ ـ الشماخ بن ضرار الغطفاني (ت 22 هـ).
تحقيق صلاح الدين الهادي، ط دار المعارف، مصر 1977 م.

* ديوان العباس بن مرداس ـ العباس بن مرداس السلمي (ت 18 هـ).
تحقيق يحيـى الجبوري، ط 2 مؤسسة الرسالة، بيروت 1991 م.
* ديوان عدي بن الرقاع العاملي (ت 95 هـ).
تحقيق حسن محمد نور الدين، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1990 م.
* ديوان العرجي ـ العرجي: عبدالله بن عمر (ت 120 هـ).
تحقيق سجيع جميل الجميلي، ط دار صادر، بيروت 1998 م.
* ديوان أبي العتاهية ـ أبو العتاهية: إسماعيل بن القاسم (ت 210 هـ).
ط دار الكتاب العربي، بيروت 1997 م.
* ديوان علقمة الفحل ـ علقمة بن عبدة (ت 603 م).
شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب، ط حلب 1969 م.
* ديوان الفرزدق ـ الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعة (ت 110 هـ).
تحقيق عبدالله الصاوي، ط القاهرة 1936 م، وط دار الكتاب العربي، بيروت 1964 م.
* ديوان ابن قيس الرقيات ـ ابن الرقيات: عبيد الله بن قيس الرقيات (ت 75 هـ).
تحقيق محمد يوسف نجم، ط دار صادر، بيروت د.ت.
* ديوان الكميت ـ الكميت بن زيد الأسدي (ت 126 هـ).
تحقيق داود سلوم، ط عالم الكتب، بيروت 1997 م.
* ديوان المعاني ـ العسكري: أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل (ت 395 هـ).
ط مكتبة القدسي، القاهرة 1352 هـ.
* ديوان ابن مقبل ـ تميم بن أُبَيّ بن مقبل (ت 25 هـ).
تحقيق عزة حسن، ط وزارة الثقافة، دمشق 1962 م.
* ديوان النابغة الذبياني ـ النابغة: زياد بن معاوية الذبياني (ت 604 م).
تحقيق الطاهر بن عاشور، ط تونس 1976 م.
* ديوان أبي نواس ـ الحسن بن هاني (ت 196 هـ).
تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، ط مصر 1953 م.
* ديوان الهذليين ـ
ط دار الكتب المصرية 45 ـ 1950 م.

(ر)

* رحلة ابن جبير ـ محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي (ت 614 هـ).
ط دار صادر، بيروت 1988 م.

* الرسالة العذراء ـ ابن المدبر: إبراهيم بن محمد بن عبيد الله (ت 279 هـ).
تحقيق زكي مبارك، ط دار الكتب المصرية، القاهرة 1931 م.
* الرواية الأدبية في بلاد الشام ـ حسين عطوان.
ط دار الجيل، بيروت 1988 م.
* روضة المحبين ونزهة العاشقين ـ ابن قيم الجوزية: أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت 751 هـ).
تحقيق أحمد عبيد، ط السعادة، مصر 1956 م.

(ز)

* زهر الآداب وثمر الألباب ـ الحصري: أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت 453 هـ).
تحقيق زكي مبارك، ط 4 دار الجيل، بيروت 1972 م.

(س)

* سنن الدارمي ـ الدارمي: عبدالله بن عبد الرحمن (ت 255 هـ).
ط مطبعة الاعتدال، دمشق 1349 هـ.
* سنن أبي داود ـ أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275 هـ).
تحقيق عزة عبدالله الدعاس، ط حمص 1969 م.
* السنن الكبرى ـ البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت 485 هـ).
ط دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد 1344 هـ.
* سنن ابن ماجة ـ ابن ماجة: أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت 275 هـ).
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط الحلبي، مصر 1972 م.
* سنن النسائي ـ النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن علي (ت 303 هـ).
ط الحلبي، مصر 1312 هـ.
* سير أعلام النبلاء ـ الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748 هـ).
تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، ط مؤسسة الرسالة، بيروت 1981 م.
* السيرة النبوية ـ ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت 218 هـ).
(4 أجزاء في مجلدين) تحقيق مصطفى السقا والأبياري وشلبي، ط مصر 1936م.

(ش)

* شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ الحنبلي: أبو الفلاح عبدالحي بن عماد (ت 1089 هـ).

(8 أجزاء في 4 مجلدات) ط مكتبة القدسي، القاهرة 1350 هـ، وط دار الجيل بيروت، د.ت.
* شرح ديوان الحماسة ـ المرزوقي: أحمد بن محمد (ت 421 هـ).
تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط القاهرة 1953 م.
* شرح شواهد المغني ـ السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر (911 هـ).
ط دمشق 1966 م.
* شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد: عبد الحميد بن هبة الله (ت 655 هـ).
تحقيق الشيخ حسن تميم، ط دار مكتبة الحياة، بيروت 1963 م. وتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط الحلبي، مصر 1965 م.
* شعر الخلفاء في العصرين الراشدي والأموي ـ نبال الخماش.
لم تذكر المطبعة ومكان النشر، 1984 م.
* الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة: عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ).
ط ليدن 1902 م، وتحقيق أحمد شاكر، ط دار المعارف، مصر 1966 م.
* شعر نصيب بن رباح ـ نصيب بن رباح (ت 108 هـ).
تحقيق داود سلوم، ط بغداد 1968 م.

(ص)

* صبح الأعشى في صناعة الإنشا ـ القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي (ت 821 هـ).
المطبعة الأميرية، مصر 13 ـ 1915 م، وصورة عنها ط المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة د.ت.
* صحيح البخاري (الجامع الصحيح) ـ البخاري: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت 256 هـ).
ط أوربا، وط البابي الحلبي، القاهرة د.ت.
* صحيح مسلم (الجامع الصحيح) ـ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261 هـ).
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط القاهرة 1956 م.
* صفة الصفوة ـ ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597 هـ).
(جزآن) ط حيدرآباد، الدكن 1355 م.
* الصناعتين = كتاب الصناعتين.
* صيد الخاطر ـ ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597 هـ).
تحقيق ناجي الطنطاوي، ط 5 دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة 1991 م.

(ض)

* ضحى الإسلام ـ أحمد أمين بن الشيخ إبراهيم (ت 1373 هـ/ 1954 م).
ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1936 م، ط 2 مكتبة النهضة المصرية 1961 م.

(ط)

* طبقات الأدباء = نزهة الألباء للأنباري.
* طبقات الأطباء والحكماء ـ ابن جلجل: أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت 362 هـ).
ط مصر 1955 م.
* طبقات الحنابلة ـ ابن أبي يعلىٰ: أبو الحسين محمد بن أبي يعلى (ت 526 هـ).
ط مصر 1952 م، وط دار المعرفة، بيروت د.ت.
* طبقات الشافعية الكبرى ـ السبكي: تاج الدين أبو النصر عبدالوهاب بن علي (ت 771 هـ).
(6 أجزاء) ط مصر 1324 هـ، وتحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، ط البابي الحلبي، مصر 1964 م.
* طبقات الشعراء ـ ابن المعتز: عبدالله بن المعتز العباسي (ت 296 هـ).
تحقيق عبد الستار فراج، ط دار المعارف، مصر 1976 م.
* طبقات فحول الشعراء ـ الجمحي: محمد بن سلام (ت 231 هـ).
تحقيق محمود محمد شاكر، ط المدني، مصر 1972 م.
* الطبقات الكبرى ـ ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت 230 هـ).
(8 مجلدات) ط ليدن 1321 هـ، وتحقيق محمد عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1991 م.
* طبقات النحويين واللغويين ـ الزبيدي: أبو بكر محمد بن الحسن (ت 397 هـ).
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعارف، مصر 1973 م.

(ظ)

* الظرف والظرفاء (أو الموشى) ـ الوشاء: أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى (ت 325 هـ).
تحقيق فهمي سعد، ط عالم الكتب، بيروت 1985 م.

(ع)

* عصر المأمون ـ أحمد فريد رفاعي.

ط دار الكتب المصرية، القاهرة 1928 م.
* العقد الفريد ـ ابن عبد ربه: أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت 327 هـ).
تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1965 م.
* العمدة في محاسن الشعر وآدابه ـ ابن رشيق القيرواني: أبو علي الحسن بن رشيق (ت 456 هـ).
(جزآن) تحقيق محمد قرقزان، ط دار المعرفة، بيروت 1988 م.
* عيون الأخبار ـ ابن قتيبة: عبدالله بن مسلم الدينوري (ت 276 هـ).
ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1973 م.
* العيون والحدائق ـ لمؤلف مجهول (من رجال ق 4 هـ).
نشر دي خوية، ط ليدن 1871 م.

(ف)

* الفتوح ـ ابن أعثم: أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت 314 هـ).
ط دار الكتب العلمية، بيروت 1986 م.
* فجر الإسلام ـ أحمد أمين (ت 1954 م).
ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1942 م.
* الفخري في الآداب السلطانية ـ ابن طباطبا: محمد بن علي (ت 709 هـ).
ط دار المعارف، مصر 1940 م.
* الفرج بعد الشدة ـ التنوخي: أبو علي المُحَسَّن بن علي (ت 384 هـ).
تحقيق عبود الشالجي، ط دار صادر، بيروت 1971 م.
* فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ـ البكري: أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت 487 هـ).
تحقيق إحسان عباس وعبد المجيد عابدين، ط مؤسسة الرسالة، بيروت 1983 م.
* الفهرست ـ النديم: أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب النديم البغدادي (ت 380 هـ).
تحقيق فلوجل، ط ليبزك 1872 م، وتحقيق رضا تجدد، ط طهران د. ت.
* فوات الوفيات: الكتبي: محمد بن شاكر الحلبي (ت 764 هـ).
ط السعادة، مصر 1951 م، وتحقيق إحسان عباس، ط دار صادر، بيروت 1973 م.

(ق)

* القاموس المحيط ـ الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817 هـ).

ط مؤسسة الرسالة، بيروت 1986 م.
* القُصَّاص والمذكرين ـ ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597 هـ).
ط دار الكتب العلمية، بيروت د.ت.

(ك)

* الكامل في التاريخ = تاريخ الكامل.
* الكامل في اللغة والأدب ـ المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد (286 هـ).
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة، ط القاهرة 1956 م، وتحقيق محمد الدالي، ط مؤسسة الرسالة، بيروت 1997 م.
* كتاب الصناعتين ـ العسكري: أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل (ت 395 هـ).
تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1952 م.
* كتاب المحن ـ أبو العرب: محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت 333 هـ).
تحقيق يحيى الجبوري، ط 2 دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988 م.
* كتاب المعمرين والوصايا ـ السجستاني: أبو حاتم سهل بن محمد (ت 255 هـ).
تحقيق عبد المنعم عامر، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1961 م.
* كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ حاجي خليفة: مصطفى بن عبدالله (ت 1076 هـ).
ط إستانبول 1945 م، (6 أجزاء) ط دار الكتب العلمية، بيروت 1993 م.
* كنز العمال ـ المتقي الهندي: علي بن حسام الدين الجونبوري (ت 975 هـ).
ط التراث الإسلامي. د.ت.
* الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة ـ نجم الدين الغزي (ت 1061 هـ).
تحقيق جبرائيل جبور، ط دار الآفاق، بيروت 1979 م.

(ل)

* لسان العرب ـ ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري (ت 711 هـ).
ط دار صادر، بيروت 1968 م.
* لسان الميزان ـ ابن حجر: شهاب الدين أبو الفضل محمد بن علي العسقلاني (ت 852 هـ).
(7 أجزاء) ط دار المعارف العثمانية، حيدرآباد 1331 هـ.
* لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ـ ابن رجب الحنبلي: عبد الرحمن بن أحمد البغدادي (ت 695 هـ).

ط دار إحياء الكتب العربية، مصر 1343 هـ.

(م)

* مجالس ثعلب ـ ثعلب: أبو العباس أحمد بن يحيى (ت 291 هـ).
تحقيق عبد السلام هارون، ط دار المعارف، مصر 1960 م.
* مجالس العلماء ـ الزجاجي: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت 340 هـ).
تحقيق عبد السلام هارون، ط الكويت 1984 م.
* مجمع الأمثال ـ الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد (ت 518 هـ).
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار الفكر، بيروت 1972 م.
* مجمع الزوايد ـ الهيثمي: علي بن أبي بكر الشافعي (ت 807 هـ).
ط مكتبة القدسي، مصر.
* المحاسن والمساوىء ـ البيهقي: إبراهيم بن محمد (ت 320 هـ).
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط نهضة مصر، القاهرة 1961، وط دار صادر، بيروت 1970 م.
* محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء ـ الراغب الأصفهاني: أبو القاسم حسين بن محمد (ت 502 هـ).
(جزآن) ط مصر 1326 هـ، وط مكتبة الحياة، بيروت د.ت.
* المحدث الفاضل بين الراوي والواعي ـ الرامهرزي: أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد (ت 360 هـ).
مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية رقم 483 مصطلح. وط دار الفكر، بيروت.
* المحكم في نقط المصاحف ـ الداني: أبو عمرو عثمان بن سعيد الصيرفي (ت 444 هـ).
تحقيق عزة حسن، ط دمشق 1960 م.
* مختصر الدول = تاريخ مختصر الدول.
* مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ـ سبط ابن الجوزي: شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت 654 هـ).
المجلد الأول تحقيق إحسان عباس، ط دار الشروق، بيروت 1985 م، المجلد الثامن وهو الأخير، ط حيدرآباد 1951 م.
* مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ المسعودي: علي بن الحسين (ت 345 هـ).
(9 أجزاء) ط باريس 1861 ـ 1930، وفي (4 أجزاء) تحقيق سعيد اللحام، ط دار الفكر، بيروت 2000 م.

* المستجاد من فعلات الأجواد ـ التنوخي: القاضي المحسن بن علي بن محمد البصري (ت 384 هـ).

تحقيق محمد كردعلي، ط المجمع العلمي العربي، دمشق 1946 م.

* المستطرف في كل فن مستظرف ـ الأبشيهي: شهاب الدين محمد بن أحمد (ت 850 هـ).

(جزآن) ط الحلبي، القاهرة 1952 م، وط دار إحياء التراث العربي، بيروت د.ت.

* مسند أحمد بن حنبل ـ أحمد بن حنبل: أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت 241 هـ).

تحقيق أحمد شاكر، ط دار المعارف، مصر 1946 م.

* المصون في الأدب ـ العسكري: أبو أحمد الحسن بن عبدالله (ت 382 هـ).

تحقيق عبد السلام هارون، ط الكويت 1960 م.

* المعارف ـ ابن قتيبة: أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت 276 هـ).

تحقيق ثروة عكاشة، ط دار المعارف، مصر 1969 م.

* المعاني الكبير ـ ابن قتيبة: عبدالله بن مسلم (ت 276 هـ).

ط دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد 1949 م.

* معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب.

* معجم البلدان ـ ياقوت الحموي: ياقوت بن عبدالله الرومي (626 هـ).

تحقيق وستنفيلد، ط ليزك 66 ـ 1870 م، وط دار صادر، بيروت 1957 م.

* معجم الشعراء ـ المرزباني؛ أبو عبيد الله محمد بن عمران (384 هـ).

تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط دار الكتب العربية، القاهرة 1960 م.

* المعجم الكبير ـ الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت 360 هـ).

تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط وزارة الأوقاف، بغداد 1979 م.

* معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ـ البكري: أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت 487 هـ).

تحقيق مصطفى السقا، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1945 م.

* المعجم الوسيط ـ إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

إخراج إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي ومحمد خلف الله أحمد، ط القاهرة 60 ـ 1961 م.

* المعمرون والوصايا = كتاب المعمرين.

* المفضليات ـ الضبي: المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر الضبي (ت 178 هـ).

تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، ط دار المعارف، مصر 1976 م.
* مقاتل الطالبيين ـ الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأموي (ت 356 هـ).
ط مصر 1949 م.
* مقدمة ابن خلدون ـ ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون المغربي (ت 808 هـ).
بعناية خليل شحادة، ط دار الفكر، بيروت 1988 م.
* المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ـ ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597 هـ).
ط دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد 57 ـ 1359 هـ.
* المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار (خطط المقريزي) ـ المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت 845 هـ).
(مجلدان كبيران) تحقيق كرستن ويت، ط بولاق 1270 هـ، وط مطبعة النيل، القاهرة 1325 هـ.
* الموسوعة العربية الميسرة ـ بإشراف محمد شفيق غربال.
(مجلدان) ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، مصورة عن طبعة مصر 1965 م.
* الموطأ ـ مالك بن أنس: أبو عبدالله مالك بن أنس الأصبحي المدني (ت 179 هـ).
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط عيسى البابي الحلبي، مصر 1951 م.
* ميزان الاعتدال في نقد الرجال الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748 هـ).
(3 مجلدات) ط مصر 1325 هـ، وتحقيق علي محمد البجاوي، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1963 م.

(ن)

* النبراس في تاريخ بني العباس ـ ابن دحية: عمر بن الحسن بن علي (ت 633 هـ).
ط بغداد 1365 هـ.
* النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت 874 هـ).
(16 جزءاً) ط وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة 63 ـ 1972 م، مصورة عن ط دار الكتب المصرية.
* نزهة الألباء في طبقات الأدباء ـ الأنباري: أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت 577 هـ).

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار نهضة مصر، القاهرة 1967 م.

* نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ـ المقَّري: أحمد بن محمد المقَّري التلمساني (ت 1041 هـ).

(4 مجلدات)، تحقيق إحسان عباس، ط دار صادر، بيروت 1968 م.

* نَكْت الهميان في نُكَت العميان ـ الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764 هـ).
تحقيق أحمد زكي، ط المطبعة الجمالية، مصر 1911 م.

* نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري: شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت 733 هـ).
(طبع منه 18 جزءاً)، ط دار الكتب المصرية، القاهرة 1955 م، صوَّرته عنها المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة د.ت.

* النهاية في غريب الحديث والأثر ـ ابن الأثير: مجد الدين المبارك بن محمد الجزري (ت 606 هـ).

تحقيق طاهر الزاوي ومحمد الطناحي، ط المكتبة الإسلامية، القاهرة 63 ـ 1965 م.

* نور القبس المختصر من المقتبس ـ المرزباني: أبو عبيد محمد بن عمران (ت 384 هـ).
اختصار يوسف بن أحمد اليغموري (ت 673 هـ).
تحقيق رودلف زلهايم، ط فسبادن 1964 م.

(هـ)

* هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون ـ البغدادي: إسماعيل باشا بن محمد أمين البابانى (ت 1339 هـ).
(6 أجزاء)، ط إستانبول 51 ـ 1955 م، وط دار الكتب العلمية، بيروت 1992 م.

(و)

* الوافي بالوفيات ـ الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764 هـ).
(4 أجزاء) ط إستانبول 1931 م، وصدر منه (27 جزءاً) عن دار النشر فرانز شتاينر، فسبادن 61 ـ 1999 م، وكل جزء بتحقيق محقق معروف.

* الوسائل في مسامرة الأوائل ـ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ).

ط بغداد 1950 م، وط دار الكتب العلمية، بيروت 1986 م.

* وفيات الأعيان ـ ابن خلكان: أحمد بن محمد (ت 681 هـ).

ط مصر 1310 هـ، وتحقيق إحسان عباس، ط دار الثقافة، بيروت 1972 م.

* وقعة صفين ـ المنقري: نصر بن مزاحم (ت 212 هـ).
تحقيق عبد السلام هارون، ط مصر 1382 هـ،
* الولاة والقضاة ـ الكندي: محمد بن يوسف بن يعقوب (ت 350 هـ).
ط بيروت 1908 م.

(ي)

* يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ـ الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت 429 هـ).
(4 أجزاء) ط دمشق 1303 هـ، وتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط السعادة، مصر 1956 م.

فهارس الكتاب

1 ـ فهرس الآيات القرآنية الكريمة
2 ـ فهرس الأحاديث النبويّة الشريفة
3 ـ فهرس الشعر
4 ـ فهرس الأعلام
5 ـ فهرس القبائل والأمم والشعوب والجماعات
6 ـ فهرس المواضع والبلدان
7 ـ فهرس الموضوعات

1 ـ فهرس الأيات القرآنية الكريمة

4 ـ النساء

5 ـ المائدة

6 ـ الأنعام

7 ـ الأعراف

8 ـ الأنفال

9 ـ التوبة

10 ـ يونس

11 ـ هود

12 ـ يوسف

13 ـ الرعد

15 ـ الحجر

16 ـ النحل

17 ـ الإسراء

25 ـ الفرقان

26 ـ الشعراء

27 ـ النمل

28 ـ القصص

29 ـ العنكبوت

30 ـ الروم

31 ـ لقمان

32 ـ السجدة

33 ـ الأحزاب

34 ـ سبأ

35 ـ فاطر

36 ـ يس

37 ـ الصافات

38ـ ص

39ـ الزمر

40ـ غافر

41ـ فصلت

42ـ الشورى

43ـ الزخرف

44ـ الدخان

46ـ الأحقاف

47ـ محمد

48ـ الفتح

49ـ الحجرات

50ـ ق

51ـ الذاريات

52ـ الطور

53ـ النجم

55ـ الرحمن

56ـ الواقعة

57ـ الحديد

58ـ المجادلة

65ـ الطلاق

67ـ المُلك

69ـ الحاقة

2 ـ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الصفحة

(أ)

3 ـ فهرس الشعر

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
		(أ)	
جرت سنحاً	اللقاءُ	شاعر	267
فقل لمن	أشياءُ	أبو نواس	171
يا من شكوت	أقصاهُ	أحمد بن محمد	281
أشد على	سواها	العباس بن مرداس	221
ولا تبغِ	الأصفياءِ	شاعر	144
إني وإن كان	وورائهِ	الراعي النميري	140، 276
		(ب)	
سلا ربة	تعجبُ	عبد الله بن معاوية	262
لمياء في	شنبُ	ذو الرمة	135
أم هل ظعائن	والشنبُ	الكميت بن زيد	135
هل أنت	منقلبُ	الكميت بن زيد	135
فصرت في البيت	الكتبُ	محمد بن بشير	36
جليس لي	تجبُ	النعمان بن حيون	33
حب مجد	معذَّبُ	شاعر	278
ما نقموا من	غضبوا	عبيد الله بن قيس	220
صبت عليه	مصبوبُ	امرؤ القيس	219
لم يضق مجلس	رحيبُ	محمد بن معقل الأزدي	82
اطلبُ	الطلبا	عروة المدني	140

(ت)

(س)

(ض)

(ع)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(ن)

4 ـ فهرس الأعلام

(ب)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(غ)

(ف)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

5 ـ فهرس القبائل والأمم والشعوب والجماعات

(أ)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

6 ـ فهرس المواضع والبلدان

7 ـ فهرس الموضوعات

الكتب الصادرة للمؤلف

1 ـ الإسلام والشعر. مكتبة النهضة، بغداد 1964.

2 ـ شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه. مكتبة النهضة، بغداد 1964، مؤسسة الرسالة، بيروت 1981. 1983. 1998. 2002.

3 ـ ديوان العباس بن مرداس السلمي. وزارة الإعلام، بغداد 1968 مؤسسة الرسالة، بيروت 1992.

4 ـ الجاهلية (مقدمة في الحياة العربية لدراسة الشعر الجاهلي). طبعة المعارف، بغداد 1968.

5 ـ شعر النعمان بن بشير الأنصاري. مطبعة المعارف، بغداد 1968، دار القلم، الكويت 1985.

6 ـ شعر عروة بن أذينة. مكتبة الأندلس بغداد 1970، دار القلم، الكويت 1981، 1983.

7 ـ لبيد بن ربيعة العامري. مكتبة الأندلس، بغداد 1970، دار القلم، الكويت 1981.

8 ـ شعر المتوكل الليثي. مكتبة الأندلس، بغداد 1971.

9 ـ شعر الحارث بن خالد المخزومي. طبعة النعمان، النجف 1972، دار القلم، الكويت 1983.

10 ـ الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه. دار التربية، بغداد 1972، مؤسسة الرسالة، بيروت 1979، 1982، 1984، 1990، 1995، 2000، 2002، جامعة قار يونس، بنغازي 1993.

11 ـ شعر عبدة بن الطبيب. دار التربية، بغداد 1972.

12 ـ شعر عبد الله بن الزَّبير الأسدي. وزارة الإعلام، بغداد 1974.

13 ـ شعر أبي حية النميري. وزارة الثقافة، دمشق 1995.

14 ـ شعر عمرو بن شأس الأسدي. مطبعة الآداب، النجف 1976، دار القلم، الكويت 1983.

15 ـ شعر عمر بن لجأ التيمي. مطبعة الحكومة، بغداد 1976 دار القلم، الكويت 1981.

16 ـ الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية. (ترجمة عن الإنجليزية). منشورات جامعة بغداد 1976.

17 ـ ديوان الطغرائي (بالاشتراك). مطبعة الحكومة، بغداد 1976 دار القلم، الكويت 1983.

18 ـ شعر هدبة بن الخشرم العذري. وزارة الثقافة، دمشق 1976 دار القلم، الكويت 1985.

19 ـ أصول الشعر العربي. د. س. مرجليوث (ترجمة عن الأنجليزية). مؤسسة الرسالة، بيروت 1978 1981 1988 جامعة قار يونس، بنغازي 1994.

20 ـ عبد الله بن الزبعرى حياته وتحقيق شعره. معهد المخطوطات العربية، القاهرة 1978، مؤسسة الرسالة، بيروت 1981.

21 ـ كتاب المحن ـ لأبي العرب التميمي (تحقيق). دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983 الطبعة الثانية 1988.

22 ـ ديوان أحمد بن يوسف الجابر. (بالاشتراك) دراسة وتحقيق. مركز الوثائق، جامعة قطر 1984.

23 ـ الزينة في الشعر الجاهلي. دار القلم، الكويت 1984.

24 ـ قصائد جاهلية نادرة (دراسة وتحقيق). مؤسسة الرسالة، بيروت 1982، 1988.

25 ـ شعر خداش بن زهير العامري (دراسة وتحقيق). مجمع اللغة العربية، دمشق 1976.

26 ـ الأقوال الكافية والفصول الشافية (في الخيل) للملك الرسولي (تحقيق). دار الغرب الإسلامي، بيروت 1987.

27 ـ الملابس العربية في الشعر الجاهلي. دار الغرب الإسلامي، بيروت 1989.

28 ـ كتاب الردة للواقدي (تحقيق). دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990.

29 ـ كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل. للوشاء (تحقيق). دار الغرب الإسلامي، بيروت 1991.

30 ـ منهج البحث وتحقيق النصوص. دار الغرب الإسلامي، بيروت 1993.

31 ـ الخط والكتابة في الحضارة العربية. دار الغرب الإسلامي، بيروت 1993.

32 ـ أمالي المرزوقي (تحقيق). دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995.

33 ـ المستشرقون والشعر الجاهلي (بين الشك والتوثيق). دار الغرب الإسلامي، بيروت 1997.

34 ـ الكتاب في الحضارة الإسلامية. دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998.

35 ـ كتاب المنتخل للميكالي (تحقيق). دار الغرب الإسلامي، بيروت 2000.

36 ـ محمد بن عبد الملك الزيات. سيرته. أدبه. تحقيق ديوانه. دار البشير، عمان 2002.

37 ـ المحاضرات والمحاورات للسيوطي. (تحقيق) دار الغرب الإسلامي، بيروت 2002.

38 ـ محن الشعراء والأدباء وما أصابهم من السجن والتعذيب والقتل والبلاء. دار الغرب الإسلامي، بيروت 2003.

39 ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. لأحمد بن فضل الله العمري (تحقيق). المجلد العاشر المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة 2003.

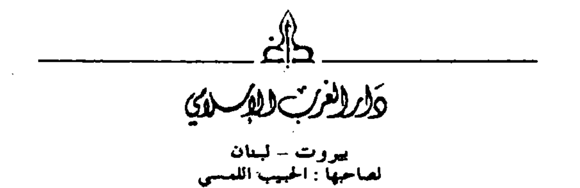
40 ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. لأحمد بن فضل الله العمري (تحقيق). المجلد الرابع والعشرون. المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة 2004.

41 ـ الشعر الإسلامي والأموي. دار البشير، عمان 2005.

42 ـ الغزل العذري. دار البشير، عمان 2005.

43 ـ المجموع اللفيف (تحقيق). للقاضي الأفطسي الحسيني. دار الغرب الإسلامي، بيروت 2005.

44 ـ مجالس العلماء والأدباء والخلفاء. مرآة للحضارة العربية والإسلامية. دار الغرب الإسلامي، بيروت 2005.



بيروت – لبنان
لصاحبها : الحبيب اللمسي

شارع الصوراتي (المعماري) – الحمراء ، بناية الأسود
تلفون: Tel: 009611-350331 / خلوي: Cellulaire: 009613-638535
فاكس: Fax: 009611-742587 / ص.ب. 113-5787 بيروت ، لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P.:113-5787 Beyrouth, LIBAN

الرقـــم : 2006 / 1 / 1000 / 458

التنضيد: مطبعة الصـــراط ـ بيروت ـ لبنان

الطباعة: مطبعة الصـــراط ـ بيروت ـ لبنان

in his presence and under his auspice that even would take part. Of those caliphs and princes were Abdul malik bin Marwan, Al Waleed bin Abdel Malik, and Sulaieman bin Abdul Malik, Haroo Al Rashid, Mammon, and other. Those sessions were prosperous with celebrated ulema who had too many powerful contributions in scientific and literature life, and works of whom maintained by hearts of narrators and masterpiece books.

Issues relating to language, grammar and literature; with their inherent details, controversy, explanations, and standpoints had most often been discussed on such sessions, representing a scientific and literary movement which had been active since the first century, and continued prosperously through third and fourth centuries. Careful interest by caliphs since Abdul Malik bin Marwan up to era of Al Mammon had an effect in prosperity of such scientific movement of criticism, as a result of encouragement, rewards, and donations given upon the ulema. Sessions sponsored by Al Mammon, the educated caliph had been so influential in the enrichment of scientific life. Ulema and men of letters were most frequently encouraged by Al Mammon with him being attendant. Consequently, his time witnessed a prosperous literary and scientific life, and personally he had a clear-cut effect in such developments, due to the fact that he himself well educated, cultured, with being literate in shariite, Arabic, philosophy, and logic, and had sessions filled with argumentations, and discussions.

In conclusion, the final section deals with argument on creation of the Koran, a heresy prevailed age of the Al Mammon, disseminated by the Mu'tazilah, and supported by Al Mammon himself as a proponent, who ordered opponent ulema to be punished. This heresy was a philosophical idea, which was invented by the Mu'tazilah, and had no parallel in past times of Prophet and Rashidin Caliphs. An argumentative session was organized included Abdel Aziz Al Kenani and Bisher El Merisi, in presence of Al Mammon and judgment, where he was moderate and honest.

In summary, such session with their various subject a clear picture, and a pure reflection of scientific life in the Arab Islamic civilization through its most prosperous eras.

Prof. yahia Al- jubouri

Caliph, Literature Scholar, and Ulema Sessions

A Reflection of Arab Islamic Civilization

The present work is about academic, literature-centered and civilization sessions in the Arab-Islamic heritage, and along prosperous era of the Islamic Civilization, since the very dawn of Islam up to late period of Mammon, the Caliph. The book is a very rich experience in the most enjoyable extensions of thought, language, literature, poetry, nightly entertainment, and merriment.

What is meant by a session is that one of academic and literature, not governance, politics or administration. It is, indeed, a session on which academic, literary, or even religious argumentations, conversations and discussions taking place for purpose of identifying opinion, argumentation, counter-argumentation, and beneficial controversy by means of evidence satisfactorily presented very far away from fanaticism and misconceptions. As for eulogy, appeal, complaint sessions with a caliph attendance are not in anticipation as are only sessions of thought and knowledge. Sessions in which we were most interested were those approaching language, grammar, poetry, literature, philosophies, civilization, argumentation and exegesis and so forth.

This volume addresses sessions with caliphs, ulema, and literature scholars as attendants. The term of caliph includes Umayyad and Abbasid Caliphs, in particular who had successful sessions with ulema and literature scholars, and were celebrated as being interested in science and poetry as well as being educated and cultured. As an introduction, we attempted to identify such sessions, their morals, format, and protocols with presence of either caliphs or scholars.

Sessions on prophetic hadith can bee viewed as genuine reflection of academic sessions and a model for other scholastic, literature and philosophy-oriented sessions, which encompassed decency of a narrator and student, and protocols observed in such sessions. The study also addresses session on language and literature, which were plenty and well known presided by celebrated and gurus scholars and ulema. We investigated a number of such sessions most often held at a prince or caliph's palace,

Caliph, Literature Scholar, and Ulema Sessions

A Reflection of Arab Islamic Civilization

By

Prof. Dr. Yahia Wahib al-Jubouri



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI